الدكتور جمشيد يوسفي

الزرادشتية

الديانة والطقوس والتحولات اللاحقة

بناء على نصوص الأفستا



منشورات زين
بيروت - لبنان

الوسام العربي
الجزائر

الزرادشتية

الديانة والطقوس
والتحولات اللاحقة

الزرادشتية
الديانة والطقوس والتحولات اللاحقة
(بناءً على نصوص الأفستا)

الدكتور: جمشيد يوسفي

الطبعة الأولى 2012

ISBN: 978-9953-578-30-9

مكتبة زين الحقوقية والأدبية ش.م.م.

فرع اول: الشياح - طريق صيدا القديمة - قرب ساحة البريد
تلفاكس: 391 391 - 01 / خليوي: 733 433 - 03

فرع ثان: البقاع - كسارة - الطريق العام - قرب افران شمسين
تلفاكس: 505 508 - 08 / خليوي: 764 203 - 03

الموقع الإلكتروني: www.zeinjuridique.com
البريد الإلكتروني: wassim@zeinjuridique.com

دار الوسام العربي للنشر والتوزيع

07 شارع جيش التحرير الوطني عناية - الجزائر
تلفاكس: 38844734 (00213) / النقال: 553250712 (00213)
الموقع الإلكتروني: www.darelwissemelarabi.comoj.com
البريد الإلكتروني: darelwissemelarabi@yahoo.fr

الزرادشتية

الديانة والطقوس والتحولات اللاحقة

(بناءً على نصوص الأفستا)

الدكتور
جمشيد يوسفي

الوسام العربي
الجزائر

منشورات زين
بيروت - لبنان

الإهـــداء

إلى روح أبي وأمي وإخوتي

إلـى رفيقـة دربي وشريـكـة حيـاتي

إلـى قـرّة عيني وثمرة حيـاتي، علي رضا وأميـر رضـا

اللّـذين تحملا معـي أتعـاب هـذا العمل



المشروع التمهيدي

لأطروحة الدكتوراه في الأديان الزرادشتية: الديانة والطقوس

قبل البدء في موضوع الأطروحة، ينبغي علينا الدراسة الإجمالية لموضوع الدين لمظاهره العالمية وكون الدين هو ما يميز بين البشر والحيوانات بشكل أساسي، لا يوجد في الشهادات التاريخية أن بعض الحيوانات فيهم ميزة كميزة الإنسان في التوجيه الذي وتقرّ به المفاهيم الدينية، ونجد في أقدم معالم الفراعنة الحضارية لحضارة مصر والحضارة الصينية تجليات مختلفة لهزم الدين من أبسط مضامينها إلى أعمق المفاهيم والطقوس[١]. يتضح لكلّ من له معرفة بتواريخ الأديان العالمية الكبرى، أنها في حركة مستمرة للخروج من حدود دينها للاتصال بالأديان الأخرى، تؤثر فيها، أو تستفيد من ثمراتها، ثم ترجع إلى ذات نفسها.

الدين الزرادشتي:

ظهرت هذه الديانة في إيران على يد زرادشت الذي تذهب معظم الروايات إلى أنه وُلد عام ٦٦٠ قبل الميلاد، فيما تذهب روايات أخرى إلى أنه عاش نحو العام الألف قبل الميلاد. والمصدر الأصلي الوحيد لحياته وفكره هو كتاب الزرادشتيين المقدس، واسمه الـ «آفستا» (Avesta)، الذي

---

(١) بالفارسية: اديان زنده جهان، رابرت.ا. هيوم، ترجمه: ع ـ رحيم گواهى.

يرّجح أنه البقية الباقية من مجموعة أكبر لم يبلغنا منها سوى هذه الشذرات. وأهم أجزاء الأفستا مجموعة أناشيد تسمى الغاثا أو (جاتها)، كتبها زرادشت نفسه باللغة الفارسية القديمة، وهي قريبة من اللغة الهندية التي كُتبت بها الفيدا. وفي هذه الأناشيد بالذات نقع على حياة مؤسس الزرادشتية وفكره.

كان زرادشت في العشرين عندما ترك أباه وأمه والزوجة التي اختارها له، وهام على وجهه سعياً وراء أجوبة عن تساؤلاته الكبيرة حول الأصل والمصير ومعنى الحياة والخلاص. وكان كلما صادف شخصاً طرح عليه تلك الأسئلة، علّه يجد الجواب الشافي[١].

وعندما بلغ الثلاثين نزل عليه الوحي. وتذهب الروايات إلى أن الوحي الأول حصل على ضفة نهر دايتيا بالقرب من قريته. هناك ظهر له شخص يفوق حجمه تسع مرات حجم الرجل العادي. وكان ذلك رئيس الملائكة اسمه فوهو مناه (Vahu Manah) أي الفكر الصالح. كلّم زرادشت وأمره أن يخلع جسده ويصعد بالروح إلى حضرة أهورا مزدا، أي الإله الحكيم، وهو الكائن الأسمى وكان أهورا مزدا جالساً على العرش محاطاً بالملائكة وتجلى أمام زرادشت نورٌ عظيم منبعث من محفل الملائكة. وانبهر بالنور بحيث لم يعد يبصر خياله وأخذ أهورا مزدا يعلمه العقائد والواجبات المتعلقة بالدين الصحيح الذي أوكل إليه نشره على الملأ. وطوال السنوات الثماني اللاحقة، تجلى له الملائكة الستة الرئيسيون مكملين رسالته.

وأخيراً نال زرادشت المكافأة على اتباعه الطريق الصحيح. فبعد عشر سنوات من التبشير جاءه التلميذ الأول، ثم وجد نفسه في شرق إيران، في بلاط الأمير الآري فيشتاسبا، الذي يقال إنه والد إمبراطور داريوس وظل زرادشت طوال سنتين يحاول كسب الأمير إلى الإيمان الجديد. و. . . . . وتزوج زرادشت إحدى أميرات البلاط وأمضى السنوات العشرين التالية في

(١) الأديان الحية، أديب صعب ـ دار النهار للنشر ـ بيروت.

نشر إيمانه وفي خوض حربين دينيتين ضد الطورانيين وقضى أبان الحرب الثانية وهو في السابعة والسبعين، وكان يتعبد أمام النار في مدينة بلخ. وانتشرت ديانة مزدا بسرعة بعد وفاة مؤسسها.

الزرادشتية من الديانة الحيّة، ورغم نشأتها الفارسية تاريخياً، إلا أن انتشارها اليوم يعم أكثر البلاد. وتجدر الإشارة هنا إلى أن العدد الحقيقي للزرادشتيين اليوم غير معلوم، بدقة وحالهم كسائر الأقليات الدينية حيث قد يخفى الإنتماء الديني أو قد تقلل الحكومات أحياناً من عدد طائفتهم، لذلك وبصرف النظر عن الأرقام، فإن الزرادشتية موجودة ولها أتباعاً، كما أن لمعتقداتها ومفاهيمها الدينية آثاراً في مذاهب وطوائف أخرى.

أما الباعث على اختيار موضوع «الزرادشتية: الديانة والطقوس» فلأنها من أهم الأغراض الدينية التي تحث على الفضائل الإنسانية القيمة ومكارم الأخلاق، وكثيراً ما يُعبر الدين فيها عن التجربة الشخصية أو الاجتماعية أو التاريخية. وأيضاً سبب اختيار هذا الموضوع، الزرادشتية في الأديان المختلفة في العالم ومن بين الأديان العرب والفرس، زرادشت بشيراً بالدين الحق، حسب معتقدهم انتصر علي أهرمان ولم يضع له وتمسك بإيمانه بأهورا مزدا، لذلك اختاره هذا الأخير لمهمة وحملة الدعوة.

وفي هذا الموضوع مقاصد كبيرة:

١ ـ العمل على رفع سوء الفهم الحاصل حول المبادىء والأحكام الدينية.

٢ ـ تغيير النظرة التي تقول بأن الفرس ليسوا قوماً يعبدون الله فقط بل إن دينهم لا يختلف عن الأديان اليهودية والمسيحية والإسلام.

٣ ـ تعرض البحث بالدراسة والتحليل لأصول وفروع الدين الزرادشتي القديم.

٤ ـ إظهار نقاط الضعف والقوة في الدين الزرادشتي.

وبناءً على كل ما قيل، فإنني أريد من خلال هذه الدراسة تطابق المضامين الدينية وأساليبها وأغراضها عند الزرادشت، لنعرف هل تأثر زرادشت في مضامين ونشأت المعتقدات الدينية، من خلال أفكاره للناس وبالحكماء وملوك الفرس، ونحن على يقين بأن زرادشت نبي الحية الفرس الكبار اطلع على أدب الحكماء والملوك وثقافتهم.

مؤلف



المقدمـة

تعدّ الديانة الزرادشتية رسالة مركزية عامة مفصلة كبرى، قد جاء بها زرادشت لأهل إيران، وقد حوت هذه الديانة التشريعات والأحكام والأخلاق والطقوس والشعائر الدينية والنّسك وكان لها كتاب مخطوط في عهد زرادشت، (ويعتبر الأفستا أو الأبستاق، كتاب الزرادشتيين الديني نسبة إلى زرادشت، من أهم الكتب الدينية الفارسية القديمة)[1]. ويطلق على الأسفار المقدسة للديانة الزرادشتية اسم «الأفستا» وهو تعريب لكلمة «الأبستاق» (ومعناها الأساس أو الأصل أو المتن أو السند). والمقرّر في هذه الديانة أن الأبستاق موحى به من الإله المسمى عندهم «أهورا مزدا» وليس من وضع زرادشت. ويشتمل الأفستا على واحد وعشرين سفراً، ويبلغ مجموع الفصول التي تشتمل عليها هذه الأسفار ألف فصل. ويحوي الأفستا تفصيلاً لعقائد الديانة الزرادشتية وعباداتها وشرائعها وتاريخها وما اجتازته من مراحل وتاريخ نبيها زرادشت من قبل رسالته ومن بعدها[2].

عنوان الموضوع وتحديده

وبناءً على كلّ ما تقدم اخترنا الزرادشتية: الديانة والطقوس

(١) د. أحمد أمين سالم، دراسات في تاريخ إيران القديم وحضارتها: إيران من أقدم العصور حتى أواسط الألف الثالث قبل الميلاد، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٨، ص ٧٣.

(٢) د. علي عبدالواحد وافي، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، مكتبة نهضة مصر، ص ١٣٥.

التي سوف نتحدث عنها بشيء من التفصيل من خلال هذه الأطروحة في محاولة لاستجلاء حقيقة النصوص الأفستية.

الإشكالية والباعث على اختيار الموضوع:

ينبغي أن يعلم المرء أن الرسالات السماوية جميعها جاءت لأجل الإنسان فقط، لأجله أولاً وقبل أي شيء آخر؛ فالإنسان هو الحرمة الأولى في الأديان وهو موضع الاهتمام الأكبر في الوجود، وهو القيمة الكبرى التي لا تدانيها قيمة فجميع الأديان جاءت في الأساس لترعى حرمة الإنسان وقيمة الإنسان، وجاءت الأديان لتحفظ لهذا الكائن فضله وكرامته على سائر المخلوقات جميعاً أيًا كان موطن الإنسان أو جنسه أو نوعه أو شكله أو لونه.

دعا زرادشت الإنسان إلى أن يخرج من انفصامه بتوحّد (فكره وقوله وفعله) لكي يمتلك الإرادة والبصيرة وليكون صادقاً مع نفسه والآخرين وأن يسعى إلى معرفة نفسه ليصل للكمال بمفرده، فهو يسعى إلى تعاون إنساني بتشكيل العقل الجمعي لإيجاد العقل الخيّر وهو الإنسان الكامل ويتم بناء العقل الجمعي من خلال احترام كفاءات العقول المتفوقة، ويتم ارتقاء العقل المتفوق من خلال العقول المتباينة التي تبحث عن الحقيقة وصولاً لـ «الحق» بحدية مسؤولة تسعى الإرتقاء باحترام القدرات مستفيدة من الفكر الخالد للأسلاف الذين استمروا بعقولنا فهم خالدون بخلود فكرهم.

دعا زرادشت العقل البشري إلى تحمل مسؤوليته في الحياة فعلى الإنسان أن يتعامل مع القاموس الوضعي ويطوره إلى القاموس الكوني دافعاً العقل إلى الارتقاء بتحمله المسؤوليته فإنّ زرادشت دعا الإنسان إلى أن يعمل الخير دون أن ينتظر الجزاء، فإن الخير جزاء في نفسه[١].

---

(١) يسنا، هات ٥١.

أما الباعث على اختيار موضوع «الزرادشتية: الديانة والطقوس» فنشير إليه بالأسباب التالية:

١ ـ الرغبة الشخصية في معرفة النصوص الأفستا وموقف العلماء تجاهها.

٢ ـ تفرد أو حصرية هذا التحقيق بسبب اعتماده كلياً على نصوص الأفستا.

٣ ـ إظهار وتبيان حقيقة صورة زرادشت الواقعية بعيداً عن الصور الوهمية التي رسمت له.

٤ ـ تحقيق وإدراك أقوال زرادشت في المثلث الزرادشتي (الفكر الحسن، القول الحسن والعمل الحسن).

٥ ـ تأثير الديانة الزرادشتية على الديانات الأخرى.

٦ ـ الاعتماد على النصوص الصعبة مثل النصوص البهلوية وترجمتها، وهذا ما لم يكن له سابقة.

٧ ـ تحقيق نصوص الغاثا حول أهم النصوص الزرادشتية.

ومهما تحدثت عن الزرادشتية وأهميتها سيبقى ذلك أقل مما سيشعر به القارئ لدى مطالعته هذه الأطروحة، وذلك على الرغم من صعوبة نصوصها وكثافة المعلومات المعروضة؛ وعلى العموم حتى يفهم الإنسان تاريخ تيارات ما بعد قيام الإسلام، يحتاج أوّلاً إلى تعمق بدراسة الزرادشتية، وهذا ما تحققه هذه الأطروحة، كذلك دراسة الديانات الأخرى مثل المانوية والصابئة... وغيرها وهذا ما تحققه الأطروحة.

والذي أعتقد أن الدراسات الحيادية الصادقة هي خير وسيلة لنشر أجواء الحرية وإلغاء التعصب.

صعوبات البحث (التفسير والنقل):

يواجه أي امرئ يحاول تقديم وصف متماسك عن الديانة الزرادشتية صعوبتين على الفور: **أولهما**: صعوبة لغوية حيث نضطر مراراً، وبسبب عدم وجود أي تقاليد تفسيرية كافية لكتاب الأفستا، وبسبب صغر حجم

الأفستا نفسه أن نعود إلى مجرد عمل افتراضي مدعوم باستخدام دراسة لغوية مقارنة نادراً ما تكون ذات قيمة حقيقية في تحديد المعنى الدقيق لكلمة ما، وإن هذا الشك الدائم حول معنى النص هوالشك الأكثر خطورة من كافة الشكوك في ترانيم الجاتا (الغاثا) التي تُعدّ بشكلٍ واضح الجزء الأكثر أهمية بين نصوص الأدب الزرادشتي المقدس، كونها أقوال الرسول الخاصة، بيد أننا محظوظين بشكل أكبر، من وجهة نظر اللغة في الكتب البهلوية، حيث إن اللغة البهلوية والتي يجب تسميتها بدقة باسم «لغة العصور الوسطى الزرادشتية الفارسية» قريبة جداً من اللغة الفارسية الجديدة لدرجة أن المعنى الحقيقي لكلمة ما نادراً ما يكون مبهماً، كما أن نصوص بعض الكتب، وخاصة كتاب دينكرد، الذي يُعدّ الأهم على الإطلاق من وجهة النظر الدينية، تأتي محرفة أحياناً بشكل مفرط، ويبدو أنها على الإطلاق، **والصعوبة الثانية**: هي درجة الاختلاف في العقيدة والتوكيد الذي نجده بين مصادرنا الرئيسية، وهذا ليس موجوداً فقط بين كتاب الأفستا والكتابات المنقوشة والمصادر الإغريقية، بل أيضاً بين المراحل المختلفة لكتاب الأفستا نفسه. وصحيح أننا نجد في ديانات أخرى إضافات لاحقة تمت إضافتها إلى الشكل الأصلي للعقيدة الأصلية لا تظهر في أي ديانة أخرى بأنها قد تغيّرت بشكل جذري للغاية، كما حدث في المراحل الأولى للديانة الزرادشتية، فقد كانت الأمور مختلفة جداً في الديانة الزرادشتية، وسيبدو واضحاً أن زرادشت حوّل الديانة الإيرانية القومية التي ترعرع في ظلّها إلى توحيد خالص مختلف عن أي شيء كانت إيران أو الهند قد شهدته من قبل على الإطلاق، بيد أن الإصلاح كان جذرياً للغاية، وكان قبوله عند غالبية الناس بعيداً جداً.

كان هدفي في هذه الأطروحة أن أشرح الديانة الزرادشتية من النصوص نفسها كما أفهمها، وكان فهمي لكتاب الأفستا فهماً طقوسياً بشكل إجمالي.

منهجية البحث:

المنهج هو الطريقة التي يعتمدها الباحث للوصول إلى هدفه المنشود،

وإن وظيفته في العلوم الدينية والاجتماعية استكشاف المبادئ التي تنظم مسائل دينية واجتماعية وإنسانية.

يتخطى الهدف الرئيسي لأي بحث علمي مجرد وصف المشكلة أو الظاهرة موضوع البحث إلى فهمها وتفسيرها، وذلك بالتعرف على مكانها من الإطار الكلي للعلاقات المنظمة التي تنتمي إليها، وصياغة التعميمات التي تفسر الظواهر المختلفة إذ هي من أهم أهداف العلم، وخاصة تلك التي تصل إلى درجة من الشمول، ترفعها مرتبة القوانين العلمية والنظريات.

يشير مصطلح الأسلوب العلمي إلى ذلك الإطار الفكري الذي يعمل بداخله عقل الباحث، في حين أن كلمة منهج البحث «تعني الخطوات التطبيقية لذلك الإطار الفكري، ولا يعني هذا الاختلاف ماهية هذين الاصطلاحين والتعارض بينهما؛ فمن الناحية اللغوية يتقارب كثيراً معنى كل من أسلوب ومنهج، ولكن يقصد بهذا التمييز التوضيح والتفسير، ففي أي دراسة علمية تتخذ العمليات العقلية في ذهن الباحث ترتيباً وتنظيماً متكاملاً يوجه خطواته التطبيقية، ولذلك يفضل أن يستقل كل مصطلح بجانب من الجانبين، بحيث تستعمل كلمة «أسلوب» لتشير إلى الجانب التطبيقي لخطوات البحث؛ ولتوضيح ذلك أكثر، يعتمد التمثيل في أن نتصور وجود مشكلة ما تواجه شخصين، **الأول**: يتخبط ويحاول ويخطئ حتى يصل إلى حل ما لهذه المشكلة قد يكون صواباً أو خطأ، ولكنه في كلتا الحالتين لا يعتبر محققاً علمياً، لأنه لم يسر في حلها تبعاً لتنظيم ذهني يمكنه من التحقيق من نتائجه، أما **الثاني**: فيعالج المشكلة بأسلوب علمي، أي إنه سار في حلها بخطوات فكرية معينة يطلق عليها العلماء «خطوات التفكير العلمي» وهذا ما يميز الباحث العلمي من الشخص العادي - فأسلوب التفكير العلمي هو الذي يميز الباحث العلمي ويمكنه من تمحيص نتائج بحثه والتحقيق من صحتها[1].

---

(١) http/www.ssrcaw.org/ar/show.art.asp.

والأبحاث عن زرادشت والزرادشتية، تلتزم التقيد بالمنهج العلمي والابتعاد عن كل ما لا يقبله المنطق، والتوقف عند أهم مظاهر هذه الديانة وسيرة نبيها وطقوس عباداتها المختلفة، التي اكتنفها الغموض والالتباس نتيجة انحرافها عن مبادئها الرئيسية، أو بسبب تشابه طقوسها مع طقوس وشعائر الديانات الأخرى كالمانوية والمزدكية والكونفوشية. وكما ذكرتُ سابقاً فقد اعتمدت في هذه الأطروحة على المنهج الاستقرائي للنصوص الدينية، حيث قمت باستقراء النصوص الدينية الأولى للأديان

الشرقية القديمة: البرهمية (الهندوسية)، البوذية، الكونفوشية، مع نصوص أفستا الزرادشتية. وسبب اختياري لهذا المنهج في هذه الأطروحة هو إدراك المعرفة العلمية للتوصل إلى حقيقة العلاقات التي تربط بين ظواهر هذه الأديان بعضها ببعض، ولأن الاستقراء سوف يمكننا من الوصول إلى القوانين العامة من خلال استخلاص العلاقات بين الظواهر، ولأن وظيفة الاستقراء هي تيسير الحصول على المعرفة العلمية، وحين تتم لنا معرفة القوانين يكون في مقدورنا أن نتنبّأ والتنبؤ العلمي حقيقة أساسية من حقائق البحث العلمي. ومعناه أن الباحث يحدد حدوث الظاهرة في المستقبل باطمئنان وثقة طبقاً لحدوثها في الماضي.

الخطوط الكبرى (مخطط البحث):

قسمت هذه الأطروحة إلى مقدمة، وتمهيد المؤلف، الإطار التاريخي، الإيرانيون والميديون، المصادر والتقاليد، الكتاب الأفستا، الكتب البهلوية، حياة زرادشت، وخمسة فصول وخاتمه وملحقات بالوثائق والمخطوطات والمراجع والمصادر وفهرس المحتويات.

أولاً: المقدمة:

ذكرت فيها عنوان موضوع وتحديده، الإشكالية والباعث على اختيار الموضوع، صعوبات البحث، منهجية البحث والخطوط الكبرى (مخطط البحث).

ثانياً: فصول البحث:

الفصل الأول: المعتقدات الزرادشتية الأساسية

المبحث الأول: أصول الديانة الزرادشتية وتعاليمها.

المبحث الثاني: الأخلاق في الديانة الزرادشتية.

المبحث الثالث: أهورا مزدا وثنوية الزرادشتية.

المبحث الرابع: الملائكة (أمشاسبندان).

الفصل الثاني: الطقوس

المبحث الأول: طقوس النار.

المبحث الثاني: الزرادشتية والطقوس الشعبية.

المبحث الثالث: الطقوس الدينية والوطنية.

المبحث الرابع: هوما (هاوما).

المبحث الخامس: العبادة.

الفصل الثالث: المعاد

الفصل الرابع: المخلّص الموعود في الزرادشتية

الفصل الخامس: الزروانية

تقويم أهمّ المصادر والمراجع:

تعتبر قائمة المصادر والمراجع السند الأساسي الذي تستند إليه عملية التوثيق في البحث العلمي وهي بلا شك من أول الأشياء التي يطلع عليها القارئ مع الفهرست والمقدمة. ولذا فهي ذات أهمية كبيرة في تكوين الانطباع الأول عنده، وبالإضافة إلى أن قائمة المصادر والمراجع هي إحدى الوسائل التي يتحقق بها القارئ من مدى جدية البحث والدراسة

وتمكّنه أيضاً من أن يعرف مجالات التوسع في الموضوع، إذا أراد ذلك يبقى أن نحدد ماذا نضع في قائمة المصادر والمراجع، وأن تقويم المصادر والمراجع عنصر من عناصر المقدمة، ولكن نظراً لكثرة المصادر والمراجع اقتطعناه تلافياً لاختلال التوازن، وأوردناه بعد المقدمة مباشرة أمّا طريقتنا في ترتيب الكتب في المقدّمة فهي أننا بدأنا بالمصادر الأصلية أي «الأفستا» والكتب المتعلقة بالنصوص الأفستية، وتجدر الإشارة إلى أننا حاولنا أن نركز على أهمية الكتاب مصدراً أو مرجعاً، وذكرنا ذلك بصورة مختصرة جداً.

المصادر والمراجع الرئيسية (الأصلية)

الأفستا والمصادر والمراجع الأفستية:

الأفستا: الأفستا هو المصدر الرئيسي للديانة الزرادشتية وقد فسر بعض الباحثين معنى الأفستا بالأصل والمتن، باعتبارها أساس الديانة الزرادشتية، استناداً إلى اشتقاقها من كلمة «Uupsta» التي تعني الأساس والأصل والبنيان، وكانت مؤلفة من واحد وعشرين كتاباً (Nasks)، حيث يوجد ملخص لها في كتاب دينكرت البهلوي الذي يعود تاريخه في صيغته الحالية إلى القرن التاسع بعد الميلاد. ولم يتبق حالياً سوى جزء من هذه الكتب الإحدى والعشرين، بيد أن حجم هذا الجزء كبير حيث يبلغ حجمه ضعف حجم القرآن بمرة ونصف.

وإن الجزء القديم المكتوب بصيغة لغة مبكرة أكثر من باقي أجزاء كتاب الأفستا هو الغاثا، أي التراتيل أو الترانيم، وتُعدّ هذه عادة من عمل زرادشت نفسه وتشكل هذه الترانيم جوهر الطقوس الدينية الرئيسية أو الأفستا والتي تؤلف قسماً واحداً من الأقسام الرئيسية الثلاثة لكتاب الأفستا المتبقي، كما أن الشيء المماثل للأفستا هو طقس ديني صغير يدعي Visp - rat أو Vispered ويحتوي على قليل غير موجود في الأفستا. وأقحم في الأفستا وفي ثنايا الغاثا جزء قديم آخر يسمى الـ Maptanhaiti Gatha وهو

مكتوب باللهجة ذاتها مثل الغاثا الحقيقيّة لزرادشت، لكنه مختلف كثيراً في المحتوى اللاهوتي.

اليسنا: وتعني العبادة والسلام والحمد والدعاء، وكانت تشكل القسم الأول من الأفستا «الافتتاح»، تتألف من / ٧٢ / فصلاً (هايتي بالأفستية أو هات بالفهلوية)، وتحوي أدعية ومباحث دينية، وتتضمن إشارات إلى سيرة زرادشت وأسرته وعشيرته.

أما أهم ما تحتويه اليسنا فهي (الـ كاثاها أو الغاثا) أي الأناشيد، التي ينسبها معظم الباحثين إلى زرادشت نفسه. وهي تتألف من خمس (كاثات) تحوي ١٧ نشيداً «يسنا» من ٢٨ حتى ٣٤، ومن ٤٣ حتى ٥١، بالإضافة إلى النشيد ٥٣، وتشكل هذه الأناشيد أهمّ أجزاء الأفستا وأعظمها قداسة، وهي عبارة عن مجموعة من المواعظ النبوية تحمل طابع شخصية تقية ورعة راغبة في أن تفهم الحقيقة، وأن تناضل من أجلها، والظاهر أن هذه الأناشيد كانت ترتّل بصوت عالٍ من قبل مجموعة من رجال الدين، بشكل يشبه الغناء في الأعياد والاحتفالات الدينية.

ويسبرد: ويتكون من ٢٤ فصلاً «كرده»، ويبحث في الطقوس الدينية والابتهالات التي ترفع الإله الأعظم أهورا مزدا.

يشت: ويتكون من ٢١ نشيداً من التسبيحات الغنائية والأدعية، التي تتلى في الصلوات، وعند تقديم القرابين والضحايا، أمام النار المقدسة، وأثناء تقديم الهاوما «الشراب المقدس»، ويطلق على كل نشيد «كرده»، كما يحتوي أيضاً على بعض القصص عن مخلوقات أهورا مزدا ونشوء الكون.

ونديداد: القانون المضاد للشياطين، وقد كُتب هذا الكتاب في بداية العهد البرثي، وقد وصلنا كاملاً، ويتضمن اثنين وعشرين فصلاً ويطلق على كل فصل «فركرد» أو «بركرد».

خرده أفستا (الأفستا الصغيرة) : وتشتمل على سلسلة من الصلوات والأدعية المختصرة، التي تتلى في مناسبات الحياة المختلفة،

والتي يتوجب على كل زرادشتي أن يتلوها في أوقات الصلوات الخمس، وفي الأعياد الدينية، وهي تبدأ بصلاة يتاأهو وثيريو، وكانت من أكثر الكتب انتشاراً بين العامة لبساطتها، حيث لم يكن يخلو منها أي بيت[1].

نسك هوسبارم: وهو قسم من الأفستا الساسانية، وقد نشر داراب ودستور بيشتوان سنجانا في عام ١٩٨٤، في بومباي بالهند، قسمين منه، وهما: هيربدستان «قانون الروحانيين»، ونيربخستان «قانون المراسيم الدينية». ويتناول (هيربدستان) موضوع إرسال رجال الدين لتعليم المؤمنين وإقامة المراسيم الدينية، والوسائل التي عليهم اتخاذها لضمان استمرار العبادات في أثناء غياب رجال الدين، من أجل إقامة واستمرار الطقوس الدينية في غيابهم، وقد ترجمهما بسارا إلى الإنكليزية ونشرهما في بومباي بالهند سنة ١٩١٥م.

المصادر والمراجع البهلوية:

البندهش (البندهشن بالفارسية): ويحوي مختصراً لبعض أجزاء الأفستا الساسانية، والزند أفستا، وهو يتناول خلق العالم والتاريخ الخرافي وتاريخ العالم الطبيعي، ويُعد هذا الكتاب من أهم الكتب الزرادشتية الآن لأنه يعطي لمحة عن محتويات الأقسام المفقودة من الأفستا الساسانية، وقد طبع مصوراً، ونشره Anklesaria في بومباي سنة ١٩٠٨.

داستان مينوك خرد: أي روح مذهب الحكمة، أو مذهب الحكمة الإلهية. وكتب في القرن الأخير من عهد الدولة الساسانية، ولو أنه نقل إلينا في زمن لاحق للساسانيين.

ماديكان هزار دستان: أي ألف فتوى قضائية في التشريع

---

(١) مهر، فرهنگ: ديدى نو از دينى گهن (فلسفه زرتشت)، انتشارات جامى، تهران ـ ١٣٨٣ ـ ص ١٣٠ ـ ١٣١ ـ ١٣٢.

الفهلوي، ألفه رجل الدين فرخمرد، ويقع في ٧٤ ورقة، وقد نشر الأستاذ مودي «٥٥» ورقة منه في بومباي سنة ١٩٠١ م.

دينكرد: ويبحث في المسائل الدينية، كتب بالخط الفهلوي في القرن الثالث الهجري، التاسع الميلادي، وقد كتب القسم الأعظم منه المؤبدان مؤبد «آذر فرنبغ بور فرخ زاد» مؤبدان مؤبد الزرادشتيين في عهد الخليفة المأمون، ويقع في تسع مجلدات.

كتاب تنسر: وهو عبارة عن رسالة تاريخية وسياسية وأخلاقية، في صورة مراسلة بين هيربدان هربد تنسر، وهو من كبار علماء الزرادشتيين في عهد الملك أردشير، وملك طبرستان، الذي لم يكن ملمّاً إلماماً كافياً وصحيحاً بالزرادشتية وبقيام الدولة الساسانية، وكان متردداً في الخضوع للملك أردشير، ويحتوي على مجموعة من الإرشادات والنصائح في مجال الدين والدولة وقد نشرته مكتبه مينوي ـ طهران عام ١٩٣٢ بالفارسية، وترجمه يحيى الخشاب إلى العربية، ونشرته مطبعة مصر عام ١٩٤٥م[1].

دادستان دينيك: أي القصة الدينية، وهو كتاب ديني يشتمل على ٩٢ سؤالاً دينياً، ويعالج مبادئ الديانة الزرادشتية، ويطرح سؤالات مؤبدان مؤبد الزرادشتيين، منوجهركشن جمن في سنة ٨٨١ م في إيران، وترجمه بالإنجليزية الدكتور وست (West)، في سنة ١٨٨٢.

أرادي ويراف نامه: والكتاب وصف لرحلة خيالية، قام بها الناسك الزرادشتي «أرده ويراف» إلى الحياة الثانية، بناءً على طلب أحد الملوك الساسانيين، لوصف الفردوس والجحيم، فيقوم «أرده ويراف» برحلة خيالية، ويصف ما شاهده في الحياة الثانية، ويعتبر هذا الكتاب من أقدم الكتب التي تصف الجنة والجحيم.

---

(١) المصدر نفسه: ص ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥.

وظهرت في القرن الأخير من الحكم الساساني عدة رسائل شعبية في الأخلاق كانوا يسمونها «أندرز، أو بند نامة - كتب النصائح» وكانت تتضمن قواعد الأخلاق والحكم، وتنسب غالباً إلى العظماء التاريخيين أو الخرافيين، ومنها: أندرز أو شر الحكيم، أندرز آذر بُدمهر سبندان، كبير المؤابدة في عهد سابور الثاني، «آندرز زرادشت بن آذرباد، وبندنام زرادشت، وبندنامك بزرجمهر، أندرز خسروي كواذن. . . .» بالإضافة إلى مجموعة كبيرة من الكتب الأخرى، التي كتبت عن الزرادشتية.

المصادر والمراجع العربية والترجمة بالعربية:

المصادر الرئيسية لمعرفة الديانة الزرادشتية نجدها لمؤرخين من العرب والفرس، بقيت كتبهم: تاريخ اليعقوبي (النصف الثاني من القرن التاسع الميلادي، ابن قتيبة (م ٢٨٦/ ٨٩٩) وله أيضاً ملاحظات هامة عن تاريخ الفرس في عيون الأخبار؛ الطبري (م ٩٢٣)؛ ومروج الذهب للمسعودي (م حوالى ٣٤٥/٩٥٦)؛ والتنبيه والإشراف للمسعودي أيضاً؛ وشاهنامه الفردوسي (م ٤١١/ ١٠٢٠ تقريباً)، ومن المصادر المهمة في بيان مذهب الزرادشتية، الأجزاء التي تكلمت عنها من كتاب الملل والنّحل للشهرستاني (م ٥٤٨/١١٥٣)[1] وقد تناولت الزرادشتية والمانوية والمزدكية. ثم الملحوظات المتعلقة بهذه المذاهب والتي نجدها في بيان الأديان (فارسي) لأبي المعالي (ألف ٤٨٥/ ١٠٩٢)[2]. وتوجد بعض التفصيلات عن ديانة الزرادشتية في كتاب الآثار الباقية للبيروني (م ٤٤٠/ ١٠٤٨)[3].

---

(١) نشر كيرتون (١)، لندن ١٨٦٤،.

(٢) نشر في الجزء الأول من Chrestomatie Persane لـ Schefer (ص ١٣٢ وما بعدها)؛ وترجم كريستين من الكتاب كله إلى الدانمركية، رقم ١٠١، كوبنهاجن.

(٣) نشره ساخاو Sachau، ليبزج ١٨٧٨، ثم ترجمه إلى الإنجليزية، لندن ١٨٧٩.

أهمّ المصادر الأجنبيّة:

المشرّع المسيحي تيودور Theodore de Mopsueste (م ٤٢٨) في كلمة له عن النظرية الزروانية للزرادشتيين وقد أعطانا فوتيوس Photios (٨١) نبذة منها. وقد جمع وليم جاكسون W Jackson[١] وكليمان Cleman[٢] النصوص التي كتبها الكتاب اليونان والرومان أيام العهد الساساني عن الدين الزرادشتي، وترجمها للإنجليزية Sherwood Fox[٣].

ومن المصادر المهمة أيضاً بعض الكتب الأرمنية وبين سنتي ٤٤٥ و٤٤٨ وضع إزنيك كولب Eznik Kolb كتابه «الرد على الفرق» وهو يحوي بيانات عن الآراء الدينية عند الزرادشتيين في عهده[٤].

ولدينا إضافة لذلك، من المصادر الأجنبية لهذه الدراسة بعض الروايات الطويلة إلى حدٍّ ما عن عقيدة الإيرانيين الغربيين المحفوظة في مصادر إغريقية وتصدّرها كتابات هيرودوت وسترابون، بلوتارخ وأغاثيس.



---

(١) Zoroastere,, The Prophet of ancient Iran,، طبعة جديدة في نيويورك ١٩١٩، ص ٢٤٢ وما بعدها.

(٢) Fontes historiae religionis persicae، ١٩٢٠، ص ٦٩ وما بعدها.

(٣) in G. and L. Lit relating to Z. and: J. Cama. Or. InstPassages, Zoroastrianism,, رقم ١٤ ص ٨١ وما بعدها.

(٤) Zoroasteye, the prophet of ancient Iran، طبعة جديدة في نيويورك ١٩١٩، ص ٤٥٢.

تمهيد

يعتبر زرادشت واحداً من الشخصيات الدينية المهمة التي أثّرت على مجرى الحياة الروحية عبر تاريخ الحضارة. ولا تكمن أهمية هذا المعلم الأخلاقي الكبير في مدى الانتشار الجغرافي والزماني للديانة الزرادشتية التي قامت على تعاليمه بقدر ما تكمن في مدى تأثير أفكاره على الديانات العالمية اللاحقة.

لا توجد بين أيدينا مصادر تاريخية مباشرة تعيننا على رسم سيرة كاملة لحياة زرادشت، ولكننا نستطيع رسم ملامح عامة لها اعتماداً على المصادر الإغريقية التي تعود إلى القرنين السادس والخامس ق. م وعلى المصادر الزرادشتية ذاتها، وأهمها الغاثا (الجاثا) والأفستا، وتحتوي على تعاليم زرادشت. وثمة أصول ثلاثة نادت بها ديانة زرادشت، هي: القول الحسن، والعمل الحسن، والفكر الحسن. ومن أبرز مظاهر الديانة الزرادشتية احترام النار باعتبارها مظهراً من مظاهر إله النور، والحث على العمران والزراعة والرعي واستيطان المدن واحترام الحيوانات، كما يحتلّ حسن المعاملة مع الناس بمكانة بارزة في هذه الديانة(١).

ظهرت هذه الديانة في إيران على يد زرادشت، الذي تذهب معظم الروايات الى أنه وُلد عام ٦٦٠ قبل الميلاد، فيما تذهب روايات أخرى إلى أنه عاش نحو العام الألف قبل الميلاد، والمصدر الأصلي الوحيد لحياته وفكره هو كتاب الزرادشتيين المقدس، واسمه «أفستا» (Avesta)،

(١) بويس، م، : الزرادشت معتقداتهم الدينية وممارستهم، لندن ١٩٧٩.

الذي يرجّح أنه البقية الباقية من مجموعة أكبر لم يبلغنا منها سوى هذه الشذرات. وأهم أجزاء الأفستا مجموعة أناشيد تسمي الغاثا (جاتها) (Gathas)، كتبها زرادشت نفسه باللغة الفارسية القديمة، وهي قريبة من اللغة الهندية التي كُتبت بها الفيدا، وفي هذه الأناشيد بالذات نقع على حياة مؤسس الزرادشتية وفكره.

كان زرادشت في العشرين عندما ترك أباه وأُمه والزوجة التي اختاراها له، وهام على وجهه سعياً وراء أجوبة عن تساؤلاته الكبيرة حول الأصل والمصير ومعنى الحياة والخلاص. وكان كلّما صادف شخصاً طرح عليه تلك الأسئلة، علّه يجد الجواب الشافي.

وعندما بلغ الثلاثين نزل عليه الوحي. وتذهب الروايات إلى أن الوحي الأول حصل على ضفة نهر دايتيا بالقرب من قريته، هناك ظهر له شخص يفوق حجمه تسع مرّات حجم الرجل العادي. وكان رئيس الملائكة اسمه فوهو مناه (Vohu Manah)، أي الفكر الصالح. وكلّم زرادشت وأمره أن يخلع جسده ويصعد بالروح إلى حضرة أهورا مزدا، أي الإله الحكيم، وهو الكائن الأسمى. وكان أهورا مزدا جالساً على العرش محاطاً بالملائكة. بعد ذلك استهّل زرادشت عملية التبشير. واختبرالنشوة الروحية مراراً خلال السنوات العشر التي تلت دعوته الإلهيّة لكنه واجه الإخفاق على الصعيد الخارجي. وإذ لم يجتمع حوله الأتباع، حاول الروح الرديء، واسمه آنغرا مينيو (Angra Mainyu)، أن يجرّبه، طالباً إليه أن يطرح جانباً ذلك الدين الذي يقوم على عبادة مزدا، ولكن زرادشت رفض الرضوح للشرير، وقال إنه لن يتخلّى عن الدين القويم حتّى وإن قُطع جسده عضواً عضواً.

وأخيراً نال زرادشت المكافأة على اتّباعه الطريق الصحيح. فبعد عشر سنوات من التبشير جاءه التلميذ الأول. ثم وجد نفسه في شرق إيران، في بلاط الأمير الآري فيشتاسبا (Vishtaspa) الذي يقال إنه والد الأمبراطور داريوس. وظل زرادشت طوال سنتين يحاول إكساب الأمير الإيمان الجديد، ويقال إن فيشتاسبا كان طيّب القلب، لكنه تأثر بالكاربان

(Karpans)، وهم جماعة من الكهنة تكلمت عنهم الأفستا بازدراء كبير لجشعهم إلى المال والسلطة. وكانوا يمارسون السحر والتنجيم ويزعمون أن في قدرتهم طرد الشياطين. ونجحت مكائدهم في زجّ زرادشت مدة سنتين في سجن الأمير. لكن الرواية تضيف أن الأمير أطلق زرادشت بعدما استطاع شفاء جواده الأسود المفضل لديه. وعلى الأثر تحول الأمير وعائلته وجميع أفراد حاشيته إلى الإيمان الجديد. وتزوج زرادشت إحدى أميرات البلاط. وأمضى السنوات العشرين التالية في نشر لإيمانه وفي خوض حربين دينيتين ضد الطورانيين، وقضى نحبه إبّان الحرب الثانية وهو في السابعة والسبعين وكان يتعبد أمام النار في مدينة بلخ. وانتشرت ديانة مزدا بسرعة بعد وفاة مؤسسها.

ولقد حاولت أن أركز في هذه الأطروحة على ما يبدو بالنسبة إليّ بأنه السمات الأساسية للديانة الزرادشتية في تاريخ تطورها المبكر، وفي الأشكال النهائية التي تبلورت فيها خلال عصرها الفضي الذي امتد من القرن السابع بعد الميلاد، أي التكييف التدريجي لديانة نبوية مع مجتمع، ما انفك مجتمعاً وثنياً بالمرتبة الأولى، وإحداث مراكز لاهوتية كان هدفها دائماً هو المحافظة على الجود الإلهي، الذي لا شك فيه، سليماً ولكن دائماً في المرتبة الثانية.

وتخصص معظم الكتب التي تتحدث عن الزرادشتية فصولاً لدراسة الآلهة المختلفة التي كانت قد شقت طريقها إلى كتاب الأفستا المتأخر، ولم يكن هذا رأيي في البحث.

لقد سعيت فى هذه الأطروحة أن أستفيد وأستند إلى أكثر المراجع الأصلية التي تتحدث عن الدين الزرادشتي، وقد تمّت الاستفادة منها وتمكّنت من مراجعة نصوص الأفستا بأجزائها كافةً.

تنقسم هذه الأطروحة إلى خمسة فصول على الشكل التالي:

الفصل الأول: المعتقدات الزرادشتية الأساسية، **الفصل الثاني:**

الطقوس، **الفصل الثالث**: المعاد فى الديانة الزرادشتية، **الفصل الرابع**: الموعود المخلّص في الديانة الزرادشتية، **والفصل الخامس**: الزروانية، وفي النهاية الخاتمة والملحقات والمصادر والكشاف.

المؤلف



الإطار التـــاريخي

لم يكن زرادشت، كما يسمّى عموماً في الغرب، أياً من هذه الأشياء، بل كان زرادشت تقول التقاليد نبي إيران القديمة، عاش وأعطى ونشط في القرنين السابع والسادس قبل الميلاد، ولم تكن الشعوب الإيرانية في أيامه منتشرة في إيران الحديثة وأفغانستان فحسب، بل في أجزاء كبيرة أيضاً مما كان يسمّى باسم الاتحاد السوفياتي، أي في أقاليم تركمنستان وأوزبكستان وتاجيكستان، ولم تكن تشتمل على الميديّين والفرس المعروفين بالنسبة إلى الغرب بواسطة الكتاب المقدس، والمؤرخين الأغريق، بل كانت تشتمل أيضاً على الفريثيين بالإضافة إلى القبائل الأقل شهرة التي كانت تسكن في الشرق، وهي قبائل الغوريين والصغد والبكتريين، وقبائل أخرى كثيرة، ومن بين هذه القبائل التي يبدو أنها شكّلت اتّحاداً مفككاً تحت سيطرة الغوريين، أعلن زرادشت عن ديانته التي قبلتها في النهاية أسرة أوستاب الحاكمة، والتي قضت عليها مباشرة القوة العسكرية لقورش الفارسي[1].

الإيرانيون الميديون:

تشير كلمة فارس تبعاً لما رواه الإغريق ـ بالتحديد إلى الإقليم الجنوبي ـ الغربي من بلاد فارس الحديثة فقط (والمدعوّة، بدقة أكثر، باسم إيران)، وتنطبق على الإقليم الحديث لفارس أو باريس (وهم البرثيون عند هيرودوت)

---

(١) انظر كتاب History of Zoroastrianism، دكتر دالا ـ ص ٣٣٣.

ويقع إلى الشمال منه إقليم ميديا مع عاصمته أكباتنا (همدان الحديثة) وكان الميديون قريبين جداً من الفرس، غير أنهم كانوا يختلفون عنهم قليلاً في اللهجة والعادات، هذا وكان الميديون والفرس من أكبر القبائل الإيرانية الواقعة الى الغرب، ولذلك كانوا الأكثر معرفة لدى الإغريق وكان الشعب الإيراني نفسه يشكل جزءاً من تجمع هو الهنود ـ الإيرانيون، ولم يكونوا أنفسهم يشكلون سوى طرفاً واحداً من أسرة الشعوب الهندية ـ الأوروبية الضخمة التي تفرعت عنها جميع الشعوب أوروبا الحديثة باستثناء الشعب الهنغاري، والشعب الفنلندي، وكانت الشعوب الهندو ـ ايرانية مرتبطة الي حد كبير من الناحية اللغوية والثقافية، حيث أن اللغة السنسكريتية التي كُتب بها أقدم وأقدس نصوص الهند: أي «الفيدا» قريبة جداً من لغة كتاب الزرادشتيين المقدس: «الأفستا» ومن لغة البرسس القديمة التي نقش بها داريوس الأكبر مآثره على صخرة بيستون الشاهقة التي تطل الآن على الطريق العام من بغداد إلى تهران عند موقع يقع تماماً وراء كرمان شاه[١].

كان الفرعان الهندي والإيراني من أسرة الشعوب الهندو ـ ايرانية يسمّيان أنفسهما باسم أرياس ـ أرناس (الآريون)، وهي كلمة استخدمت فيما بعد لتعني مجرد كلمة نبيل أو سيد، كما أن كلمة إيرام مشتقة من شكل مبكر هو أريانام، وتعني ببساطة بلاد الـ (الأريانس) وشكل هؤلاء الـ (الأريانس)، أو الإيرانيون وحدة وطنية واعية لذاتها على الرغم من اختلافهم باللهجة، ومن المؤكد أنهم شعروا بأنفسهم شيئاً واحداً من الناحية العرقية، لأنهم كانوا حريصين على تمييز أنفسهم عن الـ An - aras، أي الشعوب غير الإيرانية. وكان الميديون أول الشعوب الإيرانية التي أحدثت ضغطاً شديداً على الغرب، حيث كانوا يسكنون في القسم الشمالي ـ الغربي من السهل الإيراني المطل على حوض دجلة والفرات، وعلى بلاد آشور وبابل القديمة، وعلى ما هو الآن العراق الحديث؛ فقد أنقضّوا على

---

(١) بالفارسية: بهار، مهرداد، ص ٣٩ ـ ٤٠.

سهول بلاد الرافدين وقضوا إلى الأبد على السلطة الآشورية التي كانت من بين الأشياء الأخرى التي قيل إنها كانت المسؤولة عن سبي بني إسرائيل وهكذا، وكنتيجة دينية ثانوية لهذا الظهور الأول للإيرانيين في العالم الغربي، أصبح بنو إسرائيل أحراراً من جديد ليعودوا إلى الأرض المقدسة، وكانت إسرائيل قد وجدت في مواجهتها مع الميديين والفرس في هذه الأثناء عقيدة توحيدية شقيقة، في ديانة النبي زرادشت، ولم يتردد أحد رسلها أشعيا عن الترحيب بمحررها قورش وعدّه بمنزلة المكرس للرب، وقد تعلمت من هذه الديانة أيضاً تعاليم بخصوص الحياة الآخرة كانت موائمة برمتها لروحها أكثر مما كان الاحتمال الكئيب الذي قدمته تعاليمها لها، وهي تعاليم كانت غريبة عنها من قبل[1].

مصادر وتقاليد:

كانت الديانة الزرادشتية في أيامها العظيمة ديانة قومية كالديانة اليهودية على الرغم من أنها متمثلة اليوم بشكل رئيسي بمجموعة صغيرة تتكلم اللغة القوجارتية في الهند، حيث توقفت عن فهم لغة أسلافها منذ زمن طويل؛ غير أن الديانة الزرادشتية على عكس الديانة اليهودية كانت عاجزة على المدى الطويل عن مواجهة التوحيد الصارم والدقيق للإسلام وذلك لعدة أسباب:

- من ذلك (و ربما أهمها) هو أن الديانة الزرادشتية لا تظهر تطوراً متماسكاً لمركّب أصلي للعقيدة، كما تظهر على سبيل المثال الديانتان: اليهودية والمسيحية، ومثلها مثل اليهودية كان زرادشت نبي الديانة الزرادشتية كما كان موسى نبي الديانة اليهودية، ولكن بينما قام رسل لاحقون وتعاليم حاخامية بصقل المركّب الأصلي بشكل إضافي في حال غياب الرسول موسى، وبذلك بقي مضمون الديانة اليهودية هو نفسه بشكل ملحوظ، فإن الديانة الزرادشتية لم تحظ بتقاليد كهذه،

---

(١) Noeldeke، الطبري، مقدمة ص ١٤ ومابعدها؛ Giph (٢)، ص ١٤١.

وفقدت بالفعل في وقت مبكر جداً المفتاح إلى لغتها المقدسة التي ألف بها زرادشت مزاميره.

وهكذا، وقبل أن نتمكن من مباشرة أي تحليل للمعتقدات الزرادشتية، يترتب علينا أن ندرس طبيعة الكتب الزرادشتية المقدسة بالإضافة إلى مصادرنا الأخرى عن هذه الديانة الإيرانية القديمة، ولا يوجد بالتحديد سوى كتاب مقدس واحد وهو كتاب الأفستا حيث لم يتبق من هذا الكتاب سوى جزء واحد، وهو ذلك الجزء الوحيد المستخدم في الطقوس الدينية، وحسب الأسطورة الزرادشتية كتب كتاب الأفستا الأصلي بحبر ذهبي على جلود ثيران مدبوغة، وأودع في المكتبة الملكية في اصطخر، وأتلف الإسكندر الأكبر هذه النسخة الثمينة التي كانت مؤلفة من نحو اثني عشر ألف جلد مدبوغ، ولم يبق منها إلا الثلث في محفوظات الناس، هذا وإن وجود كتاب للأفستاه أصلي كهذا هو بالتأكيد مجرد أسطورة تقريباً، وكالمعتاد فإن الأسطورة قد تحتفظ ببعض ذرات الحقيقة، وبالفعل، فمن غير المحتمل أبداً أن كتاب الأفستاه قد عهد به الى الكتابه قبل سقوط الإمبراطورية الأخمينية لأن اللغة الرائجة للحياة التجارية والإدارية للإمبراطورية كانت اللغة الآرامية، وذلك في الوقت الذي تمّ فيه اختراع صيغة مبسطة من الكتابة المسمارية للنقوش الصخرية الملكية، كما أن لغة الأفستاه لهجة شرقية إيرانية لم يُعثر منها على أي نوع من النقوش، وليس من المحتمل أن يوجد منها، وعلى جميع الاحتمالات نقلت أقوال النبي وأقوال خلفائه بشكل شفوي من جيل لآخر، كما حدث تماماً بالنسبة للفيدا في هذا العصر نفسه، ويبدو من غير المحتمل أن أي شيء قد تطور في زمن غزو الإسكندر من قبيل المعتقد الزرادشتي التقليدي المحافظ، ولا بدّ أن الاختلاط والفوضى والتأثر الشديد بالهلنستية اللذين تبعا استيلاء الإسكندر قد سببا فقدان الكثير من هذه الروايات الشفوية[1].

---

(١) المسعودي: مروج الذهب، (٢)، ص١٥٣، والتنبيه، ص ١٣٩.

كتاب الأفستا:

إن أي دراسة عن الديانة الزرادشتية، لابدّ أن تعتمد على، وتتطرق بشكل أساس إلى: ابستاكا، كتابهم الديني المقدس. والديانة الزرادشتية، مثل معظم الأديان الأخرى، تستند بمعتقداتها وعباداتها وطقوسها إلى كتاب قديم ومقدس، يؤمن الزرادشتيون إيماناً كاملاً بما ورد فيه، ويستخدمونه إطاراً مرجعياً دينياً فيما بينهم، وكتابهم هذا، هو الأفستا. والأفستا، تلفظ باللغات الإيرانية بأشكال مختلفة فهو أوستا، أبستا، أفستا وهو الأشهر، وفي الفهلوية أفستاك، وفي السريانية ابستاكا، والعربية: الأبستاق. وسمّته نقوش بهيستون «ابتسام» وهناك أيضاً خلاف حول دلالة الكلمة. يعتقد بعضهم أنها تعني المتن والأصل، باعتبارها مشتقة من كلمة Upasta بمعنى الأساس والبنيان أو الأصل. وآخرون يعتقدون أنها بمعنى المعرفة (الحكمة)، حيث يمكن أن تكون مشتقة من الكلمة الآرية «فيد» وتعني يعرف. وذلك بإقامة نوع من المقارنة بينه وبين الكتاب الديني الهندي: فيدا.

يذكر المؤرخون العرب أن الأفستا برمتها كانت مكتوبة على ١٢٠٠ رقيقة من جلود البقر وفى الروايات: أن الأمير كشتاسب قد أمر بنسخ الأفستا في نسختين، أحرق الإسكندر إحداها عندما أشعل النيران في القصر الملكي في برسبوليس، واستمدوا منها، كما يقول أتباع الزرادشتية، كلّ مآثر اليونان من علم ومعرفة فلما كان القرن الثالث الميلادي، أمر ملك من ملوك البارثيين ومن الأسرة الأشكانية (بالاش) أن تُجمع النصوص المتفرقة من الأفستا، سواء كانت مدونة أم متناقلة بالتواتر بين أتباع هذا المذهب، فأصبحت هذه المجموعة عبارة عن الكتاب المقدس في القرن الرابع.

إن الأفستا التي بين أيدينا، هي ربع الأفستا التي كانت في عهد الساسانيين. يقول كلدنر Geldner إن ظهور هذا الكتاب لا يمكن أن يكون قبل سنة «٥٦٠» ق م ويزعم ويست West أن الأقسام التي تتألف منها الأفستا كانت تحتوي على ٣٤٣ ألف كلمة، لم يبق منها في الأفستا

الموجودة الآن سوى ٨٣ ألف كلمة. ويتضمن الأفستا الحالي سفراً واحداً وصلنا بشكل كامل، من الأسفار الواحد والعشرين التي تمّ جمعها وتدوينها في العصر الساساني. وذلك هو سفر «الونديداد» في حين أن الأسفار الأخرى قد أدمجت في سفر «يسنا». والبندهش[١].

وفي الكتاب الفهلوي دينكرد الذي شرع بكتابته في النصف الأول من القرن التاسع الميلادي برعاية المؤبد آتورفرنبع، وانتهي منه في القرن نفسه في عهد أثور بادبن أمبد، جرى الحديث في الفصلين الثامن والتاسع عن (٢١) فصلاً من فصول الأفستا، حتى قبل قرون عدة من الحوادث التاريخية ويذكر كتاب دينكرد أسماء الفصول بالترتيب فصلاً إثر آخر. وتمّ شرح كل فصل بدرجات متفاوته باستثناء فصل الخامس (ناثر ناسك) الذي فقد مع تفسيره الفهلوي (الزند) وكذلك الفصل الحادي عشر (وشتكك ناسك) وتفسيره الفهلوي. ولم يذكر دينكرد شيئاً عن هذين الفصلين سوى العناوين.

والأفستا مجموعة مضطربة من الأدعية والصلوات والأغاني والأساطير والوصفات وقواعد الأخلاق والطقوس... إذا سلكها الباحث تكشفت له أسماء الآلهة والملائكة ودلالات الأفكار موزعة في أنحائها المختلفة، وقد يعثر أحياناً على نفس الكلمات والتعابير المستعملة في الـ «رج فيدا» وربما صادف القارئ مقطوعات مشتقة من أساطير المنطقة، مثل نشأة الخلقية على ست دفعات، مبتدئة بالسماوات ثم المياه، الأرض، والنبات، الحيوان، الإنسان، وتصوير الجنة بصورة أرضية، وكغضب الخالق على خلقه وتصميمه على إهلاكهم جميعاً بالطوفان، فيما عدا قلة قليلة استثناها من المخلوقات[٢].

إن الـ (٢١) كتاباً من كتب الأفستا قد جرى توزيعها على ثلاثة أقسام بالتناسب مع صلاة «يتها اهووئيريو» أشهر صلوات الزرادشتيين

---

(١) بالفارسية: جليل دوستخواه؛ اوستا، جلد اول؛ تهران، دارالنشر مرواريد.

(٢) بالفارسية: گنجينه اوستا، دگتر هاشم رضى، تهران انتشارات فروهر ـ ١٣٤٧هـ ش.

إطلاقاً، كان زرادشت يتلوها أمام النار وهي قصيدة شعرية ثلاثية المقاطع، مثل نشيد أهونودكات. وبذلك توافق كل شعبة من الأفستا مقطعاً من تلك القصيدة الصلاة. يدعى القسم الأول: كاسانيك الثاني: هاتك مانسرين، والثالث: دايتك، على الشكل التالي:

كاسانيك	مانسرين	دايتك
ستوت يشت	دامدات	نيكاتوم
سوتكر	نأثر	كنب سرغيت
ورشت مانسر	باجك	هوسبارم
بغ	رتودات أئيتك	سكاتوم
وشتكك	بريش	ونديداد
هادوخت	كشكيسروب	جيتهرات
سبند	ويشتاسب ساست	بغان يشت

من الـ ٢١ كتاباً من الأفستا التي دوّنت في العصور الساسانية، فقدت أقسام بأكملها. وبقيت بعض المقاطع من بعض الأقسام وبقي قسم من الأفستا الموجود حالياً. وبقيت أقسام بكاملها كما كانت سابقاً: منها الأناشيد (الگاتات) التي وصلتنا كاملةً، والأفستا حسب دينكرد كان يتضمن ألف فركرد (فصل أو سورة).

وقصة اكتشاف الأفستا الحالي هي: أن عالماً فرنسياً اسمه أنكتيل دوبرون Duperron كان في زيارة عالم مستشرق في عام ١٧٥٤ م، فشاهد صحائف مخطوطة، لفتت نظره الكتابة والخط العجيب الذي كتبت به. وقيل له إنها نسخة من مخطوطة أرسلت من الهند. عجز المستشرقون في أوروبا عن قراءة خطها الذي لم يكن لهم عهد بمثله. وقد عقد دوبرون العزم على اتقان أمر هذه المخطوطة. وبذل الطاقة في الكشف عما يكتمن فيها من مغلق أسرارها. فرحل إلى الهند وفي مدينة سرات وهي المركز الأهم للبارسيين المعروفين (بعبدة النار) عقد علاقات مع عالمين من رجال الدين

الزرادشتيين المعروفين هناك بالبارسيين استفاضت لهم الشهرة بالتضلع في لغة الأفستا واللغة الفهلوية. وعاد إلى أوروبا عام ١٧٦٠ يحمل معه مائة وثمانين مجلداً مخطوطاً. وفيما بعد وجد الأجزاء الأخرى من مخطوط الأفستا في مكتبة بودليان. وحينذاك انتشر في أوروبا كتاب جديد لا عهد لهم به، وهو كتاب الزرادشتيين الديني: الأفستا[١].

وفيما يلى أهم أقسام الأفستا الحالية:

١ ـ **اليسنا**: وردت هذه الكلمة في الأفستا يسنا Yasna وتعني العبادة السلام، الحمد، الدعاء، وهي مصدر الكلمة الحالية جشن وتعني العيد. واليسنا هي افتتاح أقسام الكتاب الديني وتتألف من ٧٢ فصلاً (سورة). ويطلق على كل فصل هات أوها. وبالأفستائية هايتي وبالفهلوية هات. وتتضمن اليسنا الأناشيد «الكاتات» وهي عبارة عن مجموعة أوراد وأدعية. وتبدو لغة هذا القسم من أقدم أقسام الأفستا. وقد كتبت الأناشيد بلغة تختلف عن اللغة التي كتبت بها الكتابات الأخرى ويعتقد أنها لغة غرب إيران (الميدية). وهي منظومة قديمة تحتوي على مباحث دينية بسيطة وأولية تتضمن ما عدا الأوراد والأدعية والمناجاة، بعضاً من الفقرات الدينية والأدبية التي تذكر حياة (زرادشت) وأسرته وعشيرته. إن الأناشيد تشكل أهم أجزاء الأفستا وأعظمها قداسة، وهي منظومات كان يتخللها نصوص من النثر، وزنها مقطعي كوزن كتان الفيدا الهندي الخاص بالبراهمة، فهي أبيات يؤلف كل عدد منها منظومة. والملحوظ أن كثيراً من فصول كتاب الأفستا يخلو من بداية ونهاية، مما يشير إلى أن هذه الفصول في ذلك الكتاب قد حذفت منه وطرحت عنه. ونعني بتلك الفصول ما يتألف من النثر، لا من الشعر. وهي التي تعدّ شروحاً للمنظومات، ولعل الحاجة لم تعد ماسة إليها، ذلك أن المنظومات الشعرية فيها البلاغ والكفاية. ورغم كل التقطع والتبعثر

---

(١) بالفارسية: على اكبر جعفرى، «ستوت يسن»: كاتهاي اشو زرتشت، ص ١٨.

للأناشيد التي ألقاها زرادشت، ينبغي عدم الظن أنها غير مترابطة الفصول أو غير مطرّدة الأغراض بل هي متكاملة ومتداخلة في الفكر والخيال.

وتتألف الأناشيد من خمسة «كاتات» تتوزع على ١٧ يسنا تبدأ من اليسنا ٢٨ حتى ٣٤ تتخللها السباعية ومن ٤٣ ـ ٥١ وكذلك ٥٣. وهذه الأناشيد الخمسة هي: اهونودكات ـ اشتودكات ـ سبنتمدكات ـ وهوخشتركات ـ وهيشتوايشت. وكل فصل من فصول الأناشيد قد سمي بأحد هذه الأسماء التي هي الكلمات الأولى منها.

٢ ـ **الونديداد**: وهو السفر الذي وصلنا كاملاً. ويطلق على كل فصل من فصوله «فركرد أو بركرداد» وهو القانون المضاد للشياطين. ويتألف من اثنين وعشرين فصلاً. يعرض أولها للأمور نفسها التي تعرض لها الإصحاحات الأولى من سفر التكوين وهي، خلق العالم والسماوات والأرض. فيتحدث عما خلق الله من الأراضي الطيبة المباركة واحدة بعد الأخرى، وعما أوجدته قوى الشر «آنغرامينو» من الأرواح الخبيثة، وتعرض بقية فصوله للنظم التي يخضع لها رجال الكهنوت من الزرادشتيين (وهو في هذه الفصول يشبه سفر اللاويين في العهد القديم) وبيان العقائد والشرائع الزرادشتية المتعلقة بالموت والزواج وما إليها من نظم لأشهر مشكلات الحياة الاجتماعية والنجاسة والغسل والطهارة وغسل الموتى وتطهير الملابس والبدن والصحة والقسم وحفظ العهود ونقضها[١].

٣ ـ **ويسبرد**: يبحث في الأدعية التي ترفع إلى رئيس الآلهة أهورا مزدا الذي هو الإله الأعظم. ويتكون من ٢٤ فصلاً ويطلق على كل فصل منها «كرده».

٤ ـ **اليشت**: وهي الأدعية التي تتلى في الصلوات، وعند تقديم الضحايا

---

(١) المصدر السابق: ص ٤٧ حتى ٩٠.

أمام النار المقدسة وكذلك لتقديم قربان الهاوما، ويطلق على كل فصل منها «كرده».

٥ ـ **خرده أوستا**: سميّت فى الكتاب الفهلوي: خورتك ابستاك. ومعناها الأفستا الصغرى. وتشمل سلسلة من الأدعية والصلوات المختصرة التي يجب على كل زرادشتي تلاوتها في كل الأوقات في الصلاة والأعياد الدينية الرسمية مثل جشنها، كهنبارها، وسدره، . . . . . . وهي أكثر الكتب الدينية المنتشرة بين العامة من معتنقي الزرادشتية لبساطتها، حيث لا يخلو بيت منها وتبدأ بأشهر صلاتين لدى الزرادشتيين وهي اشم وهو، يتها اهو وئيريو. . . . . .

أما «الزند افستا» التي اشتهرت حالياً فهي تعني باللغة الفهلوية اسم تفسير الأفستا التي وصلتنا منذ عهد الساسانيين. وقد وردت زند في الأفستا ازئينتي Azainti أو آزنتي Azanti من مصدر Zan وتعني المعرفة والعلم. وقصد بذلك التفسيرات لكتاب الأفستا[1].

أما الكتب الدينية الأخرى، (المشتملة على المعارف) والنصائح التعليمية فيرد في طليعتها كتاب «مينو خرد» أي روح العقل. والكلام فيه يدور حول الأمور الدينية والدنيوية. ويعالج الموضوع كتاب «صد در» أي المائة باب، وداتستان دينيك، أي الأحكام الدينية. وكذلك «دينكرد» Dinkard، الذي كتب بالخط الفهلوي، والاسم الأصلي للكتاب هو «زند اكاسية» ويبحث في المواضيع والمسائل الدينية وكتب في تسع مجلدات. والقسم الأعظم كتب بقلم أذر فرنبع بورفرخزاد مؤبد الزرادشتيين في القرن التاسع، في عهد الخليفة العباسي المأمون. وهناك «البندهش» وهو من أعظم الكتب الدينية أهمية لاحتوائه على قصص وحكايات قديمة لها قيمتها عن خلق العالم وغير ذلك مما يعود على معظم الأجزاء التي ضاعت من الأفستا. وفي الفارسية الوسطى قليل من النثر الذي يفصل ما جاء في

---

(١) الأفستاه بالفارسية: جليل دوستخواه جلد ١ و٢ ـ تهران دارالنشر مرواريد.

الأفستا عن القيمة التعليمية. وفي كل هذا الكتاب الديني المتأخر تظهر الرغبة في تفصيل ما جاء مجملاً في الأفستا وذلك بالطريقة اللامحة المجملة التي نعهد بها. ويتألف هذا الكتاب من قسمين. القسم الأول يتحدث بشكل خاص عن خلق الكون. أما القسم الثاني فيحتوي قصصاً وأساطير وذكر ملوك الدولة البشدادية، وهي أول الدول في تاريخ الهضبة الإيرانية، ويمتد فيه السرد التاريخي إلى عهد ويشتاسبا وظهور زرادشت.

كما يتضمن الكتاب وصفاً للجبال والبحار والمدن. ومن الكتب المتأخرة أيضاً «أرده ويراف نامه»، و«زاتسبرم» وهو مؤلف من ثلاثة فصول وأهم فصوله عن كايوس وسربتو البطل.

الكُتب البهلوية:

كتبت هذه الكتب بشكلها الحالي في القرن التاسع بعد الميلاد على الأغلب، وهي تعكس بالتأكيد تقريباً الآراء اللاهوتية للقرن الأخير للحكم الساساني، وغالباً ما حفظت مقاطع مترجمة من كتب الأفستا المفقودة، وتشمل الكتب البهلوية هذه أيضاً على ترجمات لمواد كتاب الأفستا المتبقية باستثناء الياشت، وهذا أمر جدير بالملاحظة، وتوضع هذه الترجمات من جديد الفقدان الكلي للتقاليد بين الزرادشتيين، والوضع مختلف تماماً عن ذلك الوضع الذي كان سائداً في الهند، خيث من الهند، حيث من الواضح إن المعلقين على الـ Rig - veda فهموا يقيناً النصوص التي حاولوا شرحها على الرغم من أنه كانت هنالك نصوص لم تعد واضحة بالنسبة إليهم، بينما لم يفهم المعلقون البهلويون على الغاثا أي شيء البتة، ولم يترددوا من تدوين سلسلة من كلمات خالية من المعنى، كان يعتقد أنها تترجم آراء رسولهم ولم يظهر المترجمون فهماً محتملاً للنص إلّا في الفيدي ـ فدات مع قواعده الموحشة بخصوص النقاء الطقوسي وتعداده لعقوبات مستحيلة بالنسبة لجرائم تافهة، ويبدو واضحاً بالتالي إنّ رجال الدين أنفسهم لم يعودوا يفهمون حتى العصر الساساني الطقوس التي كانوا يتلونها، لأنهم اعترفوا بحرية أن اللغة التي كانت مكتوبة بها، والتي وضعها خصومهم،

بأنهم لغة «سرية وغير معروفة» تجاوزت الإدراك الكلي للناس.

وباختصار، إن المصادر الرئيسية لدراسة الديانة الزرادشتية هي كتاب الأفستا والكتب البهلوية من الناحية الكتابية، والنقوش الأخمينية والساسانية من ناحية دراسة النقوش، ولدينا إضافة لذلك بعض الروايات الطويلة إلى حدٍّ ما عن عقيدة الإيرانيين الغربيين المحفوظة في مصادر إغريقية، ويتصدرها كتابات هيرودوت وسترابون، وبلوتارخ وأغاثيس وعددٍ من المصادر العربية، مثل فتوح البلدان للبلاذري، وابن المقفع، مروج الذهب للمسعودي، تاريخ الطبري، كتب ابن الأثير، وكتاب التاج للجاحظ[١].

وسنرى من هذا الوصف الموجز للمصادر أن تاريخ الديانة الزرادشتية يقع في مرحلتين متميزتين: **الأولى**: من ظهور زرادشت، ربما في القرن السابع قبل الميلاد حتى سقوط الإمبراطورية الأخمينية في القرن الرابع قبل الميلاد[٢]، **والثانية**: بإشراف الساسانيين من القرن الثالث حتى السابع بعد الميلاد، ولا نعرف بشكل عملي أي شيء عن حظوظ الديانة الزرادشتية في موطنها خلال القرون الغريبة المتداخلة.

وسوف ندرس أولاً في الجزء الأول من هذا الكتاب زرادشت نفسه وطبيعة رسالته ونوع المحيط الديني الذي يمكن الافتراض بأنه ترعرع فيه، ثم نقوم بدراسة الكتابات المتبقية من كتاب الأفستا، وبعد ذلك نقوش الملوك الأخمينيين، وننتقل بعدها إلى الروايات الإغريقية الرئيسة حول ديانات الإيرانيين، ثم ندرس في الجزء الثاني التطورات التي حدثت خلال العصر الساساني، بالإضافة إلى النزاع الذي يبدو أنه نشأ بين المؤمنين الملتزمين بمذهب الثنوية، وبين ما يسمى باسم الزروانية الذين آثروا مبدأ الزمن اللامحدود على مبدئي الخير والشر فارضين بذلك نوعاً من الوحدة على نظام ثنوي بشكل جوهري.

---

(١) كريستين سن، ايران في عهد الساسانيين، ص ـ ٥٠.

(٢) على اكبر جعفري: ستوت يسن، ص ١٧.

حيـــاة زرادشت

إن التاريخ التقليدي الذي يحدده الزرادشتيون لرسولهم هو عام ٢٥٨ قبل الإسكندر، ومن الممكن أن اسم الإسكندر كان يعني بالنسبة للفرس أو الإيرانيين فقط نهب مدينة اصطخر وانقراض الإمبراطورية الأخمينية، ومقتل داريوس الثالث آخر ملك للملوك، وكان هذا قد حدث في عام ٣٣٠ قبل الميلاد، ولذلك يكون تاريخ زرادشت هو ٥٨٨ قبل الميلاد، وبإمكاننا أن نأخذ التاريخ لنشير إلى النجاح الأول الذي حققته رسالته النبوية والذي كمن في اهتداء الملك وشتاسب وذلك عندما كان زرادشت في الأربعين من عمره[(١)]؛ وبما أنه يقال عادة إنه عاش سبعة وسبعين عاماً فلن نكون مخطئين كثيراً في تحديد تاريخه في الحقبة الممتدة من عام ٦٢٨ حتى عام ٥٥١ قبل الميلاد، ويبدو أنه من المتفق عليه عموماً أيضاً أن مجال عمل النبي، الذي أعلنت فيه رسالته، كان خوراسيميا القديمة، وهي منطقة ربما تشتمل على ما هو الآن خراسان الفارسية وأفغانستان الغربية والجمهورية التركمانية في الاتحاد السوفيتي المنهار[(٢)]، غير أن هناك دليلاً يظهر أن زرادشت لم يكن من أهل هذه المناطق، حيث كان نفسه يشتكي إلى الآلهة بأنه يلاقي الاضطهاد في موطنه ويسأله عن المنطقة التي سيفّر إليها، ووجد في النهاية ملاذاً عند الملك وشتاسب الذي كان حسب هننغ، الزعيم الأعلى الأخير لاتّحاد

---

(١) بالفارسية: ژاله آموزگار ـ احمد تفضلى، اسطوره زندگى زرتشت، ص ١٧ ـ ١٦ ـ ١٥.

(٢) الفنديداد ١٩ ـ بند ٤.

خوراسيميا الذي أطاح به قورش أخيراً وأن المكان الوحيد في الأفستا، كتاب الزرادشتيين المقدس، الذي سكنه زرادشت هو راغا Ragha القديمة وهي... الحديثة، التي هي الآن إحدى ضواحي طهران التي توصف بأنها زرادشتية[1].

وحسب الروايات الزرادشتية، فقد وجد ثلاثة أشخاص سموا «بزرادشت» وكان هذا الاسم بمثابة لقب ديني لهم. فقد اعتبروا «هوشنكك» الذي أوجد النار، الزرادشت الأول ويفترضون أن الثالث هو «إبراهيم» أما الثاني فهو «زرادشت» المعني صاحب الأناشيد.

يطلق على زرادشت، في النصوص الأفستية، اسم زرادشت سبيتاما، وورد اسمه حرفياً «زرتوشتره» وفي اللغات الإيرانية الحديثة «زرتشت» وكان اسمه يسبق بكلمة «أشو» والتي تعني الطاهر والنقي. أما كلمة «زرادشت» فقد جرى حولها أيضاً خلاف، وهي تتألف من كلمتين: زرت + أوشتره، أي الذهب + الجمال. لذلك، فقد ذهب بعض المستشرقين إلى أنها تعني صاحب الجمال الذهبية

ولكن بعضهم اعتبر أوشتره بمعنى النور والضياء واعتبر اسم زرادشت ذوالنور والضياء الذهبي أو الشخص ذو الهالة الربانية.

ولكننا إذا تتبعنا أقدم النصوص الدينية، التي تعتبر من تأليف زرادشت نفسه ويسودها التوتر الوجودي، والقلق والتساؤل، والتعبير عن حالات الضعف والإحباط والرغبة الشديدة في معرفة الثواب، فإننا نلاحظ ما يعبر عن وجود شخصية حية وراء هذه النصوص، والتي تتضمن في الوقت نفسه إشارات تاريخية وأسماء مؤيديه ومعارضيه وأعمالهم، وأسباب فشله والعقبات التي كانت تعترض سبيل نشر ديانته:

«وعرفتك طاهراً، يا مزدا اهورا، عندما جاءني بهمن وسألني، من

---

(١) يسنا هات ٤٦ بندهای ١٤ ـ ١٧.

أنت، وابن من أنت؟ بأي علامة سوف تعرف عائلتك ونفسك، في أيام الحساب عن الأعمال الدنيوية»

«حينذاك قلت له، أولاً أنا زرادشت، سوف أكون ما استطعت بالحق، عدواً لعابد الكذب، والملاذ الآمن لتابع الحق، حتى ذلك الوقت العاجل الذي سأنال فيه دار الخلود الذي أملته، حتى ذلك الوقت الذي فيه، يا مزدا، سأحمد وأنشد»

(يسنا هات ٤٣ بند ٧، ٨)

«اعلم، يا مزدا، لماذا أنا عاجز: لأنني قليل المال، والرجال عندي قليلون، أشكو إليك بنفسك، يا أهورا، أمنح العون، مثلما يمنحها الصديق للصديق، خبّر عن دين الحق كل ذي روح خيّره»

(يسنا هات ٤٦ بند١)

«أسألك ما يلي، أصدقني القول، يا أهورا: كيف يا أرديبهشت سوف أنال ذلك الثواب، عشرة أناث مع (زوج) ذكر وجمل مما وعدتني، يا مزدا وكذلك التقوى والخلود، في ظل مغفرتك»

(يسنا هات ٤٤ بند ١٨)

سواء كانت شخصية زرادشت حقيقية أم لم تكن، فإن ما يهمنا هنا هو تلك الشخصية في التصور الديني الزرادشتي، التي نسجت حولها تلك الديانة، واعتبر نبياً أوحى إليه هذا الدين من قبل الإله أهورا مزدا، كلف بنشر هذه الرسالة، وتبليغ البشر بها ومثل معظم الشخصيات الأسطورية والمقدسة، حيكت حول حياة زرادشت قصص وحكايات امتزج فيها الواقع مع الخيال، والإمكان مع الإعجاز، والقدرات البشرية المحدودة مع الطاقات ذات المصدر الرباني، فإذا أضفنا الروايات السائدة عنه بين معتنقي دينه إلى تلك المعطيات التاريخية التي وردت في النصوص الدينية المقدسة، تتشكل لدينا صورة عن حياة زرادشت، تبدأ بالنبوة التي تعلن عن ميلاد نبي، وتنتهي بموت قدسي في أحد المعابد أمام النار.

تشير الدراسات التي تتناول الزرادشتية، أن زرادشت قد عاش في القرن السابع قبل الميلاد، في تلك المرحلة التاريخية التي كانت فيها الأمبراطورية الميدية قد بسطت نفوذها على إقليم «اثروبايكان» (غرب إيران الحالية) والمناطق المحيطة بها، بالقرب من بحيرة أرومية التي كانت تدعى «جيجست» في النصوص الأفستية ورغم قلة الوثائق الأثرية والإشارات التاريخية حول الأمبراطورية الميدية، فإن المعلومات المتوفرة تشير إلى أنها كانت (اتّحاداً فيدرالياً) يضم (٢٧) قبيلة (كما يذكرها ول ديورانت) والتي استطاعت أن تقضي على الامبراطوريات السائدة في المنطقة وتبسط هيمنتها، قبل سقوطها على يد «كوروش» وإذا قبلنا التقليد المزدي الذي يتحدث عن ولادة وحياة زرادشت ب «٢٥٨» سنة قبل ميلاد الإسكندر المقدوني، حينئذ، يمكن تثبيت حياة زرادشت ما بين ٦٢٨ ـ ٥٥١ قبل الميلاد[١].

ويستفاد من النقوش الأثرية الآشورية أن الزرادشتية قد شاعت في ميديا قبل كوروش (٥٥٨ ـ ٥٣٠ قبل الميلاد) بنحو قرنين. أي حوالى سنة ٧١٤ قبل الميلاد بدليل أن اثنين من أمراء ميديا كان كل منهما يسمى «مزداكا»، وهو اسم مشتق من مزدا إله زرادشت. والدلائل التي تشير إلى أن زرادشت عاش في المرحلة التي سادت فيها الإمبراطورية الميدية، وفي المنطقة الغربية من إيران الحالية، هي أن لغة أقدم نصوص الأفستا «الأناشيد» أقرب إلى اللغة السائدة في إيران الغربية. بالإضافة إلى أن أكثر الشعائر والطقوس التي انتشرت مع الديانة الزرادشتية، قد كانت شعائر وطقوس تعود إلى منطقة غربي إيران. ويطلق زرادشت على موطنه اسم «أريانا ويج» ويبالغ الزرادشتيون في وصف موطنهم هذا ـ الذي استقروا فيه بعد انفصالهم عن الموجات الآرية التي هاجرت إلى الهند ـ إلى درجة وكأنه ـ نعيم الفردوس. أمّا الإغريق فانهم منحوا زرادشت مكانة رفيعة في

(١) Jakson Williams, Zoroaster, the Prophet of Ancient Iran, NU year 1899, p, 150, 151, 170.

فكرهم. ويتجلى ذلك في أنهم يعتقدون أن زرادشت قد عاش في فترة سحيقة في القدم تعود إلى آلاف السنين قبل الميلاد (٥٥٠٠ ق. م)

وهم يطلقون على زرادشت الذي ورد اسمه في النصوص الأفستية على الشكل التالي «زرئوشتره» اسم «زرادشت سبيتاما» لأن اليشت التاسع يصل نسبه إلى «سبيتاما» الذي يعتقد أنه الجد التاسع لأبي زرادشت والذي اشتهر بتقواه وزهده أو هي إحدى الصفات التي أطلقت على زرادشت وتعني الطاهر والقدسي. وكان يطلق على دينه دين «مزديسنا» Mazdiyasna أي دين عبادة الإله الواحد الأحد واعتبر زرادشت زاوتر Zaoter أي كاهناً ومضحياً ومرتلاً[1].

«لكم أيها الهجتسيبان أقول، لكم، أيها السبيتمانيان حتى تميزوا العاقل عن الجاهل.........

يسنا (١٥/)

كان والده يدعى بوروشاسبا وأمه تدعى دغدهو، بالفهلوية دغدوء وبالفارسية دغدويه Dughdhaova واسم جده هائيكات اسبا. والقبيلة أو الجماعة التي كان ينتمي إليها تدعى «هجتسبيان» ومثل كافة الروايات التي تتحدث عن ولادة المعجزات، فإن ولادة زرادشت أيضاً، حسب الروايات المزدية، تبدأ بالنبوءة التي تسبق ميلاده، وتتحدث عن أن ثوراً تكلم وتنبأ بميلاد منقذ سوف ينقذ العالم من سيطرة قوى الشر، أو أن جمشيد (الملك البيشدادي الذي أسس الحضارة) قد أنذر الشياطين عندما كان يحاربها، بمولد رجل سوف يكون على يديه فناؤهم أو أن ثوراً آخر قد تنبأ معلناً الميلاد الوشيك لهذا النبي.

وتقول الرواية إنه ذات يوم، بينما كان الرجل يرعى ماشيته في الحقل، تراءى له شبحان نوريان اقتربا منه، وقدما إليه غصناً من أغصان

---

(١) المصدر نفسه: ص ١٦٢، ١٦٣.

نبات الهوما المقدس، وأمراه أن يحمل الغصن معه إلى داره ويقدمه لزوجته، لأنه يحمل كيان الطفل الروحاني. وصدع الرجل بالأمر، ومزج الغصن باللبن وشر به هو وزوجته، فحملت الزوجة وليداً هو «زارافوشترا» الذي نسميه الآن «زرادشت»

وبعد خمسة شهور من الحمل، رأت الأم في الحلم أن سحابة سوداء أحاطت بيتها، وأن مخلوقات بشعة هبطت عليها من السحابة، فانتزعت الطفل من رحمها وهمت بالقضاء عليه وصرخت الأم وأعولت، ولم يلبث أن هبط من السماء شعاع نور مزق السحابة السوداء إرباً، فاختفت الكائنات البشعة التي ولت هاربة، ثم انبثق من النور طيف شاب يشع منه نور متلألىء، أعاد الطفل إلى بطن أمه وسكن من روعها، وقال لها: هذا الطفل عندما يكبر، سيصبح نبي أهورا مزدا..[1].

وتشكّلت مادة الجسد أما الروح فقد نزلت مع المطر، الذي عمل على تفتح النباتات التي تأكلها البقرتان العائدتان لأقارب النبي، فمر الجوهر الروحي في اللبن الذي شربته والدة الزرادشت، ولأول مرة اقترن والده، علقت به أمه. وقبل ولادته عمل عبثاً، أهريمن وشياطينه، كي يقضوا على زرادشت وهو جنين في بطن أمه. وعندما حاول أهريمن والشياطين الهجوم على زرادشت في بطن أمه، أنيرت السماء بوهج ناري، حيث نزلت «الفرافاشي» من السماء وقامت بحماية الطفل، ولمدة ثلاثة أيام، قبل أن يولد ويستقبل الحياة أنيرت القرية بوهج مضيء، حتى أن «السبيتاميد» - رجال الدين القديم - قد اعتقدوا بوجود حريق، فهاجروا القرية. وقد قدم إلى العالم وهو يضحك ويشع بنور رباني، وما إن قدم إلى الدنيا حتى هوجم من قبل الشياطين. ولكنه باستخدامه العبارات المقدسة، جعلها تهرب منه وتفر بعيداً. وقد ورد ذكر حاكم يدعى «دوران سرون» كان يحكم ميديا، في المرحلة التي ولد فيها زرادشت، نائباً عن لهراسب أبا وشتاسبا

---

(١) سليمان مظهر، قصة الديانات، مكتبة مدبولي، بيروت، ص، ٢٨٢، ٢٨٣.

(كشتاسب) وقد حاول عدة مرات أن يقضي على الطفل الذي سمع عنه من خلال نبوءات العرافين، بأنه سيقضي على الدين القديم وأنصاره.

ويقال بأنه عندما علم بولادة الطفل، استل خنجره وتوجه بنفسه للقضاء على الطفل في المهد، ولكنه، حين اقترابه منه، تجمد في مكانه ولم يستطع أن يتحرك، وفي محاولة أخرى، رموه في النيران الملتهبة الموقدة في المعبد، إلا أن النار كانت برداً وسلاماً عليه. (قارن هذه الواقعة مع إبراهيم عليه السلام عندما رموه في النار) وعندما مرض الطفل فإن «بروتوش» زعيم السحرة، قد تقمص هيئة الطبيب المعالج، كي يقضي على الطفل المقدس، لكنه فشل في مسعاه بعون أهورا مزدا. ويرمى الطفل بين الحيوانات في الحظائر والمرعى، ولكنها تحمية بدلاً من أن تدوسه بحوافرها. وكل محاولات رميه بين حوافر الجياد والأبقار قد باءت بالفشل[1].

وقد عهد والده بتربيته إلى العالم والتقي «برزين كروس» الذي اشتهر في عصره بعلومه ومعارفه، وقام بتلقينه كافة علوم عصره وقامت الأمشاسبندان بتعليمه العلوم الربانية. وعندما بلغ الخامسة عشرة من عمره وضع الحزام المقدس «أيويا أنكهن Eyvia Enghen» ويطلقون عليه «كشتي» أيضاً وهو حزام يتألف من (٧٢) خيطاً ترمز إلى أجزاء اليسنا أحد أقسام الأفستا المكون من (٧٢) فصلاً تترك (٦) خيطان غير معقودة ترمز إلى الأعياد الدينية الرسمية والأطراف (١٢)

إلى المنازل العليه والكواكب ويشدّ الحبل ثلاث مرات وكان الحبل يعقد مرتين من الأمام ومرتين من الخلف إشارة إلى العناصر الطبيعية الأربعة. الحبل أجوف يرمز إلى الفضاء ويتلى دعاء الكيمنا عند لبسه.

تزوج زرادشت ثلاث نساء، أنجب منهن أبناء وثلاث بنات وهم: ايسدواستر ارفاتدنر، خورشيد جهر. البنات: فرين، تهرت، بوروجستا.

---

(١) المصدر نفسه: ، ص ٢٨٤، ٢٨٥.

والأخيرة تزوجت جاماسبا وزير الملك كشتاسب، وكان أحد أقرب مساعدي زرادشت.

كان زرادشت قد أنجب من الأولى ابناً وثلاث بنات، ومن الثانية ابنين أوكل إليهما قيادة جماعتين، جماعة المحاربين وجماعة الفلاحين. أسند إلى خورشيد جهر (هفاريكجثرا) قيادة الفلاحين أو أسند إلى أرفاتدنر Urvatadnara قيادة المحاربين. أما الزوجة الثالثة فكانت تدعى هفوفي Huvvi بنت فراشا اوشترا Frasha oshtra أحد وزراء كشتاسب ومن أقرب مؤيدي زرادشت. مع أنه لم يكن لهذه الزوجة أولاد، فقد شاع عنها وعن مصيرها نبوءة عظيمة تقول بأنها ستكون أماً لثلاثة من أبناء زرادشت الروحانيين، وكذلك ساؤوشيان Saoshyant الذي سيخلف زرادشت ويظهر بين الزرادشتيين مسيحاً أو مهدياً منقذاً.

«لقد وعدني فراشا أوشترا أن يهبني ابنته ذات المحيا الجميل، المحبّبة إلي، فتفضل أيها الملك العظيم كي تهديها الصراط المستقيم، حتى تدرك روحها تمام الإدراك معنى السلوك القويم فتصلح بها نفسها».

(يسنا ٢٨/٨)

وفي العشرين من عمره يهجر وطنه ويتنقّل كثيراً. وفي الثلاثين من عمره يتخلى عن كل شيء، كي يعيش خلوة في جبل «أشيدرنه» Oshidarena كما أوحى إليه الإله أهورا مزدا وتمتد به العزلة عشر سنوات وعندما ينتهي من خلوته في رياضة النفس، ويهبط من الجبل، يلتقي عند عودته بالقرب من نهر دائيتي Daiti في آذربيجان الحالية، هالة نورانية، يغمى عليه من شدتها، يتجلى له الملاك «وهومنو» ويكشف له هويته كملاك ورسول للإله الأعظم أهورا مزدا. ويقوم باصطحابه وهو روح خالصة، متجرداً من ماديته، لكي يمثل في حضره الإله الأعلى، وأثناء مروره نحو السماء يمر بالأفلاك السماوية الاثني عشر حسب معتقدات الزرادشتيين،

ويعود محمّلاً بالرسالة التي سيبلغها للبشر، وكذلك محمّلاً بطلسم من أهورا مزدا وهو الدعاء القدسي الذي يتلوه الزرادشتيون في صلواتهم ويدعى يتها اهو وئيريو وقد أنشده زرادشت لأول مرة في آريانا فيجوا أربع مرات

«يقول بهمن: إن الشخص الوحيد الذي عرفني هنا، والشخص الذي سمع ديني هو زرادشت سبيتمان، يا مزدا، حيث فكرنا، وعقيدة دين الحق، لذلك وهبته الكلام المحبوب»

(يسنا هات ٢٩ بند ٨)

وتقوم الملائكة، فيما بعد، بتعليمه حقائق الحياة الكبرى ليعود زرادشت بعدها، مروراً بالمنازل العليا والكواكب، إلى موطنه، ويبدأ بنشر ديانته، دين الحق، دين عبادة الإله الواحد أهورا مزدا: مزديسنا.

كان في الأربعين عندما أوحيت له ديانته وكلف بتبليغ الدين الجديد من قبل أهورا مزدا وتبين «الكاتات» ـ لدى الزرادشتيين، أن زرادشت قد بدأ بنشر ديانته، في مسقط رأسه أولاً:

«هكذا أتحدث: اصغوا، اسمعوا الآن، أيها الناس القادمون من الأقاصي، والقادمون من الأماكن القريبة، تبغون المعرفة تذّكروا جميعكم كل ما هو ضال. لا تكن معلم السوء القاضي على الحياة مجدداً».

(يسنا هات ٤٨ بند ٨)

وكانت الجماعة التي يتوجه إليها برسالته، ويدعوها إلى اعتناق دينه، تتكون من رعاة مستقرين لهم رؤساؤهم الذين كانوا يسمون بـ «كافي Kavi» وكهان يدعون بـ «كارابان» وهؤلاء الكهان كانوا حراس الديانة القديمة:

«بكل قواهم يثير الكارابانيون والكافيون الناس على الأفعال الشريرة من أجل القضاء على الحياة أما أولئك الذين ستخشي أرواحهم وضمائرهم، عندئذ، سيصلون إلى المكان الذي يقع فيه جسر جينوات»

(يسنا هات ٤٦ بند١١)

وقد لاقى زرادشت في بدء التبشير برسالته، كثيراً من المصاعب والعقبات التي كانت تعترض تقدمه في نشر دينه وقد قاومت تلك الجماعات والأشخاص المذهب الجديد، وأساءت إلى صاحبها وترد بين ثنايا الأناشيد أسماء تلك الشخصيات التي قاومت ديانته، وأشهرها بالإضافة إلى ال«كافي» والـ «الكارابان»

«بندفا» ونلاحظ زرادشت يطلب من أهورا مزدا العون، ويناشده القضاء عليه:

«هكذا، بندفا ألد أعدائي منذ القدم. أرغب بإهداء الضالين إلى الحق، يامزدا، توجه نحوي بالثواب الخير، امنحني القوة، واقض عليه بالموت يا بهمن».

«في العالم (الآخر) سوف يهبط كرهما إلى أسوأ منزلة للروح في الدار والعال. إن الذين يعيثون في هذا العالم فساداً، يا مزدا، سوف يتعذبون من وحي نبيك الذي سوف يمنعهم من رؤية أشا».

(يسنا هات ٣٢ بند ١٣)

ومن الأسماء الأخرى: الأمير «فيبا» الذي شتم زرادشت على جسر الشتاء رافضاً المحط له ولحيواناته المرتجفة من البرد، بوصوله لعنده.

كانت تحيط بزرادشت مجموعة من الأتباع والمقربين، تؤيده وتعينه وتساعده في توسيع محيط معتنقي ديانته وتدعى:

«درغو» Dergv أي الفقراء و«فرايا» أي الأصدقاء «فيدفا» أي العارفين، «أوركاتها» أي الأنصار. وفي الجهة المعارضة، المناوئة لزرادشت، وجدت جمعيّات أشخاص «آيسما» Aesma (الرغب) ـ ولهذه الجمعيّات السرية في إيران القديمة ما يشابهها لدى الهنود وهي: مجموعات الشباب المحاربين الهنود «ماروت» Marut الذين وصف رئيسهم بـ «أدهريغو»

(أي الذي ليس فقيراً)

أما أوائل الذين اعتنقوا دين الزرادشت، وناصروه في دعوته ووقفوا معه في وجه أعدائه كان ابن عم زرادشت ويدعى مديوماه:

«هذا الرجل مديوماه» قد وضع هذه الطريقة الدينية نصب عينه، بعد أن أدركت روحه أسرارها، وكلّ من يدرك حقيقة الحياة، وتتجلى له أسرار هذا المذهب، سوف يوهب العلم بمشيئة مزدا، التي ترشد المؤمن إلى إصلاح أمور الحياة».

(يسنا هات ٣٧ بند ٢)

وتبقى مسألة المجوس، وعلاقتهم مع الزرادشتيين مختلفة فيها أيضاً. فقد اعتبروا على سبيل المثال، كقبيلة من أهل البلاد الأصليين من الحرة ومناجي الأرواح المسؤولين عن انحطاط الزرادشتية أو على العكس، كتلامذة حقيقيين لزرادشت ومبعوثين في إيران الغربية[١]. ويبدو أنهم كانوا في عصر الأمبراطورية الميدية (القرن السابع) طائفة هرطقية[٢] من الكهنة الميديين مقارنةً ـ با ـ للاويين والبراهمانيين. وقد مثلوا الطبقة الكهنوتية في عصر الأخمينيين، وأخذوا بعض الفتاوى والطقوس من زرادشت. في حين نلاحظ أن الأغريق اعتبروا زرادشت مجوسياً.

بعد أن فشل زرادشت في دفع أبناء قومه إلى اعتناق ديانته، وتلقيه المعاملة السيئة منهم، لم يجد سوى الهجرة عن وطنه، والتوجه شرقاً نحو «ويشتاسنبا» حاكم «فريانا» ـ الذي يعتقد أنه الملك الكياني «كشتاسب» ـ كما أمره الوحي من أهورا مزدا:

«إلى أي أرض اتّجه، إلى أين أذهب، أنا بعيد عن الأحرار والزعماء الزراع لا يرضونني (...) ولا الرؤساء أولئك العابدون للكذب. كيف أستطيع أن أرضيك، يا أهورا مزدا»

(يسنا هات ٤٦ بند ٧)

---

(١) بالفارسية: مزدا پرستی در ایران، گریستین سن، ترجمه: د ـ ذبیح الله صفا ص ٣٨ ـ ٣٩.

(٢) Unti Orthodoksi، بدعت.

في الطريق أثناء مروره متوجهاً نحو «كشتاسب»، يمر بمدينتين، ويدعو حكامهما إلى اعتناق دينه، دين الحق ولكنهما يرفضان، ويطردانه من مملكتيهما ما يؤدي إلى أن يدعو زرادشت ربه كي يعاقبهما على فعلتهما وإساءتهما إليه. حينئذ تهب أعاصير شديدة تؤدي إلى الدمار والخراب، وترفع الحاكمين نحو عنان السماء حيث يبقيان معلقين ما بين السماء والأرض. فتنهش الطيور الجارحة أجسادهما، ويسقطان على الأرض عظاماً. وبعدها يتوجه زرادشت إلى «وشتاسبا» كشتاسب «خامس ملوك الكيانيين. في البداية يمنع حراس الملك دخول زرادشت إليه في القصر الملكي، رغم الحاح زرادشت. يلحق بالملك، وهو خارج إلى الصيد في حدائقه مع أعوانه وحاشيته وفي الحقول يتوجه نحو الملك، حاملاً في يده كرة نارية، دون أن تحرق جسده يلعب بها كأنها كرة عادية لا تؤثر عليه.....

وتجربة المعدن المذاب والمصهور دليل على مصداقية الرسالة والأقوال، يثير هذا الوضع اهتمام الملك، فيسأله عن هويته وقومه وحاجته. يخبره زرادشت عن نفسه وعن الرسالة التي حمله إياها أهورا مزدا يدعوه الملك إلى قصره، ويطلب منه الدخول في مناظرة مع العلماء وكهان قصره. يغلبهم زرادشت، مبدياً سعة اطلاعاً، وذكاء خارقاً، وفكراً عميقاً وقدره على الإحاطة بكل شيء ويكون نجاحه في تلك المناظرة والتأثير العميق الذي خلفه لدى الملك، سبباً في انضمامه إلى حاشية الملك وفيما بعد، يصبح أحد المقربين، وصديقاً للملك. ولكن الملك لا يعتنق دينه ويفرد له الملك جناحاً خاصاً في قصره ويستشيره في كافة شوؤنه[١].

إنّ نيل زرادشت تلك المكانة المرقومة لدى الملك، أثار حقد حاشية الملك والعلماء والكهان المحيطين به ودفعهم ذلك إلى تدبير مكيدة توقع بالنبي، وتثير غضب وحنق الملك عليه. فقد قاموا برشوة خادم جناح

---

(١) الديانة الزرادشتية ـ مزديسنا، نوري إسماعيل، ص ٢٣ و٢٤.

زرادشت، كي يضع أدوات ووسائل كان السحرة يستخدمونها في السحر حينذاك مثل أعضاء الحيوانات والشعر والأظافر....

ويقومون بالوشاية للملك، ويخبرونه بأن زرادشت ليس إلا ساحراً يدّعي النبوة بغية خداع الملك ونيل الحظوة لديه. وعندما يعلم الملك بالأمر، ويكشف أدوات السحر في جناح زرادشت، يغضب الملك غضباً شديداً، ويأمر بسجن النبي وكان «جاماسبا» وزير الملك، مناصراً لزرادشت، معتنقاً لدينه، قد حاول كثيراً أن ينقذ زرادشت من تلك التهمة، ويحرره من سجنه، عبر تدخله لدى الملك، دون جدوى. ولكن الفشل لم يستمر طويلاً، إذ حانت الفرصة المناسبة فقد مرض جواد الملك المدلل لديه والذي تعلّق به تعلقاً شديداً. وعلى كل حال يشير «جاماسبا» الوزير الذي رأى الفرصة سانحة لإنقاذ زرادشت، إلى أن زرادشت، إذا كان نبياً بالفعل، يستطيع أن ينقذ الجواد، ويكون ذلك محكماً لمصداقية قوله. يطرح الوزير الأمر على زرادشت وهو في سجنه، يوافق زرادشت على الأمر بشروط محددة وهي أربعة: أن يعتنق الملك وزوجته دين الحق، ويعمل على نشر الديانة الزرادشتية، أن يقوم الملك بمعاقبة الذين حاكوا المؤامرة ضده وأدوا به إلى السجن إطلاق سراح ابنه أسفنديار «سبنتوداته» الذي سوف تكون على يديه انتصارات الزرادشتيين وانتشار الدين الجديد... وبالفعل تمّ له ذلك، وقد ذكر زرادشت في أناشيده كشتاسب وأعطاه مكاناً مرموقاً، ويطلب من أهورا مزدا أن يمنحه الثواب الذي يليق به وكذلك جاماسبا واسفنديار[1].

«إن الملك» وشتاسبا «قد اعتنق العقيدة التي أوجدها مزدا أهورا الحق المقدس، لقد قبل بالعهد، وأقر بحجته، كما تقبل الدعوة إلى طريق الكرم والإحسان، فليتم هذا طبقاً لمشيئتك.

(يسنا هات ١٢ بند ٢)

---

(١) إيران في عهد الساسانيين، كريستين سن ـ ترجمه: يحيي خشاب ص ٢٧.

«وقد أمن «جاماسبا» في تقوى وطهارة، بهذه العقيدة الكريمة، وكل من اشترك في إسداء الإحسان والاتّصاف بالكرم، فهو مخلص لهذه العقيدة خاضع لسلطانها، فتفضل، يا أهورا، بالإنعام عليهم حتى يجدوا فيك حصناً منيعاً يحميهم»

(يسنا هات ٣٥ بند ١)

«أطلب منك الأفضل، أنت يا أهورا نظير الصدق الأسمى، رغبتي من أجل فراشاً أوشترا الشجاع ومن أجلى ومن أجل الأشخاص الذين وهبتهم الروح الخيرة، هي الخلود».

(يسنا هات ٥١ بند ١)

وحسب الروايات الزرادشتية، فإن زرادشت قد قتل عن ٧٧ سنة من قبل الطوراني براتفاركش في معبد للنار في بلخ (Bratvarkesh) عندما كان يصلّي أمام النار، وذلك عندما شن الطورانيون هجوماً على زرادشتيين للقضاء على الديانة الجديدة التي انتشرت انتشاراً واسعاً وبعض المصادر المتأخرة تذكر أن القتلة الذين أنهوا حياة زرادشت مع ثمانين من مريديه وأتباعه، كانوا مختبئين على شكل ذئاب، وأن الخرافة تعبر بروعة عن دلالة القدر لزرادشت، لأن الذئاب كانت أعضاء «الجماعات البشرية» التي وصفت بالعار من قبل النبي بكل جرأة وقد طالت الحرب بين أنصار الزرادشتية والطورانيين وهي قبائل وحشية من الآريين وانتهت بانتصار ساحق للزرادشتيين[1]. وانتشرت الزرادشتية في كل الجهات إلا أنها فشلت في الغرب وهي مسقط رأس زرادشت وربما يمكننا أن نعزو ذلك إلى البنية الاقتصادية الاجتماعية وإلى تجذر العقائد القديمة مصدر الزرادشتية وأخيراً فإنّ اسم زرادشت قد سيطر على الفكر الفلسفي المعاصر من خلال عمل نيتشه الفلسفي رغم أنه يختلف عن نيتشه أو حتى يتعارض مع نموذجه في التصور الديني.

(١) الملل والنّحل، الشهرستاني، جلد ١ ـ ص ٢٤١ وجلد ٢ ص ٦٣.

الفصل الأول

المعتقدات الزرادشتية الأساسية

تعاليم زرادشت

في هذه المرحلة لا يكون استطراداً أن نصف بإيجاز فلسفة هذا المتنبىء العظيم. فقد دعا إلى الإيمان بالهٍ متعالٍ واحد وهو الخالق، وهذا معناه الفكر والضمير الساميان.

إلى صرح هذا الدين نلج عبر الأقسام المتأخرة من «الزند أفستا» سابرين منه الأساس، فتطالعنا الأصول التي بني عليها هذا الدين متمثلة في القواعد الخمس. . .والقواعد الخمس تنحصر في الإيمان بإله أوحد، والملائكة، ورسوله والكتاب المقدس، ويوم البعث.

أنّ التعاليم في سفره المقدس الخالد/زند ـ أفستا / ، «Zend Avesta» ، تدعي نفس الإلهام الرباني الذي تنتسب إليه الأديان الأخرى التي ظهرت فيما بعد. حيث كان هنالك إله واحد في الأعالي، وهو الفكر الأسمى.

وطبقاً لتعاليم زرادشت، فإن الذي يحيا حسب أوامر ذلك الضمير يحيا حياة طاهرة روحية، حياة ملؤها الانسجام مع الكائن الأعظم الذي يمثل نموذجاً ينبغي على الجميع الاقتراب منه[١].

---

(١) بالفارسية: دكتر هاشم رضي، أوستا، ص، ١٧٥ و١٧٦.

إن أهورا مزدا إله الحكمة والحاكم الأسمى للعالم، خلق كل ما هو خير في العالم، وهو الإله الأعظم وقديم أزلي، مجرد من جميع شوائب المادة، منزه من كل أدران النقص، وهو روح الأرواح، عالم أهورا مزدا «عالم النور» وعالم أهرمان «عالم الظلمات».

فالصراع يحتدم دوماً بين أهورا مزدا وبين أهريمن، بين الطهارة والنجاسة، بين الصواب والخطأ.

ففي صورة الكلمات الواردة في الأناشيد المقدسة للكاثاها في الديانة الزرادشتية فإن فكرة إله الأكوان محبوكة بصورة مقنعة. فهو الذي لا يعزى إليه شكل، أو لون، أو مظهر، أحد صمد، ، وهو/طبيعة الكمال المطلق/ ، لا تحيط به العقول، وهو الأكمل عدلاً، والأكمل رحمة، والأكمل مغفرة. إنه واحد أحد، لا يحده مكان، يحيط به النور الأعظم الذي لا توصف طبيعته[1].

في كتاب صلوات البارثين وهو خوزدا ـ أفستا، يصف الرب ذاته بالكلمات التالية:

«أنا الحافظ، أن البديع، أنا العليم الخبير، أنا الروح الأكثر إحساناً».

«اسمي مانح الصحة، الكاهن، أهورا [السيد]، مزدا [المحيط بكل علم]

القدس، الجليل، البصير، الحفيظ، مانح الخير، الخالق، واهب الإزدهار، الملك الذي لا راد لقضائه، الأحد الذي لا يخيب مؤمله، الذي لا يمكر به، الذي يحطم الماكرين، القاهر لكل شيء، الخير كله، كل الخير، وسيد الخيرات. هو الذي يمنح الخير كما يشاء، المحسن، القادر، العظيم، القدوس، خير الحاكمين، الحكيم».

«هو النور ومصدر النور، هو الحكمة والفكر. هو المالك لكل الأشياء الخيرة، الدينية منها والدنيوية. مثال العقل الوقاد [فوهو مانو]

---

(١) جاتها، يسنا هات ٥٧ بند ١١.

Vohomano «الخـلـود [أميريتـاد]» Ameretad،، والصحة [هورفاتاد] «Horvatad»، الحق السامي [أشا فاهيشتا] Asha Vahishta «الإخلاص والتقوي [آرمايتي]» Armaiti،، فيض كل الأشياء الدنيوية [خشاترا فايريا] Khashtra Vairya».

«الوهاب لهذه النعم لمن استقام في أفكاره، وأقواله، وأفعاله. سيد كل الأكوان، لا يكافىء المحسن فحسب، بل يعاقب المسيىء أيضاً»(١).

قال زرادشت: يا أهورا مزدا علمني؟ كيف بدأت الخلقة، كيف يصل الناس إلى العالم الآخرة ويأخذون جزاء العمل، كيف ترتقي روح الشخص الصالح. يا أهورا مزدا، علمني؟ يا أهورا مزدا علمني كيف يجب محاربة أصحاب الفكر السيىء والكاذب، يا أهورا مزدا خبرني حتى أعلّم كل الناس الطريق الصحيح.

(يسنا ٣٤ و٣٥)

قال زرادشت: من بداية الخلقة يوجد في ضمير الإنسان قوّتان، قوة الفكر وطريق الصدق (سبنتامينو) وقوة الأخرى قوة التفكير وطريق الكذب (أنفرامينيو).

(يسنا ٢٩ بند ١٢)

قال زرادشت: يا أهورا مزدا، أيها العالم، إني قائدٌ للناس في العالم، واعلم أن يا أهورا مزدا، أنتم للعمل الصالح والسيئة تُعيّن الجزاء والحساب.

(يسنا ٢٨ بند ٤)

قال زرادشت: يا أهورا مزدا، أنا زرادشت أريدُ منك (أهورا مزدا) أن تعطيني قدرة، حتى أوجّه الناس للسعادة وراحة الفكر.

(يسنا ٢٩ بند ١١)

---

(١) بالفارسية: موبد اردشير آذر گشسب، خرده افستا، ص ٣٣.

قال زرادشت: يا أهورا مزدا اعطني روح الصدق والشجاعة والصفاء، حتى يفهم الناس إلى تعليماتي ولأن هذه العمل الكبير نتوكل على الله (أهورا مزدا)[1].

(يسنا ٢٩ بند ١٠)

وقام زرادشت بتبليغ رسالته إلى البشر حاول نشر المبادئ الأساسية الثلاثة التالية:

- الفكر والنية الحسنة.
- القول الحسن.
- العمل الحسن.

ويقول المرجع الديني الأعلى للزرادشتيين في إيران، السيد رستم شهزرادي، في هذا الموضوع: نحن نعتقد أن الإنسان متى ما عمل بهذه المبادئ الثلاثة فإنه سيعيش سعيداً في دنياه وآخرته[2].

أصول الديانة الزرادشتية

١ ـ إنه لا يدعوا إلى دين جديد، وإنما هو يجدّد ويصلح الدين الموجود.

٢ ـ إنه يعلم ما يتعلق بالصدق والحق في أن الخالق الأعظم هو واحد فقط وهو الخير، وأن عبادة الأصنام عمل شرير.

٣ ـ تماثيل الشمس والنار والجبال والحيوانات ليست فقط باطلة في تصويرها الآلهة أنها باطلة، ولكنها ليست آلهة نهائياً بل هي خلق من خلق الله.

---

(١) يسنا ٣٤ و٣٥، يسنا ٢٩ بند ١٢، يسنا ٢٨ بند ٤، يسنا ٢٩ بند ١١، يسنا ٢٩ بند ١٠.

(٢) بالفارسية: زرادشت وتعاليمه، موبد رستم شهزادي، ص ٣٦ ـ ٣٧ ـ ٣٨.

٤ ـ الرب الخالق هو «أهورا مزدا» وهو الحكيم المدبّر والأعظم من العالم كله.

٥ ـ الرب، هو الذي خلق كل شيء جميل خير، لأن الله هذا جميل وخير. إلى هنا هو: «أهورا مزدا».

٦ ـ أنغرامیینو: روح شريرة هي التي خلقت كل شيء شرير في هذه الدنيا.

٧ ـ بناء على هذا يوجد اثنان خالقان.

روح الخالق الخير ـ روح الخالق الشر

«أهورا مزدا» خالق الخير

«أهريمن» خالق الشر(١).

٨ ـ نحن يجب علينا أن نتبع روح الخير لأنه في آخر الأمر سوف ينتصر الخير وروح الشر ليس لها نظرة فيما يتعلق بالماضي، إنها فقط توسوس للتلذذ بالحاضر، أما روح الخير: الرب الحكيم الذي يعلم الماضي والمستقبل فإنه لهذا لا بدّ وأن ينتصر.

٩ ـ البشر خلقهم «أهورا مزدا» ثم زودهم بكل ما هو ممكن، وجعلهم أحراراً في اختيار الخير والشر وكل لفظة يقولها الإنسان تسجل عليه في كتاب حياته.

١٠ ـ وعندما يموت الإنسان توجه روحه إلى من يمسك بكتاب حياته: فإذا كان عمله وفكره وقوله خيراً وكانت أكبر من الفكر والعمل والقول الشرير، فإن روحه سوف تذهب إلى الجنة في السماء، وإذا كان الأمر على العكس فإن روحه سوف تلقى في جهنم الكثيرة الآلام والعذاب.

---

(١) بالفارسية: راهنماى دين زرتشتى، د ـ هاشم رضي، ص ٤٥ ـ ٤٦ ـ ٤٧.

لقد أقام زرادشت إيمانه على الاعتقاد العظيم، وقد حذر أتباعه ومريديه من تأثير روح الشر. وإن أكبر الشرور في زمانه قد تمثل في ميل العامة إلى عبادة مظاهر الإله وتجلياته والعناصر التي ابتداعها.

الخصال الحميدة عنده زرادشت: وحثّ زرادشت أتباعه على أن يقاتلوا في سبيل الإله الحكيم، ذلك باتباع ست خصال حميدة هي:

- طهارة الفكر والكلمة والعمل.
- النظافة والبعد عن كل ما هو دنس.
- الإحسان بالفعل والقلب.
- الرفق بالحيوانات النافعة.
- القيام بالأعمال النافعة.
- مساعدة الذين لا يتيسر لهم تحصيل التعليم بتعليمهم.

فالذين يتبعون هذه التعاليم يمكن أن يوصفوا بأنهم يسلكون سبيل الإله الواحد الحكيم[١].

الترابط بين الديانة الزرادشتية والإمبراطورية الساسانية

اعتبر الزرادشتيون ديانتهم أنها رسالة الرب، وتعبير العقل السماوي الذي هو الحكمة الربانية، ولهذا إن الدين والحكمة اصطلاحان قابلان للتبادل، ونادراً ـ على كل حال ـ ما جرى فهم الدين في المجرد، بل فهم على أنه رسالة الرب العاملة في الأرض ضمن بنية اجتماعية محددة، وهذه البنية، هي المراتب الاجتماعية المتسلسلة للإمبراطورية الساسانية، التي خصص فيها لكل الإنسان مكانه اللائق، فلقد كانت الرابطة محكمة كثيراً بين الديانة الزرادشتية والإمبراطورية الساسانية، إلى درجة أن إنهيار الأولى

(١) يسنا ٣٢ بند ١٦ ـ ١٤، فنديداد، الفصل الأول.

كان معناه سقوط الثانية، ونقل عن مؤسس حكم الأسرة الساسانية، الذي كان أول من أحيا العقيدة القديمة وأصلحها قوله: «الدين والملكية أخوان لا يمكن لأحدهما أن يستغني عن الآخر، والدين هو أساس الملكية، والملكية تحمي الدين لأن كل من يفتقر إلى أساس لا بُدّ أن يهلك، وكل من يفتقر إلى حامي لا بدّ من أن يختفي»(١).

وفي سياق الأحداث كان أن اختفت الديانة الزرادشتية كلياً مع انهيار السلطة المدنية الإيرانية، وقارن مردان فرخ في مقطع رائع ونموذجي الدين مع شجرة عظيمة حيث قال:

«خلق أهور مزد الدين الذي هو معرفة غير محددة، مثل شجرة جبارة ذات جذع واحد، ولها فرعان كبيران، وثلاثة أغصان، وأربعة أغصان فرعية، وخمسة جذور، فالجذع الواحد هو: التوسط، والفرعان الكبيران هما: العمل والاقتناع، والأغصان الثلاثة هي الآراء الخيرة والأقوال الطيبة، والأعمال الصالحة، والأغصان الأربعة الفرعية هي الطبقات الدينية الأربع، التي تتم بوساطتها المحافظة على الحياة الدينية والدنيوية وهي: «مانفت» (رب البيت) و«ويسفت» (رأس القرية) و«زندفت» (شيخ القبيلة) و«ديهفت» (حاكم اقليمي) و«زرثشتروتم» (السلطة الدينية العليا وممثل الزرادشت على الأرض)، وهناك شخص آخر فوق كل هؤلاء زعيم الزعماء، أي ملك الملوك، الذي هو حاكم العالم كله ويشاهد في الكون الصغير، الذي هو الإنسان، أربعة أشياء تتطابق مع الطبقات الدنيوية الأربع وهي: رئيس الكهنة، والأيدي لطبقة المحاربين، والبطن لطبقة الفلاحين، والأقدام لطبقة الحرفيين، وهكذا أيضاً تسكن الفضائل الأربع في(٢).

الإنسان وهي: الاعتدال، والثبات، والعقل، والمقدرة، وتتطابق طبقة الكهنة مع الاعتدال، لأن الأعتدال هو الواجب الأسمى للكهنة،

---

(١) المسعودي ـ مروج الذهب ـ جلد ٢ ـ ص ١٦٥.

(٢) دينگرد، الكتاب الثالث، نشر پيشوتان سنجانا، المجلد التاسع ـ ص ٤٥٠.

الذين لا يرتكبون أي إثم. بسبب الاعتدال، وبسبب الحياء، والخوف في الرب، وتتطابق طبقة المحاربين مع الثبات، لأن الثبات هو الزينة الرئيسية للمحاربين، ويفسر على أنه رجولة فطرية، ويتطابق العقل مع طبقة الفلاحين، لأن عمل العقل هو حراثة التربة، وتشجيع تطور مستمر نحو الإصلاح النهائي وتتطابق المقدرة مع طبقة الحرفيين، لأنها الحافز الأكبر لحرفتهم، وتنبني جميع هذه الأعمال المتنوعة وتتأسس على الجذع الواحد للإستقامة والتوسط، وهي تعارض الكذب وأدواته التي هي العدو لها(١)، سوف نشاهد من هذا النص، كيف تطابق الدين الزرادشتي مع النظام الاجتماعي إلى حدٍّ كبير، حيث إنَّ الجذور ذاتها للشجرة العظيمة، التي هي الدين، هي الدرجات الخمس للسلطة المدنية، التي كانت قد برزت كتاب الأفستا، وقد نشأ جذع الشجرة المدعو هنا باسم التوسط، من هذه الجذور، ولم تنشأ منه فقط الواجبات الدينية الصرفة «للعمل والاقتناع»، أي إطاعة الأوامر والمحظورات الربانية، وواجب التفكير بآراء صالحة، والتفوه بأقوال طيبة، وعمل أعمال صالحة، فقط، بل نشأ منه أيضاً التنظيم الاجتماعي للمجتمع في الطبقات الكبيرة الأربع: الكهنة، والمحاربين، والفلاحين، والحرفيين. وكما رأينا، كل إنسان فرد، موجود هنا على الأرض ليقوم بعمله الخاص، لذلك يكون النظام الاجتماعي مرتبطاً بوحدة مشتركة مع الدين الفاضل، وعلى هذا ينظر إلى الازدهار والفضيلة على أنهما مظهران لنظام وحدوي بشكل أساسي: أي الجانبان الروحي والمادي للخلق الصالح، والجميع تابع للحكومة الصالحة لملك الملوك، وجرى جميع البنية كلها في «التوسط» الذي هو توازن دقيق بين الإسراف والتقتير، وهو أيضاً الاستقامة، أو الصدق، وهو متطابق في حدِّ ذاته مع المفهوم الإيراني ـ الهندي القديم عن «أث/رت» بوصفه معارضاً للكذب، والذي كان زرادشت نفسه قد بجله كثيراً وهكذا جرى حفظ المفهومين الرئيسيين من تعاليم زرادشت الخاصة، أي العقل السليم، والصدق، تحت أسماء

(١) بالفارسية: زادسبرم، الفصل ١٦ ـ ص ٨٤.

مختلفة في الزرادشتية المصلحة للعصر الساساني: لقد أصبحتا: الحكمة والتوسط، وكلاهما متطابقان مع الدين نفسه[1].

رجال الدين الزرادشتيون

كان المغان في الأصل قبيلة الميدية أو بالأخرى كانوا طبقة خاصة بين الميديين وكان لهم امتياز الرئاسة الروحية في الديانة المزدية غير الزرادشتية. وعندما اجتاحت الزرادشتية الأقاليم الغربية، ميديا وفارس بمعناها الخاص، أصبح المغان السادة الروحانيين للدين الجديد. وتشير الأفستا إلى طبقة الروحانيين بالاسم القديم آثروان، ولكن التسمية العادية لهذه الجماعة أيام الأشكانيين والساسانيين هي المغان وقد استمر المغان يعدون أنفسهم قبيلة، ويعتبرون أنفسهم طبقة من الناس «نشأوا من قبيلة واحدة وجلبوا على خدمة الآلهة»[2].

وقد سار رجال الدين في الدولة الساسانية مع نبلاء الإقطاع جنباً إلى جنب، وفي أثناء عهود الانحلال كان رجال هاتين الطبقتين، رجال الدين والنبلاء يتحدون ضد الملك وظلا دائماً منفصلين كطائفتين لكلّ منهما تصوّراتها الخاصة بها ولست أعرف حسب اطّلاعنا، فرداً من أفراد الأسر النبيلة الكبيرة المعروفة لنا في العهد الساساني شغل وظيفة مؤبدان مؤبد[3]، فقد كان الرؤساء الروحانيون يختارون دائماً من بين قبيلة المغان التي تزايدات على مر العصور. وكان رجال الدين ينسبون أنفسهم نسباً يرجع إلى التاريخ الخرافي المجيد لإيران، لكي يتساووا مع العائلات النبيلة الكبيرة. فبينما الساسانيون يرقون بأنفسهم إلى الأسرة الأكمينية، إلى كاوي ويشتاسبا

(١) بالفارسية: مهرداد بهار، پژوهشى در اساطير إيران، تهران انتشارات توس - ص ١٦٤ - ١٦٥.

(٢) الطبري، ص ٨٦٨؛ نولدگه ص ١٠٦.

(٣) يروي أن زروان داد بن مهر نرسي (من أسرة سبندياد) أصبح هربدان هربد.

(كشتاسب) حامي زرادشت، وبينما معظم الأسر الكبيرة الأخرى ينتسبون إلى الأصل مجيد من الأشكانيين، انتسب المؤابذة إلى جدهم الملك الخرافي منوجيترا الذي هو من أسرة برذاتا الخرافية، وهو أقدم كثيراً من ويشتاسبا جد الأسرة الساسانية، وقد أسبغت السلطة الروحية على السلطان الدنيوي طابعها المقدس وكانت تتدخل في الوقت نفسه في حياة كل فرد في كل أمر مهمّ فهي بهذا المعنى كانت تلازم الرجل من المهد إلى اللحد. «فإن الجميع يجلون اليوم المغان وينظرون إليهم بكثير من التعظيم والأشغال العامة منسقة وفق نصائحهم وإرشادهم، وهم يتولون بنوع خاص قضايا المتخاصمين فيقومون عليها بعناية تامة، ثم يقضون فيها ولا يحل الفرس أي شيء أو يرونه عادلاً ما لم يقل رجال الدين بذلك»[١].

ولا يستند تأثير المغان إلى سلطانهم الروحي وإلى حق القضاء الذي خوّلتهم الدولة، وإلى سلطانهم في إثبات شهادات الميلاد وعقود الزواج وغيرها، وإلى قيامهم بالتطهير ورعاية القرابين فحسب، ولكن تأثيرهم يستند أيضاً إلى أراضيهم التي يملكونها وإلى مواردهم الغزيرة التي يجنونها من الغرامات الدينية، والعشور والهبات ومن ناحية أخرى كانوا يتمتعون باستقلال بعيد المدى، إنهم كادوا يكونون تقريباً دولة داخل الدولة. ثم إنه في أيام سابور الثاني، كانت ميديا خاصة لآذربيجان إقليم المغان هناك كانت أراضيهم الخصبة، وكان لهم بيوت قروية لم تكن لها أسوار لحفظها[٢]، وكانوا يعيشون وفقاً لقوانينهم الخاصة[٣]، وبالجملة كان كبار رؤساء هذه الطائفة يملكون عقارات كبيرة.

ورجال الدين الزرادشتيون يكونون جماعة مرتبة غاية الترتيب ولها درجات منسقة. والمغان (تكتب مگوان أو مگوگان) كانت الطبقة الكبيرة من رجال الدين الصغار. وكان رؤساء المعابد الكبيرة يلقبون فيما يظهر بلقب

---

(١) الفصل ٣٣ من ترجمة وست West؛ ص ٢٣٧ من البندهشن الإيراني.

(٢) وكان كبار رجال الدين محميين بصفتهم الدينية.

(٣) أمين مارسلين (٢٣)، ٦، ٣٥..

مغان مغ (و نكتب مگوان مگو أو مگو مگو گان)[١]، والطبقة العليا من رجال الدين تشتمل الموابذة (مگوپت ها). وكانت الدولة كلها مقسمة إلى مراكز دينية على رأس كل منها مؤبد. ولدينا كثير من الحجارة الكريمة عليها صور ونقوش المؤابذة، منها: بابك (مؤبد خسرو شاد هرمزد) وويد شاهپور (مؤبد أردشير خوره)، وفرخ شاهپور (مؤبد إيران خوره شاهبور)، وبافرك (موبد ميشان)[٢].

ورئيس المؤابذة جميعاً، الذي هو عند الزرادشتيين بمثابة «البابا» عند النصارى يسمى مؤبدان مؤبد. وأول ما نسمع عن هذا الرجل الديني الكبير، أن أردشير الأول قد عين مؤبدان مؤبد رجلاً قد يكون اسمه ماهباد[٣]، ومن المحتمل أن يكون هذا المنصب قد وجد من قبل. ولكنه لم يكن له هذا الخطر العظيم إلا حين أصبح الدين المزدي ديناً رسمياً للدولة الساسانية.

وممن شغلوا منصب مؤبدان مؤبد پهگ وخليفته آذرباد مهر سپندان أيام سابور الثاني، ومهر وراز، ومهراگاويذ ومهر شاهپور أيام وهرام الخامس وآزاد سذ ايام گسرى الأول[٤].

وكان الهرابذة يديرون المراسيم الدينية في المعابد مما يتطلب معارف خاصة وتجربة عظيمة، وهم المسمون آثتراپاتى Aethra Paiti في الأفستا. ويعرف الخوارزمي كلمة هربذ «خادم النار» ويروي الطبري أن كسرى الثاني قد أمر فبنيت بيوت النيران وأقام فيها اثني عشر ألف هربد للزمزمة[٥]، والدليل على ما كان يتمتع به الهرابذة من الشرف أن أحدهم كان يحكم

---

(١) بندهشن، فصل ٣٠، ص، ٢٠١ وما بعدها.

(٢) هرتسفيلد، پيگولى، ص ٧٩ ـ ٨١.

(٣) الطبري، ص ٨١٦.

(٤) بندهشن، وست، الفصل ٣٣، وطبعة انكلساريا ص ٢٣٦.

(٥) ملخصة في الدينكرد، (٨)، (٢٨).

إقليم فارس وكان أميراً دينياً في القرن السابع حين فتح العرب هذا الإقليم.

وقد ذكر تفصيلات عن مركز رجال الدين في هيربدستان (قانون الروحانيين) وال: نير نجستان (قانون المراسيم الدينية) وهما قسمان من نسك هو سبارم أحد الكتب المفقودة من الأفستا الساسانية[1] ويتناول الهيربدستان بين ما تناول من موضوعات مسائل إرسال رجل الدين للتعليم أو تنفيذ المراسيم الدينية في الجهات المختلفة، والوسائل التي عليه أن يتخذها ليضمن استمرار العبادة في هذه الجهات أثناء غيابه، ثم عن استخدام امرأة وغلام بشروط خاصة، ليعاونا في إحياء المراسيم الدينية وما شابهها.

وفي قسم آخر من نسك هو سبارم شيء عن الأجر الذي يدفع للزائوتر مقابل تعليمه، وهو موظف كبير للقيام على أمور بيت النار وسائر أمور الدين[2]، ويلتزم بنفقات الرئيس الروحي واحتياجاته فلاحو القرية. ولم يكن تنفيذ مراسيم الحفلات الدينية كل ما على رجال الدين من أعباء، بل كان عليهم توجيه الشعب أخلاقياً، كانت لهم حكومة الأرواح. وكان التعليم الابتدائي والعالي، بوجه عام، في أيدي رجال الدين وهم يختصون وحدهم بجميع فروع علوم الزمان وقد كان هناك آداب دينية وفقهية متسعة للغاية.

المـــروجـــون والمبلغون في الديانة الـــزرادشتية

المروجون والمبلغون والعلماءفي الديانة الزرادشتية أسماؤهم في الأفستا (دئنام په آيتى) وفى اللسان البهلوى (دين پدان).

أنصار الدين في الديانة الزرادشتية:

١ ـ زرتشتروتمان = أكابر الديانة الزرادشتية في كل زمانٍ.

(١) دينكرد (٨)، ٣١ ـ ٢٠.

(٢) دينكرد (٩)، ٤١، ١٦.

٢ ـ ردان = أكابر الدين.

٣ ـ داورا يا دين داوران = قضاة الدين.

٤ ـ دستوران = المفتيّون الدينيون.

٥ ـ مؤبدان = المؤلفو الأفستا.

٦ ـ هيربدان = الأساتذة.

٧ ـ هاوشتان = التلاميذ.

٨ ـ دين چاشيداران = الفقهاء والأساتذة الدينّيون.

٩ ـ دين آموختاران = معلّمو الديانة.

١٠ ـ دين ستاييني داران = المداحون الدينيّون.

١١ ـ دين پذيرفتاران = أصحاب الديانة.

١٢ ـ مانتره بران = الاكليـروس (المبلّغون والمرّوجون الدينيّون).

١٣ ـ دين اشمرداران = الملتـزمون.

١٤ ـ كاهان سرايني داران = المنشدون.

١٥ ـ دين آراستاران = مزّينو الدين.

١٦ ـ دين ويراستاران = المصلحـون.

١٧ ـ دين وينارتاران = العلماء.

١٨ ـ دين داوران = القضاة الدينيون.

١٩ ـ دين يوژداسرى نيداران = المطهـرون.

٢٠ ـ فره شو گرداران = إحيـائيون[١]..

في الجاتها والأفستا المراجع الدينية يسمون آتره ون Athravan تعني حافظ العلم، أو مُگوپت Mogopat تعني مؤبد أو مغ، وأكابر المراجع أو الرؤساءالروحانيّون في الديانة الزرادشتية، يسمون زرتوشتروتمه

---

(١) الفنديداد، فردكرد ١٨ بند ٢٣ و٢٤ و٢٥.

Zarathoshtrutema وعلى هذا الأساس، فإن المراجع الدينيون في الديانة الزرادشتية هم مسؤولون أمام الناس للموعظة وتبليغ الدين.

صفات مراجع الدين في الديانة الزرادشتية:

١ ـ اويژه هيم = الخصال الحسنة.

٢ ـ آسنوده خرد = العقل الذاتي.

٣ ـ دين آراستار = مرجع المراسم الدينية.

٤ ـ يزدان منيدار = الذاكرون.

٥ ـ مينووينشن = المتقون.

٦ ـ پاك منش = المحسنون.

٧ ـ راست گوشن = الصادقون.

٨ ـ خردي كنش (كارها را از روي خرد انجام دهد) = العقلاء.

٩ ـ يوژ داسره تن = الطاهر.

١٠ ـ شيواهزوان = اللسان البليغ.

١١ ـ نرم نسك = حافظ الأفستا.

١٢ ـ ورست اوستا = يقرأ الأفستا بدون إشكالية.

١٣ ـ پادياب سازشن = المتطهر.

١٤ ـ نيك نيرنگ = الملتزم دينياً.

١٥ ـ نابر خورشن = يتنبه في مأكله إلى الحلال والحرام[١].

يصيح الديك في الفجر بصوتٍ عال ويقول: أيها الناس قوموا من النوم وأقيموا الصلوة والعنوا أهريمن شيطان النوم.

(فنديداد ـ فرگرد ١٨)

---

(١) الفنديداد، فرگرد ١٨ بند ٢٤.

الإصــلاحات الــزرادشتية

يعترف جميع الذين يحسبون زرادشت شخصية حقيقية وتاريخية بأنه كانت له إصلاحات اجتماعية وعقائدية في مجتمعه.....

فمن إصلاحاته العقائدية: منعه الناس عن عبادة الجن والشياطين، ودعوته لهم إلى عبادة أهورا مزدا، وإعلانه أن الشياطين ملعونة ونجسة فهي غير مستحقة للعبادة.

ويمكننا من خلال الاطلاع على الديانة القديمة لأهور «الرب» الحصول على بعض الفهم المدى الإصلاح الذي أدخله زرادشت، غير أن زرادشت لم يهاجم سوى عبادة الديفاس، وبدلاً من أن يهاجم عبادة الأهوراس تحدّث مرتين عن الأهوراس بصيغة الجمع، الأمر الذي يظهر بأنه لم يخش من ربط أرباب آخرين مع الرب الأسمى في الأيام الأولى لرسالته على الأقل، وعلاوة على ذلك، أن أسماء الفيوض السرمدية حسبما سميت فيما بعد، لم تكن جديدة بشكل لافت للنظر، ويمكن العثور على جميع مرادفاتها في الفيدا، وهكذا فإن أشا تتطابق كما رأينا مع رتا الفيداوية وتتطابق خشترا مع كشترا، أي المملكة التي ترتبط معها فأرونا إلى حدٍّ بعيد بشكل خاص ـ وتتطابق آرماتي، أي استقامة الرأي أو التواضع أو التكريس مع أراماتي أي التقوى. وتتطابق أمرتات أي الخلود مع أمرتا.. الخ. وبالمعنى نفسه، يتطابق هورفتات مع سارفتات أي «القداسة» المستخدمة في التقليديين العائدين للأرباب والناس، وسوف يبدو أن الإبداع الهام الوحيد في التسمية هو «فاهو ـ ماناه» أي العقل السليم، وسبنتا ـ مينو «الروح القدس» بصرف النظر بالطبع عن إضافة صفة مزدا أي «الحكيم» إلى أهورا أي الرب(١).

ويبدو أن الشيء الذي أنجزه زرادشت هو اقتباس هذه الاصطلاحات

---

(١) بالفارسية: زاتسبرم، القسم ٢٢ ـ ٢٠ ـ ٤، ص ٨٩ ـ ٩١.

التقليدية المجردة، لإقصاء جميع الآلهة الذاتية المجردة، ومن الصعب القول أن ديانته كانت مختلفة بشكل كبير عن الديانة التعددية للريغ ـ فيدا، غير أن المفاهيم المقتبسة التي سيتمكن من جعلها خاصة بشكل متميز، هي نفسها تقدم بين أيدينا ذاتها كدليل فيداوي ولم يكن زرادشت قد تولى إبدال كائنات منتقاة بأرباب شخصية، حسبما اعتقد العديد من الدراسين في الماضي والحاضر، لقد أقصي جميع الأرباب الشخصية باستثناء أهورا ـ مزدا نفسه، والروح القدس ـ الذي في صراعه مع الروح المخربة مجسداً تماماً ـ طور إلى درجة لم يسبقها مثيل مفاهيم الصدق، واستقامة الرأي والملكوت، والكمال، والخلود، التي كان يتخيلها، ليس كمجرد أفكار مجردة بل كجزء من الشخصية الربانية نفسها، كوظائف متوسطة بين الرب والإنسان، وكصفات بإمكان الإنسان أن ينالها بنفسه من خلال العقل السليم الذي ينوره الرب به.

ومن الإصلاحات العقائدية الاقتصادية: منعه عن ذبح البقر وأيّ حيوان للقربان. ويكتب دومزيل[1]، في مقال له في كتاب «تمدن ايرانى» يقول:

«إن إصلاحات زرادشت كانت تامة وكاملة، أنه لم يكن يأتي بطريقة جديدة للبناء الاجتماعي، إلا أن الجانب الاقتصادي لإصلاحاته كان قوياً جداً» ويزعم عامة المحققين أن إصلاحات زرادشت تحققت حينما بدأت الأقوام الآرية تنتقل من حالة البداوة الصحراوية إلى الحضارة البلدية والقروية، وتبدل الرعي في المراتع الطبيعية العامة إلى الرعي في أراض تخص كل قبيلة، ولهذا فقد تقررت لديهم حرمة خاصة للثور والبقر، واهتموا في بنائهم البلدي والقروي الجديد بالسماد الحيواني، وحتى أنهم بالغوا في الاهتمام ببول البقر إلى درجة أن عدوه طاهراً بل مطهراً[2].

---

(١) دومزيل، المستشرق المتخصص في مسائل إيران.

(٢) بالفارسية: تاريخ تمدن إيرانى، بقلم جمع من المستشرقين، ص ٩٤ ترجمه: جواد محيى، وص ٨٩ بترجمه: الدكتور عيسى بهنام.

ويقول دومزيل أيضاً:

«حذف زرادشت قبل المسيح بألف أو ٦٠٠ سنة ذبح الحيوان للقربان، ومنع الناس من شرب المايع المسكر «سوما» الذي كانت له أهمية خاصة في دين الهنود القديم ولدى الإيرانيين أيضاً. وكانت العبادة لديه هي: الفكر الخيّر والقول الخيّر والعمل الخيّر، وكان هذا هو العامل النشيط الذي كان يشرك الإنسان في الحرب الأبدية بين الخير والشر. وكان يقول: كيف يمكن لمشروب مسكر وسخ أن يمد لخير في معترك الحياة؟! أو يقول: أليس الأحسن أن يعمل ثور الفلاح القروي في الأعمال النافعة في المزارع عوضاً عن أن يقدم قرباناً لرب غير جسم لا يحتاج إلى الطعام؟!»

إن شراباً سوماً أو هوم الذي شجبه زرادشت بشدة عبارة عن عصير مسكر لنوع من النبات لم يعلم بوضوح أي نوع كان هذا النبات، الذي كان الإيرانيون القدماء يستعملونه في بعض طقوسهم ومناسكهم الدينية...

يقول الدكتور معين:

إن الفدية كانت في نظر الآرى القديم بحكم ضيافة تهّيأ لضيوف أعزاء، والآلهة تقبل دعوة أحبائها، وكما يقوى الإنسان بطعامه كذلك تقوى الآلهة بهذه[1]، الضيافة، وإن هذا الأثر يوجد بقوّة في عصير نبات «سومه» أو «هومه» المقدس الذي يفرح الروح ويبهجها... إن هذا النبات الجبلي «سومه» له ساق لطيف وله عصير أبيض بلون اللبن، ويدعى في كتب الطب العربية القديمة بهوم المجوس... أنهم كانوا يغلون عصير هذا النبات إلى أن يتلوّن، وكان شرب هذا المايع عند تقديم القربان من أقدم وأعظم طقوس العبادة الآرية. إنهم كانوا يصبون من هذا الشراب على النار، فكانت الكحول الموجودة فيه توجب اشتعالاً شديداً للنار. وكان رجال الدين أيضاً حينما يريدون إجراء بعض طقوس العبادة يشربون منه ما يكتفون

(١) بالفارسية، دكتر معين، تمدن إيراني - ص ٨٦ - ٨٧.

به. لم يكن هذا النبات محترماً ومقدساً فقط بل إن من غريب العقائد الآرية أنهم كانوا يزعمون له درجة من الربوبية والألوهية[1].

أما زرادشت فإنه نسخ هذه الخرافة.. ولكنها أعيدت مرة أخرى في العهد الساساني، بل أصبحت جزءاً من السنن الزرادشتية! فقد جاء في الأفستا الساساني في البند الثامن من يسنا العاشر: «هوم يشت»:

«نعم إن سائر المسكرات يعقبها غضب السلاح الدموي، إلّا «هوم» فإنه يعقبه سكر صادق. إنّ سكر هوم يخفف أولئك الذين يلاطفونه كطفل صغير وإنّ هوم يهيىء نفسه ليكون بلسماً لأجسامهم».

(يسنا - بند ٨)

وكتب جان ناس في كتابه «تاريخ أديان» بترجمة الأستاذ علي أصغر حكمت إلى الفارسية يقول:

«إن الخير والصواب بنظر زرادشت أن يزرعوا الأرض وينبتوا الخضر والغلات، وأن يقتلعوا الأعشاب المضرة، وأن يعمروا بذلك الأرضي البائرة ويرووا الأرضي القاحلة، وأن يدجنوا الحيوانات النافعة ولا سيما البقرة التي تفيد للزراعة بالعطف والشفقة. والإنسان الخير هو الذي يبرأ من الكذب ويصدق دائماً، والإنسان الشر هو الذي يعمل على خلاف هذه الأمور ولا يحاول الزرع أبداً، فإن «أنغرامينو=الروح الشريرة عدوة للزراعة والفلاحة..»[2].

وكتب يقول: كان الزرادشتيون القدماء يقولون في مناجاتهم:

أنا أعادي الشيطان «ديو» وأعبد مزدا، أنا أتابع زرادشت رسول «يزدان» وعدو الشيطان «ديوان» أنا أثني على الأرواح المقدسة «امشاسپندى» وأعاهد الرب العليم أن أتعهد الخير والعمل الصالح، وأختار الصدق

---

(١) بالفارسية: مزديسنا وادب پارسى - ص ٤٩ - ٥٠.

(٢) بالفارسية: تاريخ أديان، جان ناس، ترجمه: على اصغر حكمت - ٤٧٢ و٤٧٣.

والحق، وأتّبع ببركة ليزد خير الأعمال، وأن أكون رؤوفاً بالبقر الذي هو من العطاء الخير لمزدا، وأن أحترم قانون العدل وأنوار الفلك والفضاء التي هي منابع الفيض اليزداني. أنا أختار ملاك «ارمی تی = سهندار مذ» الطاهر الخير وآمل أن يكون هولي أيضاً، وأعاهد أن أحاذر السرقة والفساد واذى الحيوان وإهلاك المدن والقرى منازل عباد يزدان..

يا أهورا، يا خالق الكون، أري نفسك ولأني مؤمنٌ بك، أسألك أن تحبني أن النفس المطمئنة.

(جاتها ـ بند ١٢)

يا أهورا مزدا، القادر فوق كل شيء مع أرمئيتي (مظهر الإيمان والإيثار) والأشا (مظهر الصدق والصواب) ووهومن (مظهرالتفكير السليم والمحبة) أقدّسك.

(جاتها ـ بند ١١)

الإنسان وكل الموجودات والمخلوقات حتى القمر والنجوم يسبحونك ويقدسونك.

(يسنا ٥٠ ـ بيند ١١)

أتوسل إليك أيها الحكيم مع الحق، أن تعلن هدف مشيئتك، كي يمكننا أن نقرر الصواب، ونلقنها لضمائرنا المكرسة لك... أيها الرب.

(يسنا ٤٩ بند ٧)

أتوسل إليك، أيها الرب الحكيم، أن تمنح (وراسواستر ا) تواصلاً حلواً مع الحق. ولي أيضاً في ملكوتك، دعنا نكن محبوبيك إلى الأبد.

(يسنا ٤٩ بند ٨)

القـــرارات الدينية عند الزرادشتيين

أقدم القرارات الدينية عند الزرادشتيين كما جاءت في اليسناء ١١ و١٢ يسمى (نائيمي ديوً) = أنا منكر لأهريمن (ديو).

(فرورانه مزديسنو زرتوشتريش ديدارو واهورتكيشو)

أنا انتخب، الديانة الزرادشتية، حيث إن هذه الديانة تنگر اهريمن وتعلم التوحيد (اهورايي مزدايي ونكهوته ئية) وتقدّس أهورا مزدا هو صاحب كل الحسنات، (ويسبا وهو ...يشهمي أشا أنّه ريوه تو خره ننكهتو)

أهورا مزدا هو خالق كلّ شيء وهو خالق الكون وأحسن الخالقين، الرب الحكيم، هو أفضل من يتذكر الخطط التي نفّذها في الماضي الآلهة المزيفة والبشر أو تلك التي سيقومون بها في المستقبل.

(يسنا ٥٠ ـ بند ١١)

الرب، الذي سيقرر ما كان وما سوف يكون هو، طبقاً لمشيئته، هو الذي كل العالم والكون موجود بوجوده، الصدق منه، والصواب منه.

وحينما الشخص يلتزم القرارات الدينية من بعده، لا يسرق، ولا يقتل، ولا يكّلم الناس بالقوة والإجبار، ولا يخرب بيوت الناس، ولا يضر الناس، يجلب الحرية والعيش الكريم للناس والوحوش في العالم، ولا يقتل أحداً، ولا يؤذي أحداً، ولا يقدس اهريمن، وهو بعيداً عن الكذب والأعمال السيئة، وفي كل الأيام فكره حسن، قوله حسن وعمله حسن، وبعيدُ عن الأفكار السيئة والأقوال السيئة والأعمال السيئة، ويعلّم الناس الأصول الديانة الزرادشتية، كما يقول قبلهم زرادشت إلى اسفنديار، كشتاسب، فرشوشتر وجاماسب.

القرارات الدينية الجديدة عند الزرادشتيون:

يقرؤها أصحاب الزرادشتية في أوقات الصلوة:

(مزده يسنو اهمي) ـ أنا أقدس أهورا مزدا

(مزديسنو زره توشتريش) هو أهورا مزدا عند الزرادشت

(أستويه هو متم منو) أقدس الفكر الحسن[1].

(آستويه هو ختم وجو) أقدس القول الحسن

(استويه هورشتم شيوتنم) أقدس العمل الحسن

(أستويه دئينام ونطهوئيهم مازديسنيم فرسبايوخذرام يبنداسني تشام خيت ودثام أشونيم) أقدس الديانة الزرادشتية، هذه الديانة ضد الحرب، وتعلّم الأخوية والسّلم والصواب.

- وفي الأفستا پتت أو رسالة التوبة عند الزرادشتيين:

أعتقد أن أهورا مزدا، هو خالق كل شيء، أعتقد بالديانة الزرادشتية، أعتقد بيوم القيامة ويوم الحساب، وأعتقد بالمرور على الصراط (پل چينوت = جسر چينوت) أعتقد بيوم الحساب والاستجواب والسؤال (سؤال في ثلاثة ليالي بعد الموت) وأعتقد بالثواب والعقاب، وأعتقد بالجنة والنار، وأعتقد بانتصار الحق (أهورا مزدا) وانكسار الباطل (اهريمن)

فى زمن الساسانيين كان الإيرانيون يتكلمون باللسان البهلوي وكانوا يكتبون القرارات الدينية بهذا اللسان، واليوم هكذا يعمل مؤبدان الزرادشتي.

- (زريشتا جيستا مزده داتيا أشونيا وثينا ونكهويا مازديسنوايش)

أصدق العلم، هو علمُ مزدايي، الديانة السليمة والصواب والصدق

إن الديانة الحق، الصالحة، الخيّرة التي أرسلها سيد المخلوقات هي تلك التي أرسى دعائمها زرادشت، إنها ديانة زرادشت وقال زرادشت: يا أيها الناس من ينتخب طريق الصدق والعمل الصالح، لا يخسر الدنيا والآخرة).

(يسنا ٣٠ بند ١١)

---

(١) يسنا ١٢ ـ ١٣.

قال زرادشت: يا أيها الناس، إذا تريدون أن تنقذوا أنفسكم من الأحداث والمصائب، استمعوا إليّ، واختارو طريق الصدق والصواب وحاربوا الكاذبين.

(يسنا ٢٩ بند ١١)

القـــوانين الأبدية الأشا (الصـــدق)

اشا، هو قانون الصدق والعدالة، وتعني العدالة في الفكر والقول والعمل، وفي رأي الزرادشتيين، كل الاعمال إذا كانت مع الأشا، تكون عمل الصدق والصواب. وإذا لم تكن القوانين مع العدالة والصدق، لم تكن لتسمّى قوانين.

أشا أيضاً يعني التكامل (ديناميسم)، إذا كان الفكر والقول والعمل تتناسق ويتوافق مع الأشا فإنّ العالم سوف تتقدم، وطبعاً إذا عمل الإنسان بهذه الطريقة هو سوف يجد السعادة، بينما في الأمشاسبندان (الملائكة الأهورايية) كانت درجة الأشا بعد العقل ولكن في الجاتها (كاثاها) تأتي رتبة أشا قبل العقل[١].

«دوشسن گويمن» يكتب في الكتاب.....[٢].

أهورا مزدا، العقل والصدق، هم التثليث الروحاني في الديانة الزرادشتية.

«زهنر يكتب في الكتاب...[٣].

الأشا يعني خلاصة الديانة الزرادشتية، أشا كما قانون العلة والمعلول، حيث يترتب طريق أهورا مزدا في الأخلاق والاجتماع والخلقة.

---

(١) الجاتها ـ يسنا ٢٧ بند ٧.

(٢) دوشسن گويمن ـ

(٣) R.C. Zaehner: The Dawn and Twilight of Zoroastrianism, p. 49.

أشا يشتمل على القوانين الطبيعية والقوانين الإلهية في الديانة الزرادشتية.

أشا يعني القانون الأزلي والأبدي والقوانين لا تختلف في العالم.

الله في المعنى يعني أشا، والأشا يعني المشيئة الإلهية.

وفي الجاتها (كاثاها): طلب عندهم أهورا مزدا والأشا يتساوون (يسنا ٢٨)

أهورا مزدا خلق العالم في التفكير وهومن، ويشكل في الوجدان دانا، هو ظاهرٌ في خلق سبنتامئينو، ويتحرك مع قانون الصدق (أشا) وحتى يتقدم إلى الحياة والتوافق.

(يسنا ٢٨ بند ١٥)

في فلسفة زرادشت، سبنتامئينو والأشا كانتا توأمين علائم الخلقة والتكامل.

الديانة الزرادشتية، دينُ التقدم والصدق إن أمله خلق العالم على الطريق الأشا[1].

ويعتقدون في الثقافة الهندية والإيرانية، إنّ الوجود النظم والقانون في الخلقة عندهم له جذر قديم. وفي إيران قبل الزرادشت تسمى هذا النظم (أرتا) وفي الهند يعني (رتا)[2].

وجاء في الجاتها: عمل زُرادشت قبل أن يُبعث كنبيّ يتطابق مع العمل الأشا. يعني كان تجسم الأشا في العالم. أو الأشا هوالمظهر للعدالة الأهورايية، إنه كان مشيئة الله[3].

الذين يعملون السيئات هم الخاسرون والذين يعملون الصالحات هم

---

(١) الجاتها ـ يسنا ٤٤ بندهاى ٤ و٥ و٧.
(٢) الجاتها ـ يسنا ٣١ بندهاى ٧ و٨، يسنا ٤٧، بند ٣.
(٣) يسنا ٤٤ بند ١٠.

الفائزون، هو الذي كان يعطي الناس، الحرية والاختيار، حتى ينتخبون طريقهم مع العقل.

إن الأفكار الصائبة، والأقوال الطيبة، والأعمال الصالحة، تجعل الإنسان مستقيماً: أشافان (Ashavan) ولا يتوصل إلى الصفاء إلا إذا هذّب بهذه الطريقة[1]، وفي فلسفة الزرادشتية، يوجد أصل الخير والشر، والناس يختارون ينتخب طريقهم ويرون أعمالهم في النهاية وهذا مفهوم الثواب والعقاب في الديانة الزرادشتية

وعلى هذ الأساس، إذا لم يكن للإنسان حرية العمل فإن الثواب والعقاب في يوم الحساب كان مخالفاً للعدالة الإلهية.

في الديانة الزرادشتية ليست القوانين جبريّة. وقال زرادشت في الجاتها: الذين طريقتهم بالصدق والصواب هم مسرورون بالعالم والذين طريقتهم السيئة والكذب لهم الندامة والآلام.

(يسنا ـ هات ٣٠ بند ٦)

في السنة الزرادشتية كل الناس يختارون مصيرهم في العالم وكلمة الاختيار مهمة كثيراً.

(جاتها ـ يسنا هات بند ٤٥)

وقال زرادشت: يا ربي الحكيم، يا أهو مزدا، اعطني القوة والقدرة وارحمني حتى أنشر الصدق والسرور والراحة على الناس.

(يسنا هات ٤٠ بند ١٤)

وقال زرادشت: أيها الرب الحكيم الأعظم، يا مصدر التقوى والحق، بكم يزدهر الأحياء ليشملني أيها العقل الخير والسيادة، لتشملني الرحمة عند حساب كل الناس.

(يسنا ٣٣ بند ١١)

---

(١) The Philosopy of Good Life" p. 41.

وقال الزرادشت: أيها الرب الكريم، يا أهورا مزدا، ما هي مشيئتك؟ وما هو أمرك؟ وما عبادتك وتسبيحك؟ أفصح أيها الحكيم لأننا نصلي، ما العطايا» التي سيخصصها «القدر» عندما يعلمنا «الحق» الدروب السالكه إلى العقل الخيّر.

(يسنـا ٣٣ بند ١١)

وقال زرادشت: يا خالق الكون، يا أيها العالم الأكبر، في كل الأوقات مع الفكر السليم وفؤادٍ منور في قربك وزيارتك. إلهي، أيها الرب الحكيم أعطني الثواب وللمؤمنين في الدنيا والآخرة.

(يسنا ٢٨ بند ٢)

وقال زرادشت: أيها الرب الحكيم، يا خالق الكون، أيها الأشا، أيها الوهومن، يا مظهر الصدق والصواب والفكر الحسن يصاعدك لأصحابك.

(يسنـا ٢٨ بند ٣)

وقال زرادشت: يا أهورا مزدا، أيها الرب الكريم، أتمنى مع الأشا والوهومن والخشترى، لا يفنى (الله مظهر القدرة والإرادة) كثر قدرة الإيمان والإيثار في قلبهم أيها الرب الحكيم، ندعوكم حتى يستجيبوا.

(يسنا هات ٢٨ بند ٤)

أيها الرب الكريم، اكشف لي عما عينته لي كحق، بعده الأفضل، كي يمكنني الالتصاق به، من حيث يأتي إلهامي، الذي يجعلني أتعلم من العقل الخير، لتذّكرني، ما سيكون، وما لن يكون.

(جاتها ـ ترانيم ٣١ بند ٦)

أيها الرب الحكيم، تعطي لنا... المأوى الطيب والقوة والدوام، هي تكريس العقل الخير، لأجلها جعل الرب كحكيم وحق.... النباتات تنمو عند ميلاد الوجود الأول.

(جاتها ـ ترانيم ٤٨ ـ بند ٦)

انحطاط الزرادشتية الشائعة وسقوطها

اتّحد الساسانيون منذ بداية عهدهم مع رجال الدين الزرادشتيين وقد استمرت الصلات الوثيقة بين الدولة والدين طوال العهد الساساني.

أمر أردشير الأول كما تقول الروايات الفارسية[١]، بعد أن ولى عرش إيران الهربدان هربد تنسر بجمع النصوص المبشرة من الأفستا الأشكانية وبكتابة نص واحد منها، ثم أجيز هذا النص واعتبر كتاباً مقدساً[٢]، ثم جاء شابورالأول ابن أردشير وخليفته فأدخل في هذه المجموعة من الكتب المقدسة النصوص التي لا تتعلق بالدين والتي تبحث في الطب والنجوم وما وراء الطبيعة والتي كانت موجودة في الهند واليونان وغيرها من البلاد. والذي لا شك فيه أن هذه الرواية على هذه الصورة غير دقيقة فإن هذه الكتب ترجع إلى مختارات من كتب ألفها علماء إيران وقد ظهر فيها في الواقع تأثير المدنية الإغريقية. أما الأثر الهندي الذي يبدو فيها فيرجع إلى زمن أحدث.

وقد أمر شابور بوضع نسخة من الأفستا التي حررها تنسر في بيت نار آذر گشسپ في شيز[٣]، وأضيفت إليها الزيادات الجديدة. ولكن الخلافات الدينية ظلت مستمرة. فأمر شابور الثاني، لكي يضع لهذه الخلافات حداً، بعقد مجمع مقدّس يرأسه المؤبدان مؤبد «آذربد مهر سبندان» الذي حدد نهائياً نص الأفستا وقسّمها إلى واحد وعشرين كتاباً (نسك) على عدد كلمات الصلاة المقدسة (يتا آهو ويرو) وتقول الرواية أن آذربد أثبت قداسة هذا النص فيما يحكي بأن أدى الابتهال بالنار (وهو صب المعدن المذاب على صدر المبتهل).

والأفستا الساسانية، التي لم يبق منها اليوم غير الأقلية، والتي لدينا

---

(١) وهناك روايتان مهمتان فى الكتابين الثالث والرابع من الدينكرد.
(٢) الدينكرد، الكتاب الثالث، نشر پشوتان سنجانا، المجلد التاسع، ص ـ ٤٥٠.
(٣) شيزگان: أي جنزگ فى اقليم شيز آذربائيجان.

مختصر منها في الكتابين الثامن والتاسع من الدينكرد، جمع النصوص الخاصة بهلوية ترجع إلى القرن التاسع لم تكن مقتصرة على النصوص الخاصة بالعبادات فحسب بل كانت في الوقت نفسه نوعاً من دائرة معارف تحوي العلوم كلها[١]. فعلوم المبدأ والمعاد وأساطير الأولين والنجوم وعلم التكوين والعلوم الطبيعية والتشريح والحكمة العلمية للعهد الساساني، كلها مقتبسة من الواحد والعشرين نسكاً التي تنقسم إليها الأفستا. ويتساءل المؤرخ لماذا اختفى أكبر جزء من الأفستا الساسانية أيام الإسلام.

أثناء تطور الديانة الزرادشتية قبل العصر الأخميني وخلاله، رأينا أن رسالة الرسول قد أصبحت مزيفة بشكل متزايد، وربما كان ذلك بسبب ضغوط سياسية، ومع ذلك مهما تكن آراء داريوس الدينية قد اقتربت من آراء الرسول ومهما كان خسرو متحمساً في قمعه لعبادة آلهة الديفاس، لم يعد يذكر أي منها في التعاليم الزرادشتية الأخيرة، ولم يذكر أيضاً أردشير الأول الذي أدخل تقويماً زرادشتياً، ويمكن أن يعني هذا بالتأكيد أن المصلحين الزرادشتيين لم يلتفتوا بأفكارهم نحو الأسرة الأخمينية الحاكمة، بل تذكروا أسماء الملوك القدماء فحسب، وتحدثوا عن داريوس فقط، الذي من المحتمل أنهم قصدوا به داريوش الثالث، الذي يقال أنه أمر بتدوين كتاب الأفستا بأكمله، الزند، كما كان زرادشت قد تلقاهما من أهورا مزدا، وأن يحفظ أحدهما في الخزينة الملكية، والآخر في السجلات الوطنية[٢]، ويمكن تفسير الجهل الكامل بأن الإمبراطورية العظيمة قد أصبحت من نصيب عرق استبدادي يتحكم بها، هو الذي أظهره علماء اللاهوت في الإمبراطورية الأخيرة وهو يعني فقط بأن المحافظين التقليديين، لم يقدّروا أبداً العصر الأخميني، بأنه كان عصراً رائعاً بشكل خاص بالنسبة للديانة الزرادشتية، ولا بدّ أنه كان يعّد عصر انحلال وتسويات، أصبحت فيه رسالة الرسول غامضة، حيث اختلط الدين الصالح

---

(١) الدينكرد، ص ـ ٤١ ـ ٤٢.

(٢) الدينكرد ٩ و١٢ ص ٨٤ ـ ٨٥.

مع كثير مما لم يكن جيداً، وهكذا بينما جرى تذكر الملك وشتاسب، الذي أيدّ زرادشت وجميع أتباعه، نسيت تماماً الأمجاد الأعظم بكثير للأسرة الأخمينية، هذه الأسرة وإن كان ملوكها زرادشتيوّن، إلّا أنّ زرادشتية تُتهم بأنها لم تكن من نوع أعجب خلفاءهم، وتوضع كراهية الزرادشتي المتأخرين وميولهم نحو شرك الياشت، الذي عانى فيه المولى الحكيم الذّل حيث توجّب عليه أن يعبد آلهة أخرى، وأن يكون غير قادر على المحافظة على إنجازه الشخصي دون المساعدة القوية من الأرواح الخارجية للناس، وتوضح بحقيقة أنه لم تبق أية ترجمة بهلوية للياشت على قيد الحياة، ولم يكن هذا التعظيم المفرط لأرواح مخلوقة يُعدّ متوافقاً مع عظمة الرب، وكان يسمح بهدوء للياشت، مع الاستثناء البارز لذلك الياشت الموجه سرواشا Sraoshā وهوما ـ بأن يتلاشي، وانحدرت الزرادشتية ـ التي كانت تعد الديانة الوحيدة في ذلك الوقت التي أنتجها العرق الآري ـ خلال مدة الأفستا الأخير مباشرة تقريباً وتحولت إلى ديانة ذات طبيعية شبه صافية وبسيطة، ولم تجدّد لا بشيء ممّا كان يقترب من شكلها الأصلي، بالحماية الملكية لأسرة فارسية حاكمة، وبشكل واعٍ لذاتها، والتي سعت لفرض الوحدة على أمبراطوريتها المتعددة العناصر عرقياً وذلك من خلال الانتظام الديني(١).

وكانت الديانة الزرادشتية، من بين جميع الديانات العالمية العظيمة، هي الديانة التي تمت خدمتها بالحدّ الأدنى، ويملك زرادشت نفسه كل الحقوق للّقب الذي طالب به، لقد كان رسولاً، ويستحق ادعاءه أن يكون كذلك وأن يؤخذ بجدية مثل ادعاء موسى بن عمران ومحمد بن عبدالله، إلّا أنّ خلفاءه لم يفهموا رسالته بشكل كامل أبداً ولم تكن لديهم نواميس حية وموثوقة لترشدهم، ويبدو أنهم انغمسوا خلال العصر الأخميني وبعده في تحررية ولا تفريقية كانت متضاربة تماماً مع روح الرسول، في حين أنهم

---

(١) ارتور گريستين سن، إيران فى عهد الساسانيين، ترجمه يحيى الخشاب، ص١٦٥.

ذهبوا إلى الحدّ المتطرف في العصر الساساني، وحاولوا فرض عقيدة تقليدية محافظة صارمة لم يستطع أن يتحملها إلا عدد قليل وعلاوة على ذلك، لقد فسرو رسالة الرسول وفق المذهب الثنوي، وكان لترانيم الزرادشت تأثير فعلي على الرغم من جهلنا النسبي للغة التي كتبت فيها، وعلى الرغم من صعوبة التفكير الخاص للرسول، كان لها رسالة عاجلة ومباشرة لتنقلها، إنها حية من الناحية الروحية ولكتاب الأفستا الأخير وخاصة الياشت لحظات لها عذوبتها وجمالها، لكن من دون فتنة ولا إرهاب، بينما لا يظهر الويديودات الذي هو الإنتاج الأخير لعصر الأفستا، أية حياة روحية على الإطلاق، بل ثنوية متزمته عقيمة كانت فقط سترهق صبر حتى أكثر الناس سذاجة لو أنها طبقت، وأما نتاجات العصر الساساني وما بعد العصر الساساني فهي أفضل قليلاً، فهي لا تثير ولا ترضى[1].

لا ينكر أحد من المؤرخين والمحققين أن عقائد آريا اتجهت بعد زرادشت ولا سيما في العهد الساساني ـ الذي نبحث فيه ـ إلى التردي والانحطاط، وأن الجوانب العالية والجميلة من تعاليم زرادشت تبدّلت إلى أفكار منحطة، وتعلقت بدين زرادشت في العهد الساساني آلاف الخرافات. ولامجادلُ أحد في هذا، بل يعترف به الجميع.

كتب «دومزيل» المستشرق المتخصص فى مسائل إيران تحت عنوان «رفورم زرتشت» يقول:

«الحق أن أفكار وتعاليم زرادشت كانت متطورة وشجاعة، إلا أن دينه ابتلى بعده بمصير سائر الأديان والمذاهب وبوضوح نقول: إن تعاليم الأستاذ زرادشت تغيّرت بتأثير من سنن الكون وحاجات الحياة وميول المؤمنين، فتبدل التوحيد[2] بنوع من الشرك والثنوية، وأصبح اسم الملائكة المقربين يقترن بالرب الأكبر، وأضيفت إلى مناسك القربان طقوس عجيبة،

---

(١) المسعودي، مروج الذهب، مجلد ٤، ص ٧٦ ـ ٧٧.

(٢) بالفارسية: تاريخ تمدن إيراني، جمع من المستشرقين ص ٩٤ ترجمه: محبي.

واستبدلت الأخلاق بمحاورات الروحية «وكتب المستشرق پ. ژ. دومناشه يقول:

«إنّ الدين الخرافي والقصصي الأسطوري القديم أظهره مرة اخرى على الرغم من إصلاحات زرادشت الأساسية، بل ظهر وهو يدعي أن زرادشت كان منه ومن أتباعه؛ وألحق «جاتها = النشيد الديني الزرادشتي» بالطقوس المتعلقة بـ «هئومة» مع ما كان بينها من تضاد وتنافر وتغاير، وهكذا اصطف الرب الأكبر «أهورا مزدا» مع الأرباب الخالدة ـ التي كان دين مزدا قد طردها ـ فی صف ربوبي واحد»[1].

ويعترف پورداود بالفرق الفاحش بين الأفستا العهد الساساني مع الأفستا الأصل وأن الأفستا الساساني كان قد جدد التعاليم الخرافية السابقة على زرادشت. . .يدعون:

يجب علينا أن نفتش عن دين زرادشت الحق والأصيل في الجاتها إذا تصرف الناس بعد زرادشت بدينه حتى بعد دين زرادشت في العهد الساساني عن مبدئه كثيراً أن الجاتها الذي يستند إليه الأستاذ پورداود، هو قسم من «يسنا» وهو جزء من خمسة أجزاء من الأفستا العهد الساساني، وهو من حيث نسبته التاريخية إلى زرادشت أقوى أقسام الأفستا اعتباراً، فإن لدى المحققين قرائن كثيرة تدل على أن «جاتها» وهو نشيد شعر للمناجات ـ إنما هو نشيد زرادشت، وهو أيضاً أقرب أقسام الأفستا إلى العقول، فليس فيه ما في السائر الأقسام من الخرافات وعلى هذا يستند من يرى أن زرادشت كان موحّداً ويرى أن سائر الأقسام الأفستا ملحقات غير الأصيلة وعلى أي حال، فلا شك في أن دين زرادشت اتجه إلى الانحطاط بعد زرادشت ولا سيما في العهد الساساني، سواء من حيث أصول العقائد أو من حيث الأحكام والمقررات. وأي دليل أدل على هذا من أن «أهورا

(١) بالفارسية: تمدن إيراني، ترجمة، دكتر بهنام، ص ١٤٤.

مزدا» وجد نفسه في الأدوار التالية الزرادشت شمائلاً وأشكالاً ووجدت تماثيلة في كل مكان[1].

وسبق أن نقلنا شيئاً مما ينسب إليه مما يفهم أنه كان يقول بتجرد الرب ولا جسميته ولذلك فهو ينهي عن القربان ويقول: «إن الرب ليس جسماً حتى يحتاج إلى الغذاء»[2]. بينما نرى أن للرب في العهد الساساني شمائلاً وأشكالاً ولحيةً وعصاً ورداءً، إن النقوش التي بقيت لنا من العهد الساساني في «نقش رجب» و«نقش رستم» و«نقش طاق بستان» نرى فيها أن أهورا مزدا يهب تاج الملوكية إلى أردشير أو شاهبور أو خسرو، أن النقوش ترينا كيف أن المؤابدة الساسانيين كانوا قد صنعوا من أهورا مزدا صنماً أو وثناً يعبد، بعد أن كان قد تجرد في فكر زرادشت. وكان لسقوط الأسرة الحاكمة، على المدى الطويل، تأثيراً أكثر استمرار ـ على أقدار إيران أعظم مما كان لسقوط الأسرة الأخمينية بكثير، حيث لم تحطّم الزرادشتية كقوة دينيّة فحسب، بل دمرها هذا السقوط كنفوذ ثقافي حيث أدى الفتح الإسلامي إلى إعادة ظهور ثقافة من خرائب الهزيمة لم تكن زرادشتية على الإطلاق، بل ثقافة إسلامية في المحتوى تماماً، كانت ستجعل إيران لأول مرة سلطة ثقافية وسياسية أيضاً، ذات أهمية من الدرجة الأولى، ولم ينجح الإسلام في إيران لأنه كان دين الفاتح بل نجح لأن الديانة الزرادشتية كانت قد امتحنت في شكلها المصلح وفي شكلها الشائع أيضاً ووجدت أنها غير كفؤة، ولكن لا ينقص كل هذا ذرة واحدة من منزله الرسول الإيراني نفسه، الذي سيبقى واحداً من أعظم العباقرة الدينين طوال الأيام ويظهر السقوط الساساني أيضاً كيف تستطيع التقلبات السياسية أن تنتزع الحياة حتى من ديانة عظيمة، مع رسالة أساسية للإنسان، وتحولها إلى شي ء ما مختلف تماماً عما كان المؤسس قد اراده، ويجب القول

(١) إبراهيم پورداود، الجاتها، يسنا هات ٣٨.
(٢) سورة الحج: الآية، ٣٦.

أيضاً أن الزرادشتية كانت تفتقر إلى ما كانت جميع الديانات قد حصلت عليه، أي إلى نواميس حية ومستمرة لا بدّ أنه قد أصبح واضحاً بشكل مؤسف للمصلحين، عندما تم تجديد الديانة بإشراف الساسانيين، أنهم لم يستطيعوا أن ينجزوا بالفعل شيئاً من نصوصهم المقدسة، وتوجب عليهم لاعتماد على تخمين صرف أكثر مما يتوجب على العالم الحديث أن يفعل، فمن المستحيل إحياء الديانة بعد ما سمح لنا بيع الوحي الأصلي بالجفاف، وبعد ما باتت اللغة المقدسة نفسها، قد أصبحت مقدسة جداً إلى حدّ أنها لم تعد تفهم من قبل الذين عينوا أنفسهم أنهم مفسروها بصورة رسمية[1]. ونستطيع أن نتبيّن الخلاف بين الزرادشتية كما تصورتها الأفستا الحالية والآداب البهلوية الدينية التي سطرت بعد الساسانيين من ناحية، والزرادشتية الساسانية التي تدلنا عليها المصادر غير الإيرانية، فإن أساس العقيدة الزرادشتية، في أواخر عهد الساسانيين، كان قد زلزل وانتهى، وكان الانهيار مروعاً. وفي الوقت الذي أدّى فيه الفتح الإسلامي إلى أن فقدت الزرادشتية عون السلطان وأدرك رجال هذا الدين أن لا بدّ من مجهود عظيم لمنع هذا التحلل الكامل، وقد بذل هذا المجهود فعلاً[2].

الشـــريعـــة الـــزرادشتيـــة

المجتمع الزرادشتي ينقسم إلى طبقات ثلاث يكوّن الأولى رجال الدين وهم الذين تقوم عليهم الدولة، فهم الذين أقاموا الأسس التي بُني عليها المجتمع وهم الذين يقومون بوظيفة القضاء ـ ويكوّن الثانية المحاربون وهم الذين يذودون عن الوطن ـ ويكوّن الثالثة المجموعة التي يتألف منها الشعب وهم الحراثون.

إن الوطن الناهض مجموعة من الأسرى وأن على المؤمنين تكوين

---

(١) بالفارسية: قارن آذر، مينو خرد، ١٦ و٤٩ ـ ٦٣.

(٢) دينكرد (٩)، ٧ ـ ١١ (نسك سوذكر).

الأسرة. . . إن دين «مزدا» ينهى عن الفحشاء ولذلك فالرباط العائلي، عن طريق الزواج، جزء من أوامر الدين وإن المكان الوحيد الذي تبلغ فيه الدنيا أقصى سعادتها هو «البيت» ومن شفاه المبشرين انطلق الصوت يقول، إن زرادشت قد سأل ربه عن المكان الذي تبلغ فيه الدنيا أقصى سعادتها فأجابه[1] «إنه البيت الذي يضم زوجة صالحة ويمرح فيه أطفال وتزداد فيه التقوي.

إنه البيت الذي تتناسل فيه الماشية ويكثر فيه غذاء الحيوان ويكون الكلب فيه سعيداً»[2].

صورة قريرة للبيت المستقر الهاني والسعيد. راحت شفاه المبشرين تطبعها على قماش كل مخيلة وتستثير بها الحنين في كل قلب إلى المكان الذي تبلغ فيه الدنيا أقصى سعادتها حتى تستقر الأسرة ويستقر باستقرارها هذا الوطن، فمن العناية بالأسرة امتد الإصلاح الزرادشتي في رحمة شملت العناية بالحيوانات النافعة ومن علامات هذه الرحمة أن نرى أن للطب البيطري في الـ «أفستا» نصيباً كبيراً. . .[3].

أجل. . . إلى سائر الطبقات المجتمع اتّجه صوت المبشّرين معلّماً شريعة تنحصر في الفضيلة، اتجاهه إلى كل فرد من أفراد هذا المجتمع له يعّلم أن شريعة مزدا شريعة يسرة غير عسرة فهي شريعة لا تكلفك بمادي التكاليف ولا تطلب منك تقديمات ولا محرقات ولا قرابين. . . لا تطلب منك إلا نفسك! . . . ولا تطلب من نفسك إلا نقاء الفكر والعمل!

إن نقاء الفكر والعمل خير تقدمة تقدمها «للخير» وإشعال النفس منك بلهب الحبّ الإلهي خير محرقة تستطيع أن ترفعها إلى الإله الخير[4].

---

(١) بندهش، ص، ٦٠ حتي ٦٣.
(٢) زادسبرم، ص، ١٦ تا ٢١.
(٣) زادسبرم، ص، ٤٤ حتي ٥١.
(٤) بندهش ٣٩ حتى ٤٧.

كلا . . . لا تكلفك شريعة «مزدا» بتكاليف ماديّة فلا تفرض عليك طقوساً ولا تلزمك بشعائر تؤديها وأنت من «نقاء الفكر والعمل» خالي الوفاض، بل إن شريعة مزدا تلقي عن كاهلك ثقل وأثقال هذه التكاليف ومما قد قيدك به الدين القديم تفك عنك هذه القيود لتربط بينك وبين الخير برباط الخير، فلا تطلب منك ولا تكلفك ولا تلزمك إلا بشيء واحد هو، أن تشعل نور الخير في داخلك.

من ثم فتذكر، تذكر وأنت ترفع ناظريك إلى القبّة النورية في لمحات الشفق وخفقات الغسق وأنت تشعل النار ليلاً تذكره لك بنوره المحتجب أن عليك فريضة واحدة هي أن تحرص طيلة يومك، نهاراً وليلاً على أن تظل في داخلك منيرة جذوة الخير[1].

هذه هي العبادة التي يطلبها منك مزدا، فليس إلا بإقامتك في قلبك للخير صرحاً تقيم لمزدا دين شريعته تنحصر في نقاء الفكر والعمل. . . .

عن طريق نقاء الفكر والعمل يطلب منك مزدا الاتجاه بالعبادة إليه وليس إلا عن هذا الطريق يطلب منك مزدا إليه الاتجاه، فعنك قد ألقي مزدا القيود المادية التي قد قيدك بها الدين القديم القاء أبي به أن يقيدك في الصلاة إليه بصلاة ظاهرية. . عنك يلقي مزدا كل القيود حتى إنه يلقي عنك قيد الصوم فلا يكلفك دينه الصوم بل عليك يحرم الصوم[2].

أجل كالبودها، في هذه النقطة، كان زرادشت، ومنهما قد تساوت في هذا المضار النظرة فكلاهما قد رأى فيما يأتي به الصوم من أرهاق للجسد تعطيلاً لعمل العقل وعلى العقل إنما تقوم ديانتاهما فإذا كانت البوذية دين ترفع نفسي وعمل في حقل الحسنات فإن مثلها الزرادشتية دين كفاح نفسي وعمل روحي ونظام دنيوي لا يتطلب إلا عمل العقل، وعمل العقل على صحة البدن يعتمد.

---

(١) بالفارسية: زاتسبرم، القسم ١٨ ص ٣٥.

(٢) بالفارسية: ، زاتسبرم، ص، ٧٧ حتي ٧٨.

لهذا السبب، حرّم زرادشت الصوم على الزرادشتيين فزرادشت نفسه الذي اتخذ التعليم والطب النفساني لا السيف والقتال وسيلة لهداية الناس شأن كل مصلح صادق وذي رسالة روحية صادقة وكان لعلل النفس طبيباً إنما كان أيضاً لعلل الجسد طبيباً فنفسه كان زرادشت طبيباً وإلى طب الجسد امتد إصلاحه وشريعته تنص على الشروط التي ينبغي أن تتوفر في طبيب الجسد فهي تنص على أن على طبيب الجسد أن يعرف تشريح أعضاء الجسم وألا يزاول العلاج إلا بعد معرفة تامّة بأنواع الأدوية وأسماء الأعشاب المختلفة وخصائصها وأن يحرم من ممارسة الطب إذا عالج ثلاثة أشخاص فماتوا[١].

لا غرو من ثم إن يكون للطب الزرادشتي أثر كبير في ازدهار علوم الطب في إيران واشتهار هذه الهضبة بهذا النوع من العلم وأن يمتد هذا التاريخ على مدى الزمن حتى كانت مدرسة جند يسابور مَن أهم مدارس الطّب قبل الإسلام وظلت كذلك إلى القرون الإسلامية الأولى...

أجل... إلى سائر طبقات المجتمع وإلى فرد في هذه الأسرة العالمية الكبرى اتجة الصوت الزرادشتي من خلال أفواه المبشرين يعلم شريعة عملية تنحصر مبادئها في الائتمار بمكارم الأخلاق وليتجه هذا الصوت من أفواه المبشرين إلى هذه المجموعة الكبيرة التي تتألف منها غالبية الشعب يدعوها إلى وضع دعائم الأسرة على أسس قوية من قواعد الأخلاق ويضع بينه وبين الفراغ سدوداً ويحول بينها وبين ما يتأتي عن الفراغ من شرور لذلك فهو يحثّها على السعى والعمل، ولما كان أهم عمل هذه الطبقة، طبقة الحراثين، هو الزراعة فإلى الزراعة نظر زرادشت على أنها العامل الأول لنهضة الأمة لأنها توّفر للأمة قوتها... وتقيها في سنين الجفاف، شر القحط والقحط؟ القحط باعث على إثارة شهوات الغزو في النفس

---

(١) بالفارسية: زانسبرم، القسم ٢٦، ص، ٩٢ ـ ٩٣.

وباعت على الحروب ومن ثم كانت الزراعة عامة من أهم النواحي التي دعا زرادشت أتباعه إلى النهوض بها منادياً[1].

«أيها الناس أفيقوا وانهضوا، وسبحّوا بخير التقوى، واطردوا الشياطين وإلا فإن الكسل، الممدود اليدين، الذي يثبّط همم الناس كلها يعود فينقضّ عليكم».

(يسنا ٤٤ بند ١٣)

ومن ثم فانطلاق أصوات المبشرين تُعلم هذه الطبقة من المجتمع، أنّ زرادشت قد سأل ربه عن خير الطرق لإعلاء كلمة دين مزدا فأجابه.

«إنّها زراعة القمح فمن يزرع القمح يزرع الاستقامة ويعين دين مزدا»

فإنّه «حين تبذر حبوب القمح تذعر الشياطين.. وحين تنبت تضطرب وتمرض.. وحين ترى سيقانها تبكي.. وحين ترى سنابلها تدير ظهرها» من «الأفستا» في الزراعة وجد زرادشت أهم سلاح لمحاربة هوى الجماعات أولاً والقضاء بالتالي على شهوة الغزو وعلى البطالة مولدة الشهوة والعار وكلاهما مولّد الدمار فهو قد دعا إلى العمل لفلاحة الأرض وزرعها محرّماً على المؤمن قطع شجرة ما لم يغرس شجرتين قبل أن يمد يده بالقطع ومن ثم حرمت الشريعة الزرادشتية على المؤمن[2]، إهمال الأرض وفرضت عليه إصلاحها فريضة أتت بأثرها الذي نراه فيما بعد، في قانون أردشير فمن نصوص هذا القانون أنّه كانت تنزع ملكية الأرض البور التي لم يفلحها صاحبها وتعطي لمن يقدر على اصطلاحها وزرعها..

هذه هي أهم مبادىء الشريعة الزرادشتية، الشريعة العملية لرسالة روحية صادقة عملت على الحق الصحيح والوضع الجدير بالرسالات الروحية الصادقة فهي رسالة لم تنشر دينها وشريعتها وتعاليمها إلّا عن طريق

---

(١) بالفارسية: البندهش، ص ٤٧ حتي ٥٠.

(٢) بالفارسية: زاتسبرم، ص ٤٤ حتي ٥٧.

المعرفة وبوسيلة التعليم وهذا ما يميّز الدعوات الروحية فليست الدعوات الروحية في حاجة إلى سيف واستعباد وإذلال الأعناق.

إن الرسالة الزرادشتية لك تقول:

إن الكون ساحة عليها الخير والشر في صراع دائم.. في نفس الإنسان أن يحارب في هذه الميادين الثلاث والنصر بجانبه إذا بدأ بنفسه.. إن جهاد النفس أشق الجهاد.

بهذا المزج الفلسفي الأخلاقي المغلب للخير على الشر أصبح تعميم الخير هو الهدف وأصبحت إبادة الشر هي الغاية من إصابة الهدف ولإصابة هذا الهدف راحت أرجاء هذه الهضبة تُردد عن زرادشت نداءه الذي رجّ أرجاء هذه الهضبة غداة اتجه إلى الإنسان يناديه[1].

يا أيها الإنسان، أعمل الخير ولا تنتظر عليه الجزاء فإن الخير يحمل جزاءه في نفسه. ألا ترى أن الحياة إنما هي ساحة في فسحتها يأخذ كل من القصاص والجزاء مكانه علي الأرض قبل فيما بعد.

(يسنا ٣٤ بند ١٠)

من ثم يا أيها الإنسان استأصل عامل الشر من نفسك ونمّ في نفسك بذرة الخير وإنك بين العاملين حر الأختيار.

(يسنا هات ٣٠ بند ٣)

بين العاملين أنت، يا أيها الإنسان حرّ الاختيار فقد جعل لك خالقك عقلاً وأعطاك القلم بيدك وعلّمك به ما لم تكن تعلم وتركك تسطّر في لوحه ما تريد بعد أن بيّن لك طرق الخير وأمرك باتباعها وبيّن لك طرق الشر وأمرك بمقاومتها عن طريق هذا العقل الذي أعطاك إياه وهذا الضمير الذي أودعه فيك.

(يسنا هات ٣٠ بند ٢)

---

(١) الجاتها، يسنا ٣٠ بند ٧ و٨.

هو نداء إليه أصغى المسمع البشري على هذه الهضبة وما استوعبه منه التفكير حتى راح الوجدان البشري، لإصابة هذا الهدف يسعى..

بيد إنّه عند هذه النقطة، القائلة بحرّيّة الاختيار التي لا يكلّ بها زرادشت أمر الهداية والضلال إلى الإله تارة وتارة إلى مشيئة الإنسان وإنما يلتزم مبدأ واحداً يقول بحرية الاختيار وينفي نفياً قاطعاً فكرة التواكل فلا تواكل عند زرادشت وإنما حرية الاختيار ونتائجها جزاء أو قصاص[1].

قانون الأخلاق الزرادشتية

يتجسد المبدأ الأساس للعقيدة في الثلاثية: هوماتا، هوختا، هفارشتا، أي الفكر الصائب، والقول الطيب، والعمل الصالح. بالنظر إلى هذه العبارات الثلاث التي هي خلاصة كل أخلاق ومادتها، يمكن ترتيب الثلاثية النقيضة: دوشماتا، دوزوختا، دورفارشتا، أي: الفكر الفاسد، والقول الفاسد، والعمل الفاسد. الفردوس ملك كل الأفكار الصائبة، والأقوال الطيبة، والأفعال الصالحة، وهذا جليّ لمن كان طاهراً، تلك هي النصيحة البسيطة التي تقدمها صلاة فيسبا هوماتا. ويقول الورع في صلاة أخرى ما يلي:

في مستقبل الأيام سأكون صارماً من أجل الأفكار الصائبة، والأقوال الطيبة، والأفعال الصالحة التي يجب أن يفكر فيها جيداً، وأن تقال بجودة وأن تفعل بإتقان.

تربية الفضائل المدنية

يولي قدماء الزرادشتية أهمية كبرى لممارسة الناشئة واجباتهم المدنية. والجوهري لديهم تقديم هذه التربية إلى الأطفال في مرحلة يكونون فيها

---

(١) بالفارسية: زاتسبرم، القسم ١٧ ـ ص ٣٤ و٣٥.

أقدر على التلقيّ، بحيث يعمّقون اهتمامهم بمصلحة الجماعة، وينشطون في نشر الجمعي بين المواطنين. يقدم إلينا إكسنوفون (Xenophon) في كتابه «Gyropedie» معلومات ثمينة حول المدارس في إيران، حيث تلقن هذه المبادىء، وإنها المرة الأولى التي نجد فيها التربية المدنية في التاريخ العالمي.

كتب هذا المؤرخ يقول: في كلّ مدينة فارسية توجد ساحة في الهواء الطلق، تمنع فيها بصراحة ممارسة التجارة والصناعة. وقد شيد فيها القصر والمباني الحكومية الرئيسية. وفي ناحية من الساحة مدرسة الأطفال من سنّ الخامسة حتى السادسة عشرة (أما من هم دون الخامسة فيبقون في دار الحضانة). وفي ناحية الثانية المجلس المخصّص للفتيان من السادسة عشرة حتى الحادية والعشرين، وهي سنّ الفتوة. وفي الناحية الثالثة مجلس الرجال الراشدين في سن النضج. أما في الناحية الأخيرة فيوجد المجلس الذي يجمع الشيوخ الذين تجاوزوا سنّ الخدمة العسكرية[١]. أما البرنامج فمدعاة إلى الإعجاب. ولا تلقي الدروس، بل تقام المناظرات والمساجلات التي ندور المعين لهذه المهمة، وتشغل هذه الاهتمامات القسم الأكبر من الفهارس ويخصص ما بقي منه للفروسيّة والرمي، في المعسكر.

ويقول إكسنوفون:

يرسل الفرس أبناء هم إلى المدرسة ليتعلموا الاستقامة، كما ندور نحن حين نرسلهم ليتعلموا فنون الأدب.

ومن المناسب هنا ذكر بعض الفضائل التي يتردّد ذكرها في الكتابات، والمتوقع أن تمارس تأثيرها في حياة المؤمنين ومزاجهم.

---

(١) اگسنوفون، گريپديا، ص ـ ٨٥.

الاستقامة

تطلق كلمة آشا (Asha) الأفستية على القداسة أو الاستقامة. وهي ترجمة بتصرف، لأنّ هذه المترادفات التقريبية تضعف الفكرة الأصلية لكلمة أشا. وهي فضيلة دينية سامية، كما تفهمها «الجاتا» و«الآشا» في أناشيدها، هي حقيقة روحية عميقة، أو قانون روحي قد صيغ الكون وحكم بالانسجام معها. وتنسب إلى «آشا» كل الظواهر الدنيوية. وينبغي لكل إنسان أن يخضع لهذا القانون العظيم، لأن «آشا» هو الذي يقوده، ويجعله في حضرة «أهورا مزدا» فعبارة «آشا» شديدة الشمول في الأخلاق الزرادشتية. فهي تعني النظام، والتناظر، والترتيب، والانسجام. كما تحتوي كل الأصناف الممكنة للطهارة والأمانة والصدق والصلاح، بكل ما توحي به من شتّى الأفعال. وإن أول صلاة يستظهرها الطفل الزرادشتي ليست سوى الحكمة «آشيم فوهو» (Ashem Veho) وإليكم مضمونها:

الاستقامة أفضل الهبات، وهي السعادة الإلهية. وسعيد من يحيا كي يدافع عن الاستقامة الفضلى.

عن النظام والترتيب تنتج الاستقامة، وعن الفوضى والفتنة ينتج الظلم. وأن دروج نقيض آشا يعني الفوضي. والدفاع عن آشا في كل الأوقات ومختلف الظروف، هو واجب محتوم على الزرادشتي الحقيقي. وواقعاً إنّ كل التعاليم الدينية تبدأ بألف باء الاعتقاد هذه فآشا هو حق الخالد، والحقيقة الوحيدة ومصدر كل المظاهر. إن كلمة آشا من الأفستا تتطابق صوتياً مع كلمة ريتا من الفيدا القديمة. لكن الأمر الأكثر إدهاشاً وأهمية هو هوية بين المفهومين. إن معنى ريتا وآشا متطابقان تماماً فإنّ الفكرة الأساسية والوحيدة للاقتراب من الرب هي مشتركة بين كل الشعوب الهندية ـ الإيرانية وإن الإنسان ليرجو الاتصال بالأب في السماوات بوساطة هذا القانون وهذا الطريق، طريق آشا أو طريق ريتا[1].

---

(١) بالفارسية: إيران در زمان ساسانيان، ترجمه رشيد ياسمى، ص ـ ٣٥٤.

إني إلى جانب أولئك الذين يقيمون النظام ولست مع الذين يشيمون الفوضى، يقول أهورا مزدا في هوم ياشت (Hom Y ashet).

لا يوجد سوى درب واحد، درب آشا وما سواه زائق، هذا هو التحذير الذي تقدمه «الياسنا»

وما جزاء الإنسان الذي يسلك هذا الدرب؟ يشار إلى هذا الجزاء برهافة رائعة في هذه الأبيات من «هوش بام» أي نشيد الفجر:

يا أهورا مزدا اضمن لنا أننا بفضل آشا وبآشا الأتمّ كمالاً، نكون قادرين على اجتلاء طلعتك، والدنو منك، والاتحاد بذاتك.

وبذلك توجّه آشا أو طهارة الإنسان إلى الصحة ونضارة البدن، إلى الصحة وقوّة الفكر، وتحقق التعبير الأسمى عن فكرة النظافة القريبة من التقوى. وليست قريبة منها فحسب، لأن النظافة إحدى أشكال التقوى.

المتمسّك بالحقّ حبيب إلى أهورا مزدا أسلكو سبل الخلاص حيث يقيم أهورا مزدا بقداسته، تلك هي صلاة أحد أتقياء الزرادشتية، وإليكم ما تقوله الجاتا أو شتافايتي أيما امرئ أرشد الآخرين إلى دروب الأخلاص الفاضلة في هذا العالم المادي، تلك الدروب التي فيها مقام أهورا مزدا فإنه ينال الثروة الصالحة السامية.

إن أكثر من مؤلف كلاسيكي يروي بإعجاب، الطريقة الدائبة التي يغرس بها قدماء الإيرانيين فضيلة الحق، أو الإخلاص. يقول هيرودوت: إنهم يعتبرون قول الكذب أسوأ الرذائل وأما ثانيها فهو الاقتراض وذلك لأسباب عديدة ولكن أخصّها أن أي مدين يجد نفسه مسوقاً إلى ابتكار الأكاذيب[١].

---

(١) بالفارسية: هيردوت، آيين وگفتار زرادشت، مجلد ٥.

العـدالـة

ترى الأفستا أن العدالة والإخلاص صنوان. لذلك فإن «أرشتات» أو «أشتـاد»، أي: «اليزاتـا» الـذي هـو سيـد الإخـلاص، يشـترك دومـاً مع «راشنو»، اليزاتا المكلف بالعدالة ويوم الحساب، أي رابع يوم بعد الوفـاة يحاسب روح المتوفى ميهر دافار، (Meher Davar) القيم على العـدالة، ويساعد ه نائباه أرشتات وراشنو، ويدعو الزرادشتي في صلواته اليومية راشنو بالعبارت الأتية:

نسألك الـكلام المنطوق بصدق، نسألك الطاعة العادلـة، نسألك الاستقامة الشريفة، نسألك الكـلام المـوحي بالقوة والمروءة، نسألك السلام ـ الذي يمنح النصـر.. نسألك الحقيقة التي تنشر الازدهار في العالم، وهي الصفة الأولى لديانة مزدا ـ ياسنا نسألك باسم راشنو الأمين.

(ويسبـرد ٧، ١، ٢)

ويذكر المينو خرد بالطريقة ذاتها، إن الحكومة الصـالحـة هي التي تتوجه مراميها وإداراتها إلى ازدهار المدينة، ودفع الحاجة عن المعوزين، وهي التي تلغي القوانين والقرارات الظالمة وتستبدل بها أخرى عادلة، وغير متحيزة.

يبدأ الميهر ياشت (Meher Yashet) بالأدعية التالية التي تأمر بالوفاء والعهود:

إن الرجل الذي يقترف إثم الإخلال بعهده إنما يرتكب جرماً يشمل البلاد كلها. ولذلك لا تخل بعهد قطعته على نفسك، سواء كان مع أشو أم مع دارفاند، كذلك تؤكد ألياسنا على الالتزام بتأدية القروض: ينبغي مهما يكن الحال، تأدية الديون لأصحابها بفكرٍ صادق وقولٍ طيب وفعلٍ خالص.

العفـة

إن قداسة الحياة الزوجية إحدى الفضائل التي تتكلم عنهـا ديانة

زرادشت بكل إصرار. وهي تطلب من الزواج أو الزوجة على السواء الإخلاص لروح الخير، وأرقى أشكال الأمانة، وإن العمل الشائن لايقوم به الزوج، فقانون الأخلاق الزرادشتية يجعل كلا الجنسين على مستوى واحد بحيث لا نجد له مثلاً في تاريخ الشعوب الآسيوية[1].

يا بوروشيستا من أسرة هايشاتسبا وسبنتاما، أنت يا أصغر بنات زرادشت، لقد اختار النبي هذا الرجل زوجاً لك، وهو مطيع للروح والخير والاستقامة، ولمزدا امنحيه نصائح حكمتك، وقدمي له برغبة، كافة فروض الطاعة الأكثر قدسية.

إلى العذارى المقبلات على الزواج أوجه هذا التحذير، وكذلك أيها الخاطبون، فاحفظوها عن ظهر قلب، واستهدوا بها على ممارسة حياة الروح الخيرة لتكون الحياة العائلية للكلّ سعيدة.

(يسنا ٥٣ بند ٣ و٥)

المرأة العادلة، الغنية بأفكارها الصائبة، وأفعالهاالصالحة المهذبة، المطيعة لزوجها، العفة مثل الفاضلة، وهي شبيهة باليزاتا من النساء،

(يسنا هات ٤ بند ٩)

وعلى العكس فالمرأة التي تضلّ عن هذا السبيل، فهي موصومة بالعار، أسوأ من أفعى أو ذئبة. وفي النظام الاجتماعي الزرادشتي لا تجد العشيقة لها مكاناً. نظرتها تجفف ثلث الماء المتدفق، نظرتها تتلف ثلث الأشجار المزهرة، الرائعة الخضرة. نظرتها تحرم الأرض الخصبة من ثلث خضرتها، وملمسها يزيل ثلث الشجاعة وثلث النصر والإخلاص عن الرجل العادل الذي يملك الأفكار الصائبة، وينطق بالأقوال الطيبة ويؤدي الأفعال الصالحة، ولذلك أقول لك، يا سيبيتاما زرادشت إن مثيلاتها يستأهلن الموت أكثر مما تستأهله الأفاعي الزاحفة، أو الذئاب

---

(١) بالفارسية: محمد معين، إيران در زمان ساسانيان، ص ـ ٣٠٨.

العاوية، أو الذئبة التي تحوم حول القطيع ثم تنقض عليه. أو الضفدعة التي تتقافز في الماء مع المئات من صغارها.

(فنديداد، ١٨، ٣٦ ـ ٦٥)

الاعتماد على الذات

إنّ الزرادشتية كديانة عمليّة تصرّ خاصّة على المبادرة وعلى الجهد وكرامة العمل. لا يستقل المرء إلا إذا اعتمد على ذاته.

(يسنا، ٩، ٢٥)

وإني لأطرد الكسل الذي أنحفنا أطرد الكسل ذا اليدين الطويلتين.

(فنديداد، ١١، ٩)

انهضوا، أيها الناس، واصدحوا بمديح النقاء الأسمى، واصرعوا الديفا وإلا تفعلوا يرجع الكسل ذو اليدين الطويلتين الذي ينوّم العالم المادي كله ويهجم عليكم منذ أن يطلع النهار، ويستيقظ البشر لها الناس لا يليق بكم أن تناموا طويلاً.

الإنسان الأمين المجتهد. الدائب لا ينال الأذى، الذي يعيش به الأشرار.

(يسنا، ١٩، ٦)

يا مزدا، لن ينال الكسول، المخادع، الإيمان الصادق أبداً.

(يسنا ٣١، ١٦)

من يزرع القمح يزرع العدالة

يا خالق العالم المادي، أيها العادل، ما الوسيلة إلى تدعيم ديانة مزدا ـ اليانية؟

هذا ما أجاب به أهورا مزدا:

إنها زراعة القمح بلا توان، يا سبيتاما زرادشت، وأيما إنسان زرع القمح فإنّه يزرع الاستقامة. فيجب دفع ديانة مزدا ـ الياسني، قدماً إلى الأمام، وأن ترضع من ألف حلمة ثدى، وأن تعضد بعشرة آلاف قربان.

بهذه الكلمات ذات الدلالة الفلسفية العميقة، يبشر زرادشت بـ. . العمل، وبالنشاط المنتج، نقيض الكسل، وبالاجتهاد ـ نقيض الانحطاط والنقصان، وبعلاجهما أيضاً.

إن البطالة صنو الشهوة والعار، وهي تستدعي شرور الجوع والعطش والمرض والألم والخنوع والانزعاج.

إن من لا يفلح هذه الأرض

باليد اليسرى واليد اليمنى

تقول الأرض له: يا أنت الذي لا تفلحني، باليد اليسرى واليد اليمني، وباليد اليمنى واليد اليسرى، ستقف خانعاً أمام باب الأجنبي، بين أولئك الذين يتسّولون الخبز، نعم، سيتفضّلون عليك بالنفاية لتأكلها، أولئك الذين يملكون الشيء الوفير.

(يسنا هات ٢٥ بند ١٢)

السلاح الوحيد المتوفّر في زمن زرادشت، لمحاربة شرور الجوع، والعطش هو الزراعة، أهم الثروات في وقتها، وقد ورد في الفنديداد ما يلي:

حينما ينمو القمح تصاب الأرواح الشريرة بالفزع وحينما تتمتع الحبوب تسعل الأرواح الشريرة، وحينما يرتفع القمح على. . .تنخرط الأرواح الشريرة في البكاء، وحينما تظهر سنابله تولّي الأرواح الشريرة الأدبار وفي المنزل الذي يقلب فيه القمح على الأرض تقول:

يبدو أنهم يقلبون

تحت أضراسهم حديداً محمّى حتى الاحمرار

حينما يخزنون القمح الوفير

(فنديداد ١٩ بند ٣٠)

الاعتنا ء بالمواشي

يمجد النبي البقرة بلغة مميزة لذلك العصر الرعوي فيقول:

المجد للبقرة، والكلام الطيب لها، والنصر لها، العلف والمرعى لها.

فلنعمل من أجل الأبقار، لأنها توفر لنا الطعام.

(يسنا، ٢)

لقد رسّخ زرادشت في الأذهان فضيلة خاصة، هي العناية بالجاسبند الاسم الذي يعني الحيوانات الأهلية العديدة مثل الأبقار والماعز والنعاج والكلاب، ودعا إلى الحفاظ عليها، لنتحّد بالفكر مع بهمن أمشاسبند روح الخير؛ فالزرادشتي هو من يسأل هذا الفضل في صلواته. روح الخير هذا ينشر السلام بواسطة الخليفة الصالحة، والحيوانات من كل جنس هي تحت حمايته في العالم، والناس الذين يعلفون هذه الدواب، ويرعونها، ويحفظونها وتؤمّن لهم ما يكفيهم من فاخر الثياب.

إن الإنسان الذي يريد التصالح مع «فوهومانو» الأمشاسبند وعلى روح الخير وحاكم الخليفة الحيوانية في هذا العالم ويريد... إلى سعادته، هو من يرقى بالكائنات التابعة «الفوهومانو» ولكي يكون فوهومانو معه على الدوام، ينبغي له أن يقيم مع الماشية علاقة... في كل مكانٍ وزمانٍ، مهما أصابه أو ناله، وأن يعمل على إسعاد عدة الحيوانات. وفي الصيف يخزّن لها العلف من تبنٍ وحبوب، بحيث لا تضطرّ إلى الرعي في برد الشتاء ولا ينبغي له أن يفرّقها عن صغارها وأن يحرمهن حليبها. لأن الدواب في هذا العالم هي قرناؤه (قرناء فوهومانو) فلتشموها بالرعاية. وكل من يرقى بهذه الماشية المنتجة يرتفع ذكره في هذا العالم، ويغدو بهاء أهورا مزدا بهاؤه في الحياة الآخرة.

(شاياست وناشايست ١٥، ١٩، ١١)

الرحمة

تذكر الرحمة وكأنّها صفة الإنسان القوي. وهي تتوجه للرب فيغدو الأقوى بين أقوى الأقوياء، المتوّج بأفضل من التاج وهي إحدى صفات الرب ذاته.

يسأل زرادشت أهورا مزدا: كيف تنبغي لنا عبادتك وتابعك أمشا ـ سبنتا؟

فيجيب الكلي القدرة: من أراد أن يُرضي أهورا مزدا في.. الدنيا، فليسع إلى تطوير خليقة أهورا مزدا وينبغي لمن أدناه أهورا مزدا إليه أن يسعد العادل وأن... السلوان على قلوب المتألمين بأن يحميهم ممن يميل فكرهم نحو الشرّ.

(بهلوي رفايت نص ملحق بالشاياست، ١٥، ٣، ٧)

الإحسان

يشغل الإحسان رأس قائمة الفضائل الإيجابية التي ينبغي على أتباع زرادشت أن يرعوها. وهي إحدى الوصايا الرئيسية لهذه الديانة. إن الذي يساعد الفقير يعترف بملكوت الرب (أهونافار).

يا مزدا؟ ما ملكوتك؟ وما إرادتك لكي نعمل وفقها للوصول إلى صداقتك؟

فيجيب أهورا مزدا:

تكتسب صداقتي بمساعدتك إخوانك الفقراء الذين يعيشون عادلين مع روح الخير.

(جاتها أهونافاد يسنا ٢٤ ،٥)

أيها المزديون الزرادشتيّون، شدوا عزائمكم.. وواسوا أولئك الغارقين في الآلام.

(ويسبرد، ١٥، ١)

ارزقني ولداً يخفف عني آلامي.

(أتاش نياش، يسنأ ٦٢، ٥)

وهذه دعوة أخرى من اليسنا:

اجعل الكرم يتغلب على البخل في هذا البيت، ومع ذلك فإنه ينبغي للإحسان أن يكون نافعاً، وأن يستخدم... ولئن كان من المناسب أن ينال إحسان المرء فمن هو جدير به،... من المستهجن أن يوضع في غير أهله.

والبخل شيء مستنكر تماماً:

من يملك القدرة على الإحسان ولا يفعله دون تردّد، يصيبه الدمار دون أن يسعى إليه.

إن الذي لا يملك حسّ الإحسان تتكاثر عليه المصائب فالتآخي الزرادشتي لا يترك أدنى مجال للنزعة الأنانية الدنيئة. ولا يتقبل الرب صلوات أولئك الناس ولا قرابينهم. يقول الرب الكلي القدرة في الأبان ياشت إني لا أتقبل قرابين الأشرار، ومن في قلوبهم قسوة والأناني والأنانيين.

(ويسبرد ـ ١٢، ٥)

الحثّ على التعليم

لا يقتصر الإحسان على مواساة البؤس فقط وتلبية المطالب المادّيّة للمعوزين المحيطين بنا، بل يهتم كذلك بتلبية احتياجاتهم الفكرية والأخلاقية والروحية.

وتؤكد الكتب الدينية للبارثين، على واجب تيسير وسائل التعليم لكل الرجال والنساء، متزوجين وعازبين، أتقياءَ وأشراراً. وإن أحسن أعمال الخير مساعدة من يفتقر إلى التعليم.

إذا جاء الناس اليكم إخواناً في الدين، أو أشقاءهم أصدقاء

باحثين عن المعرفة فينبغي أن تقدّموها لهم بأطيب الكلام.

(فنديداد ٤، ٤٤)

إن من يطلب نور المعرفة، يرغب في هبات الأترفان (Athravan) (المعلم الروحي) وإن من يرغب في كمال المعرفة، يرغب في هبة أترفان.

(زامياد ياشت، ١١)

إن الإحالة إلى الأترفان يمكن قراءتها بمساعدة الأبيات التالية من الفنديداد:

يا زرادشت، إنك لتدّعو أترفان (معلماً روحياً) من يبحث آناء الليل عن المعرفة المنتجة للبهجة، التي تخلصه من الشجن، وتؤمن له الهناءة على صراط شينفات. وتحقق له رغائب الدنيا، وتوصله إلى الطهارة وإلى أفضل شيء في الوجود (الفردوس).

لا تحرك من امرأتك، وأطفالك، وإخوانك ولا ذاتك من التعليم، لئلا يصيبك البؤس. ولن يكون لديك حينئذ دافع إلى التوبة.

(بندنامة ـ أداربند ماراسبند)

ما هو أسمى أعمال الناس؟

وفي جواب الدينكرد: وفّروا المعرفة لمن هم قادرون على تلقيها وإنتاج أنواع القداسة.

ونقرأ في نص بهلوي آخر هو سيكند ـ جومانيك فيجار ما يلي:

مهما كان ضئيلاً مقدار العلم الذي يمنحه المرء لمن هم قادرون على تلقيه، فذلك أفضل من رجل عالم لا يفيد أحداً بعلمه أو يشرك فيه قوماً يستحقّونه. وليس معنى هذه العبارة أنه يجب استثناء المذنبين، فإنّ زرادشت يؤكد على واجب هداية من ضلّوا عن سواء السبيل والارتقاء بهم، وليست

أفضل خدمة يقدمها المرء إلى المجتمع أن يكون صالحاً ومجتهداً فحسب بل إن يعمل كذلك على إصلاح المجتمع نفسه وذلك بنشر المعرفة بين أفراده سواء كانوا فاسدين أم صالحين.

ومذكـور في *أليسنـا*:

إن أيما امرئ عاقب شخصاً على فعل الشر ثم هداه بعد أن عاقبه فإنّه يقدّم بذلك إلى أهورا مزدا خدمة دافعها الحب، خالصة له.

إن من يعاقب المذنب سواءً بالقول أم الفكر أم بالاثنين معاً، ثمّ يهدي هذا المذنب فإنه يحقق إرادة أهورا مزدا ويعمل ما يرضاه.

إن الواجب المسطر بهذه الطريقة هدفه الاستجابة إلى متطلبات المواطنين الأخلاقية والروحية ويعاقب من لا يفعله. ومهما كان الإنسان فاضلاً، ثم غفل عن هذا الواجب العظيم، فإنه يلقي عقابه يوم الحساب، وإليكم ما يقوله «البندنيش:

سيرى كل امرىء جزاء أعماله الصالحة أو الفاسدة وفي الخاتمة ـ وفي وسط الأنجومان، سيكون الإثم واضحاً كما لو أنه نعجة بيضاء و. . قطيع النعاج السوداء في هذا المحشر يعاتب المذنب صاحبه الصالح أو صاحبته الصالحة في الدنيا لأنّه لم يهده سواء السبيل ويقول: لماذا لم تعلمني فعل الخيرات التي كنت تفعلها أنت؟ حينئذ يضطر الصالح إلى مغادرة المحشر نادماً لأنه أهمل هذا الواجب.

الخدمـة وفعل الخيـر

إنّ العمل الصالح الواحد لخير من ألف دعاء أو صلاة ومذكور في أحد أدعية أفرين ـ إ ـ بوزورجان:

كن ساعياً إلى الخيرات كما يفعل السّيد أهورا مزدا مع خليقته كذلك تحث الفسباراد قراءها على واجب الخير والتضحية.

كن مستعداً بقدميك ويديك وفكرك أيّها المزدي الزرادشتي لإنجاز الخيرات المناسبة، وفي الوقت المناسب ولاجتناب الشرور غير المناسبة التي لا تناسب وقتها كن ساعياً إلى إنجاز أفعال الخير في هذه الدنيا ولنجدة الفقراء والمحتاجين.

فلسفة الإيمان العملية

تلك هي الأخلاقية والفلسفة العملية الزرادشتية، إنها عقائد تدعو إلى الرحمة والحق، والعمل والمبادرة والرأفة والإحسان التي ضمنت ثبات عقيدة الزرادشتية. ديانة الحياة الصالحة وبقاءها إلى أيامنا هذه إن أحد الأدعية المسائية الأكثر حثّاً على التقوى هو: كن ساعياً إلى الخيرات كما يفعل السيد أهورا مزدا مع[1] خليقته وهذا يتلاءم تماماً مع النغمة السائدة في الفلسفة الزرادشتية كلّها: فهي تقابل بين صفة الرب وغاياته وبين طبيعة الحياة الصالحة للبشر: كن متشبّهاً بالرب إنّ فلسفة الحياة كلها قائمة في هذه الكلمات البسيطة فالتشبه بالرب هو الوسيلة الوحيدة للاتصال بالأب السماوي ولا سبيل غيرها تؤدّي إلى الجنّة.

ملاحظة:

مذهب الزرادشت يمجّد الإنسان والعالم، وهو مذهب واقعي؛ وفي الواقع ومنذ ذلك الزمان فإن تعاليم زرادشت كانت بلسماً لآلام البشرية، وهذا بدليل النظام الاجتماعي والأخلاق الاجتماعية، التي أرساها زرادشت على عكس المذاهب الأخرى التي كانت تعتبر مذاهباً بدائية، حيث إن زرادشت أراد أن يرسي أُسس نظام اجتماعي واقتصادي وسياسي وأخلاقي لصالح العالم، وبهذا جاء زرادشت حاملاً ديناً جديداً مبشراً به وداعياً إلى الارتباط المباشر بالله فقط دون المرور بوسائط أرضية ودون القرابين والشعوذة والسحر، حيث أبطل زرادشت هذه الأمور واعتبرها من الأمور

(١) بندهش، ص ـ ١٩٧.

التي تبعد عن الخالق ولا تقرب منه، ومن أهم أعمال زرادشت أنه أخرج الأصنام والمجسمات من المعابد، حيث اعتبرها شركاً بالرب.

وفي الآيات الأخرى في الجاتها، يقول زرادشت، أيها الرب الحكيم، يا أهورا مزدا، أنت خالق الظلمة وهكذا أنت خالق النور، وفي الاعتقادات الأولى لزرادشت، إن الرب، هو خالق كل شيء، فهو خالق الظلمة والنور، والقبح والجمال، والسيئات والحسنات وهذا الإله، هو أهورا مزدا.

وجاء زرادشت يحارب مع آلهة مغ والهند، وهما مذهبان مشتركان بين الهنديين والإيرانيين. الديانة الزرادشتية هي ديانة ثابتة وإيجابية ومبتنية على العقل والمنطق وحق الحياة والأخلاق الاجتماعية. . ويقول العلامة برو دار مستر في كتاباته:

كان الزرادشتي شديد التيقّظ لكل ما يحيط به وما يدور حوله فرأى عالماً مفعماً بالوثنية والإلحاد والشرك وخشي أن تطغى الشرور على عقيدة الزرادشتي وتزعزع إيمانه المحض وخشي أن تنتهك حرمات الإيرانيين ويتفشى بينهم الإلحاد ويستفحل الشرك والكفر، وكان من مبادئ الزرادشتي أن ينال مزيداً من الوعي وأن يرسخ الإيمان بإله واحد على دعائم وطيدة وثابتة.

والحق أن أفكار وتعاليم زرادشت كانت متطوّرة وشجاعة، إلا أن دينه ابتُلي بعده بمصير سائر الأديان والمذاهب. وبوضوح نقول: إن تعاليم زرادشت تغيّرت بتأثير من سنن الكون وحاجات الحياة وميول المؤمنين، فتبدل التوحيد بنوع من الشرك والثنوية، وأصبح اسم الملائكة المقرّبين يقترن بالرب الأكبر، وأضيفت إلى مناسك القربان طقوس عجيبة، واستبدلت الأخلاق بمحاورات الروحيّة.

أهورا مزدا وأهرمان:

يسمي زرادشت الربّ بأسماء أهورا، مزدا، آشا، أو باسم مركّب أهورا مزدا[1].

أهورا مزدا في المعنى، خالق الكون، هو فوق كل شيء ومدبّر الكون. ويقول الفردوسي الشاعر الإيراني: «أي باسم ربّ الروح والعقل»[2].

ويقول زرادشت:

أهورا مزدا، الرب الحكيم، خالق الكون، وخالق كل شيء، وهو مبدىء كل الأشياء[3].

وجاء في الجاتها:

أهورا مزدا، هو خالق الكون، ويبين مع كلمتين «داتار وتشاء» داتار أو دادار «من الجذر» دا «يعني أعطي» وتشاء من الجذر «تش» يعني قطّع أو شكّل، وفي هذا الأساس هو خالق الكون والرحيم، والقديم.

أهورا مزدا، الكليّ والمطلق. لا جزئيّ ولا نسبيّ. هو خالق أزليّ وأبديّ وهو الخالق الوحيد.

(يسنا ٤/٣ ـ ٤٤ و٧ ـ ٥١)

وجاء في الجاتها:

أهورا مزدا، خالق الكون، وروان مقدس (الروح القدس)، وهو خالق كل شيء، ومنشيء كل الأشياء، وهو العارف بكل شيء.

(يسنا ٤٤ بند ٥)

وجاء في الجاتها:

أهورا مزدا، بحقّ روحك التي هي دوماً ذاتها. هكذا تسلّم الجاتا

(١) يسنا، ٢ ـ ٢٨ و١ ـ ٥٣ و١٠ ـ ٥٠.
(٢) يسنا، ٧و٦ ـ ٤٩ و٣و٧ ـ ٥٠.
(٣) يسنا ٥ ـ ٢٨.

على روح كلّي القدرة، سيد الخلق الموجود الأعلى الواحد المنزه عن كل تبدل عبر الأبدّية[1].

وقد استعار زرادشت من الديانة القديمة اسم مزدا ليطلقه على الرب، ووضع أمام هذا الاسم صفة أهورا، ونتجت عن هذه الإضافة:

أهورا مزدا، السيد الكامل الحكمة، الحاكم العظيم، خالق الكون. والكون كله يحكمه الرب، ولذلك يدعى أهورا. وكلّ ما في الكون، وكلّ ما يحدث فيه مخلوق أو معدوم بواسطته ولذلك يدعى مزدا، الحكمة الكاملة ويرتبط أهورا مزدا ارتباطاً شديداً بقوة الطبيعة، ولكن لا شيء يدعونا إلى الظن بوجود توجه حلولي. لأن سيد الخلق، والكون المخلوق يتميز أحدهما عن الآخر تماماً. فأهورا مزدا يتعالى على القوة البشرية كما يتعالى على القوة الطبيعية، فهو الذي خلق هذه القوة، ويسيرها، ويتحكّم بها.

الخالق وتجسيم القانون العادل:

آشا، أو قانون الحقيقة، أو قانون الأخلاق، تُستعمل هذه الكلمة غالباً باعتبارها أحد أسماء الألوهية السامية. في الأفستا ـ غير الجاتية ـ يذكر آشا «فاهشتا» من بين أسماء أهورا مزدا. والمقطع الثاني من أليسنا يتوجه إلى خالق يدعى آشا مزدا أهورا هذه العقائد، التي تجب على ممارستها، وهذه الأعمال المتضمنة في هذه العقائد وهذه الأشياء التي آراها مقترنة بالعقل، هي جديرة بالنيرات والشموس، والفجر الذي يزجي نور النهار، كل هذه الأشياء تسبح باسمك، يا آشا، يا مزدا أهورا، وبذلك يكون الموجود، الواحد، المتعالي، والسيّد الكلّيّ المعرفة، والخالق حاكم الأكوان، هو نفسه ممثلاً باعتباره تجسيماً للقانون العادل[2].

---

(١) يسنا ٧ ـ ٣١.

(٢) يسنا، ٩ ـ ٢٨؛ ٤ ـ ٢٩؛ ٧ ـ ٣٠؛ ٣ ـ ٣١.

وإليكم نصّ آخر، حيث يعبّر عن هذا المفهوم بوضوح أكثر:

«لا ينبغي لنا أن نغضبك يا أهورا مزدا، ولا نغضب آشا (القانون) ولا فاهيشتا منانه (أفضل العقول)، التي نسعى إلى فهمها بالأدعية التي نرفعها إليك «يقول زرادشت في مقطع شعري مشهور من مقاطع الجاتها، حيث يدعو الرب مزدا، ويصفه بمختلف قدراته:

«حين عبرت خاطري أوّل فكرة عنك يا مزدا، رأيتك صادقاً، وكأنك أول خالق في الكون، وكأنك أبو العقل (روح الخير) وكأنك خالق قانون العدل (الاستقامة)، وكأنك المتحكّم في أفعال الإنسانيّة».

التنزيه عن الجهات المعلولة بالزمان والحيز:

سنرى أن الرب، على هذا المظهر، لم يكن يعتبر تجريداً. فالجاتها، تضفي عليه سمات الوجود الفعّال، الحيّ، والموجود الأبدي الذي لا يدرك إلا بالذهن، ولكن سلطته على الكون جلية للجميع، ولذلك تنبغي خدمته وعبادته. إنه الصانع الماهر، أو العامل، منه تصدر كل الأشياء إلى الوجود وتتخلق. الأوسع مما في الكون من سمة، والأقدم مما في الكون من قدم، يقيم في الذروة العليا بين الكائنات السماوية، في أعلى السماوات. لا أحد ولد قبله، وليس له مثيل، إنه الأول، المقدم، المنزه عن حدود الزمان والحيز، وهو لا يحوّل (هو نفسه على الدوام). الموجود الأكثر كمالاً. والمحرك لكل أمر، هو الذي قدر الأعمال الخيرة في ملكوته لمن عاشوا حياتهم طبقاً للعقل والحقيقة. هو الذي يقدر النصر للجيوش المتحاربة، ويقدر الخير والشر، وكل الأشياء تصدر عنه وبه. وهو سيد الأشياء جميعاً[١].

هذا المفهوم عن أهورا مزدا، بمعنى الوجود المطلق، وعلى صعيد التجلي باعتباره الخالق، الحاكم، حافظ الأكوان، بلا صورة، كلّيّ

---

(١) يسنا، ٩/٨/٥/- ٣٣.

الحضور، كلّي العلم، بلا بداية ولا نهاية. وهو كل في واحديته، متعالٍ على الكل ـ هو أول موجود ليس قبله موجوداً، وقد وجد منذ الأزل في الزمان غير المحدود. وإليكم ما يقوله زرادشت في الجاتها:

يا أهورا! اعلم أنك القدّوس الأحد، حين أراك أوّلاً في خلق الحياة وحين تجزي على الأعمال والأقوال بما تستحقّها، الشّر بالشّر والخير يجزي بالخير، بقدرتك، وحين أراك في نهاية العالم الأخيرة.

«أطلب منك شيئاً واحداً: قل لي يا أهورا! في الحق أنه في بداية الوجود الأسمى تكون المغفرة ثواب الراغب فيها. هو النبي المقدس، لا يلتهك المحرمات، بفكره وهو صديق يبرئ الوجود»[1].

أطلب منك شيئاً واحداً: قل لي يا أهورا، أفي الحق أنّ ما ينبغي إلى إعلانه هو الحقيقة فعلاً. وهل سيدعمني آشا (الاستقامة) وأعماله في الآخرة؟ وهل أسند إليك «فوهوماناه» السلطة؟ ولمن خلقت هذه الديانة التي تنتج الفرح؟

أطلب منك شيئا وحداً: قل لي يا اهورا، في الحق أن هذه الديانة التي هي أفضل الأشياء الموجودة يمكنها أن تشيع الازدهار في كل ما أملكه بالتوحد مع آشا؟ هل نحافظ بالاستقامة على هذه الديانة التي نؤمن بها من خلال أقوال أرمائيتي (Armaiti) «التقوى» وأعمالها، مزهوة بالرغبة في كلّ الأشياء الفاضلة، يا مزدا؟

أطلب منك شيئاً واحداً: قل لي يا أهورا، أ في الحق أني أستطيع أن أجعل البهتان (Druj) بيد آشا، وأصرعه بأقوال علمك، وأنتج قوة مدمرة بين الأشرار، وأسلّط عليهم الهموم والشجن، يا مزدا؟

(يسنا ٤٥ ـ بند ٤)

ما يزال لديّ المزيد من القول، فليسمع وليضع القاصي والداني وكلّ

(١) يسنا، ٨ ـ ٣١.

من يريد المعرفة، واحفظوه الآن في ذهنكم، لأنه قد صار جليّاً. إن العالم الزائف، أي الشرير، لن يدمّر أبداً الحياة مرّة ثانية بأن يضلّ الناس عن سواء السبيل بعقيدته الفاسدة ولسانه المخادع.

سأعلمكم بما هو الأفضل في هذه الدنيا. إن مزدا ـ بوساطة آشا يعرف كل المخلوقات التي أبدعها. إنّه أبو فوهومانو (روح الخير) وآرمايتي هي ابنته بأعمال الخير، وأهورا البصير بكل أمر، لن يخيب رجاؤه.

(يسنا ٤٥ بند ٥)

أريد أن أتكلم عما أوصاني به قدس الأقداس على أنه أفضل الأعمال التي يجب على الإنسان اتبّاعها. قال أهورا مزدا: إن الذين يتبعون زرادشت بأمري ينالون الحسنى ودار الخلود، بأعمال روح الخير.

(يسنا ٤٥ بند ٥)

أريد أن أتكلم عنه، هو الأعظم من كل شيء وأمدحه باسم آشا، وهو ذو الفضل على كل ذي حياة وحق روح القدس الذي أصغى إليه مزدا أهورا، وبالصلوات التي علمنيها فوهومانو، بحكمة. هو الذي علمني ما الأفضل.

(يسنا ٤٥ بند ٦)

فلا نجد شيئاً فاحشاً، أو منافياً للأخلاق، يتّصل بطبيعة الموجود الأعلى، أو بعبادته، وها هنا مكمن الروعة في هذا النظام اللاّهوتي. ومهما كانت صورة الشر فإنّ الرّب يستنكره. فالشر، السلبي والإيجابي ـ لا يعكر طبيعته النقية، لأنه هو الصلاح بذاته.

أسماء أهورا مزدا على اختلافها:

في الـ «هورمزد يشت (Hormazd Yashet) المؤلّف خصّيصاً لمديح أهورا مزدا، نجد تصريحاً يتصل بمختلف الأسماء للخالق، منقوشة في مخلوقاته ذاتها.

قال زرادشت: قل لي ما اسمك الأعظم، الأفضل، الأبهى، الأقدر على دحر الديفا، والأقدر على الشفاء، والأقدر على تدمير مكر الديفا ومكر البشر...

فأجاب الرب أهورا مزدا:

اسمي الأول: أنا الموجود، أيّها القدّيس زرادشت.

اسمي الثاني: الذي يهب القطعان.

اسمي الثالث: القوي.

اسمي الرابع: القداسة الكاملة.

اسمي الخامس: كلّ الخير، خلقه مزدا للمبدأ القدّوس[1].

اسمي السادس: الفهم.

اسمي السابع: الذي يملك الفهم.

اسمي الثامن: المعرفة.

اسمي التاسع: الذي يملك المعرفة.

اسمي العاشر: البركة.

اسمي الحادي عشر: الجالب للبركة.

اسمي الثاني عشر: أهورا (الحكيم الكامل).

اسمي الثالث عشر: أفضل صانع للخير.

اسمي الرابع عشر: المنزّه عن الخطأ.

اسمي الخامس عشر: من لا يقهر.

اسمي السادس عشر: من يقضي بالعدل.

اسمي السابع عشر: البصير بكل أمر.

اسمي الثامن عشر: الشافي.

---

(١) بالفارسية: هاشم رضى، گنجينه اوستا؛ فصل٨ ـ خرده اوستا، ص، ٥١٥.

اسمي التاسع عشر: الخالق.

اسمي العشرون: مزدا (الكليّ المعرفة).

ونجد في بعض الكتب المعدودة من ضمن البهلوي بازند، ألقاباً أخرى، منها على سبيل المثال: السامي، الكلّيّ العلم، الكلّيّ الحضور، الحاكم على كل شيء، الرب الأعلي، الكل في الكل.

ويوجد في الدينكرد (Dinkard) نص ثناء خاص، يستحق أن نذكره:

«الحاكم لا المحكوم، الأب الذي لم يلد، الموجود بذاته ولم يولد، السيد لا العبد، الرئيس لا المرؤوس، الغني غير المحتاج، الصلد الطاهر، الذي يملك في ذاته المعرفة الحيّة، ومن غير وساطة مهما كانت. المالك لا الملوك، المنعم الذي لا ينعم عليه، واهب الخيرات للناس ولا يوهب له، المعين الذي لا يطلب العون، الذي يقدر الناس ويعلو على تقدير الغير له، المسير لا المسير»[١].

وكل اسم من أسماء الخالق هو سحر بذاته. وكل من حرك به لسانه وتأمل في صفاته حمى نفسه من هجمات الشر. وقد طلب أهورا مزدا من زرادشت نفسه أن يسبح بهذه الأسماء:

إذا أردت يا زرادشت أن تهزم كل هؤلاء الأشرار الحاقدين، وتبعد حقد العفاريت وحقد الناس،

حقد السحرة، وحقد الساحرات

والماكرين المخالفين للشريعة

والهراطقة[٢]، الذين يمشون على قائمتين، الكاذبين

الذئاب بأربع قوائم، والجيوش الجرارة

---

(١) بالفارسية: دينگرد، نشر پيشوتن سنجانا، (٩)، ص ٤٥٠ و٤٥٦ وانظر گريستين سن، ص ٤٥.

(٢) الهراطقة: (H eresy)، (Heterodoxy) بدعة، ضد الأرثودكسية.

الرافعون الرايات المضّرجه بالدماء

طوال النهار والليل[1].

تحليـل:

يعتقد أنّ المجتمع الزرادشتي تشّكل كمجتمع زراعي، قدّس الماء، والبقر، والآبار، والأشجار وتقديس هذه الأشياء دلالة واقعية على كينونة المجتمع الزرادشتي الزراعي، وكان في عقيدة الزرادشتي أن كل من يحفر بئراً للماء يدخل الجنّة.

الهدف الرئيسي والأساس لزرادشت كان جلب أتباعه إلى طريق الصدق والاستقامة وإبعادهم عن طريق الكذب والخداع، وكان زرادشت يعلم الناس أن الطريق الأفضل للوصول إلى أهورا مزدا وأن يعشقه أهورا مزدا هو طريق الاستقامة والصدق ويمكننا ملاحظة، أن تعاليم زرادشت كانت تدعو إلى المحبة والسلام والابتعاد عن الصراعات والحروب، وكان يدعو أتباعه إلى محبته بهم والابتعاد عن الصراعات.

سبنتاميينو وأنغرامينيو

سپنتاميينو يعني النفس المتزايدة، أو الروح المتعالي، المثال الأهورايي، جوهر الصواب والصلاح، الضوء المقدس وهذه الكلمة مثال الخلقة أهورا مزدا.

سبنتاميينو، التجلي الفكر والإرادة وتجسيد للخلق الإلهي، ومساعد أهورا مزدا[2].

وجاء في الجاتها: سبنتاميينو يعني ابن الرب، كلمة سبنتا يعني

---

(١) ابراهيم پورداود، يشتها، ص ١٥٦.

(٢) يسنأ، ٢٩ بند ١.

أعطى، هذه الكلمة في لسان البهلوية «أث هيوزنيك» وفي السنّة الزرادشتية سبنتامينو يشتمل على فكرتين:

الفكرة متصّلة بأهورا مزدا، وأي شيء يختص بأهورا مزدا

الفكرة الكثرة، التكامل والإنتاج والصحة.

وفي الديانة الزرادشتية، التقّدم والتطور والاختراع هي معاني سبنتامينو[1] وعلى هذا الأساس، النفس السليمة والروح المتعالي يعني سبنتامينو، والنفس الأمّارة بالسوء يعني انغرامينو، وجاء في الجاتها: عالم في التفكر أهورا مزدا يعني ولدة في «وهيشتامن» وأيضاً جاء في الجاتها: سبنتامينو وأنغرامينو هما، أول مرّة ظاهران في تفكير الإنسان[2].

سبنتامينو يعني أهورا مزدا ومعه، آنغرامينيو يعني أهريمن والشر. وشكّلت مجموعة سباعية لما يسمى مقدّس Amesha Spentaus (Holy) أو الفيض السرمدي (Bounteous Immortal)، وتمت مطابقة الرب الحكيم أهورا مزدا مع الروح القدس على الرغم من أنه لم يتمّ إجراء مطابقة كهذه في أي مكان من الجاتها، وقامت إلى جانبه ست أفكار تجريدية تظهر جميعها بشكل بارز في الجاتها وهي العقل السليم، والصدق أو الصلاح (asha)، واستقامة الرأي (armaiti) والملكوت والكمال والخلود، ويتم وصف أهورا مزدا في الجاتها بأنه والد الروح القدس، كما هو والد الصدق، والعقل السليم، واستقامة الرأي، غير أنه ينبغي عدم فهم الأبوة في الرب بأي معنى فجّ، حيث يقال ببساطة أيضاً إنه خلق الصدق أو الاستقامة بعمل الأرادي (خراتو khratu)[3].

سپنتامينو وآنغرامينيو أى الروح المقدس، والروح المخرّبة فممّ نشأت الروح المخرّبة؟ تبدو الإجابة واضحة بشكل كاف، حيث يقال إن الروحين

---

(١) يسنا، ٣١ بند ٧، ٨، ٩، ١١.
(٢) هرمزد يشت، بند ٧ و٨.
(٣) جاتها، يسنا، ٣٠ بند ٣.

هما توأمان ونعلم من اليسنا (٤٧/ ٢ ـ ٣) أن الرب الحكيم هو والد الروح القدس، ولذلك يجب أن يكون والد الروح المخربة في تلك الحالة وهي فكرة وصفت مؤخراً بأنها سخيفة تماماً في الإطار العقلي للجاتها[١]، وفي الحقيقة الفعلية، إنّ الاستنتاج المنطقي الذي نحن ملزمون باستنتاجه هو استنتاج سخيف فقط، إذا أصررنا في الحكم على تعاليم زرادشت الخاصة بمعايير استقامة ثنوية لاحقة، وهناك أسباب وجيهة جداً لرفض القيام بهذا، حيث لا ينكر في المقام الأول إن التقاليد اللاحقة، كما في مسألة الأضحية على سبيل المثال، نشوء تعاليم الرسول بالشكل فقط، وثانياً: لقد طابقت التقاليد اللاحقة الرب الحكيم أهورا ـ مزدا مع الروح القدس، في حين تعزو الجاتها أبوة الروح القدس إلى الرب الحكيم، ثالثاً: تشبّه التقاليد اللاحقة الرّب الحكيم المتطابق الآن مع الروح القدس بالنور، وتشبّه الروح المخرّبة بالظلام، بينما تعلن الجاتها أن الرب الحكيم يخلق النور والظلام على حدٍّ سواء، وأخيراً إنّ التقاليد اللاحقة منقسمة حول تفسير المقاطع الشعرية التي نحن بصددها لأن الثنوية الصارمة للمعتقد الساساني المحافظ المتأخر لم تشغل الميدان وحدها، وحافظت التقليدية بالفعل على موقف ثنوي بشكل صارم، وكان هناك مصدران منفصلان وواضحان إلى الأبد بالنسبة للخير والشر، حيث إن مصدر الخير هو أهورا مزدا، الذي طابقته التقاليد بشكل خاطئ مع الروح القدس، إلا أن الهرطقة الزروانية[٢]، استخلصت الاستنتاج الواضح من نصّ الجاتها الذي يصف الروحين بأنهما توأمان، ومنذ ذلك الحين قامت طائفتان بين الزرادشتيين المتأخرين أنفسهم بتفسير هذه القصيدة (اليسنا ٣٠/ ٣) بأنها تعني أنه تم اشتقاق الروح الشريرة من الرب نفسه ويبدو الأمر بأنه متقلب بشكل تافة لإدانة فكرة كهذه خارجة عن سيطرتنا في حال الرسول نفسه.

---

(١) يسنا، ٤٧ بند ٢، ٣.

(٢) هرطقة: heresy، un orthodoxy = بدعت.

وكل ما نستطيع قوله عن وصف الروحين بأنهما توأمان، هو أنّ زرادشت لمّح على أنه يجب على الروح الشريرة أيضاً أن تنشأ من الرب، إلا أنه ليختلف عن المعتقد الساساني المحافظ اللاحق في أن الشر أو الروح المخربة ليست مادة الشر بالنسبة له، بل هي شريرة بالاختيار، فهي كالشيطان تختار عمل الأشياء الأكثر سوءاً ولا يجبرها الرب، أو هناك أيّ قسر داخلها بطبيعتها للتصرّف على هذه الشاكلة[1].

فى الديانة الزرادشتية، سبنتامينو تعني الخالق الإيجابي، وآنغرامينو المخرّبة والمنفيّة، وفي النصوص الأفستا يسمّون سبنتامينو وآنغرامينو «ثورشتار» يعني المصور والصانع. وأيضاً في الجاتها: سبنتامينو معرّف الخلقة والكثرة والعفو والمحبة والتنسيق، آنغرامينو معرّف التخريب، وعدم التنسيق والحسد.

أهورا مزدا، هو عادلٌ في العالم، إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون.

(يسنا هات ٢٩ بند ٥)

أهورا مزدا هو أول العارفين، منير النجوم من نوره، هو الذي خلق آشا، يا أهورا مزدا، عندما عرفتك أزليّاً، أبديّاً وعندما نظرتك مع العيون عرفت أنك خالق الكون العظيم.

(يسنا هات ٣٠ بند ٦ و٧)

يقول زرادشت في الجاتها:

الحق أقول لكم، إن هناك توأمين يتنافسان منذ البداية. اثنان مختلفان في الفكر وفي العمل. فروح خبيث اختار البهتان وثابر على فعل الشر، وروح طيب اختار الحق وثابر على فعل الخير ومرضاة أهورا مزدا. وعندما تجابه الاثنان لأول مرة أبدعا الحياة ونقيضها. ولكن عندما تحين النهاية فإن

---

(١) يسنأ، ٣٠ بند ٣.

من اتبع البهتان سوف يردّ إلى أسوأ مقام، ومن اتبع الحق فسوف يردّ إلى أسمى مقام.

يا أهورا مزدا:

إنّه أنت هو السيد الحكيم فليس هناك إله سواك!

(يسنا هات ٤٤ بند ٣)

تحليـل:

في الديانة الزرادشتية أهورا مزدا هو الخالق والربّ الحقيقي، وفي هذا الديانة يعلّم زرادشت على الناس، أهورا مزدا هو الخالق الواحد ويتوجّب تقديسه.

الاسم الخاصّ لهذا الخالق (أهورا مزدا) قدرة النور والحياة والحقيقة والسلام، ونجد أنّ أوّل آية في الأفستا تختص بتقديس هذا الخالق.

وترجمتها كالتالي: يا أهورا مزدا، أيها الخالق المنير، العظيم الأعظم، والأحسن والأجمل، والأقدر والأكمل والأحكم والأقوى......

ونلاحظ في الآية إشارة الأفستا إلى جلال وعظمة أهورا مزدا، الذي يتلخّص فيه كل شيء وبالتالي فهو فوق كل شيء ولا يمكن بالتالي مقارنة أي قدرة بقدرته.

ويناجي زرادشت، أهورا مزدا بالقول يا أهورا مزدا يا أيها الخالق الأوحد، الذي لا ينام ولا يسهو، وأنت الخالق، مقاليد الخلق بيدك، فيكون ما تريد ولا يكون ما لا تريد، أنت عليم، أنت بصير، وأنت عادل وأبو العدالة.

الـرّب والـروحين (الثنوية الزرادشتية)

كان البديل الثاني هو ذلك الذي جرى تبنّية من قبل المبدأ المحافظ القويم للكتب البهلوية، ولكن ـ على كلّ حال ـ لم يقبله سائر المجتمع الزرادشتي، حتى بعد إطاحة الإسلام بالزرادشتية. ونقل الإمام الغزالي الذي كتب في بداية القرن الثاني عشر، صورة هذه الثنوية تماماً، على أنّها نموذجية حول المجوس، حيث قال إنّهم:

«عبدوا النور المدلق الجامع لجميع أنوار العالم، وزعموا أنه رب العالم والخيرات كلها منسوبة إليه، ثم رأوا في العالم شروراً فلم يستحسنوا إضافتها إلى ربهم تنزيهاً له عن الشر، فجعلوا بينه وبين الظلمة منازعة، وأحالوا العالم إلى النور والظلمة، وربّما سمّوهما يزدان، وأهرمن»[*][1].

وهذا وصف دقيق كافٍ للديانة التي نجدها في الكتب البهلوية حتى التي منها تظهر ميولٌ منحرفة، حيث تتخذ بأكملها موقفها وتظهر ميولها بشدة تجاه المبدأين، وهكذا فإن التعليم الشفوي الزرادشتي، الذي حدث ووصل إلينا يضاعف فقط الحالة التي عزاها الغزالي إلى «الثنوية»

«يجب أن أعرف هذا دون أن أتجرأ على الشك: أنا نشأت من روح، ولم أكن في الدنيا أبداً، لقد خلقت، ولم أكن موجوداً دائماً، لأنني أنتمي الي أهورمزد، وليس إلى أهرمان، إلى ربّ الأرباب. وليس إلى الشياطين، إنني أنتمي إلى الخير وليس إلى الشر، إنني إنسان ولست شيطاناً، إنني مخلوق أهورمزد، وليس لأهرمان. . . على أن أومن بقوة أن هناك مبدأين، أولهما الخالق، والآخر هو المخّرب، والخالق هو أهورمزد، الذي هو كل الخير والنور، والمخّرب الملعون هو أهرمان، الذي هو الشر كله، ومملوء بالموت، وهو كاذب ومضلل»[2].

---

(١) مشكاة الأنوار للغزالي ـ ط. القاهرة ١٩٦٤، ص ٨٩.

(٢) البغدادي، الفرق بين الفرق، ط. الكوثري، ص ـ ١٧٧، ٢٠٠، ١٥٣.

يطرح زرادشت قضية وجود الشر وجوداً مستقلاً بذاته. فهو شر فحسب، بلا زيادة أو نقصان. فليس هو الخير وقد أصابه الدنس أو الفساد. وليس هو الخير في سبيله إلى التشكّل، أو الوصول إلى النضج، أنه النقص، النقص في كل شيء، والنقيض المحض للخير. إن الشر عنصر متميّز، وهو العدو النشط للخير. إن هذين العنصرين الخير والشر، لا يتوقفان عن الاعتمال في الإنسان، كما يعتملان في الخليقة كلها. ويتطابق تاريخ صراعهما مع تاريخ العالم ويشترك الإنسان، في هذه المعركة الطاحنة، ويلعب دور المحارب إلى جانب سبنتامينو، روح الخير.

أما زرادشت فإنّه ينمّي في مريديه غريزة الكفاح، والرغبة العارمة في محاربة روح الشر. فتغدو الحياة بذلك حرباً شعواء لا تنتهي ضدّ قوى الشر، وضدّ النقصان (عدم الكمال)، فليس واجب الإنسان وحده بل واجب الخليقة كلها، أن ترتفع من الحضيض، وتسمّوا من النقصان إلى ذروة الكمال، وينبغي خلال هذه العملية إصلاح المفاسد الاجتماعية وإقامة العدالة الاجتماعية، فالمجتمع باعتباره كلاًّ، ينبغي أن يتآزر، وينبغي للعالم أن يفتدي...

بعد أن توصل زرادشت إلى فكرة وحدة الرب الأساسية، وجد نفسه في مواجهة الصراع الأبدي الناشب في هذا العالم بين الخير والشر، منذ فجر الخليقة. فكيف يمكن للنقائص أن توجد في العالم وكيف يمكن لشتّى أنواع المفاسد، كالظلم، والاستغلال، والشر والدناءات أن تتماشى مع صفات القداسة، والصلاح، والعدل المنسوبة إلى أهورا مزدا؟ فالحياة عطية الرّب، ومن القصور الواضح أن تحيط بها الشرور من كل جانب، وأن تكون حافلة بالألم والمعاناة. يجعل زرادشت هذين العنصرين الأوّليّن يصارع أحدهما الآخر واسم أحدهما «سبنتامينو» روح الخير، والآخر «آنغرامينيو» روح الشر. ولا شيء يدل في الجاتها، على أن هذين العنصرين

---

(١) الشهرستاني، الملل والنِّحل، ص ١٥٨.

قد فاضا عن أهورا مزدا أو خلقهما بنفسه، هذان الروحان التوأمان يشكّلان، على مختلف الأصعدة، النقيض التّام أحدهما للآخر وإليكم هذه العبارات الحماسية التي تعرض بها الجاتها اختلافهما وتناقضهما الجذريين:

سأتكلم الآن عن الزوج من الأرواح منذ أول بداية للحياة، إنّ أكثر الاثنين صلاحاً تكلّم هكذا مع الآخر الشرير: لن تتواءم مقلتانا أبداً، ولا أنظمتنا، ولا مرامينا ولا عقائدنا، ولا أقوالنا، ولا أفئدتنا، ولا حتّى أرواحنا[1]، وبذلك، ولأول مرة في التاريخ الديني، نرى العقيدة الفلسفية للاستقطاب الأبديّ، قد طرحت بوساطة زرادشت. إن هذه العقيدة البعيدة عن توليد الاعتقاد بثنوية كونية، قد استخدمت لتوليد الإيمان بثبات عقيدة التوحيد التي أضفت على المعتقد الزرادشتي طابعه الأساس، إن عالمنا الواقع تحت القمر، ساحة معركة تتصارع فيها قوى الخير والشّر

من أعماق الطبيعة وطبيعة ما بعد الطبيعة استشف زرادشت باطلية الشّر وأحقية الخير استشفافاً اشتد به اقتناعه بأن الخير هو الغلّاب على الشرّ في النهاية فأتي بفلسفة جهدت على أنّ تستحثّ الوجدان هجر الأرباب والإقلاع عن العقيدة الثنائية المتخذة محوراً إلهين والاعتراف بألوهة إله واحد هو الإله الخير والحق.

يا أهورا مزدا أيّ البراهين تقدمّه الزرادشتية، كفلسفة، على وجود إله واحد متّصف بالخير والحق؟

سؤال، لزرادشت سأله عصره ويسأله الفكر ومن شفاه زرادشت أتى لعصره ويأتي للفكر الجواب:

برهان وجود الإله كواحد مستمدّ من الحياة نفسها، وبرهان صفته كخيّر مستمد أيضاً من نفس هذه الحياة فإن الحياة أحداث. . . وهذه

---

(١) يسنا هات، ٤٥ بند ٤.

أحداث الحياة، يرفّ الشرّ ويحدّق ويصول ويصلّي ومن الزمن قد يطول أزماناً ولكن!

أبداً أبداً الانتصار في النهاية للخير فيمحق الباطل محقاً، وينتشر الحق.

يرف الظلم ويشتد طغيانه بيد أن من ثنايا هذه الظلمة وهذا الظلم يشق الخير الدجي وينبلج نور الحقيقة وترفرفُ العدالة.

كالغيم في صفحة الفضاء.. الشر غيم في صفحة الوجود..

كغيم في صفحة الفضاء يلقي ظله على ينبوع النور فيها فيحجب للشمس نوراً ولا يلبث أن يتبدد ويزول إنما الشر... غيمٌ في صفحة الوجود ومصير الغيم، مهما تكاثف الزوال ومهما تلبد التبددّ....

من ثم فإن الشر محدود.. وإذا كان الشر محدوداً فمحال أن يكون الشر والخير على قدم التساوي فيكون الكون والكائنات شركة بين شريكين.

يقيناً.. يقيناً إنّ الكون ليس شركة بين شريكين وأبداً لا يمكن أن يكون الكون شركة بين إلٰهين، أحدهما يتصف بالخير والآخر يتصف بالشر فليس للشر الغلبة وليس الخير إلا أبداً هو المتعالي والغلّاب أبداً أنّ للخير أبداً الغلبة في النهاية للخير، والخير وجه من وجوه الحق، فليس للكون ألا واحد خير لا شريك له.. لا إله إلّا هو... الإله النور السيد الحكيم والخيّر «أهورا مزدا»[1].

من ثم عن «الصفات» و«الماهية» لا تسأل وكيف لسؤال كهذا السؤال وقد علمت أن صفته الخير وماهيته نور على نور؟!

بهذا اليقين المتفجر من منبع التفكير الصافي ألقى زرادشت دعائم فلسفته التي تتصف بالثنائية إلا في تفكيرها الطبيعي وأما في تفكيرها الإلهي فقد ميزتها عن الدين المزدي صبغة الوحدانية الخاصة.

---

(١) سليمان مظهر، قصة الديانات، بيروت، مكتبة مدبولي، ص ـ ٣٠٩ و٣١٠.

ولكن. . للفلسفة الزرادشتية وهي التي ترى أنّ الشرّ في الوجود، وإن يك غير متكافىء والخير، هو موجود يجابهها سؤال، إذا كان «الإله الخير» هو وحده الواجد للوجود أفأوجد «الخير» الشر.

الجواب هو:

بالنفي للسؤال الذي تسأله الزرادشتية نفسها وذلك بأن: محال على «أهورا مزدا»، الخيّر، إيجاد الشر. . . محال.

ما زال الفكر الزرادشتي يسأل، من ثم من ذا الذي قد أوجد الشر كشيء لـ «آشا» أو العدالة ولـ «أرتا» أو النظام المضادّ؟

مشكلة دقيقة من المشاكل الفكرية تجابه بسؤالها زرادشت وأمامها يطرق التفكير الزرادشتي، وهو الذي قد أفرغ أمر الإيجاب الكوني والكائني في إله جعله «آهورا مزدا» بينما بوجود الشر وإن كان مصيره إلى الفناء، هو معترف، ليجري على اللوالب الفكرية الجواب الذي جاوبه المنطق الزرادشتي معلناً:

من المحال على «أهورا مزدا» وهو الخير، إيجاد الشرّ فالمنطق السليم ينفي أن «الخير» قد أوجد الشر بل كيف يوجد الإله الخير شيئاً إلى الفناء مصيره وقد رأينا أن الشرّ مصيره الفناء.

يقيناً إن الشر في الطبيعة موجود ومنذ الأزل هو والإله موجود ولكن. . الشر شيء غير أبدي وقد رأينا أن مصيره إلى الفناء ومن ثمّ فالشرّ، لأن الخيّر من الطبيعي لم يوجده وبالتالي لأنّه موجود مثل الأزل، يكون أزلياً مثله ولكن ليس مثله أبدياً لأنه سينفى عندما يتغلب الخير على الشر تمام الغلبة فيمّحى من الوجود[1].

هذه هي الفلسفة الزرادشتية في تثنيتها الوجود. . إنها تثنية ولكن لا كالتثنية الأولى للدين المزدي وإنما هي تثنية تنقسم إلى وحدة خيّرة تجعل

(١) بالفارسية: تاريخ اديان، ترجمه: علي اصغر حكمت، ص ـ ٣٠٦٠ و٣٠٨.

المنشأ الخير وتهوي بالشر، في النهاية، إلى هوّة العدم... ومن ثم فهي ليست تثنية صحيحة بمعناها الصحيح لأنّ الذي أوجد الوجود هو «الخير» وأما الشر فسّيمحى وسيفنى ولهذا تنفصل انفصالاً تاماً عن الثنائية المزدية، هذه الثنائية الزرادشتية التي تجمع بين أزلية الشر ولا أبديته وسرمدية الخير الذي جعلته للوجود بموجوداته الأصل والمنشأ من سور «الجاتها»، ومن الآية التي لا تسجل ولا تحوي إلا فكرة خالصة لموجد واحد تتحول الزرادشتية من فلسفة إلى دين، لئن كان قد جاء بصورة عن الشر ألوانها مستمدة من القديم إلّا أنّها تنفصل عن الدين القديم انفصالاً تامّاً ففيه ترى «أهورا مزدا» تحيط به جنود لا من الأرباب وإنما من الملائكة، لا تُعبد وإنّما تتّخذ شفعاء زلفى اليه! دين فيه نرى «مزدا» يسمو على الشر الذي يقف دونه في المكانة وينحصر عمله، بمعونة جنوده من الشياطين، في إلقاء ظلال وظلّ، كالغيم، على كلّ شيء أوجده ويوجده «مزدا»[١].

على صفحات الـ «افستا» يبرز هذا اللون جليّاً في التفكير الإلهي الزرادشتي وتتجلى للزرادشتية عقيدة دينية محورها ألوهة إله واحد مطلق عالمي ومجرّد، فصوت زرادشت ينبعث عبر سطور الـ «جاتها يسنا» للإله يناجي «آى أهورامزدا»

إني لأُدرك أنك أنت وحدك الإله وأنك الأوحد الأحد.

وإني من صحة إدراكي هذا أوقن تمام اليقين من يقيني هذا، أومنُ أنّك أنت الإله الأوحد.. اشتدّ يقيني غداة انعطف الفكر مني على نفسي يسألها من أنتِ؟

ولفكري جاوبت نفسي أنا؟... إني زرادشت أنا وأنا كاره الكراهية القصوى الرذيلة والكذب، وللعدل والعدالة أنا نصير.

من هذه الفكر الطيبة التي تحوم في خاطري ومن هذا الانعطاف

---

(١) جاتها، يسنا ٤٠ بند ٥.

الطبيعي في نفسي نحو الخيّر ومن هذا الميل الفطري في داخلي إلى محق الزلم وإحقاق الحق أعرفك.

من هذه الانفعالات النفسية والميول الفكرية التي تؤلّف كينونتي وتكوّن كياني ينبجس في قلبي ينبوع الإيمان بأنك أنت وحدك، أهورا مزدا، الإله وأنك الأوحد الأقدس الخيّر والحقّ[١].

بمناجاة إله واحد انفرد بألوهيته ماهيته، المطلقية وصفته، الخيرية تعطرت أنفاس زرادشت لتفوح أريجاً عاطراً من سطور الـ «جاتها يسنا»:

أي مزدا، من ذا الذي قد أوجد العدالة غيرك؟!

من ذا الذي قد رسم مسير الشمس ومدار الأنجم سواك؟!

من ذا الذي قد قدّر منازل القمر، هلالاً وبدراً ومحاقاً، إذا لم تكن أنت؟!

أي أهورا مزدا

من ذا الذي أحيى الأرض وبنى السماء وسحب على صفحتها السحب وحاك في أفاقها الغمام؟

من ذا الذي فجّر وأجري المياه ومن التربة أنبت النبات؟

ومن ذا الذي يُثير ويُسيّر الرياح؟[٢]

إنّه أنت هو أيها السيد الحكيم فليس هناك إله سواك؟

أي أهورا مزدا

من ذا الذي أضاء النور وأسجف الظلم؟

من ذا الذي نشر وبعث اليقظة وأرخى وأسدل السبات؟

---

(١) يسنأ هات ٤٤ بند ٤/٥/٦/٨.

(٢) يسنأ هات ٤٤ بند ١٤/١٥/٦/١٧/١٨.

ومن ذا الـــذي قدّر مراحل اليوم بين فجر وظهـــر وزوال، ويتـــولى أمـــر توالي الليل بعد النهار.

إنّـــه أنت أيها السيـــد الحكيم فليس هناك إله سواك.

(يسنا هات ٤٤ بند ٥)

بهذه المناجاة التي ارتفع بها زرادشت، بنفسه، إلى الإله يناجيه ولم يدّع أنّ الإله كلّمه وإنّما هو الذي كان يكلّم الإله، تنحسر في تاريخ حياة زرادشت صفحة ساطعة ونقية يقف بها في تاريخ التفكير الإنسانيّ صورة مماثلة لـ «عنخ اتن» فقد بدّد صوته كثافة المادّيات بانطلاقه جهاراً يعلم عالمَه بوجود إله عالميّ صمد لا شريك له في ألوهيته ولا تحفّ به طائفة من الأرباب لأن ليس هناك للأرباب وجود.

أجل.. إنّ أهورا مزدا ليس إلهاً محلّياً فإن أهورا مزدا، الإله النور والمجرّد والمطلق، للعالم قاطبة.

ليست ألوهة «مزدا» كألوهيّات شتّى للشرق القديم لها صبغتها المحلّيّة وإنما ألوهة «مزدا» صبغتها عالمية.. ألوهة عالميّة لا تختص بها هذه الهضبة ولا يحتكرها لها شعب يقف من «مزدا» بمثابة «المختار» كلّا... إنّ أهورا مزدا وهو المكون الكون والكائنات، وهو لكل الشعوب إله ومن ثم لكل شعب أن يعرفه لسانه تحت أي اسم له شاء تسميته، وتعريف هذه الهضبة له بهذا الاسم الدالّ على السيادة والحكمة فلن يختلف في كلّ بقاع الأرض إلّا، باختلاف اللغات، من أسماء الإله[١] ما نقرأه في نشيد آخر من أناشيد زرادشت المدعوة با لجاتها:

هذا ما أسألك عنه فاصدقني الخبر يا أهورا مزدا

من هو أبو الحقيقة منذ أقدم الأزمان

---

(١) يسنا هات ٤٦ بند ٧ و٨.

من رسم للشمس مسارها وللنجوم؟
من جعل القمر يتناقص ويتزايد، من إن لم يكن أنت؟
هذا ما أسألك عنه فأصدقني الخبر.
من يمسك الأرض ويرفع السماء من فوقها فلا تقع؟
من فرش الـزرع وأجرى الـماء
من قرن جيـاداً مطهّمة إلى عربة السحاب تجـرها؟
هذا ما أسألك عنه فأصدقني الخبر، أيها الإله الحكيم:
أيّ صنعة مبدعة خلقت الصحـو والنوم؟
من سخّـر الليل والصباح والظهيـرة تذكرة للناس بمهامهم؟
من سخّر البقر والأنعام لـرخاء الناس؟
من يزرع في القلب احترام الوالدين؟
إني أسألك، أيها الإله الحكيم، لأنشـر معرفتك بين الأنام.
فأنت العقل الطيب وخالق كل شيء

(يسنا هات ٤٧ بند ٧، ٨، ٩، ١٠)

إنّ العقيدة الأخلاقيّة التي تعترف بوجود عنصرين، عنصر الخير وعنصر الشر قد ولدّت بعد زمان، الاعتقاد بالثنوية الكونيّة. فتماهي سبنتامينو مع أهورا مزدا نفسه. وأدى هذا المزج إلى العقيدة التي تنسب خلق العالم وحكمه إلى ألوهيتين اثنتين: أهورا مزدا وآنغرامينيو (أنجرامينو)، مستقلّة إحداها عن الأخرى. الأولى خيرة والثانية مظلمة. تميل الأولى إلى الأفكار الصائبة، والأقوال الطيبة، والأفعال الصالحة، والنوايا الخيرة، الفكر الصائب، والحياة الصالحة، وإلى الدين الحقّ أما الأخرى، فلا تريد سوى الدمار، والأفكار الفاسدة، والأقوال الفاسدة[1].

(١) ابگار السقاف، الدين فى الهند والصين وإيران، العصور الجديدة، ص ٢٧٠ و٢٧١.

والأفعال الفاسدة، والنوايا الكافرة، والفكر الفاسد، والاعتقاد الفاسد، والدين الفاسد. من جهة أخرى نجد الجاتها وبعض العناصر من الأفستا الأخيرة، تحاول أن تقيم بشكل ايجابي الطابع التوحيدي للاعتقاد، كما بشر به زرادشت. وفي كل تأكيداته يجعل هذين الروحين خاضعين لـ «مزدا» الذي يتكلم عنهما بقوله: الروحان التابعان لي، وفي الجاتها يكون «أهورا مزدا» أب «فوهو مانو»، ومن ثم لا يتماهى معه والفصل ١٩ من اليسنا ينطق» أهورا مزدا «بهذه العبارات:

إنّ صانع الخير، أحد الروحين التابعين لي، يقول لكل عشيرتي: كل شيء طاهر... هنا يجعل «أهورا مزدا» مسافة بينه وبين سبنتامينيو ولا يمتزج به[1].

(يسنا هات ٤٥ بند ٩)

إنّ روح الشر الذي ينازع روح القدس على ملكوت الأرض، ويزرع الفتنة فيها ليس خصم أهورا مزدا، بل هو خصم سبنتامينو، وإنّ بين هذين الروحين صراعاً أبدياً، كما يبدو. ولكنه في الحق، محكوم عليه أن ينتهي بانتصار روح الخير على روح الشر، وأن الكتب المقدسة لهذه الديانة، أكثر الديانات القائمة في هذا العالم تفاؤلاً، تصرح بعبارات قاطعة عن النصر النهائي للصلاح على الفساد وهو خاتمة لكل صراع في هذه الدنيا.

تحليل:

وفي هذه النصوص بمثل النصوص السابقه، زرادشت يقول أهورا مزدا خالق الكون والأعظم ومشيئته وسعت كل شيء، وهذا الرأي في الديانة الزرادشتية مهمّ. أهورا مزدا تعني هو الإله الأعظم.. وهو قديم

---

(١) دهالا، اللاهوت الزرادشتي يقول كذلك: في الواقع إنّ زرادشت يجعل هذا الخالق الأوحد والإله الأسمى، فزرادشت موحّد في كل مناحيه وكل مراميه.
The philosophy of Good lif.

أزلي، مجرّد من جميع شوائب المادة، منزّه من كل أدران النقص، لم يولد ولن يموت، وهو روح الأرواح، يرى ولا ينظر ولا تدركه عين أو بصر، وهو موجود في كلِّ مكان ولكنه لا يرى في أي مكان. هو يعلم الحاضر والمستقبل ويعلم الغيب ويدرك دخائل النفوس، وهو قدير على كل شيء، لا يسمو عليه شيء قط،، وهو معين من لا معين له، وراعي الفقراء والأغنياء على حدٍّ سواء. . . ومفرج الهموم ومانع الضرّ عن الناس. . . وإن أقوى الناس ليشعرون بضعفهم أمامه، وهو القوة غير المنظورة التي يطلع إليها الناس لتشدّ من أزرهم وتقوّي من نفوسهم. . لهذا لا يقدر على إدراك حقيقته عقل بشري ولا يقوى على تصوّره خيال إنسان. . ومن أجل أن يتمكن الناس من تصوّر هذه القوة الغيبية الجفية، حتى تتقرب إلى أذهانهم، فقد رمز إلى أهورا مزدا برمزين ماديين مشاهدين تقوي عقول الجماهير من أتّباعه على إدراكهما.

الخلق الأول

عرف أهورمزد، بمعرفته اللامحدود ة بوجود أهرمان، وبحتمية وقوع هجوم من تلك الجهة، ولذلك قام - كتدبير وقائيّ أوّلي - بخلق أداة داخل الخواء، اسمها «الشكل اللامنتهي» حيث صدرت عن النور اللامنتهي، وهي المادة الخام للخالق، ويتطابق هذا الشكل اللامنتهي مع السلاح الذي أعطاه زروان إلى أهورمزد، لرواية الزروانية للقصة نفسها، وهو «شكل مخلوقاته، الذي هو شكل ناري ساطع، وأبيض، وتام، وظاهر من على بعد[1]» ولمدة ثلاثة آلاف عام كان هذا «الشكل» من دون تفكير ومن دون حركة، وكان غير ملموس، وبحالة رطبة كالمني[2] «وهو المصدر الذي نشأت منه جميع المخلوقات، وهو «الآلة» أو العالم السماوي[3] حيث

---

(١) Greater Bundahishn, 11.2 - 4.

(٢) Greater Bandahishan, 16.2 - 3.

(٣) See ZZD., pp 371-4 and p, 201.

وصف في مكان آخر، بأنه جسد الزمان، والسماء[1] وهو الإنسان، الكون الصغير، الذي منه نشأت جميع المخلوقات:

«لقد تمّت رعاية خلق أهورمزد بطريقة روحيّة، حيث بقي هكذا من دون تفكير، ومن دون حركة، غير ملموس، وبحالة رطبة كالمني، وتشكل بعد حالة الرطوبة هذه مزيج كالمني والدم، تشكل بعد المزيج شكل كالجنين، وتشكل بعد الجنين انتشاراً كالأيدي والأقدام، وتشكل بعد الانتشار تجويف: أعين، آذان، وفم وتشكلت بعد التجويف حركة، عندما خرج إلى النور، وما زال الناس حتى الآن ينمون وفق هذه الطريقة في أرحام أمهاتهم على الأرض، ثم يلدون ويترعرعون، ويد أهورامزدا في عملية الخلق هو أب وأمّ للمخلوقات: لأنه بذلك ربّي الخلق بشكل غير مرئي (مينوك) أي تصرّف كأمّ، وهو بهذا خلقها بشكل مادي، أي عمل كأب»[2].

وأهورامزدا في هذا النص هو خنثى (بين بين - ذكر وانثي) مثله مثل زروان: هو أب وأم لخلقه، وابنه هو العالم السماويّ، الذي هو نفسه الكون الصغير، وهو مكان محدود وتمّ عكس الأدوار، لأنّ زروان لم يعد الآن أباً وأماً لأهورامزدا، بل أهورامزدا هو أب وأم لزروان، كمكان محدود، وإنسان كون صغير.

ونواجه في البونداهزم (Bundahishm)، وهو نصّ بهلوي مُعنى إلى حدٍّ كبير بخلق العالم، أضحية الثور من جديد وهي أن تلقي بعض الضوء على العبادة المثراوية لأنها تزيد من قوة آلهة الديفا، وهو مهتم «بمشه (Mashye) وبمشيانه (Mashyane)» والد ووالدة الجنس البشري اللذان نشأ أنفسهما من بزرة كيومرث (Gayomart) الميت، ولقد كانا سريعين بارتكاب الإثم مثل آدم وحوّاء، فقد غير آراء هما حالما ناديا أهورامزدا بأنه الخالق،

---

(١) Dd., p. 90.

(٢) GB,. 16.1 - 12.

وأعلنا أن الروح المخرّبة خلقت الماء والتراب والنباتات وأشياء أخرى، وحكم عليهما بسبب هذا بالعقاب في جهنم إلى آخر الحياة، وكانا قد عاشا حتى الآن دون طعام، إلا أنهما شرعا على الفور بشرب اللبن، لكن هذا لم يشبعهما:

وقد صادفا رأساً من الأنعام بلون أسمر مصغّر، وله فكانٌ أبيضان، وذبحاه وأقاما بإشارة من الآلهة الروحية ناراً من خشب شجر السدر، وشجر البقس، حيث تُعدّ هاتين الشجرتان من أكثر الأشجار إنتاجاً للنار، وزادا من إيقاد النار بزفير أفواههما، وكان الوقود الأول الذي أحرقاه عليه هو القش والزيتون، وأغصان شجر المصطكي وفروع من شجر النخيل، وشويا الحيوان على السفود وتركا كمية من اللحم في النار تساوي ثلاث حفنات قائلين: هذا نصيب النار، وقذفا قسماً آخر نحو السماء قائلين حصة الآلهة، فمرّ جارح فوقهما وحملها منهما، حيث تناول أحد الكلاب اللحم الأول (كذا) المتوجّب تناوله[1].

ترتيب الخلقة:

السماء، المياه، الحيوانات، الأعشاب، النار، الإنسان المقدّس.

(يسنا ١٩ بند ٢)

المياه، الأرض، النباتات، الحيوانات، حياة الإنسان، الإنسان المقدس.

(فروردين يشت بند ٨٦ و٨٧)

السماء، المياء، الأرض، الناس.

(بندهشن)

العالم السماويّ أو الكون:

إنّ «السماء» في البندهشن هي مجرّد كلمة بديلة لكلمة أخرى هي

(١) Greater Bundahishn,. 103.

Ras أو Spihr أي العالم السماوي، الذي يقال بأن الخلق بأسره قد نشأ منه، وهو الكون والجسم لـ «وقت ـ زروان»، فمنه خلق أهورامزدا سائر خلقه، وهو الشكل الأخير لشكل اللامنتهي[١] وهو يشتمل في داخله على سائر المخلوقات الأخرى تماماً مثلما يشتمل الجسد البشري على كافة الأعضاء الجسدية[٢]، لا بل إنه أكثر من ذلك: إنه القلعة، أو السجن، أو الفخ، الذي سوف يسجن فيه أهرمان ويقع:

«خلق أهورمزد في البداية السماء، ساطعة وجلية، وكانت نهايتاها ممتدتين بعيداً جداً عن بعضهما، على شكل بيضتها، من معدن مشع هو جوهر الفولاذ، وكانت ذكراً، وبلغت ذروتها النور اللامنتهي، وجميع الخلق جرى خلقهم داخل السماء، وهي مثل قلعة، أو حصن، فيها تم تخزين كل سلاح ضروري للمعركة، أو هي مثل بيت فيه جميع الأشياء باقية[٣] ومع ذلك ليس العالم السماوي مجرد قلعة فقط، بل هو كائن حيّ وعاقل، وذكي ومنتج: مثل خالقه «تفكر روح السماء مثل فلاح وتتحدّث وتعمل، وتعرف، وتنتج الكثير، وتميز، وقد تلقت القدرة على البقاء مثل حصن، ضد الروح المخرّبة، حتى لاتعاني فترغم على العودة من حيث أتت، ومثل محارب شجاع ترتدي روح السماء السلاح، حتى يمكنها العودة دونما خوف، منتصره في المعركة، مثل ذلك تفعل روح السماء حيث ترتدي السماء المادّيّة[٤]».

والسماء والعالم السماوي، هو النموذج الأصيل للإنسان، ونوعه هو الشيء نفسه، وواجبها (السماء) الأول هو تعزيز الإنتاج مثلما هو واجب الفلاح، لكن في هذا الوضع هي محبطة دوماً، من قبل العدو الذي غزا

---

(١) دينگرد، ص، ٣٤٩ و٣٥٠.

(٢) دينكرد، ص، ٢٧٨ و٢٩٠.

(٣) بندهشن، ص، ١٨.

(٤) روايات بهلوي، ص ٤٦.

جسدها من الخارج، ولذلك هي لم تَعُد تقاتل بعد هذا عدواً خارجياً، بل صارت تحارب مرضاً جسدياً وأخلاقياً ضمن نفسها، فالشيطان موجوده في جسدها، وجسدها سجن للشيطان، ولذلك لم تكن روح السماء محارباً فقط يخرج إلى المعركة للقتال ضد خصم خارجي، بل هو السجان أيضاً لذلك العدو ذاته الموجود في داخله.

في مكان آخر، نجد رواية أخرى حول كيفية نشوء المراحل الست للخلق، المدعوة هنا من جديد باسم «أداة»، فهي من جديد «مثل لهب نار، صافي النور» قد صيغ من النور اللامنتهي، ومنها نشأ الخلق كله، وهي كائن ذكي على شكل إنسان، حيث يمكن فقط للإنسان الكوني، والكون، والخلق الظهور إلى حيّز الوجود بوساطة التمزيق القرباني لهذا النموذج الأصيل الأول، للجنس البشري، وقد صيغت السماء من رأسها وصيغت الأرض من قدميها، وصيغ الماء من دموعها، وخلقت النباتات من شعرها، وخلق التور من يدها اليمني، في حين تم الحمل بالإنسان، يعني الإنسان الأول ـ كيومرث ـ بوساطة البذور من الإنسان الكوني، التي سقطت في الأرض، والتي هي نفسها صيغت من قدميه[١].

مع أن العالم المادي قد نشأ بأسره من العالم السماوي، وشكل قوامه، فإن الإنسان وحده هو صورة طبق الأصل عنه، حيث يتطابق كل جزء من جسده مع جزء مماثل من الكون المشتمل داخل العالم، فجلد الإنسان يقابل السماء، ويقابل لحمه الأرض، وتقابل عظامه الجبال، وتقابل عروقه الأنهار، ويقابل دمه الماء، وتقابل معدته البحر، ويقابل شعره النباتات، ويقابل جوهر الجسد المعادن، ويقابل عقله الفطري، الجنس البشري نفسه، لأنه هو وحده الذي يعطي المعقولية للكون ويقابل تفكيره المكتسب الأنعام[٢] ويبدو هذا كله بعيد الاحتمال كثيراً، وهناك

---

(١) الروايات البهلوية، ٤٦.

(٢) الريج فيدا، مجلد ١٠، ص، ٩٠.

وصف مشابه في الدينكرت[١] وهو مختلف كثيراً في التفاصيل، في حين تولى زاتسفرم[٢] مقارنة الأجزاء مختلفة من الإنسان مع الكواكب السبع، متبعاً بذلك تقاليد زرادشتية فلكية، وليس تقاليد زرادشتية أصيلة، لأن الكواكب ـ كما عرفنا ـ كانت كفراً بالنسبة للزرادشتيين.

وجرى في كتاب منوجهر «داتستاني دينيك[٣]» أو «المعيار الديني» جمع كلّ من الكون (الشكل اللامحدود) والإنسان مع بعضهما بعضاً بشكلٍ حميم، حيث سكن أحدهما داخل الآخر، لكن في حين نجد أنّ الكون الكبير قد جرى خلقه «من دون تفكير، ومن دون حركة، وبشكل غير ملموس» تطورت هذه الصفات فقط في وقتٍ لاحق، وكان كيومرث الكون الصغير، والإنسان الأول، منذ البداية قد فكر حول الوصول إلى استقامة تامّة[٤].

ويعلل هذا لماذا جرت مقارنة الجنس البشري في الكون الكبير مع تفكير فطري في الكون الصغير:

«صاغ أهورامزدا الذي هو إله الجميع، الشكل اللامنتهي[٥]، من النور اللامنتهي، وكان وجوده الخلقي صادر عن أهورامزدا، وكان نوره ضوء نار لا تحترق كان ساطعاً مثل اللهب ومنتجاً مثل الأرض الخصبة، وخلق ضمن الشكل اللامنتهي، الإنسان الذي يسمي الكون الصغير[٦]، الذي لم يتحرك لمدة ثلاثة آلاف عام، ولم يأكل، ولم يشرب، ولم يتكلم، بل كان مركزاً تفكيره على استقامة تامة، التي هي الدين الحقيقي، والثناء الخالص لإرادة الخالق.

---

(١) بندهشن ٨، ص، ١٨٩.

(٢) زاتسفرم، ١١و ٣٠.

(٣) داتستان دينيك، قسم ٦٣.

(٤) ZZD,. PP,. 373, 374.

(٥) داتستان دينيك، ٣٤، بند ٢.

(٦) بندهشن ٣٨، ٣٩.

وكان يمكن لأهرمان أن يقضي على كيومرث، وكاد أن يقضي عليه بالفعل عندما هاجم أخيراً العالم المادي، لكنه لم يتمكن من القضاء عليه، لأن الكون الكبير كان هو الوحدة الكاملة للوجود المادي» ولأن الشكل اللامحدود مستثني من عبور الزمن[١] وكان الكون الكبير، الذي هو نفسه مسيطر عليه من قبل الوحدة الكاملة «للفروشيين» أو الأرواح الخارجية لكافة المخلوقات القويمة هو «السلاح» أو «الأداة» التي بها سوف يصرع أهورمزد خصمه في النهاية، هذا وقد يهلك أفراد الناس وهم بالفعل يهلكون، لكن الوحدة الكاملة للجنس البشري تزداد وتتضاعف دائماً إلى أن تصبح قوتها كبيرة بشكل كافٍ لطرد أهرمان من الخلق الصالح إلى الأبد، وكان أهرمن يعرف أن الإنسان هو عدوه الرئيسي، ولم يكن بلا سبب أن مجرد رؤيته لكيومرث ـ الإنسان المستقيم ـ أن سببت له الإغماء، والتمدد بلا حراك لمدة ثلاث آلاف عام، وكان أهورمزد قد تفوق عليه في خلق المرأة أيضاً، لأنه مع أم المرأة كانت فاسدة إلى حدٌ كاف دفعها إلى الالتجاء إلى أهرمن، ولا تسمح لنفسها بأن يدنسها لكن هذا سوف يسهم في النهاية لصالح أهورامزدا، لأنها وإن كانت مدنسة، كان بأمكانها وحدها أن تجعل الأرض غير خالية في أي وقت من الأوقات من أناس ذكور، لخوض قتال مع أهرمن ومع الكذب «لم تكن هذه الأرض خالية من الرجال أبداً منذ زمن الخليقة، حتى إعادة التأهيل بطهارة، وهي لن تكون خالية منهم أبداً، ولم تستطع الروح المخرّبة ـ لكونها شريرة ـ أن تفهم الإرادة للنجاح[٢].

تحليل:

ويمكننا أن نلاحظ في خلال قراءة نصوص الأفستا، أنّ هدف زرادشت كان اتصال الإنسان خلال إيمانه بأهورا مزدا وبيوم الآخرة وحتميّة تغلب أهورا كما غلبه بأهريمن، فلذا يقول: فأهورا مزدا في الديانة

---

(١) زاتسفرم، ٢ بند ٢.

(٢) بندهشن، ٣، ٣٠، ٣١.

الزرادشتية إذاً واحد لا يشركه أحد.. وهو خير محض لا شر فيه وكل ما في العالم من خير منبعث منه... وهو مصدر كل مجد ونور وسعادة، يريد الخير دائماً ولا يفكر في الشر أبداً.. وهو المشروع القدسي والقاضي الأسمى العادل الرحيم. وقوّة أهورا مزدا الخيرة هي التي ستنتصر في النهاية على روح الشر أهرمن الذي هو سبب كل ما في العالم من شرور، يقوم بها هو ومعاونوه من الخلائق منذ أول الأمر النية الخبيثة اندفعت بأمر من روح الشر أهرمن تغدر بالناس وتغرر بهم وتسلبهم الحياة السعيدة والخلود الذي ينتظرهم في العالم الآخر، ذلك العالم الذي جاء ذكره في الأفستا المقدسة حين يقول:

«سوف تبتهج نفوس الخيرين في الحياة الثانية الخالدة كما سيتعذب الكاذبون إلى الأبد».

الملائـــكـــة (أمشاسبنـــدان)

تحيط بأهورا مزدا مجموعة من الكائنات الإلهية، تقف في حضرته، تنفذ أوامره، وهو يحكم الدنيا بواسطة هؤلاء وكلّ واحد منهم موكل بحماية عنصر من عناصر الطبيعة. والطبقة الأولى من هذه الكائنات الإلهية تدعى «لامشاسبندان» أي «الخالدون المقدسون» وعددها ست ملائكة ورغم أنّ لها تجسيدات إلّا أنّها تعتبر كمظاهر للصفات الأهورامزدية. فهي ليست آلهة مستقلة توازي الإله الرئيس[1] «أهورا مزدا» أو تعتبر كآلهة من درجة أدني، إنها تجليات القدرات الإلهيّة وأسماؤه العديدة. حيث يمكن اعتبارها مثل حديقة فيها ستة طرق تنتهي كلها إلى نقطة واحدة. ورغم أن هذه الطرق تبدو متعددة، إلا أنها، في الحقيقة، واحدة. تصدر من النبع الأزلي إلى الشارب الأبدي. وهكذا نصادف في فروردين يشت في فقرات يشت ٨٠ و٨٤ ما معناه:

---

(١) الديانة الزرادشتية، «مزديسنا» نوري إسماعيل، ص ٣٤.

«إن الملائكة تفكّر بشكل متماثل، وتتحدث بشكل متماثل، وتتصرّف بشكل متماثل، وهم أشخاص نواياهم واحدة، وأعمالهم واحدة، كلامهم واحد. أشخاص أبوهم واحد وقائدهم واحد وهو الخالق أهورا مزدا»

فقد ذكرها زرادشت في الجاتها، وألحقها مباشرة بأهورا مزدا، السيد الحكيم وبما أنها ست مجردات إلهية فقد دعيت أمشاسبنتا، أي الخالدون العظام:

فوهومانو: روح الخير

آشا فاهيشتا: النظام الأفضل، أو الاستقامة.

خشترا فايرا: القدرة المطلقة.

أرمايتي: الفكر السامي، أو التفاني

هورفاتات: الكمال

أميريتات: الخلود

ومع مرور الزمن، فإن هذه الصفات الست لأهورا مزدا التي أسبغت عليها قداسة كبرى، قد توجهت إليها العبادة الجديرة بالكائنات الموجودة في المرتبة التالية مباشرة لمرتبة أهورا مزدا نفسه. وفي الكتابات المتأخرة نجدها مصورة وكأنما لكل واحدة منها فكر متماسك، وقول، وفعل. وأهورا مزدا أبوها ومولاها، وهي تقيم في السماوات العلى «غارومانا» (Garomana). وتستخدم أسماؤها المقدسة للتضرّع فهي الأقوى، والأمجد، والأكثر فعالية من غيرها. وما إن ينطق بواحد من هذه الأسماء حتى يتم الحصول على مفاتيح السلطة.

ويوصف هؤلاء الخالدون بأنّهم كائنات مشرقات، عيونها براقة، مهتاجة، ساهرة، لا تفنى، عادلة إنهم المدبرون لخلق مزدا، وهم الذين يصوغون هذا الخلق ويحفظونه، ويحمونه، ويحوطونه، ويتحكمون فيه،

ومزدا هو الذي وهبهم أشكالهم البديعة. ويعقدون مجلسهم السماوي في أعالي القبة الزرقاء. وينزلون منها إلى الأقاليم السبعة التي ينقسم العالم إليها، بحسب الأفستا، ويحكمون ممالك الأرض ويضرع المؤمنون في صلاتهم إلي «الأمشاسبنتا» أن يزوروا مساكنهم، وأن يتقبلوا أضحياتهم، فينزلون إلى الأرض على طريق لألأة بالنور، ليتقبّلوا الخمور المهراقة إكراماً لهم. وهم شركاء الشمس، يجمعون شعاع القمر ويسكبون ضياء على العالم الأرضي. وتوصف هذه الكائنات الروحانية بالنجدة، وتساهم في ايصال العالم إلى منتهاه، بأن يضرب كل منهم عدوّه، من ذكر وأنثى، يوم النشور[١].

زرادشت يضرع إلى الخالدين الكرام

طلب أهورا مزدا من زرادشت أن يضرع إلى «الأمشاسبنتا» على الرغم من أنّه غير قادر على رؤيتهم بباصرتيه. فأطاع زرادشت هذه الأوامر، ودعاهم. فكان أول إنسان فعل ذلك ومضى المؤمنون على إثره فسألوا «الأمشاسبنتا» الدعم والحماية، وهذا موضوع صلواتهم. وإذا توجّه بهذه الشعائر إلى تلك الكائنات المقدسة، كهنة لا قداسة لهم، فلا تحس الكائنات بالبهجة، ولا ترقى إليهم سوى صلوات أهل التقوى، فيكشف عنهم الضرّ، ويبعد عنهم الأذى. وحين يتفانى المؤمن «بأمشاسبنتا» في عبادته، يشرق ذهنه بشرارة حبه لهم، حينئذ، يكرّس لهم حياته كلها، وكل ما يملكه في هذه الأرض[٢].

فوهومانو = (بهمن): ويعني الروح الخيّرة، العقل الخيّر، روح الطبيعة الخيّرة، وهو الذي أوحى لزرادشت الأناشيد. اتخذ في البداية موقعاً متقدماً كرئيس للملائكة الستة، ومن ثم دفع إلى موقع تابع لتقدم «آشا» عليه وكان«فوهومانو» اسم اليوم الثاني والشهر الحادي عشر.

---

(١) دهالا، اللاهوت الزرادشتي، ص ـ ٨٣ ـ ٨٢ ـ ٨١.

(٢) هورمزد يشت، بند هاي ٧، ٨، ٩.

حينما رأى زرادشت أن الكون تحركه، بكل حكمة، العلة الأولى العظيمة، دعاها ـ كما ـ رأينا ـ باسم أهورا مزدا، أي السيّد الحكيم. ورأى أن عنايته تمتد إلى عالم الشهادة وعالم الغيب، لذلك أطلق على هذه الصفة اسم فوهومانو، أي: المحسن، أو روح الخير، وروح الخير فينا بالنسبة إلى الفكر زرادشتي مقيمة وهي تمثل ميزة الفكر الطيب، أو أسمى درجات الصفاء الفكري، التي يفترض أن يبلغها الإنسان. وبما أن فوهومانو أول ما خلق أهورا مزدا، فهو يشغل منزلة في المحفل السماوي، على مقربة من الرب الأعلى. وأما حكمته فتنقسم إلى صنفين متمايزين: الحكمة الوهبية (الإنية) والحكمة الكسبية. وهذان الخطان من المعرفة يستأهلان التضرّع والعبادة. وقد حث أهورا مزدا زرادشت على طلب المعرفة في أثناء الليل، لأن الكاهن الحق ومريديه يجهدون ليل نهار، للاستزادة من المعرفة «فوهومانو» أيضاً هو العبارة التي تعني الفردوس. ثم نراه في الكتابات الزرادشتية، ملاك الفكر الطيب الذي يستقبل في الفردوس، أرواح العادلين. وهل يجد الإنسان الصالح لنفسه إقامة أطيب من روح الخير؟ وحينما يجتاز الصالحون الصراط ويصلون إلى أبواب السماء، ينهض فوهومانو عن عرشه المذهب ويستقبلهم بأجمل التحيّات. وفي المعركة الحاسمة بين جيوش القوى المتصارعة، يصرع أعداءه[1].

آشا (أرديبهشت): وقد ذكرت أحياناً بإضافة صفة إليها «آشا وهيشتا» وتعني الروح الحق، الدين الحق، الصدق والاستقامة، وقد تقدمت في اليسنا ذات الفصول السبعة (٣٥ ـ ٤٢)

«آشا تعني الآن أكثر من حقيقة، عدالة، نظام «ويعلن اتّحاد الرب مع الحقيقة إلى الأبد» آشا تجسيد لبنية كونية وروحيّة معاً ويسمّى «الأكثر عطفاً، الحسن، الخالد واقع من نور» (يسنا ٣٧ ـ ٤) وآشا وهيشتا موكل بالنار وهو اسم اليوم الثالث والشهر الثاني لدى الزرادشتيين.

---

(١) بالفارسية: هاشم رضى، راهنماى دين زرتشتى، ص ٤٦ و٤٧.

حينما لاحظ زرادشت أن عالمي الغيب والشهادة كانا خاضعين لقانوني النظام والعدل، أطلق على هذه الميزة السامية من العدل (الاستقامة) النظام، اسم «آشا فهيشتا» أي: النظام الأكمل أو الاستقامة السامية، فإن قانون الكون، باعتباره نظاماً سامياً، يشكل جزءاً لا ينفصل عن الجوهر السامي. فآشا مرتبط بالصفاء، والصفاء (أو الطهارة) هو قلب الاعتقاد ذاته. وإن أهورا مزدا هو خالق آشا فهيشتا الأعظم، والأفضل، والأسني، اللألئ، صانع الخير الخالد. فهو الذي يزيل الأمراض ويهزم الموت، والأرواح الشريرة، والسحرة، والمخلوقات الماكرة. ولا سبيل تؤدي إلى حياة الخلد سوى سبيل آشا وكل الطرق الأخرى زائفة، مضلة. ولذلك فإنّ المتعبّد يطمح إلى مشاهدة أهورا مزدا والاتحاد به، بواسطة من «آشا فهيشتا».

إن الأفكار الصائبة، والأقوال الطيبة، والأعمال الصالحة، تجعل الإنسان مستقيماً: آشا فان (Ashavan)، ولا يتوصل إلى الصفاء إلا إذا هذب بهذه الطريقة. فقد يحدث أن يترك السيّد قطيعه ذات نهار أو ذات ليلة، أو يتخلى القطيع عن سيده، أو تفارق الروح الجسد. وأما الاستقامة التي هي أوفر الثروات وأفضلها، فإنّها ترافق الروح بعد الموت[1].

وكتب جان ناس في كتابه: كان الزرادشتيون القدماء يقولون في مناجاتهم:

أنا اعادي الشيطان «ديو» وأعبد مزدا. أنا أتابع زرادشت رسول «يزدان» وعدو الشيطان، أنا أثني على الأرواح المقدسة «آمشاسبندان» وأعاهد الربّ العليم أن أتعهّد الخير والعمل الصالح وأختار الصدق والحقّ، واتبع ببركة «ليزد» خير الأعمال، وأنّ أكون رؤوفاً بالبقر الذي هو من العطاء الخير لمزدا، وأن أحترم قانون العدل وأنوار الفلك والفضاء التي هي منابع الفيض اليزداني. أنا أختا ملاك «ارمي تي =

(١) فروردين يشت، بند ٢٧ و٢٨.

سبندارمذ» الطاهر الخير وآمل أن يكون هو لي أيضاً.

(يسنا ٤٩ بند ١٢)

ويقول زرادشت: *أيّها الربّ الحكيم، يا خالق الكون، أيها الآشا أيها الوهومن، يا مظهر الصدق والصواب والفكر الحسن يصاعدك لأصحابك.*

(يسنا ٢٨ بند ٣)

أمّا عدو آشا فهو «دروج» (Druj)، أي: الخداع، الكذب أو المكر، لذلك يدعى آشا لدخول بيت المؤمن، ليهزم دروج الشرير. ويدعو المؤمنون في صلواتهم أن يحكمهم ملك عادل، وأن يخيب سعي الحاكم الظالم ويزيل ملكه.

لم ننظر إلى آشا حتى الآن، إلّا بمعنى القداسة والسمّو، وبمعنى الصفاء الذهني ولكن له معنى أكثر رفعه يجتاز به آشا الصفاء الجسدي والصفاء الروحي معاً، وفي هذا المعني الروحاني العميق يتساوى آشا بالحقيقة الأبدية أو القانون الإلهي. وإنما بوئام معه قد صاغ الرب الكون بجملته، وهو متضمن في الخلق كلّه.

سبنتا آرمايتي (سبندار مذ)

أي روح الخير والطاعة والتقوى والورع والمحبة وهو موكل بالأرض. ويطلق اسمه على اليوم الخامس والشهر الثاني عشر وفي الأناشيد يفهم من كلمة آَرميتي معنى الإرادة أحياناً.

إن عالمي الغيب والشهادة بكل أبعادهما، هما التجلّي للحب الصالح لأهورا مزدا. وقد وصفه زرادشت باسم آرمايتي، أي: الفكر السامي أو التقوى. إنها التقوى التي تطهر القلب، وبوساطتها يصبو المؤمن إلى سلوك الدرب آمناً، ليقترب من أهورا مزدا.

لقد اخترت لنفسي آرمايتي الجليلة، فلتكن قرينتي، ويضرع رب

المدار كي تدخلها آرمايتي ـ وتطرد الهرطقة[1] وآرمايتي هي أم آشي فننغوهي، أو روح الثواب الطيب على الطهارة. فإذا حضر الموت الزرادشتي التقيّ، فإنه يوكل أمره إلى عناية آرمايتي الرؤم. وحينما تستقر الجثة في برج الصمت، وتباشر الطيور عملها المخرّب، فإنّ كلّ الحاضرين هناك، يظهرون الطاعة لآرمايتي.

بعد ذلك، أصبحت آرمايتي تتماهي مع الأرض الأم التي تطعم كل الجنس البشري وترضعه من ثديها. فنحن نولد منها، وهي التي تغذينا، وبعد الموت نسكن في صدرها حتى نتخلص من ثوبنا الترابيّ ونغدو رميماً[2].

يا أهورا مزدا، أيها الرب الحكيم، أتمنّى مع الآشا والوهومن، والخشتري، والآرمايتي، لا يفنا (مظهر القدرة والإرادة الله) كثر قدرة الإيمان والإيثار في قلبهم أيها الربّ الحكيم، ندعوكم حتى يستجيبوا.

(يسنأ هات ٢٨ بند ٤)

خشترا فايريا (وهوخشترا = شهريور)

أي روح القدرة الإلٰهيّة الكاملة. والسلطة والجبروت الربّانيّ. وهو موكل على المعادن. ويطلق اسمه على اليوم الرابع والشهر السادس. ويترجم أحياناً إلى الدار العليا السماويّة = الجنّة.

إنّ عالم الغيب وعالم الشهادة تحكمهما جميعاً سلطة أهورا مزدا المطلقة التي يدعوها زرادشت كاشاتريا فايريا، أي: السلطة ذات السيادة المطلقة. وهي تمثل القوة الكاملة، الكلية الحضور، والسيادة الكلية للربّ. وتستدعى لمساعدة الإنسان ليسلك الطريق المستقيم. وأيما امرىء يخضع لشريعة الربّ يتلقي منه بركة القوة والسلطة وفي الأزمنة اللاحقة أصبح

---

(١) Unti Orthodoksi، بدعة.

(٢) يسنأ ٢٨، بند ' ١، ٢، ٤، ٦.

كاشاثرا فايريا يمثل السلطة العليا، أو الغني الروحي للملكوت المقدس، بأقل مما يمثل الوفرة المادية، ويدعى باسم سيد الملكوت الكلي، والروح المهيمن على الثروات الروحية والمادية، ويدعى باسم معين الفقير وحاميه.

هورفاتات (هروتات = خرداد)

روح الكمال والسعادة والصحة، يطلق اسمه على اليوم السادس والشهر الثالث، موكل على المياه.

بما أن العلة الأولى قد اخترقت الفضاء اللامتناهي، وهي موجودة دوماً وسوف توجد بلا انتهاء، فإن زرادشت قد اختار لخصائصها المميزة الاسم التالي: هورفاتات أي الكلية (Totalite) أو الكمال.

أميـرتات (امرتات = امرداد)

روح ومظهر الخلود الإلهي، والأبدية ودار الخلود. وهو موكل على النباتات ويطلق اسمه على اليوم السابع والشهر الخامس. ويذكر دائماً اسمه مع هروتات. فهما يترافقان دائماً وعلاقتهما متينة مثل علاقة المياه والنبات. وهما المرافقان للكمال على الدوام. وأن هورفاتات وأميرتات متوحدان فيما بينهما، ولا تذكر الجاتها أحدهما منفصلاً عن الآخر. ولكونهما خالدين، صانعي الخير فإنهما يرمزان معاً إلى تمام العافية، وإلى الخلود، وهما يثيبان العادل، ويهزمان معاً[1].

الجوع والعطش حينما يحتدم الصراع النهائيّ بين قوى الشرّ وقوى الخير، أمّا على الصعيد الماديّ فهما، على التحديد المسؤولان عن المياه وجنس النبات. وتفيض بركاتهما على الجسم تمام الصحة والحيوية. ولارتباطهما بالماء والنبات فإن لهما خواص استشفائيّة، ولهما القدرة على منح العافية وهذه الفكرة مثيرة حقاً.

---

(١) History Of Zoroastrianism Mankji. N. Dhalla. OX. 1983. p. 159,161.

ترمز «الأمشاسبنتا» إذاً إلى صفات الواحد اللانهائي، والكائن الأبدي الذي يستقطب كل وجود عينيّ أو غيبي. ولا ريب أن زرادشت بهذا المفهوم من الصفات، يظهر أصالة تامة. وقد توصل إلى هذا بعد تأمل عميق، وهاهنا تكمن العناصر المميزة لعقيدته، وفي العهد المتأخر، أدّى الجهل بالدلالة الحقيقية المرتبطة بهذه المفاهيم الفلسفية المجردة تماماً، أدّى بالعقول إلى أن تتصور «الأمشاسبنتا» السبعة وكأنها تشكل تراتبية من الكائنات السماويّة، منها ستة كبار الملائكة والقديسون الخالدون، وعلى رأسهم أهورا مزدا. يقوم إيمان زرادشت ـ كما رأينا ـ على الاعتقاد بإله واحد، ولكن بعد موته، لم يبق الطابع الموحّد لتعليمه على صفاته وبساطته البدئيين. إن بعض الموجودات الطبيعية التي اعتبرها من مخلوقات مزدا وترمز فقط، إلى عظمة الربّ وقدرته، قد أصبحت تدريجياً في نظر أتباعه مخلوقات جديرة بالعبادة لذاتها. وشاع الاعتقاد بأن كل مظهر من مظاهر الخلق كانت تحكمه روح خاصة به. وبذلك أقيمت تراتبية من «الأمشاسبنتا» ومن «اليزاتا»، أي: الأرواح الخيّرة الجديرة بالعبادة وقد ظلت تلك الفكرة على الدوام غريبة عن العقائد التي بشر بها النبي قديماً[1].

«وعرفتك طاهراً، يا مزدا، عندما أتى نحوي بهمن، وكي يخبرني علّمني توشنا مئيتي الأفضل: يجب ألّا نسبّب الرضي لاتباع الكذب أو نعذّب عبدة الحق.

(يسنا هات ٤٣ بند ١٥)

«من يملك النية والفعل والقول الأفضل تجاه سبندمينو ودين الحق، يكون ثوابنا الذي يهبنا إياه مزدا اهورا، هو الكمال والخلود وكذلك القدرة والتقوي»

(يسنا هات ٤٧ بند ١)

---

(١) History Of Zoroasterianism, Manekij. N. Dhalla. OX. p 40.And 41,42,158,160,162.

«أين هو عونكَ يا أرديبهشت أين هو عونك يا بهمن، لأجلي أنا زرادشت أطلب العون. أدعو الخلق بالحمد لكم، يا مزدا أهورا، اغفر لي، غفرانكم هو الشيء الأفضل».

(يسنا هات ٤٩ بند ١٢)

تحديد الزمان

وبشكل مشابه مع الزمن، تماماً كما أن أداتا أهورامزدا وأهرمان هما تبلور أو تجلّي بجوهرهما، مثل ذلك كان الزمن المحدود، والتبلور والتجلّي، والتحديد لزمن غير محدود، هكذا: «كان زمن السيادة الطويل (زمن محدود) هو المخلوق الأول الذي خلقه أهورامزدا . . . وجعل من اللامحدود محدوداً، حيث هناك اثنا عشر ألف عام محدود، من خلق الأصيل، عندما خلق الخلق، حتي الفناء، عندما تجعل الروح المخرّبة عاجزة، ثم تختلط وتعود إلى اللامحدود، حيث سيكون خلق أهورمزد بشكل دائم مع أهورمزد في نقاء»[١]. إن الزمن اللامحدود سواء في العقيدة المحافظة، أو في الزروانية التقليدية، هو مبدأ مستقل عن أهورا مزدا وعن أهرمان، وهو أيضاً مكان غير محدود ينشأ عنه[٢] لكن مع أنه مستقل عن الروحين، هو في مظهره قريب منهما، فهو كائن غير محدود متعايش مع أهورمزد، وككائن محدود هو يساعد أهرمان فقط ليقضى عليه في النهاية، «فهو مساعد جيد»، صحيح ومنظم للاثنين[٣].

كان تحديد الزمن هو العامل الإبداعي الأول لأهورامزدا، حيث رأى أنه إذا أريد القضاء على أهرمان، ينبغي جذبه للخروج من السرمديّة إلى الزمن المحدد فعلياً، وإن يرغم على الخروج إلى العراء، لأنه طوال وجوده

---

(١) بندهشن ١٦، بند ١ و١٢.

(٢) بندهشن ٣٢ بند ٤.

(٣) بالفارسية: گزيده هاى زادسپرم ١ و٩.

في السرمدية كان آفة مهلكة كامنة في اللاوعي الرباني، وأن الرب فقط عندما أصبح واعياً مدركاً لهذه الآفة المهلكة غدا يمكنه أن يدرك ذاته ويعيها، ومع فجر هذا الوعي لجوهره الخالد أدرك أن مثل هذه الآفة المهلكة ليست فقط موجودة، بل واقفة في مواجهة كمبدأ منفصل ومعادي بشكل حقود، لكنّ هذا المبدأ لم يشاركه ـ على كلّ حال ـ خلوده الخاصّ، ويمكن القضاء عليه بالكامل. وكانت الوسيلة الوحيدة لفعل هذا هي الخلق وصحيح أنّ المبدأ الآخر قد يتمكن من إضعاف ما سيخلقه لبعض الوقت لكنّه لن يستطيع أن يقضي عليه تماماً، لأن كل ما يصدر عن يد الخالد، يجب أن يشارك في خلوده «وهكذا خلق وصاغ من زمن لا محدود، زمن السيطرة الطويلة الذي يدعوه بعضهم باسم زمن محدود، وأحدث من زمن السيطرة الطويلة بقاء، حتى لا تموت أعمال أهورمزد، واصبح الارتباك ظاهراً من البقاء، أي لن تكون هناك راحة للشياطين، ومن الارتباك أصبح مسار القدر، يعني فكرة الثبات، ظاهراً أي لن تتغير تلك الأشياء التي كان أهورمزد قد خلقها في الخلق الأصيل، وظهرت من فكرة الثبات، إرادة كاملة لخلق خلق مادي، أي انسجام الخلق القويم»[1].

وبقي الزمن اللامحدود ـ مع أنّه محدود لبعض الوقت ـ غير محدود وأبدي دائم، شارك أهورمزد في مظهره اللامحدود، أهرمان في مظهره المحدود، وهكذا قذف أهورمزد بخلوده إلى خلقه الذي ترتب عليه خلقه في الوقت المناسب، بدافع الضرورة ولذلك «لن تموت أعمال أهورامزدا»، وكان أهرمان قد أصبح في هذه الأثناء واعياً لذاته أيضاً، ولطبيعته التي هي «الإرادة بالطعن» و«جوهر الحسد»، وأصبح في الوقت نفسه مدركاً لنور أهورمزد، وتقمص رغبة متوحشة لإفساد ما كان قد أعجبه بصور سرية، فقد صمم على تدميره، وكانت مأساته هي أنه لم يستطع إلا وأن يعترف بأن أهورمزد، وكل ما كان قد خلقه كان متفوقاً عليه نفسه وعلى خلقه. «فلقد

(١) بالفارسية: بندهشن بزرك، مجلد ٥، بند ١ و٣.

شاهد أهورمزد، وبدا ذلك حسناً بالنسبة له، حيث كان خلقاً عميق التفكير كثيراً ومظفراً ومطاعاً على كل شيء: فوقّر خلق أهورمزد[1]»، وأدرك بشكل مبهم أن ما خلقه أهورمزد لا يمكن أن يموت أبداً، وأن جحيمه الخاص لا بدّ أن يهلك حتماً، فامتلأ بالقلق والارتباك، حيث إنه لن تكون هنالك أية راحة أو اطمئنان له ولشياطينه، ووطد مسار القدر «شك أهرمان المفاجىء بنفسه، وثقة أهورمزد الكاملة بأن ما يخلقه لن يهلك في النهاية وأكد هذا بدوره أنه لن تتغير تلك «الأشياء التي كان أهورمزد قد خلقها في الخلق الأصيل».

تحليل:

إذا نظرنا إلى أعمال مصلحي ومؤسسي الأديان المختلف نظرة موضوعية، بدون تعصّب، نرى أن الديانات وضعت القرارات العلمية والأخلاقية وتقدس الجديد، وبالطبع أي المصلح للديانات، يقول لاتباعهم، أن يقدسوا الربّ الحكيم والواحد.

يُعتقد بأنه في تعليمات الزرادشت، الهدف من الخلقة والحياة، والعيش، أن يكون وجود كل فرد في الدنيا له قيمة، وأن ينشر السعادة والسرور للآخرين، وفي تعاليمه، يعلم زرادشت أصحابه أن ركز جميع المخلوقات والكائنات هو أهورا مزدا. وفي التعاليم أيضاً فإنّ الأمشاسبندان الستة ينيرون الطريق السعادة والسرور لأتباع زرادشت ويُعلم زرادشت أصحابه طريقة الاتصال مع الأمشاسبندان وكيفية الطلب منهم للوصول إلى السعادة المطلقة: الأولى: الصدق، والثانية: الضمير الحي النظيف، وبذا يمكنهم تحقيق السعادة المرجوة، التي يهبل أهورا مزدا لهم من خلال تواصلهم مع الأمشاسبندان.

---

(١) المصدر نفسه: مجلد ٩، بند ٢ و١١.

نتيجـة الفصل الأول

يبحث هذا القسم المعتقدات الأساسية للديانة الزرادشتية، وكما قلنا سابقاً إن الدين الزرادشتي يحمل سنة قديمة غير مكتوبة، وإن زرادشت، الذي يُعرف في الغرب (زراستر) كان يعيش قبل أن يعرف الإيرانيّون الكتابة. ويؤرّخ له من الناحية التقليدية بـ (٦٢٨ ـ ٥٥١ ق م) والواقع أنه ربما عاش في فترة أبكر من ذلك التاريخ، ونحن لا نعرف عن تفاصيل حياته، إلا القليل، رغم أن التقوى ـ وهذا شيء لا مفر منه ـ قد جملت الحكايات التي تروى عنه بعاطفة الحب. وأصبح زرادشت منذ ذلك الوقت شخصية على درجة من الأهمية في الأمور المحلية.

الكتاب المقدس عند الزرادشتيين «أفستا» ويعني الأساس واللبنة والمتن وقد كتب باللغة الفهلوية والسنسكريتية ويعتقد العديد من المحققين أن الخط الأفستائي قد ظهر في العهد الساساني (٢٢٦ ـ ٤٦١ م). وكان أفستا في بداية الأمر محفوظاً في الصدور، ثم كتب بالخط المذكور، وقيل إنه أنجز بعد ظهور الإسلام. ووصلتنا تعاليم زرادشت في السبع عشرة ترنيمة المسماة «جاتها» وعلى الرغم من أنه يصعب ترجمتها، فإن حماسه وكلماته كانت أمراً مذهلاً. إن الرب عند الزرادشت، هو السيد المهيمن الحكيم «أهورا مزدا» خالق السماوات والأرض، هو الأول والآخر، ومع ذلك هو أيضاً الصديق الذي دعاه من البداية، ولا يمكن أن تكون لرب علاقة بالشر لأنّ الروح المقدسة هي التي تقيم الحياة وتخلق الرجال والنساء، وتعارضه الروح الشريرة أو القوة المدمرة التي تتسم بالنوايا الشريرة، والتكبر والكذب، وعلى البشر أن يختاروا بين هاتين القوتين المتعارضتين، أو بين توأم من الآلهة، فإن سلكوا طريق الشر، فسوف تمتلىء حياتهم بالشر وإن سلكوا طريق الخير فسوف يشاركون في العقل الخير، ويبلغون الكمال والخلود، والورع وملكوت السماوات، وكلها جوانب من الطبيعة الآلهية، فأفكار زرادشت قد قننت وعدلت وتلاءمت مع أفكار العصر وحاجاته. ولم يُسد أتباعه تعاليمه عمداً، ولكن يبدو أنه حدث

«تلاق والتحام» بين تعاليمه وبين الإيمان التقليديّ في التراث، وكانت النتيجة إيماناً عميقاً يعبّر عنه بطريق أسطورية.

وقال زرادشت برسالة إلى البشر حاول فيها نشر المبادىء الأساسية الثلاثة التالية:

١ ـ الفكر والنية الحسنة.

٢ ـ القول الحسن.

٣ ـ العمل الحسن.

وعلى هذا الأساس فإنّ أصول الديانة الزرادشتية وتعاليمها تتلخّص في ما يلي:

١ ـ إنّه لا يدعو إلى دين جديد، وإنما هو يجدّد ويصلح الدين الموجود.

٢ ـ إنّه يعلم ما يتعلق بالصدق والحق في أن الخالق الأعظم هو واحد فقط وهو الخير، وإن عبادة الأصنام عمل الشرير.

٣ ـ تماثيل الشمس والنار والجبال والحيوانات ليست باطلة في تصويرها الآلهة أنها باطلة فحسب، ولكنها ليست آلهة نهائياً بل هي خلق من خلق الربّ.

٤ ـ إله الخالق هو «أهورا مزدا» وهو الحكيم المدبر والأعظم من العالم كله.

٥ ـ أهورا مزدا، هو الذي خلق كلّ شيء، جميل الخير، لأنّ الله هذا جميل وخيّر إلى هنا هو «أهورا مزدا»

٦ ـ آنغرامينيو: الروح الشريرة هي التي خلقت كل شيء شرير في هذه الدنيا

٧ ـ بناءً على هذا يوجد خالقان أهورا مزدا خالق الخير وأهريمن خالق الشر.

٨ ـ علينا أن نتبع روح الخير لأنه في آخر الأمر سوف ينتصر الخير، وروح الشر ليس لها نظرة فيما يتعلق بالماضي، أنها فقط توسوس للتلذذ بالحاضر، أما الروح الخيّر، الرب الحكيم الذي يعلم الماضي والمستقبل، فإنه لهذا لا بدّ وأن ينتصر.

لقد أقام زرادشت إيمانه على الاعتقاد بالخالق العظيم، وقد حذر أتباعه ومريديه من تأثير روح الشر، وإن أكبر الشرور في زمانه قد تمثلت في ميل العامة إلى عبادة مظاهر الإله وتجلياته والعناصر التي ابتداعها.

الفصل الثاني

الطقوس والرسوم

الطقس

اليوم نواجه عدّة ردّات فعل أمام ممارسة الطقوس الدينية. فبينما هناك فئة تهزأ من الطقوس على أنها مجرد عادات قديمة قد لا تعني شيئاً لإنسان القرن الحادي والعشرين، نجد آخرين مهتمّين بممارسة طقوس معيّنة، مدّعين أنها تساعد الإنسان على معرفة ذاته والتأمل من أجل الوصول إلى الحقيقة.

على الصعيد الأنثروبولوجي (علم الإنسان)، تشير كلمة «طقوس» إلى جميع الممارسات الجماعية أو الفردية منها والتي تتسم بـ:

- **تقليد معيّن،** وتنسج على منوال ممارسة سابقة وبهذا تعبّر عن كيان الإنسان من حيث إنه كائن اجتماعي، ينتمي إلى حضارة معيّنة ويتصرف بحسب عادات متعارف عليها (لنذكر التحية في مختلف الحضارات: التصافح باليد، الانحناء أمام الآخر، وأشكال أخرى تختلف باختلاف الحضارة).

- **المجّانية،** «عدم النفعيّة» لأن الإنسان يتّسم بأنّه يمارس عدة أمور لا تدخل في نطاق النفعيّة بل المجّانية (عندما تقوم امرأة بتحضير طبق حلوى، لا تهتم بالطعم فقط بل بالشكل أيضاً، وهذا يدخل في نطاق

المجانية أو عدم النفعيّة)، مع العلم أنه ليست كل الطقوس متّسمة بالمجانية (على سبيل المثال الطقوس الوثنية التي تقام لأجل استدعاء الخصب والأمطار).

ـ **الارتباط باعتقادات معيّنة**، الابتعاد عن المنطق الحسيّ للأمور والدخول في حدود ما فوق الطبيعة[(١)].

إن أليسنا في الزرادشتية هي الكتاب الطقوسي الرئيسي بالنسبة للزرادشتيين ويقتضي الحال إعطاء وصف موجز عن المسائل الاجتماعية والدينية والحياة الطقوسيّة، فقد تمّ تنفيذ أضحية الهاوما مرّتين: وترافقت في التحضير الأول المسمّى «برغنا» بتقديم خبز مقدس دعي «دراونا» وهو مكرس للرب سراوشا[(٢)]، ولقد تمّ استهلاكها بشكل طقوسي بعد التكريس، ثم كان يتبع ذلك تلاوة الهاوما ياشت، وهي ثلاثة فصول منظومة شعراً، سوف ندرسها بدقة أكثر فيما بعد، ويتناول الكهنة السائل المقدس في ختام هذه الترانيم المخصصة لمدح النبات السماوي، إلا أنّهم لا يوزعون هذه المسائل على جمهور المؤمنين، ثمّ كان يتبع ذلك الاعتراف بالعقيدة الزرادشتية التي يتم فيها الاعتراف بأهورا ـ مزدا على أنه الرب الفاضل «الذي يملك الصدق والذي يملك الثور، والذي يملك النور، والذي خلق الصدق والإنسان القويم» ويتبع الاعتراف بالعقيدة تلاوة الصلوات الثلاث الأسمى تقديساً التي يفترض أنها تعود إلى زرادشت نفسه، ثم يأتي التحضير الثاني للهاوما وتكريسه وتناوله: وتوجه الدعوة في الأداء الثاني لهذا الطقس إلى جمهور المؤمنين من أجل المشاركة، ويختتم هذا القسم القرباني المقدس جداً للطقوس الدينية.

وبعد الفراغ من أضحية الهاوما يتابع الكاهن التلاوة، فيتلو تراتيل زرادشت مع ترنيمة الفصول السبعة من البداية حتى النهاية، ثمّ يقوم بترتيل

---

(١) http://www.christusrex.org>.

(٢) For a detailed description of the Yasna.

صلاة على شرف التراتيم نفسها، وتشكل الأقسام (٧/٥٦) من اليسنا من السراوشا يشت، وهي ترنيمة كانت تتلى على شرف الرب سراوشا، والذي يُعدّ من وجهة النظر الطقوسية أكثر كائنات الربانية أهمية بما في ذلك الفيوض السرمدية، وهناك أغانٍ إضافية للمديح والتضرع، وقسم أخير على شرف المياه والربة «أرد في سورا» التي هي حاميتهم أي الرطوبة والقوة والنقاء.

ويتركز الطقس بأكمله من البداية حتى النهاية حول النار المقدسة التي يتم مخاطبتها باستمرار بأنها ابن أهورا ـ مزدا إلّا أنّه بصرف النظر عن عودة الكثير من الأرباب القدماء، وعن تبجيل المياه التي أصبحت سمة مشهورة للديانة الزرادشتية مثلما كان تبجيل النار والشمس، فإن السمة الأكثر لفتاً للنظر لليسنا، بصرف النظر عن محتواها القرباني والمقدس، هو التبجيل المتكرر لوحدات من الزمان والمكان، وجدير بالذكر هنا أن الطقس بأكمله ينتهي بتضرع لفراغ يتبع قانونه الخاص منذ زمن غير محدد، ولزمن يتبع قانونه الخاص منذ زمن طويل، وسنسمع المزيد عن الزمن اللامحدود في بعض الأطر المدهشة جداً[1].

١ طقوس النار:

النار المقدسة في الزرادشتية ليست رمزاً من الرموز وإنما هي جوهر أو حقيقة في حدِّ ذاتها ـ لأنها في اعتقاد الزرادشتيّين من روح الرب، ولكن سنفترض في هذا البحث أن النار رمز من الرموز الأخرى للزرادشتية حقيقتها الناصعة وهي الطهارة ولما كانت النار قوة مطهرة في الكون فلتكن رمزاً زرادشتياً والنار ـ في الزرادشتية قوة ربانية وهذه النار الدنيوية المادية التي نستطيع مشاهدتها بالعين ليست سوى مجرد ضوء منعكس عن النار الإلهية التي لا نستطيع رؤيتها أو إدراك كنهها لأننا كائنات لها حدودها في

(١) يسنا هات ٥٦ بند ٧.

الفهم والإدراك والنار المقدسة هي أقرب الأشياء إلى فهم الإنسان ويمكن أن تمنحنا فكرة باهتة ومبهمة عن اللامحدود[1].

في الزرادشتية: روحنا مقتبسة من نار الله المقدسة ولكي تتجلّى هذه النار المقدسة المعبرة عن الألوهية فلا بدّ أن تكون رمزاً أو واسطة للعبادة وقد أوضح زرادشت تعاليمه أجلّ توضيح عن طريق الرمزية الناريّة كالتالي:

- ـ كما تسمو النار بلهبها نحو الأعلى عليك أن تحلق نحو الأعلى حيث الروحانية.
- ـ كلّ الأجسام خاضعة لقانون الجاذبية الأرضية، والنّار لا تذعن لهذه القاعدة، كذلك على الزرادشتي أن لا تجذبه الأهواء المادية والرغبات السفلية وعليه الارتقاء نحو الروحانية.
- ـ كما تمنحنا النار الضوء والحرارة وكما تحترق لتتحول إلى رماد على الزرادشتي أن يتحلّى بروح التضحية والإيثار.
- ـ وكما تطهّر النار العالم من أدرانه ورجسه ومع ذلك تظل طاهرة ونقيّة تبدّد الظلمة على الزرادشتي أن ينقّي نفسه من الأدران والشوائب ويطهّر ما يحيط به وأن يبدّد ظلمات الشر من حوله.
- ـ إذا اضطرمت النار في موقد المعبد الفعلي، على الزرادشتي أن لا يقدم على إخمادها بل عليه أن يغذيها ويزيد من تاجّجها بخشب الصندل وحين تستعر نار قلوبنا المقدسة علينا تأجيجها بمزيد من الورع والتقوى ولا ينبغي إطفاؤها بالرغبات السفلية ويجب أن تظل متقدة بين جوانحنا بالثالوث الخيّر[2].
- ـ النار تمثل قوّتين متناظرتين قوة بناءة وقوة مدمّرة؛ فبواسطة القوة البنّاءة

---

(١) حامد عبد القادر، زرادشت الحكيم، ص ٦ وما بعدها.

(٢) بهمن سوراجي باناجي، الديانة الزرادشتية أو اليزيدية، ص ١٢٤ و١٢٥.

تدار جميع المصانع والمعامل وبواسطتها تطبخ جميع الأطعمة وبالقوة المدمّرة يطهر العالم من أرجاسه وكل شوائبه. والنار ليست رمزاً من الرموز الزرادشتية وحدها فإننا نرى كثيراً من الديانات الأخرى توقر النار..

تـوقـير النـار

لو قُيّض لنا أن نخوض في تاريخ البشرية القديم وتاريخ كثير من الديانات القديمة لألفينا النار ذات أهمية أو ذات قدسية في أعراف تلك الشعوب وتقاليدها. كانت قبائل الـ Rishis الهندية تنصب هياكل للنار في أماكن العبادة وقبائل الريغ فيدا متخمة بالتراتيل المقدسة والابتهال والتوسل للنيران وممّا يرد في تلك التراتيل[١].

«إنني أعبد النار Agni، الغارقة في القدم، منبع النور»

وفقاً للتعاليم الزرادشتية السرية فإن النار حركة ونشاط وطاقة والطاقة النارية لها أثرها في جميع المخلوقات الأرضية. ويؤدّي كل مخلوق وظيفة مختلفة عن وظيفة الآخر ـ والنار ـ طبقاً لتلك التعاليم هي الجذر أو الينبوع لجميع الكائنات وإذا بحثنا في علم نشأة الكون وفي علم أصل الإنسان وتطوره فماذا بوسعنا أن نعرف عن الوظائف التي تؤديها النار في تنظيم الكون ضمن مملكة الجماد والنبات والحيوان والإنسان[٢].

فالكوسموغونيا الزرادشتية هي الرؤيا الأكثر نورانيّة بكّل ما للكلمة من معنى وهذا ما يدعونا في الدخول إلى العالم المتوهّج بالنور، والمتأجّج بالنار، الكون المتلازم الجوهر بين الطبيعة والماورائية في حدود عالم الانتظام الذي هو بذاته أحدية الثنائية والتناقضات. وهو فردوس «بيما» والملائكة الأصفياء، النقطة المركزية حيث تقيم الروح الرائية والمنورة «لأن

(١) بهمن سوراجي باناجي، المرجع نفسه، ص ١٢٦.

(٢) حامد عبد الحميد، زرادشت الحكيم، نبي قدامي الإيرانيين، ص ٤٠.

السماوات تلتقي هنالك بالأرضيات»[١]. إنه لقاء التوازن بين النور وقدرة الظلمة لأن أرضنا، وكل الخلق المرئي، مسرح لصراع حادّ بين قدرة النور وقدرة الظلمة. ويستمر هذا الصراع حتى نهاية الأيّون أو «التصحيح»»، عهد عودة الأشياء إلى أصولها، حيث إنّ تلك النهاية تضع حداً للتمازج والاختلاط. وهذا ما نفسّره وكأنّه المسيرة الزرادشتية نحو اللون الأبيض بعد تنقيته وتصفيته من اللون الرمادي، لون الوجود المادي الأرضي[٢].

هذا العالم النوراني الزرادشتي جسّده نبي الإيرانيين القدامي في رموز وطقوس الشمس هي الأرض السماوية الملتهبة نوراً. وهي صورة لقدرة أهورا مزدا وإشعاعه ونورانيته، كما أنها رمز سيادته الضوئيّة في العالم الفوقي. إنها أم الكواكب التي ترى فيها «رمزاً لإله النور الذي يفيض طهراً وجلالاً، نعمة وفضلاً، وتتسع نعمته فتعمّ المشرقين»[٣].

«نارك أيها الربّ، وهي القديرة على العدالة.... لتكن يقدّسها لمنها مساعداً وهّاجاً... ولتكن للعدوّ، بسلطة يدك أيها الحكيم، إنارة لخطاياه»[٤].

فالنار، هذه، هي الرمز الآخر لأهورا مزدا لأنّها ألطف العناصر المرئيّة والأقرب إلى جوهر الإله. إنها روح الإله في الأرض. إنها العنصر الذي يتجه من أسفل إلى أعلى حتى التماهي في الأثير. كما إنها العنصر النقيّ، الطاهر، الذي لا يدخل جوهره دنس، أو جسم غريب إلا وتطهّر واتّحد بجوهره.

وقد أوصى زرادشت بألّا تطفئ النار، في بيوت الصالحين، كي تبقى تذكّراً اللاهوة، وتذكاراً للعود الأهورا مزدا، وزرادشت كان قد طلب من

(١) Henry Corbin,Corps Spirituel et Terre Celeste, p. 41.

(٢) المرجع نفسه، ص ٣٩.

(٣) حامد عبد القادر، زرادشت الحكيم، ص ٦ و٧.

(٤) الأفستا، يسنأ هات ٣٤ بند ٤٠.

المسارين أن يمشوا في النور، لأنه رسول النور الوسيط بين أصلهم النوراني، «غيومارت»، وبين مصيرهم النوراني، «السوشيانت» طلب إليهم السير باتجاه أهورا مزدا لأن من يسير في «أهرمن» لا يدري أين يتوجه. ويبقى متأخراً في العالم، حتى نهاية «الأيون»[١] بديل أن يصبح في عالم النور كالأرواح النورانية الست الفائضة عن الرب، والمشاركة للنور في الخلق والسيادة[٢].

تقول النصوص الزرادشتية: إن ولادة زرادشت تمّت في زمن أصبحت البشرية فيه على شفير هاوية الوقوع تحت سيطرة «أهرمن»[٣]، إله الشر الظلمة. وهذا يعني أن زرادشت أتى نوراً للعالم، ومخلّصاً للبشر، وهادياً لهم في دروب الحق بعيداً عن الخطيئة. ولد من امرأة فاضلة، تقية، اسمها «دغدوفا» وهي التي آمنت به، منذ صغره، واثقة «بسيادته وقدرته؛ ترتجف ليل نهار خوفاً على حياته. وهي أول من أمن به، ورأى فيه روح الله ونوره»[٤].

فنرى أن «النيايش» Nyayish، صلوات زرادشت التي رفعها إلى الخالق تحتوي على ذكر للشمس، لميثرا، للقمر، للمياه، وللنار[٥]. إلّا إنّ هذا لا يعني استمراراً للمفاهيم السابقة في هذه المعبودات، بل إن زرادشت جاء ليغيّر ويجدّد، لا لينقص، أي ليتمّم ويكمل الجوهري والصالح، لا الفاسد. فزرادشت حاول توحيد العبادات السابقة لميثرا، وفايوما وماه (القمر)، التي وردت في كتاب «الأناشيد»، يسناً، كما أنه حاول تصفيتها وتنقيتها في إطار عنصر النار، الـ «أغني» الآرية، شاهد الحقيقة وحارس النظام الكوني، الذي رأى فيه الرمز الأسمى للرب -

---

(١) الأيون: هو ذرّة مشحونة كهربائيا بعد تفاعل كيميايي.
(٢) J. Varenne, Zarathusthra, p. 151.
(٣) المرجع نفسه، ص ١٢٨.
(٤) لوقا، ٢: ٥١.
(٥) J. Varenne, Zarathusthra, p. 139.

الحكمة حيث إن نوره الدّفاق يغمر بنعمته الكون كله[1]. «إنه أراد تطهير الديانة القديمة، كما النار السماوية تسمح بتجديد الكون كلّه في نهاية الأزمنة»[2].

إنها النار المطّهرة في الأرض التي تحوّلنا إلى «قدرات السماوية، لها أجسام لطيفة من نور»[3]. كما إنهّا نار القيامة حيث إن الرب «أورمزد» «في يوم «أكزوردات» Xurdhath من شهر فروردين، يحقق القيامة، ويصنع لنا الجسد الثاني النوراني[4]. وهي تلك النار التي يراها الزرادشتيون، مع أنوار متعددة ليلة عيد النوروز، رأس السنة الفارسية، أو عيد القيامة، نهايةً لـ «أيّون» تم، ولـ «أيوّن» عالم جديد.

فالزرادشتية جوهرة الرؤيا من مفهوم النار ـ السعادة إلى النار العنصر المحيي في الكون. إذ إنه بالحرارة تنمو النباتات، كما يقول النص الإيراني[5] وكذلك، بالحرارة ينمو الارتقاء الروحي الإنساني لأنّ النار تحدث في الديانة الجديدة «دارما» Dharma الكون، تلك الطاقة الفاعلة في العالم، والكامنة مبدأ الحياة.

ومن المسائل المهمة في العقيدة الزرادشتية مسألة النار حيث تعتبر رمزاً للإله إضافة إلى الشمس، فالنار حسب زعمهم رمز للإشراق والضياء، كما أنها طاهرة نشيطة في استعارها وتوقدها غير قابلة للفساد. لذا فلا عجب أنهم يتوجهون في صلواتهم إلى النار والى الشمس باعتبارهما رمزاً للإله أهورامزدا. ونظراً لأهمية النار عند الزرادشتيين سمي الإيرانيون في العهد الإسلامي بيوت النار (كعبة زرادشت)[6]. وسمّوا النار نفسها قبلته،

---

(١) المصدر نفسه: ص ٣٧.

(٢) المصدر نفسه: ص ١٤٠.

(٣) ., 37 H. Corbin, C. Spir. et T. Celes., p.

(٤) النار والنور في الفكر العالمي، الدكتور: بولس طوق، ص ١٢٧.

(٥) المرجع نفسه، ص ١٤٥.

(٦) الدكتور فرست مرعي، صحيفة الحزب الكردي، المقالات، النوروز والزرادشتية بين الكرد والفرس جدل الدين والأسطورة والتاريخ، ص ٤.

ونظراً لعبادة الزرادشتيين النار سماهم الإيرانيون المسلمون عبدة النار (آتش برست) وعندما انتصر المسلمون على الفرس

حطموا معابد النيران فضاعت بذلك هيبتها ولكن حين سمحت الظروف السياسية للشعوب الايرانية أن يفخروا بماضيهم ـ فخر الشعراء الإيرانيون بالنار وفضلوها على الطين ـ كما فعل الشاعر بشار إذ فضل إبليس على آدم في قوله:

الأرض مظلمة والنار مشرقة والنار معبودة مذ كانت النار

إبليس خير من أبيكم آدم فتنبهوا يا معشر الفجّار

إبليس من نار وآدم طينة والأرض لا تسموا سمّو النار

وقد رأينا أنّ جدّ أردشير الأول كان قيماً على بيت نار أناهيتا في مدينة اصطخر وأنّ الأسرة الساسانية حافظت دائماً على صلتها القريبة بهذا البيت وكان هناك معابد يختصّ كلّ منها بإله. ومن المحتمل مع ذلك، أن تكون المعابد بصفة عامة مخصصة لعبادة آلهة الشريعة الزرادشتية جميعاً وأنها كانت من نوع واحد فكان مركز الخدمة المقدسة هو الهيكل الذي فيه النار المقدّسة، وكان لبيت النار عادة ثمانية أبواب وعدّة أبهاء من ثمانية أركان. ويمثل هذا النوع من المعابد في أيامنا هذه معبد نار مدينة يزد في إيران، وقد حول إلى مسجد كبير منذ الفتح الإسلامي[١]. ويصف المسعودي[٢] خرائب بيت النار القديم في اصطخر، وكان في أيامه مسجد سليمان فيقول: «وللفرس بيت نار باصطخر تعظمه المجوس، كان فى قديم الزمان للأصنام فأخرجتها حماية بنت بهمن بن أسفنديار وجعلته بيت النار، ثم نقلت عنه النار فجرب.والناس في وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة يذكرون أنه مسجد سليمان بن داود وبه يعرف. وقد دخلته، وهو على نحو فرسخ من مدينة اصطخر، فرأيت بنياناً عجيباً وهيكلاً عظيماً

(١) كريستين سن، إيران في عهد الساسانيين، ص ١٥٠.

(٢) مروج الذهب، (٤)، ص ٧٦ ـ ٧٧.

وأساطين صخر عجيبة على أعلاها صور من الصخر طريفة من الخيل وغيرها من الحيوان عظيمة القدر والأشكال محيط بذلك حيز وسور منيع من الحجر وفيه صور الأشخاص قد شكلت وأتقنت صورها، يزعم من جاء هذا الموضع أنّها صور الأنبياء»

ويوجد على نقوش القبور الملكية الأخمينية في صورة رستم تمثيل للهياكل التي توقد فيها النار المقدسة. ويظهر أن شكلها قد نقش على الهياكل التي كان يتخذها أقوام آسيا الآخرون. فهناك معبدان ضخمان للنار، قائمان على قاعدة واحدة مصقولة، قد نقشا على حجر من حجارة نقش رستم. والجزء الأعلى، ذو الطيقان، يبدو أنه مقام على أربعة أعمدة بارزة في النقش. ولكن النار السرمدية قد استلزمت وجود معابد لتحفظ فيها من عادية الأيام. ويرى بعض الباحثين أن المعبد ذا الفجوات القائم أمام قبور الملوك في نقش رستم، والذي يرجع تاريخه إلى الأخمينيين والذي يسميه الفرس «كعبه زرادشت» مثل لهذه المعابد التي تحفظ النار الأزلية[١].

وقد استقرت القاعدة في الدين الزرادشتي على أنه لا يجوز أن تصل الشمس إلى النار المقدسة، وعلى هذا الأساس وجد شكل الجديد من بيوت النار، الذي في وسطه غرفة مظلمة كل الإظلام يوضع فيها هيكل النار. ويوجد من هذا بيت نار مصور على نقود حكام فارس من قبل السلوقيين[٢].

نار البيت ونار القبيلة ونار القرية (آذُران) ونار لكلّ كورة أو إقليم وهذه الأخيرة تسمى ورهران (وهرام). فبينما نار البيت كانت منوطة بالمانبذ، رب البيت كان اثنان من الهرابذة، على الأقل، لازمين للقيام بخدمة نار القرية (آذران)، وكانت نار «ورهران» تتطلب هيئة من الهرابذة

---

(١) ويوافق على هذا الرأي سار (Die Kunst des alten Persiens، ص ١٥).

(٢) انظر كريستين سن، إيران في عهد الساسانيين، ص ٧٣.

أكثر عدداً يرأسها موبذ[١]. وقد جاء في «السوذكر» وهو نسك من الأفستا الساسانية، تفاصيل عن طريقة عبادة النار[٢]، مؤيدة بالقصص الدينية. وفي المعبد، حيث الهواء مفعم بالبخور، يقف الهربذ، وقد أخفى فمه برباط (پايتدانا بالأفستية) لكي لا تلوث أنفاسه النار، ليغذي النار بقطع من الخشب طهّرت تطهيراً دينياً، وهي في الغالب من نبات اسمه (هذانة پتا)، ماداً يده بحزمة الخشب المسوّى والمهيأ طبقاً لمراسم الدين (برسما)، مرتلاً الأدعية الدينية ويأخذ هرابذة المعبد بعد ذلك في نثر الهوما. فالأغصان المطهرة من نبات الهوما تدقّ في الهون بينما الهربذة يرتلون الأدعية أو يتلون بعض آي الأفستا. وهذه مراسيم طويلة ومعقّدة ينبغي أن تنفذ بدقة وفق التعاليم. ثم تنثر الهوما، ويتلو الزاؤوتر نصوصاً معينة بنظام محدد مع مراسيم متفاوته تقدم أثناءها البرسما. ولكل من الرتوات السبعة، وهم مساعدوه، دوره الخاص: «فالهاونان» الذى يدقّ الهوما، والـ «آثروخش» عليه أن يعني بالنار وأن يرتل الدعاء مع الزاؤوتر، والـ «فرابراتر» يحمل الأعواد ثم يضعها فوق النار والـ «آبرت» يحمل الماء، والـ «آس نتر» ينقى الهوما، والـ «رايث ولشگرا» يخلط الهوما مع اللّبن[٣]. والسابع الـ «سروشاورز» «يراقب العمل، وله وظائف عليه القيام بها خارج المعبد، إذ عليه مراقبة المواظبة على النظام الديني.

وفي معبد النار يرتل رجال الدين الأدعية المقرّرة للأوقات الخمسة المحددة في النهار ثم يقومون بكل أعمال المذهب وهي تأخذ شكلاً علنياً رائعاً في الأعياد السنوية الستة التي تسمّى بال ـ «گاهنبار»[٤]. والتي تساير فصول السنة على اختلافها.

---

(١) قارن سار ـ هرتسفيلد، Iran. Felsreliefs، ص ٨٩ ـ ٩١.

(٢) دينكرد (٩)، ١٢.

(٣) تقدم الهوما مخلوطة باللبن وعصير نبات هذنبيتا شرابا للآلهة والقربان يسمى ميزدا ويحتمل أن يتكون من اللحم والدهن أو الزبد.

(٤) گاهنبار: احتفالات وجشن.

ولكن الطبقات من غير رجال الدين لم يكونوا مبعدين عن المعابد بل على العكس كان من الواجبات الدينية على كل فرد منهم أن يذهب ليرتل دعاء مجد النار «آتش نيايشن»[1]. ومن يذهب منهم ثلاث مرات إلى المعبد ويرتل هذا الدعاء يظفر بالمال والسعادة الروحية[2]. وقد كان منظر المعبد يبعث المؤمنين على الاستغراق، وذلك بقاعاته المظلمة حيث تشتعل النار فوق المذبح والآلات المعدنية تلمع من أظرف وأهوان وشبابيث ومساند البراسما التي تشبه الهلال، وحيث الهرابذة يتلون الأوراد التي لا تنقطع بصوت مرتفع ولحن جميل حيناً وبصوت منخفض إلى حدّ التحتمة حيناً آخر، وهم يردّدون الأدعية والصلوات دائماً في أوقاتها على قدر المرات المحددة لكل حالة وقد امتازت ثلاثة بيوت من بيوت النار بين المعابد المنبثة في الدولة كلها، فكانت تتمتع بتقديس خاص، وهي البيوت الثلاثة التي حفظت فيها النيران الثلاث المسماة: آذر فرنبغ[3] وآذر گشسب وآذر بورزين ـ مهر. وفي خرافة قديمة تروى في البندهشن[4] إن جماعة من الناس، من أيام الملك الخرافي تخمورب انتقلوا من إقليم خونيرس[5] إلى ستة أقاليم أخرى لم يكن في طاقة البشر بلوغها، وذلك على ظهر الثور الخرافي «سرسا ثوغ» .Sarsaogh وقد حدث ليلة في وسط المحيط، أن سقطت ثلاث نيران كانت متقدة فوق ظهر الثور أسقطتها عن ظهره الرياح فوقعت في الماء ولكن النيران، كأنها ثلاثة أرواح حية، قد نبتت (من جديد) حيث كانت فوق ظهر الثور فأنارت الدنيا. وبعد ذلك جاء ييم (جم) وهو خليفة الملك تخمورب (خرافي أيضاً) فبنى لإحدى هذه النيران

---

(١) النيايشن الخامس من الأفستا.

(٢) پند نامگ زرادشت WZKM (٢٠)، ٣٦.

(٣) آذر فرنبغ في الكتابة البهلوية، وقد تكون كلمة فرنبغ كتابة تاريخية أو كتابة خاطئة للفظ فروغ بذ؛ ولكن يظهر أن الصيغة السريانية آذر فردا (هوفمان، ص ٢١٣).

(٤) الفصل ١٧، ٤ ـ ٥، وست، Pahlavi Texts، (١)، ص ٦٢ وما بعدها.

(٥) ينقسم العالم، حسب نشأة الخلق في القصص الديني، إلى سبعة أقاليم منها واحد يسكنه الآدميون وهو الإقليم الأوسط المسمى خونيرس..

الثلاث، نار فربغ، معبداً فوق جبل خورهمند في خوارزم. ونحن لا ندري إلى أي زمان يرقى تاريخ هذه النيران الثلاث. ويظن هوفمان[١] أن هناك صلة بين النار الأبدية بمدينة أساك بمقاطعة استاءوين، وهي النار التي احتفل عندها بتنصيب أرشاك، مؤسس الدولة الأشكانية، ملكاً[٢] وبين نار برزين مهر التي كان بيتها قريباً من هذه الجهة في عهد الدولة الساسانية.

وفي رواية من روايات رجال الدين المزدي أنّ النيران الثلاث كانت متصلة بالطبقات الاجتماعية الثلاث التي أسّسها أبناء زرادشت الثلاثة كما تقول هذه الخرافة ـ فآذر فرنبغ كانت نار رجل الدين، بينما كانت نار آذر گشنسب نار رجال الحرب، وآذر برزين مهر نار الزراع. وأما وضع النيران الثلاث في المواضع التي كانت معابدها فيها أيام الدولة الساسانية فترجعه القصص إلى الملوك الخرافيين قبل الأخمنيين.

آذر فرنبغ: وهي حسب رواية البندهشن الهندي، فوق جبل روشن في كابلستان بناحية كابل. ولعل في هذا خطأ من الناسخ، فإن البندهشن الإيراني قد يقرأ على وجه آخر، ولكن للأسف غير مؤكد. فيقرأه وليم جاكسون[٣] الجبل المنير في كاواروند (البخاري) في مقاطعة كار، ثم يحاول أن يرينا أن النص يقصد مدينة كاريان في إقليم فارس، في منتصف الطريق بين سيراف على شاطيء الخليج الفارسي ودارا بجرد، حيث لاتزال خرائب معبد قديم حتى الآن. ويظهر أنّ النار المقدسة هنا كانت تتقد من عين[٤]. وأما المسعودي[٥] فيرى أن هذا المعبد كان يسمي آذر جوي وتفسير ذلك «نار النهر» ومن الظاهر أن هذا هو المعبد نفسه الذي يشير إليه

(١) انظر كريستين سن، ص ١٥٤.
(٢) المصدر نفسه: ص ١٥٦.
(٣) JAOS, The Location Of the Farnbagh Fire، ص ٨١ ومابعد
(٤) قارن ستاك، Six Months in Persia، نيويورك، ١٨٧٢، ص ١١٨.
(٥) مروج الذهب، (٤)، ص ٧٥ وما بعدها.

البيروني باسم آذر خوره[١]. هذا ويقترح[٢] هرتسفليد قراءة أخرى للعبارة التي نحن بصددها من البندهشن الإيراني، فعنده أن بيت نار فرنبغ كان مقاماً في إحدى ولايات الثغور التي يحددها العالم الألماني بسهل نيسابور[٣]. وعندي أنه من المعقول جداً أن يكون موقع بيت نار فنبغ في كاريان، إذا لاحظنا الروايات العربية التي ذكرها جاكسون تأييداً لرأيه وكانت النار تؤخذ من معبد كريان لتنقل إلى المعابد الأخرى وذلك إلى القرن العاشر[٤] فقد كان من العادات القديمة أن تجدد النار في المعابد الصغرى بإمدادها من إحدى النيران في المعابد الثلاثة الكبـرى[٥].

آذر گشنسب: وهى النار الملكية، وكان معبدها فى الشمال فى گنجكگ (شيز) بآذربيجان. وقد حدد جاكسون مكانها بين خرائب تخت سليمان فى منتصف الطريق بين أرومية وهمدان[٦]. ويصف المسعودي[٧] في القرن العاشر خرائب هذا المعبد فيقول: «وفي شيز من بلاد آذربيجان آثار عجيبة من البنيان وصور بأنواع الأصباغ العجيبة من صور الأفلاك والنجوم والعالم وما فيه من برٍّ وبحرٍ وعامر ونبات وحيوان وغير ذلك من

(١) طبعة ساخاو، ص ٢٢٨ وما بعدها، ترجمة الناشر، ص ٢١٥ وما بعدها؛ وقد تكون آذر خورا مكان آذر خوروا؛ وخر وفر صورتان من گلمۀ واحچۀ هى خورنة فى الافستا.

(٢) انظر كريستين سن، ص ١٥٥.

(٣) قارن قبل هذا ص ٩٤، ملحوظة ٣.

(٤) مقدسي، نشر دي جوبه، ٣، ٤٢٧.

(٥) تقول الرواية الخرافية (البندهشن) إن ويشتاسبا الملك القديم الذي حمى زرادشت هو الذي نقل نار فرنبغ من خوارزم الى المكان الذي وجدت فيه حين ألف هذا الكتاب. وأما المصادر العربية فلها روايتان مختلفان عن نقل النار المقدسة في كاريان فالبعض ينسب ذلك لويشتاسبا وآخرون ينسبونه للملك الساساني كسرى الأول. ومهما يكن فلا شك أن نار فرنبغ كانت موجودة في مكانها النهائي في بدء العهد الساساني..

(٦) Persia Past and Present، ص ١٢٤ ـ ١٤٣.

(٧) المسعودي، التنبيه، ص ٩٥.

العجائب ولهم فيها بيت نار معظم عند سائر طبقات الفرس يقال له آذر خوش[1]، وآذر أحد أسماء النار بالفارسية والخوش الطيب. وكان الملك من ملوك الفرس إذا ملك زاره ماشياً تعظيماً له، وتنذرُ له النذور وتحمل إليه التحف والأموال[2] وغير ذلك من البلاد كالماهات وأرض الجبال».

وبالجملة فقد كانت هذه النار رمزاً للوحدة الملكية والدينية، ورمز الملكية الساسانية، التي قويت بتحالفها مع رجال الدين، على خلاف الملكية الأشكانية، التي كان لكل ملك مقاطعة فيها ـ أي لكل سترب ـ معبد خاص به. وهنا يعبّر كتاب تنسر[3] عن حقيقة التاريخية، ولكن ما جاء في ذيل الكتاب نفسه «من أن معابد ملوك الطوائف كانت بدعة وأن النار الملكية الواحدة عند الساسانيين كانت إعادة لما كان متبعاً منذ عهد داريوس» ليس له أساس من التاريخ»[4].

آذر برزين مهر: معبد نار الزراع، وهو قائم في شرقي الدولة في جبال ريوند شمال شرقي نيسابور. ويسمى لازار الفربي قرية ريوند بقرية المغان[5]. وقد أراد جاكسون أن يجعل مقر هذا البيت بقرية الحديثة مهر. في منتصف الطريق بين ميان ـ دشت وسبزوار على الطريق الخراساني المؤدّي إلى نيسابور[6].

كانت بيوت النار الثلاثة هذه موضع تقديس خاص وكانت هباتها وما ينذرلها أغني مما يخصص للمعابد الآخرى. وكان في إيران معابد كثيرة من

---

(١) اسم آخر لآذر ـ گشنسب.

(٢) وقد أشار ابن خرداذ أيضاً إلى عادة سير الملوك الساسانيين مشاة إلى معبد آذر ـ گشنسب بالمدائن عند توليتهم الملگ (BGA، (٦)، ص ١٢٠).

(٣) دار مستر، ص ٢٢٥ و٥٣٠ وما بعدها.

(٤) في المكتبة الأهلية بباريس خاتم عليه صورة ونقش لمغان مغ آذر گشنسب المسمى بافرگ.

(٥) هوفمان، ص ٢٩٠.

(٦) From Constantinople to the home of Omar Khayyam، ص ٢١١.

الدرجة الثانية ولكنها كانت محل رعاية كبيرة، وخاصة ما نسب تشييده منها إلى بعض الأبطال الخرافيين الذين عاشوا في العصور البالية أو إلى زرادشت نفسه، ومن أمثلة هـذه ـ البيوت بيت النار فى طوس ونيسابور وآرجان فى فارس وبيت نار گرگرا فى سيستان وبيت گويسا بين فارس وأصفهان[1] .وتذكر أسماء بيوت النار في قرى كثيرة من بلاد الجبال، وهي بلاد ميديا القديمة ومنها نار قزوين، وشيروان قرب الري، وقومش (لعلها هگتمـوليس الأشكانيين[2]) ويُرى، حتى اليوم، على قمة تل قريب من أصفهان خرائب بيت من بيوت النار[3].

٢ تكريس النيـران المقدسـة ومعابد النـار[4]:

هناك ثلاث درجات للنار المقدسة:

١ ـ الأتـاس بهرام (Atas Behram).

٢ ـ الأتـاس أدران (Atas Adaran).

٣ ـ الأتـاس دجدا (Atas Dagdan).

ولكل منها طقوسه الخاصة سواء تعلق الأمر بتكريس النار، أو بالصلوات اليومية التي تقام خمس مرات يومياً، حينما تزوّد النار بوقود مجدّد.

إن قواعد تكريس النار المقدسة من الصنف الأول (أتاس بهرام) سبعة هي:

١ ـ اجتماع ستة عشر نوعاً من أنواع النار.

---

(١) الشهرستاني، ص ١٩٧؛ الترجمة هاربروشر، (١).
(٢) القائمة الكاملة في شوارتز، في البندهشن الإيراني (انكلساريا، ص ١٢٨).
(٣) عن كتاب جاكسون، المرجع السابقة، ص ٢٥٢ وما بعدها.
(٤) بهمن سوراجي باناجي، الديانة الزرادشتية أو اليزيدية، ص ١٣١ وما بعدها.

٢ ـ تطهّرها.

٣ ـ تكريسها.

٤ ـ ضمّها فى نار مقدّسة واحدة.

٥ ـ تكريس هذه النار المقدسة الموحدة.

٦ ـ تكريس قاعة النار، قدس الأقداس لمعبد النار.

٧ ـ ترسيم النار المقدسة.

دلالة الشعيرة

ما دلالة تلك النار التي توحّدت كذلك، وطهرت، وكّرست، ورسمت؟ يقول الزرادشتي لنفسه وهو واقف أمام النار المقدسة[1]:

إذا كانت هذه النار التي أراها، الطاهرة بذاتها، أنبل مخلوقات الرب، وأفضل رمز للألوهية، ينبغي لها أن تكابد عمليات التطهير، وأن تتوصل إلى جوهر الصفاء أو أثيره (Quintessence)، لتكون جديرة بهذا المقام السامي ـ أفليس حتماً علي وجوهرياً، وهاماً، أنا العبد الفاني، أن اجتنب الآثام والجرائم، وألا ألوث ذاتي ـ ببعض هذه الشرور المادية أو المعنوية؟ وكم يكون ضرورياً أن أخضع لقواعد الطهارة والتقوى، وأن أنقي بغربال التقوى كل أفكاري الصائبة، وأقوالي الطيبة، وأفعالي الصالحة، وأن أعزل بالطريقة ذاتها أفكاري الصائبة وأقوالي الطيبة وأفعالي الصالحة عن أفكاري السيئة، وأفعالي السيئة، لعلني أكون جديراً بمقام سام في الحياة الآخرة!

إنّ النار على مختلف أنواعها يتعهدها الناس من كل الطبقات في بيوتهم، وهم منصرفون إلى شؤونهم. كما تستخدم النار في إحراق الموتى

---

(١) زامياد يشت، البنود ٤٦ ـ ٥٠.

والحصول على رمادهم تذّكر هذه الشعيرة الزرادشتي بأنه على الرغم من أن مختلف النيران المجلوبة من مساكن بشرية قد تطهرت فاكتسبت بذلك مقاماً سامياً في الوعاء، مهما كانت طبيعتها الأولى، كذلك الناس، على اختلاف طبقاتهم الاجتماعية، متساوون أمام الرب، على شرط أن يكونوا قد اجتازوا محنة التطهير، واحتفظوا بنقاء أفكارهم وأقوالهم وأفعالهم[١].

حينما يجد البارثي نفسه في حضرة النار المقدّسة، فإن الكاهن الممارس يرفع أمامه ملعقة مملوءة بالرماد المستخرج من النار الملتهبة، فيمسح المؤمن بهذا الرماد جبهته، كما يفعل الكاثوليكي بالماء المقدس ويقول لنفسه[٢]:

الرماد يعود رماداً. والنار على توقدها، وإشعاعها، قد نشرت طيب رائحة خشب الصندل والبخور حولها، ولكنها ستعود نفسها رماداً. كذلك مصيري. فلأكن مثل هذه النار، أبذل جهدي لكي أنشر قبل موتي، رائحة العمل الصالح، والنور، والاستقامة، والمعرفة!.

تعهّد النار المقدّسة

إن شعيرة إذكاء النار المقدسة في معبد النار، تحدث خمس مرات يومياً. وتختلف باختلاف درجة النار المقدسة. فإذا كانت ناراً من الدرجة الأولى ينبغي للكاهن أن يكون قد أدّى البارشنوم وأكمل شعيرة الخوب (khub). وبعد أن يتلو صلواته يضع بعض البخور الحر، وست قطع خشب الصندل في النار، ويجعلها على شكل تاج (Machi)[٣]. ثم يطوف حول المجمرة وبيده ملعقة من معدن، ويتوقف على ثمانية أوضاع مختلفة أمام أطرافها الأربعة، وزواياها الأربع، يتلو شذرات من صلاة إليكم موجزها:

---

(١) حامد عبدالقادر، زرادشت الحكيم، ص ١٦٦.
(٢) المرجع السابق، ص ١٣٧.
(٣) بهمن سوراجى باناجى، الديانة الزرادشتية، ص ١٤٥.

«أيها الربّ! إنّا نحمدك بنارك. نحمدك بالتقرب إليك بأفكار صائبة، إنا نحمدك بنارك. بالأعمال الصالحة. ونفعل ذلك كله لتنوير أفكارنا، وأقوالنا وأفعالنا»[1].

٣ تكريس آبـراج الصمت

في وسط الفضاء المختار لإقامة البرج يؤدي الكاهن شعائر الباج تكريماً لسراوشا، الروح المكلف بإرشاد أرواح الموتي، وتكريماً لأهورا مزدا، وسبنتا أرمايتي، وأمشاسبند، الذين يحكمون البلاد. وتكريماً لـ «أردافرافاش»، أي كل الأرواح غير المتجسدة، وتكريماً لـ هافت أمشاسبند السبعة الصالحين الخالدين.

بعد عدة أيام يقيم في الصباح، كاهنان شعيرة الـ تانا لإرساء قواعد البرج. وقد أطلق عليها هذا الاسم لأن خيطاً رفيعاً يستخدم لتخطيط محيط البرج وأجزائه المختلفة لإرساء القواعد. فينسج مائة خيط وخيط في حبل متين. ويجب أن يكون من الطول بحيث يلتف ثلاث مرات حول محيط البرج الخارجي، ومحيطه الداخلي، وتفرعاتهما. وقبل أن يستعمل بزمن يتحوّل إلى (pva) أي يغسل، ويطهّر ويجفف. ولتثبيته يغرز الكاهن في الأرض ثلاثمائة وتد ووتد، مختلفات الوزن والحجم[2].

وفي الحفرة التي تشغل وسط البرج، تدعى بهاندار، يقيم كاهنان، ثلاثة أيام متتالية، شعائر اليسنا والفنديداد، تكريماً لليزاتا سراوشا الذي يحمي أرواح الموتى ثلاثة أيام وثلاث ليال بعد الوفاة. وفي صباح اليوم الرابع، يوم افتتاح البرج، تقام شعيرة اليسنا، تكريماً لأهورا مزدا. ثم تأتي شعيرتا الباج والأفرينجان، تكريماً لأهورا مزدا والأردفرافاش، أي الأرواح غير المتجسدة وتكريماً لسبندارمذ، رئيس الملائكة الموكل بالأرض الأم

(١) الأفستا، يسنا يند ٢٥.

(٢) بالفارسية: مزديسنا وادب پارسی، ص ٢٧٦.

التي خصصت قطعة منها لسكني الموتي، تكريماً لسراوشا. وفي شعيرة الأفرينجان المعروفة باسم جازان، التي تقام بحضور العديد من أعضاء الجماعة الذين جاؤوا شهوداً عليها، يذكر اسم المتبرع الذي أنشأ البرج على نفقته، ويدعى له ببركات الرب. وبعد انتهاء الشعائر يرمى الحضور في الحفرة المركزية من البرج، قطع النقود من ذهب وفضة ونحاس، ويرمون حتى الخواتم وغيرها من الحلي التي تساهم في استكمال المبلغ اللازم لبناء البرج، إذا كان يشيد على نفقة الجماعة. أما إذا تكفل متبرع واحد بنفقته، فإن حاصل هذه الهبات يدفع إلى الكاهن الرئيس في المقاطعة التي يقع الصرح تحت سلطتها الدينية. وقد يحول أحياناً، إلى الجمعيات الخيرية في المدينة[١].

«لم يبق من الأعمال والعبادات والآداب والتشريفات الدينية الزرادشتية الأصيلة شيء يذكر، وإنما يعلم أن زرادشت قد نسخ مناسك ومراسيم الإيرانيين القدماء المبنية على العقيدة بالسحر وعبادة الأوثان، والتي كانت هي نسخ زرادشت في طريقها إلى الزوال. وإنّما بقي من مذهب زرادشت مرسوم عبادة واحد فقط، وهو ـ كما قيل ـ أن زرادشت قتل وهو واقف في محراب عبادته للنار المقدسة! وقد جاء في أحد أناشيد «گاتاها» أن زرادشت كان يقول: «إني حينما أرفع يد الضراعة إلى النار المقدسة أراني براً صحيح العمل» وقد عدّ النار في موضع آخر من عطايا «يزدان» التي وهبها أهورا مزدا للإنسان تكريماً له وتعظيماً! وليعلم أن زرادشت نفسه لم يكن يعبد النيران، بل لم يكن يعتقد فيها ما كان يعتقد به آباؤه في شأن هذا العنصر المقدس، وهو يختلف في عقيدته بشأنها مع ما يعتقده فيها عباد النار المتأخرون عنه وإنما كان يرى أن النار رمز مقدس وشارة ثمينة من أهورا مزدا يستطيع الإنسان أن يتوصّل بها إليماهية الحقيقة العلويّة للربّ العليم»[٢].

---

(١) اراد ويراف نامه، فركرد ٦.

(٢) بالفارسية: تاريخ جامعه اديان، ص ٣٠٩ ـ ٣١٠.

وسواء كان زرادشت يقدس النار أو لا يقدّسها، وعلى فرض تقديسه لها فعلى أي صورة كان يفعل..؟ الذي نقطع به أن تعظيم النار وتقديسها وتكريمها وعبادتها شاع بين أتباع زرادشت بحيث أصبح أكبر شعار للزرادشتية وهو بعدُ باق إلى اليوم، فبيوت النيران تُبنى لدى المجوس كما تُبنى الكنائس لدى النصارى والكنيست لدى اليهود والمساجد لدى المسلمين.

وكتب كريستين سن يقول: «... إن رجال الدين الزرادشتيين كانوا يتقهقرون كل يوم قدماً إلى الوراء، ولم يبق لهم ما كانوا يتمتعون به من القدرة في البلاط والدولة حتى يستطيعوا أن يصدوّا ما يحدث ضدّهم من حوادث دينية مضادّة، ولهذا فقد خفّت ما كانوا يحملوه عن الناس من ظلم وتجاوز باسم الدين... وتقدمت الحكمة والفلسفة في الأوساط العلمية على أحكام الدين، وكلّما توّسع أفق الفكر لديهم كانت الشكوك والوساوس تتّسع في أذهانهم شيئاً فشيئاً... وأخذت السذاجة والبساطة في الأساطير القديمة التي كانت في بعض أجزاء مزديسني تقلق علماء الدين وتؤذيهم. ولهذا فقد أخذوا يصنعون لها تأويلات استدلالية لتوجية الحكايات القصصية وحاولوا أن يوجهوها بالطرق العقلية...»[1].

كتب الدكتور معين بشأن معبد «آذر برزين مهر» أحد معابد النيران الكبيرة والأصيلة، يقول: «إن معبد آذر برزين مهر كان قائماً حتى عهد كشتاسب، وكان ملجأ للعالمين حتى آمن بزرادشت انوشيروان وكشتاسب، فحمل كشتاسب معبد آذر برزين مهر إلى جبل ريوند الذي يدعي پيشتاسپان وپشت أيضاً»[2] وينقل عن خرده أوستا إنّه كان يقول: «إن الفلاحين يصبحون أعلم وأطهر وأنقي ثياباً ببركة هذه النار، وببركة هذه النار تساءل گشتاسب وتلقى الجواب» ويقول بشأن «آذر فرنبغ» الذي هو الآخر أحد

---

(١) بالفارسية: إيران در زمان ساسانيان، ص ٣٠٩.

(٢) بالفارسية: مزديسنا وادب پارسى، ص ٣٣٤.

المعابد الأصيلة للنار: «كان هذا المعبد يخص الموابذة الكبار، وقد جاء في البند الخامس من التفسير البهلوي لنار بهرام في دعاء خرده أفستا «إن هذا المعبد اسمه: آذر فرنبغ، وهي نار عليها يكون حماية سائر النيران، وببركة هذه النار يجد الموابذة والدساتير العلم والكبر والجاه والشأن الرفيع، وهذه النار هي التي قاومت الضحاك»[1].

وجاء بشأن «آذر گشنسب» التي هي ثالث المعابد الكبار والأصيلة «كانت آذر كشنسب حتى ملك كيخسرو ملجأ للعالمين، وحينما خرب كيخسرو بحيرة چچست جلست هذه النار على عرف فدفعت عنه الظلام والسواد ووهبته النور والضياء حتى استطاع أن يخرّب معابد الأصنام، فبني في ذلك المحل على جبل اسنوند معبداً للنيران وجعل تلك النيران في ذلك المعبد»[2]. وفيه: «أن معبد آذر گشنسب هو إحدى ثلاث شرارات من الجنة نزلت إلى عالم التراب لأمداد العالمين، وقد استقرت بآذربائيجان»[3].

ويقول فردوسي بشأن ذهاب كيكاوس وكيخسرو إلى معبد آذر كشنسب: «نقوم عند النار على قدم وساق...

حتي يهدينا يزدان الطاهر...

فحيث يكون يزدان راقداً

يجد ممثل العدل الطريق إليه...»[4].

ثم يشرح الموبد أردشير آذر گشنسب فوائد النار الواضحة بعنوان أنها عنصر شريف ومقدّس، وبعد ذلك يقول «وعلى أي حال، فإنما تيسر كل هذا التقدم للإنسان القديم بمساعدة النيران الحمراء والمحرقة، وعلى هذا فهو كان على حق إذا أذعن للنار بحرمة فائقة وحسبها رسالة سماوية أنزلت

---

(١) بالفارسية: مزديسنا وادب پارسی، ص ٣٤٠.
(٢) بالفارسية: مزديسنا وادب پارسی، ص ٣١١.
(٣) بالفارسية: مزديسنا وادب پارسی، ص ١١٢.
(٤) نقلاً عن مزديسنا وادب پارسی، ص ٢٨٣.

عليه لمساعدته، وبنى لها المعابد وجعلها مشتعلة دائماً لا يطفئها بل يمنع من إطفائها».

ويقول الزرادشتيون إنهم يقدسون النار ولا يعبدونها، والنار في الأرض هي العنصر الذي يمثل للناس تلك القوة العليا. فهي ليست عنصراً أولياً ساذجاً أبدياً أزلياً فحسب، بل هي أيضاً قوة مطهرة مهلكة طاهرة نقية نافعة لا يمكن أن يتطرق إليها الفساد.

وهكذا تبدو تلك الصورة التي يتصور الناس من أجلها أن أتباع زرادشت يعبدون النار. . . بينما يؤكدون أن تلك الفكرة خطأ كبير. فهم لا يعبدون النار أو يتخذون منها إلهاً، ولكنهم يرونها إلى جانب الشمس رمزاً لقوة الإله الذي لايمكن أن يراه أحد. . ويعدّون الوثنية والشرك بالإله الواحد الخير الحق جريمة كبري، لأنها تتضمن إنكار مبدأ وحدة الواحد أهورا مزدا.

ويقول الزرادشتيون أنهم يقدسون النار ولا يعبدونها، لأنها مقدسة كرمز. . ومن أجل ذلك تحملوا التبعة التي ألقاها زرادشت على أكتافهم بالاحتفاظ بشعلة النار مضطرمة بالمعنى الرمزي والمعنوي. . فراحوا يوقدونها أبداً ويجعلونها تتأجج في صدورهم إلى جوار تأجّجها في المعابد. . وعندما توقد النار في هيكل، يصير من أهم الواجبات وأقدسها علي رجال الدين أن يعملوا دائبين على إبقاء نارها المشتعلة، فيأتوا إلى الهيكل خمس مرات في اليوم ليقدموا إلى النار وقوداً من خشب الصندل وغيره من المواد العطرية. . فتنتشر في الهيكل رائحتها الزكية، وفي كل مرة يتلو الكاهن عبارات دينية يدعو بها الناس إلى التأمل في الخير والكلام الطيب والعمل الصالح[١] وهي جواهر الزرادشتية الثلاثة التي تتضمن كثيراً من الفضائل والأدب كالأمانة وحسن المعاملة والعفة والطهر والإحسان إلى الفقراء والعطف على الأغراب.

---

(١) سليمان مظهر، قصة الديانات، ص ٣١٠ ـ ٣١١.

ومن هنا كان أول عهد يأخذه الزرادشتي على نفسه كما جاء في الأفستا المقدسة:

«لن أقدم على سلب أو نهب، ولا تخريب أو تدمير، ولن آخذ بالثأر.. وأقرّ أنّي أعبد الإله الواحد أهورا مزدا، وأني أعتنق دين زرادشت.. وأقرّ أنيّ سألتزم التفكير في الخير والكلام الطيب والعمل الصالح»[1].

٤ الـزرادشتية والطقوس الشعبية:

يبدو أن معظم سكان إيران الغربية كانوا في زمن هيرودوت غير متأثرين بشكل كبير بأي نمط يمكن تمييزه من الديانة الزرادشتية، ويبدو أن جزءاً فقط من المجوس قد التزموا بالعقيدة الجديدة وعلاوة على ذلك كانت الزرادشتية المتخذة عندما أدخل ازدشير الأول التقويم الزرادشتي الجديد، هي الزرادشتية الشائعة حسب كتاب الأفستا الأخير، ويبدو أنه سُمح للناس حتى بعدما حرم خسرو عبادة آلهة الديفاس، بالمدى الأوسع من العبادة، وكانوا بلا ريب أحراراً في مواصلة ممارسة أشكال تقليدية للعبادة طالما أنهم لم يتضرعوا إلى آلهة الديفاس بالاسم، ولا بدّ أن الزرادشتية قد أصبحت ديانة مشركة تؤمن بعدة آلهة تماماً حول هذا الوقت، وكان أردشير الثاني يساير الاتجاه الشعبي ويتبعه فقط، عندما ربط ميثرا مع الرب الحكيم، ومن جهة أخرى لا بدّ أنه كان هناك فريق ضمن المجتمع الزرادشتي عدّ الثنوية الصارمة بين الصدق والكذب، وبين الروح القدس والروح المخرّبة، أنها الجوهر لرسالة الرسول، وإلا لا يمكن بسهولة تفسير إعادة ظهور هذا الشكل الثنوي الصارم للزرادشتية بعد حوالى ستة قرون من انهيار الإمبراطورية الأخمينية، ولا بدّ أنه وجدت أقلية متحمسة شغلت نفسها بتجديد ما عدته رسالة الرسول الصحيحة ولا بدّ أنه قد وجد فريق

(١) الأفستا، زامياد يشت، فركرد ٧.

راشد داخل المعبد ويمكن ايجاد هذه الأقلية المهتمة الآن باللاهوت بقدر اهتمامها بالطقوس بين المجوس[1]، وحقاً نسب أرسطو وعدد من الكتاب الإغريق الأوائل إلى المجوس العقيدة الثنوية الكاملة لمبدأين مستقلين هما: أورماسيدس Ormasdes وأريمانيوس Areimanios وعلاوة على ذلك، قيل الآن عن زرادشت نفسه[2]، كان مؤسس طائفة المجوس، ومن جانب آخر لا بدّ أن سقوط الإمبراطورية الأخمينية كان مشؤوماً بالنسبة للديانة الزرادشتية كما أن حقيقة أن المجوس تمكّنوا من الحفاظ على الكثير منها، كما فعلوا ومن إعادتها، بشكل لم يكن غريباً جداً عن الرسالة الأصيلة للرسول، بعد مرور نحو ستمائة عام، تثبت إخلاصهم لذكراه؛ وصحيح القول بالفعل أن الزرادشتية التقليدية المحافظ للعصر الساساني كانت أكثر قرباً إلى شخصية زرادشت من الشرك المتنكر بشكل واهن للياشت وكان ميثرا وآناهيترا سيحقّقان انتصارات عظيمة في مناطق غير إيرانية، إلا أن سلطتهما تقيدت كثيراً في الزرادشتية المصلحة التي أخذ بها مجدداً وبوشر بها في الإمبراطورية الفارسية الثانية، ولم يسمح لهما أبداً من جديد باغتصاب منزلة ذات مساواة من الرب الحكيم، وأصبحا من جديد شخصين مستقلين إلى حدٍّ كبير، كما كانا في الأصل بالنسبة للرسول، لقد أصبحا ملكين رئيسين في أحسن الأحوال، لكن لم يتشابها مع الخالق بأيّ حال من الأحوال وفي وقت الذي تراجعت فيه الآلهة بعيداً عن الأنظار، أصبحت الثنوية: بين الخالق والمخرّب، بين الربّ الحكيم وبين الروح المخرّبة، بين أهورامزدا، وأهرمان ـ كما أصبحا يسميان ـ ولقد غدا هذا مؤكداً بشكل حاد أكثر من أي وقت مضى، وكان هذا في شخصية الرسول نفسه، وليس في أتباعه الذين غيروا ديانته بشكل جذري كثيراً خلال العصر الأخميني.

وأدّى سقوط الأخمينيين حسب رواية أحد الكتب البهلوية، إلى

---

(١) المصادر الرئيسية البندهشن ورسالة زاد ـ سپرم وزند بهمن يشت، فانظر ص ٤٢ ومابعدها فى گريستين سن..

(٢) دينگرد، الكتاب الثالث، المجلد التاسع، ص ٤٥٠.

حدوث ندرة في توفر معلمين دينين مؤهلين بشكل مناسب وإلى انتشار الهرطقة من كل نوع[1]، ويعلّل هذا التنوع الكبير للآراء التي تنسبها المصادر الإغريقية واللاتينية إلى مجوس حيث لم يعد هناك بعد ذلك أي خسرو ليعاقب الذين استمروا في عبادة آلهة الديفاس، ومع أن أقلية ربما قد التزمت بمعتقدها التقليدي الخاص، لم تعد السلطة المدنية في أيد إيرانية واستمر ذلك لزمن طويل كما يبدو أنه حتى الفرثيين أنفسهم لم يهتمّوا كثيراً بعقيدة الرسول.

٥ طقـوس وداع الموتى:

تنقسم المراسم المتبعة حين الوفاة إلى قسمين:

- ـ مراسم متعلقة بالجثمان.
- ـ مراسم متعلقة بـالروح.
- ـ الإجراءات المتعلقة بجثمان المتوفى.

إن أحد المبادىء الأساسية في الديانة الزرادشتية، حفظ النار، والهواء والماء والتراب أن يمسها دنس أو نجاسة. والمطلوب أن يوضع جثمان المتوفى بعد صعود الروح، بما يقتضية من التوقير، ولكن بحيث لا يلوّث أحد العناصر الأربعة، أو يؤذي الأحياء. ولهذا، فإن المؤمنين لا يحرقون موتاهم، ولا يدفنونهم، ولا يغرقونهم أيضاً. بل يجعلون الجثة على قمة ربوة عالية، عرضة لحر الشمس، حتى تنهشها الجوارح. كما أن مراسيم الجنازة مستمدّة من أفكار الزرادشتيين القدماء حول النظافة، والحجر، والطهارة. وهذه الاحتياطات قد سبقت الإجراءات الوقائية التي تتخذ في العصر الحديث تجنباً لانتشار العدوى وهي:

١ ـ منع أي ملامسة من الأحياء لبؤرة العدوى، حقيقة كانت أم مفترضة.

٢ ـ القضاء على هذه البؤرة ذاتها.

---

(١) ارادي ويراف نامه، ١، ١٢ ـ ١٨.

تعتبر الإجراءات الوقائية أسباب الوفاة ناقلة للعدوى. ويطلب من المؤمنين أن تكون ملامستهم للجثة على أقل ما تكون.

بعد الوفاة يسارعون إلى تغسيل الميت، ويكفنونه بثياب نظيفة، ثم يتلون عليه الصلاة وهم يلفّون حوله الخيط المقدس (Kusti)، ويضعونه على الأرض في زاوية أمامية من الحجرة، لكي ترش عليه كمية من الرمل، أو شذرات من التراب الجاف، القاسي، وتغطيه الرأس وتشبكُ يدا المتوفى على صدره. وبعد أن يصبح على الأرض الجافة، يتقدم أحد اثنين من الحمّالين المحترفين فيرسم حوله ثلاث دوائر (Kashas) بقطعة حديد مدببة الأس، محدّداً بذلك مطرح الجثمان على الأرض، ليمنع الأحياء من الاقتراب منه، والتلوّث به[١].

ثم يؤتى بكلب له فوق عينيه بقعتان تشبهان العينين، فينظر إلى الجثة. فهم يعتقدون أن الكلاب التي لها مثل هذه العلامة الخاصة، أو الكلاب بأربع عيون (شاترو شاسما chathru chasma) تملك القدرة على معرفة وجود الحياة في الجثة أو عدمها. فإذا كانت الروح قد فارقتها فإن الكلب ينظر إليها نظرة ثاقبة، أما في الحالة المعاكسة، فإنه يحوّل نظره عنها.

ويحملون إلى حجرة الميت وعاء فيه نار مشتعلة، ويذكونها بخشب الصندل والبخور. ويجلس أمام النار كاهن يداوم على تلاوة نصوص من الأفستا، حتى تحمل الجثة إلى البرج، وهذا الكاهن نفسه يتعهّد النار. وقد يسير موكب الجنازة إلي البرج في أي ساعة من ساعات النهار، ولكنه لا يكون ليلاً على الإطلاق، لأنه ينبغي تعريض الجثة إلى الشمس[٢].

قبل حوالى الساعة من موكب الجنازة، يدخل المنزل اثنان من الحمالين (nassasalars)، أو أربعة إذا كان الجسد ثقيلاً، وهم يرتدون الملابس البيضاء، فإن كانت الوفاة إثر إصابة إنتانية تغطى كل أعضاء

---

(١) ونديداد، كرده ١٩ فقره ٢٩ و٣٦.

(٢) ونديداد، فردگرد يگ، فقره ٤٥ و٤٦.

الجسم ما عدا الوجه، لتحجب هذا الإنتان. ويكون مع الحمالين نعش من الحديد وليس سواه، لنقل الجثمان. ويمنع استعمال الخشب قطعاً في مراسم الجنازة، لأنه ناقل لجراثيم المرض والإنتان.

يجعل الحمالون النعش جانب الجثة، ثم يتلون همساً العبارة الآتية، ولا ينطقون بعدها بشيء حتى يوضع الجثمان في برج الصمت وإليكم العبارة:

إننا نفعل ذلك طبقاً لأوامر أهورا مزدا، امشاسبنتا وأوامر القديس سراوشا، وأوامر أدارباد، ماراسبند، وأوامر دستور العمر.

ثم يجلسون ساكتين بجانب الجثة. فإذا طرأ عارض اضطرهم إلى الكلام، فإنهم يهمسون همساً خافتاً لا يحركون به شفاههم.

ويتبع ذلك المراسم المسماة جيه ـ سارنا (Geh - Sarna)، وهي تلاوة من الجاتا مصوغة على شكل تحذير إلى الأحياء، يوصيهم بتحمل الفقد الذي أصابهم. بعدئذ، يؤتى بالكلب لينظر إلى الجثة مرة ثانية. ويلقي أهل الفقيد وأصحابه المجتمعون هناك، النظرة الأخيرة عليه. وما إن تنتهي مراسم الجيه ـ سارنا حتى يمر أهل الفقيد أمام الجثمان واحداً بعد الآخر، ويتأملوه مرة أخرى وهم ينحنون أمامه باحترام[١].

ثم يغطي الحمالون وجه المتوفى بقطعة قماش، ويضعون الجثة في النعش بواسطة سير من القماش. وينقلون النعش إلى خارج، ويسلمونه إلى الخانديا، أي: فريق آخر من الحمالين المكلفين بنقل النعش على أكتافهم حتى البرج.

حينما يصل الموكب إلى غايته، يجعل النعش على الأرض، خارج البرج. ويغطي الحمالون وجوههم. ويقدم الحاضرون واجب الإحترام للمتوفى بأن يلقوا عليه نظرة أخيرة من مسافة لا تنقص عن ثلاث خطوات.

---

(١) Civilization of The Eastern Iranians - By Dr Geiger.

ثم يعرضونه مرّة أخرى على الكلب ذي العيون الأربع، ثم يفتحون باب البرج. أما الحمالون الذين أخرجوا الجثمان من المنزل ورافقوه إلى مثواه الأخير، فيستعيدون النعش من هؤلاء الحمالين ويضعون المتوفى في المكان المعين له، ينزعون عنه أكفانه ويتركونه على أرضية البرج. فقد جاء إلى الدنيا عارياً ويغادرها كما جاء.

حينما تعرض الجثة بهذه الطريقة تلاحظها عيون الطيور الجوارح. وكلما سارعت إلى انتهاشها كان خطر تحللها أقلّ، وزاد اطمئنان الأحياء من الخطر. أما الأكفان التي نزعت عن الجثة فترمى في حفرة خارج البرج لكي تهترئ بفعل الحرارة والريح، والمطر. وفي بومباي يصبون عليها (حمض الكبريت) حتى تتلاشى.

ينهي الحمّالون مهمتهم بإغلاق باب البرج. هناك يصفق أحد الأعوان بيديه، وتلك إشارة معلومة إلى الذين مشوا وراء الجنازة، وظلوا جالسين على مبعدة من البرج. فينهضون جميعاً، ويتلون خاتمة الصلاة سراوش باف (Sraosh Baf) التي كانوا قد تلوا جزأها الأول قبل سيرهم وراء الجنازة[1]. وتتبعها كذلك صلاة قصيرة تحتوي هذه الكلمات:

إنّا نتوب عن كل ذنب. ولكم يا أرواح الموتى احترامنا. ونتذكر هنا أرواح الموتى الذين هم أرواح مقدسة.

بـــرج الصـــمت

أيها الخـالق المقـدس للعـالـم المادّي! أين ينبغـي لنـا نقـل أجسـاد الموتـى؟

يا أهـورا مـزدا! أين ينبغي لنا أن نضعها؟ هـكذا يسأل زرادشت في الفنديداد. فيجيب أهورا مزدا: في أعلى مكان يا سبيتاما زرادشت!.

(۱) ريگ ودا ـ باب دهـم، فقره ۱۸.

في العصر القديم كانوا يجعلون الأجساد في ذرى الجبال العالية دون أن يحيطوها بسياج. وحين لا تترك منها الكلاب والنسور وسواها من الجوارح شيئاً غير العظام، ويبقي هذا الرفات رميماً، خلال سنة من الزمان، يأخذونها ويحفظونها في «الأستودانات» (Astodans)، وهي فجوات من الحجر، ذكرها المؤلفون القدماء. وكانت هذه الأستودانات أحواضاً من الحجر، أو أجراناً، أو سواها من المواد التي لا تتلف والمفترض فيها أن تمنع النتانة. ويكون اختيارها بحسب الإمكانيات المتوفرة لدى عائلة المتوفى[1].

وأما أبراج الصمت الحالية فقد أعدت لكي يتحلل اللحم وتحفظ العظام. وهذه الطريقة الحديثة ـ كما نرى ـ أفضل من سابقتها ولا توجد تفرقة بين الأغنياء والفقراء. فكل الرفات يوضع في فجوة واحدة، وتتحقق بذلك العدالة بعد الموت.

برج الصمت في بومباى

لقد تبينت في بومباى فائدة هذه العملية الحديثة. فأبراج الصمت فيها أبنية على شكل صرح ضخم مدور من الحجارة الصمّاء.

يرتفع عن الأرض عدة درجات تؤدّي إلى باب من الحديد ينفتح على مصطبة دائرية، في مركزها فجوة دائرية أيضاً. ومحيط المصطبة داخل البرج، حوالى ٣٣ قدماً مرصوفة ببلاطات ضخمة مثبتة بالإسمنت. تتوزّع على ثلاث صفوف من الخانات المفتوحة غير العميقة. تقابل الثلاثي من: الأفكار الصائبة، والأقوال الطيبة، والأفعال الصالحة. والصف الأول مخصص لرفات الرجال، والثاني لرفات النساء، والثالث لرفات الأطفال.

وقد أنشئت أرصفة لا تعيق حركة الحمالين. وفي البرج هوّة عميقة مركزية تدعى بندهار (Bandhar)، مخصصة لاستقبال الرمم. ومحيطها

---

(١) زند افستا، دارمستر، ص ٨.

حوالى ١٥٠ قدماً وقد رصفت جوانبها وقاعدتها ببلاطات حجريّة. وتكفي النسور ساعة أو ساعتان لكي تعترق الجثة تماماً. وحينما لا يتبقى منها سوى هيكلها العظمي الذي تجففه العوامل الطبيعية، وخاصة الحرارة اللاهبة للشمس المدارية، ترمى العظام في الهوة حيث تصبح رميماً شيئاً فشيئاً، ولا يتبقى منها سوى عنصري الكلس والفوسفور[١].

المراسم المتعلّقة بأرواح المتوفّين

يا أهورا مزدا، يا روح الخير، أيها الخالق المقدس للعالم المادي! حينما يموت الرجل التقي، فأين تقيم روحه تلك الليلة؟ وفي الليلة الثانية؟ وفي الليلة الثالثة؟ هذا ما يسأل زرادشت في الهادوخ نسك (Hadokh Nask).

ويجيب أهورا مزدا: أنها تبقي حيث جسدها، تنشد الأفستافايتي جاتا، راجية البركة: مبارك الذي أفاض عليه أهورا مزدا بركته بكل رضا[٢].

أمّا روح الشرير فإنها تبقى في مقام هذا العالم ثلاث ليال، وتتذكر هذه الروح كل آثام حياتها الماضية، وتدرك الكارثة التي هي مقبلة عليها، فتنوح: يا أهورا مزدا! إلى أيّ بلاد سأرجع؟ وأين أمضي[٣]؟.

إن روح المتوفى التي تبقى كذلك في مقام هذا العالم هي تحت الحماية الخاصة لسراوشا الذي كلّفه أهورا مزدا بالحفاظ على الأرواح البشرية خلال الحياة وبعد الممات، فالشعائر الدينية المقامة على روح المتوفى خلال الأيام الثلاثة الأولى، تتوجه إذن إلى سراوشا أو باستخدام

(١) شايت ناشايست، رواية البهلوي، بند ١٥.
(٢) الأفستا القديم، هادوخت نسك أو سروش يشت هادوخت، فركرد ١ بند ١٠ و١١.
(٣) المصدر نفسه: فردگرد ٣ بند ٤.

العبارات التي تطلب منه الغفران «خاشنومان» وإليكم ما فرضه شاياست الشاياست:

خلال هذه الأيام الثلاثة ينبغي استكمال شعائر يازسن سراوشا[١]. لأنّ سراوشا يملك سلطة إنقاذ روحه من أيدي الديفا، خلال الأيام الثلاثة. فإذا لم يتوقف المرء عن إقامة الشعائر لكل مرحلة من مراحل الأيام الثلاثة، فكما لو أنة أقام الشعائر كلها معاً.

وفى بداية كُل مرحلة، يتلو كاهن أو كاهنان بصحبة أهل الفقيد، الستراوش باف مع العبارة الملائمة لكل مرحلة. أو يتلون الصلاة التوبة مع صلاة الغفران من سراوشا. وفي الليلة ذاتها، يعمد اثنان من الكهنة إلى إقامة شعائر الأفرينجان، تمجيداً لستراوشا، فيجلسان على بساط متقابلين، وبينهما المذبح تتوقد فيه النار، ووعاء معدني. ويدعى باسم زاوتار (Zaotar) أي: الكاهن المتفرغ، أكبر الكهنة سنّاً، الذي يكون الوعاء أمامه. ويدعي صاحبه المقابل له باسم أتافيراكس، أي: متعهد النار. يحتوي الوعاء المعدني نفسه على مزهريّة مملوءة بالماء الصافي ويضع أزهار[٢].

ويبدأ الزاوتار شعائر الأفرينجان[٣]، ويسأل في بدايتها المدوّنة بلسان البازند، حماية سراوشا لروح المتوفى، مع ذكر اسم المتوفى في الصلاة. ثم يتلو الكاهنان معاً المقطع السابع من السراوشا ياشت، الذي يصدح بمديح اليزاتا، معترفاً بما يقدمه من عون. وبالإضافة إلى هذه الصلوات والشعائر، خلال ثلاثة أيام وثلاث ليال في مسكن المتوفيّ، تتلى في معبد نار غير بعيدة عنه، على ثلاث دفعات متوالية، صباحاً ومساءً، تتلى الفنديداد مع خاشنون سراوشا.

---

(١) سراواشا: شعائر جنائزية تقام تكريماً للمتوفى، خلال الأيام الثلاثة الأولى.

(٢) بالفارسية: جهانگير تاواديا، شايست ناشايست، واژه ١٣.

(٣) الأفرينجان: تعبر صلوات الأفرينجان عن تمجيد الرب والأرواح العلوية، وهي تقابل صلوات لدى البرهميين..

شعيرة الأوتامنا (*Uthamna*)

بعد الظهر من اليوم الثالث، تقام الشعيرة المسمّاة: أوتامنا، أمام جمع من أصحاب المتوفى وأهله وبعض الكهنة. وتتلى الصلوات الخاصّة مفروضة لهذا الوقت من النهار، أيّ: ساروش هادوخت، والباتيت، مع مراسم الفقيد والدعاء له بأن يحميه سراوشا. وهي مناسبة للقيام أفعال الإحسان. وفعلاً، يعلن أهل المتوفّى وأصحابه في نهاية هذه الشعيرة، عن تبرعهم بالمال للصندوق الموجه إلى معونة البؤساء، وعلى نية المرحوم[١].

عبور الروح إلى العالم الآخر

من المتّفق عليه أنه حين بزوغ الفجر التالي على الليلة الثالثة، تصل الروح إلى العالم الآخر عابرة الصراط المسمّى «شينفات». وحارس الصراط هو اليزاتا ميثرا: حين تنقضي الليلة الثالثة ويطلع النهار، عند أول نور صباح يطلع ميثرا المحبوب من أعالي الجنان[٢]. ويعرف هذا اليزاتا في الكتب الأخيرة باسم «ميهيردافار» أي ميهير القاضي، يعاونه راشنو، يزاتا العدالة، وأستاد يزاتا الحق. فينظرون في أعمال الإنسان التي قدمها أثناء حياته. فإذا رجحت الحسنات على السيئات، ولو بشيء متناه في الصغر، سمح للروح بعبور الصراط، ودخول الفردوس. وإذا تعادلت الحسنات والسيئات تماماً، ذهبت الروح إلى مكان يدعى هامستاجان (Hamastajan). وإذا كانت السيئات، مهما تناهت في الصغر، أعظم من الحسنات رميت الروح في قعر الجحيم.

إنّ ذلك الفجر من اليوم الرابع، التالي على الوفاة، يعتبر تاريخاً بالغ الأهمية، ومتفرّداً لإقامة الشعائر الدينية لفائدة روح المتوفّى والشعائر التي

---

(١) سروش يشت، يشت ١١، كرده ٧ بند ١٤.

(٢) فنديداد ١٩ بند ٢٨.

أقيمت بعد الظهر، وتعاد في اليوم التالي، وتتلى فيه صلوات الأفرينجان وباج، بالإضافة إلى صلوات أخرى. وحينما يبدأ يوم الحساب كما ذكرنا، يتوجه أهل المتوفّى وأصحابه جميعاً إلى الإله الرحيم بالصلوات على روحه.

إن إقامة شعار باج تتوجّه في المرتبة الأولى إلى الاثنين من اليزاتا: راشنو وأستاد، المجتمعين معاً بهذه المناسبة. ثم في المرتبة الثانية لتمجيد راما خفاسترا، اليزاتا القيّم المناخ النادر أو الأثير. ثم تتوجه في المرتبة الثالثة إلى تمجيد الأردافرافاش وهي الأرواح المقدسة لكل الأرواح غير المتجسدة التي سينضم المتوفى إليها.

وفي المرتبة الرابعة والأخيرة، تتوجّه إلى تمجيد سراوشا الذي يقود الروح في رحلتها نحو العالم الآخر. وبعد تلاوة الباج من أردافرافاش، يعمد الكاهن إلى تطهير عدد من الملابس البيضاء، والخبز المحلّي، وغيرها من الهبات. ويطلق على هذه الملابس الجديدة اسم سياف. وهي الفاسترا التي نقرأ عنها في الفرافاردان يشت[١] ما يلي:

من ذا الذي يمجدنا وملابسه بيده؟ (فرافاشي يشت، ١٣، ٥٠).

ويتصدّق الكاهن، عموماً، بهذه الملابس على الفقراء. أما المناسبات الرئيسية الأخرى التي ينبغي فيها إقامة شعائر الأفرينجان باج، طبقاً لأوامر الكتابات، تمجيداً للميت، فهي الشهاروم والداهوم، والسيروز، والسالوز، أي: ذكر اليوم الرابع، والعاشر، والثلاثين.

لا يقطع الموت الروابط بين المتوفى وأفراد عائلته الذين يعيشون من بعده. وترى الديانة الزرادشتية أن روح قدس المتوفى تثابر على الاهتمام بالأحياء. فإذا ما مجد أهله ذكراه، وتذكّروه بكل خير، وحاولوا.... بأفكارهم وأقوالهم الصالحة، فإن الروح غير المتجسدة تهتم بادخال البهجة

(١) فروردين يشت، ٥ بند ١٥.

على حياتهم، ومدّ يد المساعدة التي تستمتع بها أرواح الموتى. وحين تعود الأيام المخصصة لتذكار المتوفّين، فإن أهلهم لا يدعون لهم ويصلون على أرواحهم لكي تبقى في مستقرها فحسب، بل يوزّعون كذلك الطعام والثياب على الفقراء، وعلى ذويهم، فإن كانوا يملكون المال وفروا بعضاً منه للقيام بأعمال أخرى من الإحسان[1].

٦ الطقوس الدينية والوطنية:

● *ارتداء الصدرة (سدرة بوشي):*

بناءً على الاعتقادات الدينية القديمة وماهو متفق عليه في الدين «الزرادشتي» فإن كلّ شاب أو فتاة، يدين بهذا الدين. لكي يثبت بأنه زرادشتي عليه ان يمّر بـ «طقس» من طقوس الزرادشتية، يسمّي «ارتداء الصدرة».

هناك عدة آراء فيما يخصّ عمر الشاب والفتاة، الذي يستعد لإنجاز هذا الطقس؛ بعض الباحثين يقول: يجب أن يكون المتطوع قد بلغ سن الرشد ويستطيع التمييز بين الصالح والطالح، أما البعض الآخر فيرى أنّ إنجاز هذا الأمر يجب أن يحصل قبل هذه المدّة.

هذا وفي هذه الأيام يلبس الأولاد الصدرة بين السبع والإحدى عشرة سنة[2].

يمكن القول، بأن طقوس ارتداء الصدرة بمنزلة الولادة الجديدة في الديانة الزرادشتية، فلذلك يسمونها «نوزاد» (الولادة الجديدة) أو «نوزات» لأن «زات» من أصل كلمة «يسن» تعنى العبادة.

---

(١) فنديداد، فردگرد ٧ وارديبهشت يشت فقره ٦.

(٢) هذا الانقسام يوجد أيضاً في طقوس التعميد الرباني في الديانة المسيحية.

على الرغم في أنّ هذه الطقوس الدينية فإنّها تقام في إيران في الظهيرة.

الصدرة وكشتي (الزنار) يجب أن يكونا أبيضي اللون ولا يدخل فيهما أي معدن أو إزرار.

الصدرة تخيط من قماش رقيق وهي أوّل لباس يغطّي البدن، والصدرة قميص فضفاض من دون ياقة مع كمّين قصيرين ذو جيبين صغيرين جداً، أحدهما يقع أمام الصدرة وقريب للقلب ويسمّى «گريبان» والثاني يقع في الخلف ويسمّى «گرده» ويعتبر رموزاً سمبولية[1].

گرده، يرمز إلى المسؤوليّات والوظائف التي يجب أن يتحملها كلّ شخص في الدين الزرادشتي وعليه إنجازها بدقة. أما «گريبان» أو (الياقة) وتسمّى «گين گرفه» أو گيس «الأعمال الصالحة» وهي ترمز إلى أنّ كلّ عمل صالح يتراكم بعضه على بعض، ويصل بالإنسان إلى السعادة. وقربها إلى القلب، تعني بأن الأعمال الصالحة يجب أن تعمل بقناعة وصفاء القلب.

بياض الصدرة وعدم وجود أيّ شيء خارجي عليها يرمز إلى الطهارة والبساطة الأخلاقية.

«الصدرة» لها تسعة مفاصل أو (طرزة)، اثنين منها يقعان في طرفي الصدرة. ومكان توصيل القسم الأمامي إلى القسم الخلفي يرمزان إلى الوحدة بين (والدين والآباء والأجداد) وبين الأولاد أو بعبارة أخرى: الوحدة بين «الشيوخ والشباب».

أما المفصلان اللذان يصلان الكمّين إلى الصدرة، فيعنيان الأعمال والجهود التي يجب أداؤها بكلتا اليدين وبكلّ قدرة والمفصلان اللذان

---

(١) بالفارسية: موسى جوان، ونديداد، بخش ٦، واژه ٢١٥.

يصلان «الياقة» و«كُرده» إلى الصدرة يرمزان إلى الأعمال والوظائف لكل إنسان، والمفصلان الزفيرتان تقعان تحت وعلى طرفي مفصلي الصدر والخلف ويصلان الصدر والخلف بعضهما ببعض ويرمزان إلى «التلاحم» بين القدماء والشباب وبين الأغنياء والفقراء، ويعنيان بأنّه يجب على كلّ إنسان أن لا ينسى مساعدة الشيوخ والضعفاء. وأخيراً المفصل الذي يقع دائرياً تحت الصدرة ويدور حول الصدرة، يرمز إلى أنّ وجودنا في هذا العالم حصل من قبل «أهورا مزدا» وفي النهاية سنرجع إليه وعالم الوجود هو بمثابة مدار مسدود وشمولية ويشمل الكلّ[1].

وأما «كُشتي» (الزنّار) فمصنوع من صوف الحمل ويرمز إلى أن الإنسان يكون «كالحمل» مفيداً ومن غير أي ذنب ولا يؤذي أحداً؛ و«كُشتي» تشكل من اثنين وسبعين خيطاً وهو يجّسد ٧٢ جزء (فصل) من «جاتها» وكلّ اثني عشر من هذه الخيوط مجدولة بعضها إلى بعض وتمثل ١٢ شهراً (السنة). و«المجدولات» الستة ترمز إلى «أمشاسبندان» الستة، التي هي نموذج وقدوة لسلوك الإنسان وكل مجدولتين مربوطتان بعضهما إلى بعض وتشكلان ثلاثة «شرافه» التي ترمز إلى الخصال الثلاث (الفكر الحسن والعمل الحسن والقول الحسن)

أما الهدف من ارتدائها وربطها حول الظهر، فهو التذكير بأن الزرادشتّي عليه أن يكون مستعداً لخدمة الناس والخالق. وهناك ترنيمة خاصّة تسمى ترنيمة «يتاأهو»التي ترّنم حين تربط «كُشتي» حول الظهر. وترنيمة «آشم وهو» التي ترنم حين تجري عقدة «كُشتي».

كُشتي أو الزنار هو لأجل إبراز الخصائل الثلاث:

(الفكر، العمل والسلوك الصالح)، ولهذا السبب يلفّ الزّنار ثلاث مرات حول الظهر وفي اللّغة الثانية وحين ترنمّ الترنيمة «يتا آهو» تعقد عقدتين في القسم الأمامي وفي اللغة الثالثة وحين ترنم الترنيمة «آشم وهو»

---

(١) المصدر السابق: مجلد سوم، ١.

تعقد عقدتين فى القسم الخلفي. وعملية العقد، هذه ترمز إلى ثبات الميثاق في الدين وكلّ الزرادشتيين في أثنا ارتداء «گشتي» يتذكّر ويجدّد ميثاقه مع أهورا مزدا والشخص الذي يريد ارتداء الصدرة عليه أن يثبت لـ «موبد» (الگاهن) بأنه حفظ الصلوات، خاصة صلاة «سروش باج»، «گشتى»، «برساد» وصلاة «إفادة تقبل الدين» خاصة أقسام صلاة «اشم وهو»، «يتا آهو وثريو»، «گيم نامزدا» عن ظهر قلب.

طقوس «ارتداء الصدرة» تقام بواسطة «موبدان» (الكهنة) والمتطوّع يجب أن يغتسل قبل بداية الطقوس، ثم يقرأ صلاة تقبل الدين وهي صلاة قصيرة وبذلك يعلن للحاضرين استعداده لقبول المسؤوليات الدينية. ثمّ يقوم الموبد (الكاهن) في حين إنشاد «آهونود» (يتا أهوويريو) يُلبس المتطوّع هذه الصدرة. في إقامة هذه الطقوس، المتطوّع ووالداه وكلّ من يحضرها، ينشدون مع الموبد ترنيمه «يتا اهو» وبعد ذلك ترنيمه «نيرنگ كُشتي» مع الموبد وبربط المؤبد «كُشتي» حول خصر المتطوّع وبعد الانتهاء من هذه الطقوس، ينشد المتطوع الترنيمة القصيرة «جسه مى آونگهه مزدا» ومعناها: يا أهورا مزدا «كُن فى عونى وأنا واحد من عبادك ولا إله واحد إلّا أنت أهورا مزدا، أنا زرادشتي وقد قبلت هذا الدين بكل قناعتي، أنا أطيع الخصال الثلاث «الفكر الصالح، الكلام الصالح والسلوك الصالح»، أنا قبلت الدين الزرادشتي وهو دين الذي يستحكم السلام والتفاهم ويبعد العداوة والاختلاف وهو أفضل وأرقى دين من بين جميع الأديان وأساليب الحياة، إن كانت في الماضي أم ستأتي في المستقبل، إنه الدين الذي جاء به زرادشت»[١].

إنشاد هذه الترنيمة، تثبت بأنه أصبح رسمياً أحد أتباع الدين الزرادشت وقبل المسؤولية ولن يتخلّى عن «آشا» ولا يخالفه ويجعل الخصال الثلاث (الفكر، العمل، الكلام) الصالح قدوة له في الحياة. ثم

---

(١) موبد اردشير آذر گشسب، خرده اوستا ـ ص ٧٠ و٧١.

يقرأ الموبد صلاة الصحة على المتطوّع ويرش على رأسه حبات من أرز، رمان، زبيب، لوز وحلوة، الذين ترمز إلى الخيرات والسخاء والسعادة. وبعد ذلك، يقدمون له أقرباءه وأصدقاءه بعض الهدايا بدون أي شك وتّردد، يمكن أن نقول، طقوس «ارتداء الصدرة» هي تجسيد من أصول الفكر للدين الزرادشتي وتجديد التعهد والميثاق من قبل الشاب بأن يكون وفيّاً وثابت القدم تجاه الرموز والقيم الأخلاقية للدين الزرادشتي[١].

طقوس ارتداء الصدرة، مراسيم رائعة وفيها يرى الشاب بأنه ليس وحيداً في طريق الصدق، بل كل الزرادشتيين وكذلك «اشوان» يرافقه في هذا الطريق.

هل يجب أن يكون ارتداء الصدرة وكُشتي إجبارياً؟

لا شي إجباري في الدين الزرادشتي، لأنّ إنجاز أي عمل يجب أن يتم عن طريق استشارة العقل والضمير، أما أنا على قناعة تامة بأن أي زرادشتي إذا استشار عقله وضميره، سيسعي ويبذل كلّ جهده لكي يحصل على الصدرة وكُشتي لأنهما عنصران ظاهران وهوية دينية لكل من يدين بالدين الزرادشتي، مثلهما مثل «جواز السفر» الذي هو عنصر ظاهرى للإنتماء السياسي لدولة ما، أو «بطاقة الإقامة «سند ظاهري للعيش في بلدها. لذلك «الصدرة كُشتي «هما سندان ظاهران للإنتماء ديني لأي زرادشتي ورمزان من رموز الثبات في الدين. واتباع الزرادشت الذين يعيشون ويقيمون في أرجاء العالم ويحملون جوازات السفر وبطاقات الإقامة المختلفة عن بعضها البعض، يقولون أسمحوا لنا أن نحتفظ بهذه الهوية الدينية المشتركة وبذلك نتعرّف بعضنا على بعض.

(الفنديداد ٣ فرگرد ١)

---

(١) بالفارسي، موسي جوان، ونديداد، فردگرد هفتم،.

«پيوگاني «هو عمل صالح والرباط الذى يجعل امرأة ورجلاً باسم «الزوج» ينتميان إلى بعضهم وبذلك يزيد على قدرتهما في البناء وتطور الخليقة وتزيد سعادتهما وأفراحهما، أساس الزواج (پيوگاني) يجب أن يكون مبنياً على العقل، الحب، التعاون، العلاقة بالبناء وبعيداً عن الجهل، الهوس، الأنانية والتدمير[١].

لا شك فيه بأن «پيوگاني» في سنن الزرادشتي، هو عمل صالح وجدير بالمديح وكذلك جاء في الأدبيات المذهبية وكتاب «ونديداد» بأن زرادشت سأل أهورامزدا:

أيها الرّب، أيّ مكان في هذا العالم يكون أفضل الأماكن فيقول أهورا مزدا: المكان الذي يبني المرء المتدين فيه كوخاً يجمع فيه النار القطيع، المرأة، الأولاد والأتباع والأصدقاء الصالحين.

(الفنديداد ٣ فرگرد ٧)

«هيوكاني» عمل مستحسن إلى حدٍّ حتى أوصى للزرادشتيين بأن يساعدوا من في دينهم لكي يجدوا أزواجهم التي يريدونها ويربطوا بها ويتلاحموا معها وقد جاء في «ونديداد» إن جاء أحدٍ من ديانتكم أو أخ أو صديق إليكم، ساعدوه في عقد الارتباط الزوجي ولا تبخلوا جهداً حتى يجد زوجاً ويقيم «هيوكاني».

(الفنـديداد ٣ فركرد ١)

---

(١) لا يجوز استخدام مصطلح النكاح مكان «پيوگانى» فى الدين الزرادشتي لأن «پيوگاني» هو عمل في «الزواج» يكون فيه الرجل والمرأة متساويان وهي تعني الديمومة والاستمرار في العيش وإن كان مصطلح «النكاح» تعني الزواج أيضاً. أما النكاح فى اللغة العربيّة فتعني العمل الجنسي والتلاحم الجسماني ولا يرمز إلى الألفة والربط المعنوي.

وبناءً على ما يقول «الهيرودوت» كانت الحكومات فى عصر الملوك الأخمنيين تقدم مساعدات مالية لمن يريد أن يجد زوجاً ويرتبط بها.

التوالد أيضاً له أهميته خاصه عند الزرادشتيين، وداريوس الملك كان يدع من أهورا مزدا، الأولاد لمن يحافظ على نقوشه المنحوته، وكذلك ملوك الأخمنيين كانوا يقدمون جوائز للعائلات الأكثر أولاداً.

(الفنـديداد ٤ فركرد ٢٣)

وفي ما يخص طريقة انتخاب الزوج، فما لا شك فيه أنّها تتمّ على أساس حرية الاختيار وقد أوحى بأنّ كلاً من الشاب والفتاة يجب أن يختار الزوج بالاستشارة من «وهو من».

(العقل) و«آشا»

(الطهاره والصدق). يقول زرادشت لابنته «پوروجيست» التي كانت تريد أن تختار زوج لها: اختاري زوجاً الذي يدلّ عليه عقلك أشو زرادشت يقول للشباب والفتيات، الذين تزوّجوا حديثاً: أيّتها العرائس والعرسان الجدد، حاولوا تدركوا الدين حق الإدراك وواصلوا طريق الحياة بسلوكٍ صالحاً واسعوا أن تسبقوا أزواجكم في الصدق والإخلاص وبذلك سترون حياتكم الجديدة التي ظهرت من ارتباطكم الزوجي، حياة سعيدة ومفرحة[١].

وهناك شواهد تبيّن المساواة بين الرجل والمرأة في الارتباط الزوجي وحتى مصطلح «پيوگاني» (الارتباط الزوجي) جاء لتبيان هذا المفهوم. علاوة على هذا. آشو زرادشت يكلّم الشباب والفتيات على المستوى الواحد وسنّ اختيار الزوج للشاب والفتاة متساويان وهو خمس عشرة سنة.

وعلى أساس ما جاء في «دادتستان دينيگ» كان في إيران القديمة خمسة أنواع من «پيوگاني» أما «التلاحم العائلي وخلود اسم العائلة كانا يشكلان المرتكزين الأساسين لأنواع پيوكاني».

---

(١) يسنا ٥٣ بند ٣.

التلاحم:

كما قلنا، إنّ انتخاب الزوج في الدين الزرادشتي يتمّ بالحريّة وهذه الحرية في الانتخاب، ظاهرة في أشوزرادشت وأيضاً في مجموعة «گاثاها»

من جهة أخرى، كان علماء علم الأجتماع في عصر ملوك الساسانيين يلفتوا نظر الشباب إلى هذه الحقيقة بأن الارتباط الزوجي هو التقرب الأكثر بين عائلتي العروس والعريس ولأجل استقرار وبقاء العائلات. ولكي لا يسبب الزواج بين شباب وفتاة من عائلتين مختلفتين انفصالاً بين الشباب ووالديهما، كان پيوكاني ومن غير أن يعرقل الزواج الذي يتمّ من دون موافقة الوالدين، يشجّع ويفصل الزواج، الذي كان يتم بإذن من الوالدين[1].

بقـاء وخـلود اسم العـائلة

بناءً على كثير من السنن في المجتمعات القديمة والتي لايزال يعمل ببعضها حتى اليوم، تقبل العروس في «پيوكاني» اسم عائلة العريس مع هذا ولكي لا يزول اسم عائلة الأب الذي ليس له أولاداً ذكور فهذا الأب يتفق مع ابنته وزوجها بأن إذا ولد لهما ولد ذكر يعطيه ليتبنه وهذا الولد يسمّى باسم عائلة أب العروس ويرث من جدّه أيضاً وهكذا كان يبقى اسم العائلات. أما الأجانب بخاصّة اليونانيين الذين لم يكونوا يعرفوا هذه العادات والسنن عند الإيرانيين، كانوا يظنون الولد بأنّه نتيجة لارتباط بين الأب وابنته، لكن الحقيقة كانت ذلك وهذا الولد كان ابن للرجل آخر، أما لأجل الحفاظ على اسم عائلة الفتاة، ربّ عائلة العروس تبناه.

أن في الدين الزرادشتي، خمسة أنواع من الزواج، الذي ليس معمولاً به اليوم وهذه الأنواع الخمسة هي:

١ ـ ملكية الزوجة وتعني بأن العروس عذراء وهي تزوّجت وبموافقة

---

(١) يسنا ٥٣ بند ٥.

والديها بالشخص الذي كانت تريده وهذا الزواج كان أرقى الزواج ولذلك كل من الشاب والفتاة كانا يتمتعان بكل الميزات والإكرامات.

٢ ـ ايوك[١] الزوجة وتعني بأن الوالدين (أب وأم العروس) توافقاً مع ابنتهما وزوجها لكي يعطيا أول ولد ذكر إليهما ويتبناه وفي حالة كهذه كان الولد يرث من الجد والجدة (أب وأم ابنتاه).

أما الذين لم يكن يعرفوا هذه التقاليد، كانوا يظنون بأن الولد هو أخ لأمه وهذا الظنّ لم يكن صحيحاً إطلاقاً. وبما أن هذا النوع من الزواج كان برضى وموافقة الوالدين وقبول الفتاة، يعتبر على مستوى ملكية الزوجة.

٣ ـ جماح الزوجة، وذلك عندما تتزوج الفتاة من غير رضى والديها بشاب الذي تريده وفي حالةٍ كهذه وإن كان زواجها زواجاً صحيحاً وقانونياً، ولكن لا يحق للفتاة أن ترث من والديها (إلّا إذا خصّص أبو الأم لها شيئاً من أموالهما أو أوصى الأب لها بشيء من الإرث.

٤ ـ ستر الزوجة، وذلك عندما يتم الزواج بطريقة يتقبل فيها زوجان (ليس بإمكانهما أن يرزقا بطفل) دفع مصاريف زواج الفتاة التي تستعد للزواج بشرط أن تتعهد الفتاة وزوجها أن يقدما واحداً أو أكثر من أولادهما لهذا الزوجين لكي يتبنّاه[٢].

٥ ـ چاكر الزوجة، وهذا يطلق على زواج تكون فيه الفتاة ليست عذراء أو تكون قد تزوجت من قبل وتوفي زوجها وأرادت أن تتزوج ثانية.

يقول «الهيرودوت» كامبوجيه، إنّ أحد الملوك الأخمنيين أراد أن يتزوج أُخته ولهذا السبب سئل «الموبدان» (الكهنة) هل يكون زواجه بأُخته زواجاً صحيحاً؟ وردّ الموبدان، الذين كانوا يعرفون بأن الزواج باطلٌ

---

(١) ايوك Ayok عبارة پهلوى تعني واحد.

(٢) بالفارسية: دكتر كيكر، تمدن إيرانيان خاوري، ترجمه: دستور نامدار، ص ١٣.

وكذلك لم يكن باستطاعتهم أن يقفوا بوجه الملك قالوا، إن الملك هو فوق القانون، وبذلك كان جوابهم جواباً حكيماً وسياسياً وكانوا يقصدون بأن هذا العمل لم يكن جائزاً ولا معمول به، لأنه لو كان معمولاً به، فالملك لم يكن بحاجة يسأل الموبدان وإن كان عملاً قانونياً فالموبدان لم يكونوا يتهرّبون من إعطاء الجواب.

«هيرودوت» يقول أيضاً، تربية الأولاد وحضانتهم حتى السنوات الخمسة الأولى كانت من مسؤوليات الأمهات لأنه من غير ذلك لم يكن للأولاد ليدخلوا في المدارس الرسمية[١].

أما فيما يخص تطبيق طقوس «الزواج» (پيوكانى) هناك بعض الاختلاف بين إقامة طقوس الزواج لزرادشتيي إيران وزرادشتيي الفرس في الهند ومردّ هذا الاختلاف يرجع إلى إقامة مراسيم الطقوس عند الهنود، مثلاً مراسيم إقامة طقوس الزواج في إيران تتم قبل غروب الشمس، في حين هذه الطقوس تتمّ بعد غروب الشمس، وبما أن الهنود يقيمون طقوس زواج (بيوكاني) بعد غروب الشمس، فإنّ الإيرانيين المهاجرين إلى الهند كان عليهم مراعاة معتقدات الهنود وقرّروا أن يقيموا طقوسهم بعد غروب الشمس، مع هذا هناك قواسم مشتركة بين الزرادشتيين الإيرانيين والفرس في الهند، وهي أن يطمئن الحاضرين بأن الشاب والفتاة أراد أن يعقدا زواجاً بالحرية التامة وأن تقام الطقوس الدينية لطلب البركات المينوي لهذا الشاب والفتاة[٢].

هناك نموذج من الوثيقة الزواج وهي مكتوبة باللغة البهلوية ويرجع تاريخها إلى القرن الثالث عشر الميلادي وقد طبعت في مجلة «الانثربولوجيا السوفياتية» بواسطة السيدة العالمة آناهيت بريخانيان في عدد الخامس السنة

---

(١) بالفارسية: تاريخ هرودوت، مجلد١: ١٣٦.

(٢) بالفارسية: موبد اردشير آذرگشسب، مراسم مذهبي وآداب زرتشتيان؛ جلد ٢ - ص ١٨٨.

١٩٦٠ وكذلك طبعت وصححت بواسطة العالم الإيراني الدكتور شابور شهبازي في مجلة آينده (المستقبل) وثبتت في المجلّد الخامس من الموسوعة الدكتور محمد أفشار. تتحدّث الوثيقة عن مراسيم لإقامة الطقوس عند الإيرانيين قبل الإسلام[١] وفيها عدة نقاط ومنها:

١ ـ موافقة العروسين للزواج.

٢ ـ موافقة والدي الفتاة.

٣ ـ موافقة الشاب (العريس) لإشراك الفتاة (عروس) لإدارة قسم من الشؤون المالية للعائلة.

٤ ـ التزام العروس بأن تكون ربة بيت، متواضعة، مطيعة وأن تحترم زوجها وتكون مطيعة لدينها البهي وكذلك التعهد من قبل العريس باحترام زوجته ومحبتها والحفاظ عليها وحمايتها وتقّبل الأولاد على أنهم أولاده القانونيين.

٥ ـ توصيات الموبد (الكاهن) الذى يقيم مراسيم الطقوس، لعروسين على أن يسيرا دائماً طريق الرب والرسول «آشا» واحترام الوالدين (الشاب والفتاة) وتذكيرهما على الحفاظ على حقوق المعلمين ومساعدة المساكين والبؤساء والأقرباء منهم الفقراء وألا يخجلا من قرابتهم لهما.

٦ ـ توصيات الموبد للعريس والعروس بأن يستقبل كل واحد منهما، الثاني بكلّ محبّة وعشق وإخلاص وكذلك استقبال عائلاتيهما (الأب، الأم، الأخ، والأخت) في بيتهما إن في هذا العالم أم في العالم الآخر.

٧ ـ توصية الموبد إلى العريس بأن يجعل زوجته مالكة لنفسه وماله وأملاكه وألّا يبخل عليها وأن يبعد عنها الجوع والعطش والبرد والحرّ ولا يجبرها على الوحدة والابتعاد عن الناس[٢].

---

(١) بالفارسية: دكتر شاپور شهبازى، مجله مردم شناسى اتحاد شوروى، ص ـ ٦٧ حتي ٧٥.

(٢) بالفارسية: وندیداد فرگرد ٤ بند ٤٧.

بعد طول معاشرة أتباع زرادشت المعاصرين للهندوس في الهند اقتبسوا العديد من العادات والشعائر الهندية المتعلقة بالزواج. ولكن الجانب الديني البحت من الشعائر كما يمارسه الكهنة، يتطابق، قليلاً أو كثيراً مع الموروث الإيراني، ويقام خاصة بلسان بازند الحديث. وإليكم مضمون هذه الشعيرة:

١ ـ مباركة تمهيدية.

٢ ـ أسئلة تطرح على الزوجين والشهود، الواحد تلو الآخر.

٣ ـ خطبة يلقيها الكاهنان المكلفان بالشعائر.

ويبارك الكاهن الأكبر سنّاً الزوجين بهذه الكلمات:

نسأل الخالق، السيد الكلي العلم أن يهبك نسلاً من الأولاد والأحفاد، وأن يرزقكم من وافر رزقه، ويمنحكم الحب الدائم، والقوى البدنية، وعمراً مديداً يربو على المائة والخمسين عاماً[١].

ويتلقى الكاهن أثناء المباركة ثلاث موافقات من الشهود، ومن الزوج والزوجة. وفي بادىء الأمر يطرح السؤال على شاهد عائلة الزوج:

في حضرة هذا المجلس المجتمع في مدينة كذا من يوم كذا ومن شهر كذا، ومن سنة كذا من تقويم الإمبراطور يزكرد، من السلالة الساسانية في إيران السعيدة، قل إن كنت موافقاً على طلب هذه الفتاة (ويذكر اسمها) للزواج بهذا الشاب، طبقاً للشعائر والقواعد المزدية وأن تدفع لها ألفي دينار فضة بيضاء، وديناراً من ذهب خالص، من عملة نيسابور.

فيجيب الشاهد: موافق.

أما السؤال الثاني فيتوجه به إلى الشاهد الثاني: أنت وعائلتك، بفكر الشهامة والأفكار والأقوال والأفعال المخلصة، لكي تزدهر الاستقامة، هل توافق على إعطاء هذه الفتاة (و يذكر اسمها) زوجة إلى الأبد؟

(١) بالفارسية: موبد اردشير آذر گشسب، آيين زناشويى زرتشتيان، ص ١٤٧و ١٤٨.

ويجيب المسؤول: لقد اتفقنا على ذلك.

ثم يسأل الكاهن الزوجين: هل أنتما موافقان على عقد هذا الزواج، والحفاظ عليه دوماً بهذه الحالة حتى آخر يوم من حياتكما، بفكر الشهامة؟

فيجيب أحدهما تلو الآخر: لقد وافقنا عليه.

ويتبع ذلك تلاوة خطبة من Paevandnama أو Ashirwad، عامرة بالمباركات، والنواهي والصلوات، يلقيها الكاهنان وهما ينثران على العروسين حبوب الأرز، شعار السعادة والوفرة.

ليست الأشيرواد مجرد خطبة مباركة بل هي موعظة موجزة.... بصلاة قصيرة. كما أن الجزء الإرشادي منها، لا يقتصر على الوصية الزوجين بالتحلّي بالخصال الحميدة فحسب، وأن يفعلا الخير ويبتعدا عن الشرّ، بل هو كذلك خطاب موجه إلى الحاضرين جميعاً، والى الحكمة الإنسانية ويراد بذلك توفير الوسيلة إلى النجاح في الحياة. وإليكم بعض شذرات منها، على سبيل المثال:

لا تدخلن في خصومة مع الحقود، ولا تكونن شريك البخيل أبداً، لا تجالس النمّام، ولا تعاشر من ساءت سمعته، ولا تدخل في خصام مع الأشرار(١).

يقول الكاهن القائم بالطقوس:

أيّها الصالحون! لتحلّ عليكم بركة الأفكار، والأقوال، والأفعال الطيبة. ولتعمر نفوسكم التقوى التي هي خير من كل الأموال. ولتبعد عنكم حياة الإثم التي هي أسوأ الشرور. الاستقامة خير هبة، وأعظم سعادة ما أسعد الإنسان العادل، لأنه يحب العدالة الفضلى.

ومن طقوس زواج (بيوكاني) في إيران، على العريس أن يقدم «الورك»

---

(١) بالفارسية: موبد اردشير آذر گشسب، مراسم مذهبى وآداب زرتشتيان، ص ـ ١٨٥ و١٨٦.

وحلوى وعلى العروس الرمان الحلو وقماش أخضر والبيض، ومقاصّ. وفي نهاية مراسيم الطقوس، يرمون البيض من أعلى البيت وهذا يعني بأن والد العروس قدم كل الحقوق والصلاحياته بواسطة رمي هذه البيضة للعريس، أما المقاص فيعني انفراج الأعمال، والقماش الأخضر إشارة إلى الفرج والسرور.

«لورگ» يرمز إلى الكثرة في الرزق والرمان الحلو إلى أمنيات لأولاد أكثر والحلوي، إلى حياة حلوة والتمتع بها[1].

يقول الموبد حين إقامة طقوس الزواج عدّة مرات، لأجل اتحاد النفس والروح فهذا الشاب وهذه الفتاة اقتربا من بعضهما، وكما في هذه الدنيا كذلك في عالم الآخرة يكونان متحدين وملتحقين أحدهما إلى الآخر وتكون حقوقهما وحياتهما واحدة.

تعدد الزوجات

وقد قامت الأسرة على أساس تعدد الزوجات. وقد كان عدد الزوجات، اللآتي يتخذهن الرجل من الناحية العلمية، على قدر يساره، وكان المضيق عليهم في الرزق يتخذون بوجه عام، زوجة واحدة. وكان لرب البيت (كذك خداي) رئاسة الأسرة (سرداري دودگ).

وكانوا يميّزون الزوجة الرئيسية (زن پادشائيها)، وهي الزوج «بالمعنى الكامل» أو الزوجة «الممتازة»، عن الزوج التي في المرتبة الثانية أو الزوج الخادمة (زن چگاريها)[2].

وقد اقتضت العناية بنقاوة دم الأسره ـ التي كانت من الصفات البارزة في عادات الجماعة الإيرانية ـ جواز الزواج بين المحارم: بين الأب والبنت، والأم والابن، والأخ والأخت ويسمى هذا النوع من الزواج

---

(١) Bartholomea: Die Gathas Leben und Lehre heideiberg. p. 8.

(٢) المصدر نفسه: ص ١٣.

«خويد وكدس» (في الأفستا خويث ودثه). وعادة زواج المحارم قديمة عند الفرس؛ ويمدنا تاريخ الأخمينيين بأمثلة كثيرة منه[1]. وإن كان المعني الصحيح للكلمة الأفستية خويث ودثه لا يستخرج من فقرات الأفستا التي ذكرت الكلمة بها، فالذي لا شك فيه أن الأجزاء الضائعة قد قصدت بهذه الكلمة الزواج من المحارم وقد مجد آل «خويذوكدس» في النسكين «باغ»[2] و«ورشتمان سر»[3].

حيث قيل إنّ الزواج بين الأخ وأخته منور بمجد إلهي وله فضيلة طرد الشيطان. وقد ادعى الشارح مهر نرسي أن زواج المحارم، خويذ وكدوس، يمحو الكبائر[4]. ثم إن العادة الإيرانية، عادة الزواج من الأخت أو البنت أو الأم لم يشهد بها، في العصر الساساني، الكُتّاب المعاصرون مثل أجاثياس[5] والمؤرخ الذي يسمي نفسه ابن ديصان[6] فحسب، بل إنّ تاريخ العصر نفسه يمدنا بكثير من أمثلة هذا النوع من الزواج. ومن الجائز أن يكون الولي أرداك ويراز ـ الذي اتّخذ من إخوته السبع زوجات له[7] ـ شخصاً خيالياً. ويروي الزرادشتيون أمثلة خرافيّة من القصص الخرافية يثبتون بها قداسة هذا العمل.

وإزاء هذه الأدلة الصحيحة التي نجدها في المصادر الزرادشتية وعند الكُتّاب الأجانب المعاصرين على السواء نرى الجهود التي بذلها بعض البارسيين المحدثين لنفي وجود زواج المحارم في إيران الزرادشتية لغواً من

---

(١) كان دارا الثاني متزوجاً من أخته باريساتس، وكان اردشير الثاني متزوجاً من ابنته أتوسا.

(٢) بالفارسية: آذر فرنبغ فرخزاد، دينكرد، ترجمه، احمد تفضلى، (٩)، ٦٠، ٢ ـ ٣.

(٣) بالفارسية: المصدر نفسه، (٩)، ٤١، ٢٧.

(٤) مهشيد مير فخرايى، روايات پهلوى، (٨)، ١٨.

(٥) المصدر نفسه: (٢)، ٢٤..

(٦) لانجلوا، (١)، ص ٨٣.

(٧) احمد تفضلى، ژاله آموزگار، ارادى ويراف نامه، ٢، ١..

القول. مثل التأويل الذي يقترحه بلسارا[١]، إذ يقول «إنه يظهر أن «خويذوكدس» تعني العلاقات بين الرب والإنسان عن طريق حياة مقدسة»، وإنه إن كانت، أزمنة الكتب البهلوية، قد لصقت بهذه العبارة فكرة السفاح بين الأقارب، «فإن هذا ينبغي أن ينسب جملة إلى الفلاسفة الشيوعيين مثل مزدك، وليس إلى الزرادشتية». والواقع أن زواج المحارم كان لا يعتبر سفاحاً، بين الأقارب، لكنه عمل صالح يثاب عليه صاحبه من الناحية الدينية. ولعل السائح الصيني هيون تسيانج Hiuen Tsiang يشير إلى هذا النوع من الزواج إذ يقول إن العادات عند الإيرانيين في زمانه[٢] كانت الاختلاط المطلق[٣].

تربية الطـفل

وكان على الوالد الذي يولد له طفل أن يعلن شكره للرب بمراسيم دينية معينة، ويبذل الصدقات؛ ولكن هذه الواجبات كانت أقل شأناً في ولادة بنت منها حين ولادة ابن[٤] ثم تأتي تسمية الطفل. فالتسمية بأسماء الوثنيين تعتبراً إثماً كبيراً[٥]، والأسماء الزرادشتية ـ أيام الساسانيين ـ التي عرفناها من الروايات التاريخية أو من الكتابة على الأحجار الثمينة كانت كلها، تقريباً، أسماء أشخاص من الطبقات الممتازة وهي في الغالب ذات طابع ديني.

ويعهد بتربية الطفل إلى أمه، أو عند الحاجة إلي العمة أو إلى الابنة البالغة من الأب إذا لم يكن غيرها[٦] وإن لم يبر الوالد أباه كما يجب له،

---

(١) أثير بتسيان ونيرنجستان، ص ١٠، ملحوظة ٥.

(٢) في أوائل قرن السابع الميلادي.

(٣) بيل، Budhist Records of the Western World، (٢)، ص ٢٧٨.

(٤) دينكرد، (٨)، ٣١، ١٥ (هسبارم).

(٥) دينكرد، (٨)، ٣١، ٩، ١٠ (هسبارم).

(٦) دينكرد، (٨)، ٤٣، ١٣ (سكازم).

فإن جزءاً من ميراثه قد ينتقل إلى أمّه على شرط أن تكون أهلاً لذلك[١]. أما البنت فيقع عبء تعليمها الديني على عاتق أمها[٢].

في نص من نصوص الكتاب الزرادشتي المقدس: لا وزر ولا جُناح على الأطفال حتى بلوغ سبع سنوات ولهذا ليس على الوالدين إكساء الأطفال المئزر المقدس الـ Kusti قبل بلوغ هذه السن، وقد ألف الآباء إرسال البنات إلى المدرسة التي تلقن الصغار مبادىء العلوم الدينية ومراسم التقليد. وبعد أن تناهر الفتاة الصغيرة السن السابعة تقع عليها الفرائض والواجبات الدينية كأية امرأة زرادشتية[٣].

وفي كتاب الأفستا وفي بعض صحف البهلويين المقدسة إشارات إلى تربية الفتيات في كنف الوالدين وكيفية تلك التربية. وتتألف تلك المبادىء التلقينية من التعاليم الدينية والأخلاقية المبسطة والطرق الصحيحة والوقائية من الأمراض والحيلولة دون تفتيشها ومما تتلقاه الصغيرات من التوجيه، الغزل والنسج وحلب الأبقار والعناية بالحيوانات الأليفة والطيور الداجنة ومراقبة الفلاحين في الحقول أو المشاركة في الشؤون المنزلية ـ والفتاة أخيراً ـ وفاقاً لكتابنا المقدس يجب أن تكون مصدر بهجة وسعادة لزوجها في المستقبل[٤]..

٧ الاحتفالات الدينية والوطنية (القومية)

- ***الاحتفالات الدينية:***

قبل بدء الكلام عن الاحتفالات الدينية، يجب التحدث عن التقويم (روزنامه) الإيراني القديم، لأن إقامة هذه الاحتفالات لها ارتباطاً وثيقاً

---

(١) دينكرد، (٨)، ٢٠، ٨٩، (نكاذم).

(٢) دينكرد، (٨)، ٤٣، ١١ (سكاذم).

(٣) دينكرد، (٨)، ٤٣، ٢٠ (سكاذم).

(٤) دينكرد، (٨)، ٢٠، ٩٥ (نكاذم).

بالتقويم الزرادشتي وكان الإيرانيون يستخدمون تقويم السنة الشمسية (الارتباط بين الشمس والأرض)[1].

كان الإيرانيون يقسمون السنة إلى أثنى عشرة شهراً وكل شهر إلى ثلاثين يوماً وتصبح السنة ٣٦٠ يوماً ولهذا السبب كانت تبدأ السنة القادمة مبكرة بخمسة أيام وخمس ساعات وثمانية واربعين دقيقة وأحدى واربعين ثانية عن تقويم الأخمنيين. ولتفادي هذه الإشكالية، كانوا يضيفون شهراً إلى السنة بعد مضي ست سنوات[2]. الأشكانيّون تابعوا تقويم الأخمنيين والساسانيين وإن كانوا حافظوا على تقسيم السنة إلى اثني عشر شهراً وكلّ شهر إلى ثلاثين يوماً. فقد سمّوا لكل يوم في الشهر اسماً وأضافوا خمسة أيام إلى آخر السنة باسم «أيام الغات» وبذلك أصبحت سنة الساسانيين، ٣٦٥ يوماً ولتعويض الخمسة الساعات و٤٨ دقيقة، كانوا يضيفون شهراً إلى السنة كل مائة وعشرين سنة.

وفي بداية القرن السادس الميلادي، اختار الساسانيّون طريقة «السنة الكبيسة» في السنة وبذلك كانوا يضيفون يوماً إلى الشهر كل أربعة سنوات ويسمّونه «أورداد» أو يوم عطاء الله...[3].

لأيام السبعة من بداية كل شهر يسمّى «أهورا مزدا» و«أمشاسبندان» وهي (أورمزد، بهمن، أرديبهشت، شهريور، سبندار مذ، خرداد وأمرداد) والأيام الـ٢٣ الباقية تسمّى «ايزدان «وأيام الأول، الثامن، الخامس عشر

---

(١) وكان الصابئين واليهود، تقويم قمري (ارتباط بين القمر والأرض).

(٢) جوليوس، قيصر روما بعد فتح المصر في سنة ٤٦ قبل الميلاد، تعرف على التقويم المتكوّن من ٣٦٥ يوما واقتبس هذا التقويم وجعل الشهر السابع منه لاسمه JULY والآن يسمون هذا التقويم بـ JULIAN CALENDER.

(٣) إن الشعوب عادة تقاوم أي محاولة لتعديل أو تغيير التاريخ أو التقويم ولذلك بعض الإيرانيين تمسكوا لتقويمهم القديم واستمروا في إضافة شهراً لكل ١٢٠ سنة، أما هؤلاء الإيرانيون نسوا أن يضيفوا الشهر الإضافي وبالتالي نري بأنهم يحتفلون «النيروز» في شهر «تير» (الشهر الرابع من السنة).

والثالث والعشرين من كل شهر تسمّى «خداوند» (اورمزد، دي بآذر، دي بالمهر، دي بالدين)[1].

وبناءً على ذلك يمكن القول بأن يقسم الشهر إلى قسمين سبعة أيام و٢٣ يوماً (إلى سبعة و٢ ثمانية أيام) وهذا أقرب تقسيمات الشهور الزرادشتية إلى تقسيمات ٤ أسابيع في الشهر.

• *أسماء الأيام الثلاثين في الشهر هي:*

«اورمزد» إله النفس والعقل، بهمن: منش (السلوك) الصالح، أرديبهشت: طريق الصدق والعدالة، شهريور: القدرة المختارة والبناءة، سبندارمذ: الشمس والزخرفة المتزايدة، خرداد: التواصل ومعرفة النفس، أمرداد: عدم الموت والخلود دي بآذر والخالق، آذر: النار والضياء، آبان: مياه الخير، شمس القمر، تير: نجمة نزول المطر؛ العالم دي بالمهر الخالق، مهر: الميثاق والصداقة، سروش: العمل بـ نداء الضمير، رسول الصدق ودين رشن: العدالة فروردين: الروح الحافظ والتقدم، ورهرام: النصر، رام: السلام والوئام، الرياح: الهواء دي به دين: الخالق، الدين، إرد: البركة وعطاء أهورايي. أشتاد: العمل، العدل والصدق، السماء: السماء، زامياد: الأرض مانتره، سبند: الكلام المولد الفكر، الصلاة والكلام الصالح، أنارام: النور المضئ والضياء للامتناهية.

• *الأسماء الاثني عشر شهراً*

فروردين: شهر فره وشي (الأرواح الحارسة والمرتضى). أرديبهشت:

---

(١) الشهر وليس الأسبوع، أصغر الوحدة في تقسيمات التقويم الزرادشتي وفي العالم المسيحي خاصة في «أوروبا» أما في السنة ١٥٨٢ الميلادي وفي أيام البابا GREGORY XIII وصل الاختلاف بين التقويم الشمسي والتقويم JULIAN إلى عشرة أيام، لذلك صحح البابا هذا الاختلاف وأصبح التقويم المسيحي اليوم معروفاً بـ تقويم «غريغوري».

شهر الصدق والعدالة. خرداد: شهر معرفة النفس والتواصل. تيـر: شهر البركة والكثرة. أمرداد: شهر الخلود وعدم الموت. شهريور: شهر قدرة البناء والاختيار. مهر: شهر الصداقة والميثاق. آبان: شهر المياء. آذر: شهر النار والضياء والطهارة. دي: شهر العطاء. بهمن: شهر العقل. اسفند: شهر المحبة والسكينة المتزايدة[1].

٨ كهنبار (الأعياد الموسمية) والاحتفالات الشهرية:

گـاه أنبار (أعياد موسمية): والأعياد الموسمية ستّة تسمى كهانبارات جميع (كهانبار) وكل منها يستمر خمسة أيام. وفي أثنائها تنحر الخراف وفقاً للمراسيم المعينة وذلك في احتفالات خاصّة[2] وها هي الأسماء الأفستية لهذه الأعياد[3].

١ ـ ميذيوي زرميه (في شهر أرديبهشت).

٢ ـ ميذيوي شام (في شهر تير).

٣ ـ بايتيسش ههيه (في شهر شهريور).

٤ ـ آياثريمه (فى شهر مهر).

٥ ـ ميذياى ريه (فى شهر دى).

٦ ـ همس پثمانديه.

هذه المهرجانات ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالطبيعة والزراعة. وقد قلنا سابقاً إنّ العناصر الثلاث: الطبيعة، الكواكب والتاريخ (الوطني،

---

(١) آرتور گريستين سن، إيران فى عهد الساسانيين، ترجمه، يحيى الخشاب، ص١٤٨.

(٢) دينكرد، (٨)، ٧، ١ : ٣.

(٣) ذكر البيروني أسماء الكهنبارات في لهجة خوارزم. ولكن في ترتيب يغاير ذكرالأفستالها.

الاجتماعي والديني) لها حضور وثيق في جميع الاحتفالات الزرادشتي وقيل بأنه كان احتفالات وطقوس «گهنبار» كان معمول به حتى قبل «أشو زرادشت»

ميذيوى زرميه: Maedio Zarem أو نصف الربيع، تقام في أرديبهشت (يوم خرداد إلى يوم دي بـ مهر) وذلك موسم حصاد الحبوب مثل القمع والشعير.

ميذيوي شام: Maedio Shaem أو نصف الصيف وتقام في شهر «تير» (يوم الخير إلى يوم دي بـ مهر) وذلك موسم زراعة حبوب مثل الأرز و...

بايتيش ههيه: Paeteshahem تقام في شهر شهريور (يوم أشتاد إلى يوم أنارام) وذلك موسم حصاد محاصيل صيفية والعلوف وعُليق لأجل المواشي

أياثريمه: Ayathrem، تقام في الشهر «مهر» (من يوم أشتاد إلى أنارام) وذلك موسم زراعة حبوبات شتوية (شهر «مهر» بناءً على التقويم الإيراني القديم، هو الشهر السابع للصيف، الذي سنتحدّث في هذا القسم)[1].

ميذياى ريه: Maediarem وتعني نصف الشتاء وتقام في الشهر «دي» (من يوم مهر إلى ورهرام) وهي في الحقيقة الاحتفال باستراحة المزارعين.

همس پثمائديه: Hamas Pathmaedem وهي كهنبار السادس، التي تقام في نهاية شهر «أسفند» وفي الأيام الخمسة «كات» ويكون الطقس فيه معتدلاً والمزارعون يخططون مشاريعهم الزراعية للسنة المقبلة، وهذه الكهنبار، التي تشمل الأيام الخمسة المسترقة كانت في الأصل عيد الموتى. وكان يستمر في الأزمنة القديمة عشرة أيام بلياليها، وقد قيل في اليشت

---

(١) الآثار الباقية، ص ٢٢٤ والترجمة، ص ٢١٠.

الثالث عشر من الأفستا بأيدينا (فروردين يشت ٤٩ ـ ٥٢) أنه في أثناء عيد «الهمس پشمانديه» تقترب أرواح المومنين (فروشي ها) من مساكن الصالحين مدة عشرة ليال متوالية، طالبة الصدقة والقرابين، ومن أجل ذلك سمي «يوم الموتي» هذا باسم فروردیکان أو عيد الأرواح (فروشی ها). يقول البيروني[1] وفي أيام هذا العيد «كانوا يضعون الأطعمة في نواويس الموتى (دخمات)[2] والأشربة على ظهور البيوت ويزعمون أن أرواح موتاهم تخرج في هذه الأيام من موضع ثوابها وعقابها فتأتيها وتنشق قوتها وترشف طعومها، ويدخنون بيوتهم بالراسن ليستلذ الموتى برائحته». وكذلك هذا الاحتفال يقام للعبادة والشكر للأهورا مزدا. أما العنصر والمادة الدينية في هذا الاحتفال، وتظهر في الترانيم والصلوات التي يقيمها «الموبدان» والحاضرون فيها يمسكون أيادي بعضهم البعض ويشكلون نوع من الاتحاد في القوة «همازور» لأن في الوحدة والاتحاد، خاصة فيما مضى، كان يكمن النصر والسعادة والصمود في وجه الكوارث الطبيعية مثل الجفاف، الفيضانات، زلازل، عواصف وغير من الكوارث والمشاركة في «مهرجانات» كهنبار كانت تعتبر إحدى الوظائف الدينية لكلّ الزرادشتيين والمشاركون فيها وأن كانوا يتحمّلون تكاليف إقامة هذه الاحتفالات كلّهم بملء إرادتهم وقدر استطاعتهم، لكن كل واحد منهم كان يستفيد من الاحتفالات بالتساوي مع غيره.

أما العنصر الاجتماعي لهذه الاحتفالات فهي أن جميع الزرادشتيين من الرجال والنساء، الشيوخ، الشباب، الأطفال، الفقير، الغني وحتى الفلاحين والإقطاعيّين كانوا يشاركون فيها بدرجة متساوية مع بعضهم بعضاً ويجتمعون في مكان واحد ويأكلون من مائدة واحدة وطعام واحد وهذه المجالسة والمشاركة كانت تزيد تضامنهم الاجتماعي. وجدير بالذكر، بأنه في نهاية الاحتفالات، كان يرسل ما يقى من الطعام إلى بيوت المعوزين،

---

(١) البيروني الآثار الباقية، ص ٨٥ و٨٧.

(٢) البيروني، الآثار الباقية، ص ١٢١، ١٢٣.

وهذا كان يعتبر جزءاً من العطاء والعمل الصالح الذي هو في دين الزرادشتي عمل محمود ومشكور وقد وُصّي به[١].

الاحتفالات الشهريّة

في التقويم الزرادشتي وفي كلّ شهر هناك يوم الذي يكون اسم يوم واسم شهر اسم واحد ويختلف فيه الزرادشتيون وهذه الاحتفالات التي تسمى باسم الشهور هي:

فروردينگان (١٩ من شهر فروردين)

اردیبهشتگان *(اليوم الثاني من شهر أرديبهشت فى التقويم الإيراني والثالث من أرديبهشت في تقويم الزرادشتي).*

خردادگان *(الرابع من خرداد الجديد والسادس من خرداد زرادشتي).*

تيرگان *(العاشر من تير الجديد والثالث عشر زرادشتي).*

امردادگان *(الثالث من أمرداد جديد والسابع الزرادشتي).*

شهريورگان *(ثلاثين أمرداد جديد والرابع من شهريورزرادشتي).*

مهرگان *(العاشر من شهر المهر جديد وستة عشر مهر زرادشتي).*

آبانگان *(الرابع من آبان جديد والتاسع آبان زرادشتي).*

آذرگان *(الثالث من آذر الحالى والتاسع آبان زرادشتي).*

ديگان *(الخامس والعشرين من آذر، ٢و٩ شهر دي الحالي و٨و١٦و٢٤ دي الزرادشتي).*

بهمنگان *(السادس والعشرين دي الحالي والثاني من بهمن الزرادشتي).*

---

(١) البيروني، الآثار الباقية، ص ٣٣ و٤٥؛.

اسفندگان (التاسع والعشرون من بهمن والخامس من أسفند زرادشتي).

ومن بين هذه الاحتفالات، احتفالات «مهرگان» ولها طابع وطني ونتحدّث عنها فى قسم الاحتفالات الوطنية مع هذا، فاحتفالات «النيروز» هي كبرى احتفالات الزرادشتيين (في إيران القديمة) وهذه الاحتفالات تبدأ مع الاعتدال الربيعي الذي تنتقل فيه الشمس إلى المدار الاستوائي وبذلك يكون ساعات النهار تساوي ساعات الليل وهو اليوم الأول من شهر«فروردين» والموافق بـ ٢١ شهر مارس أو آذار. واحتفالات «مهرگان» التي هي ثاني الاحتفالات الكبرى عند الزرادشتيين توافق الاعتدال الخريفي (الواقع في ٢٣ سبتامبر أو أيلول وهو أول من شهر «المهر» أما احتفالات «مهرگان» تتأخر إلى عشرة أيام لكي ينطبق اسم يوم المهر على اسم شهر مهر، الذي هو العاشر من هذا الشهر[١].

وعلاوة على هذين الاحتفالين الكبيرين، هناك احتفالات «تيرگان» و«ديگان» المهمّتان أيضاً، لأنّ احتفالات «تيرگان» تقام عندما تكون الشمس فى أقصى النقطة الشمالية من «الاستواء» وبذلك يكون النهار في أطول ساعاته والليل في أقصر ساعاته (هذا اليوم يوافق ٢٢ ژوئن أو حزيران وأول من شهر «تير» واحتفالات «تيرگان» تتأخر عشرة أيام وتقام في العاشر من شهر «تير»).

أما احتفالات «ديگان» تقام عندما تكون الشمس في أقصى النقطة الجنوبية من خط الاستواء وبذلك يكون الليل في أطول ساعاته والنهار في أقصر ساعاته (هذا اليوم يوافق ٢٢ دسامبر أو كانون الأول).

احتفالات «ديگان» تقام في ٢٣ من شهر «دي» أو يوم دي إلى آذر من شهر دي ويوافق ٢٣ من شهر دسامبر. وسوف نتحدث عن الاحتفالات الأربعة فى قسم الاحتفالات الوطنية.

---

(١) البيروني، الآثار الباقية، ص ٣٨ و٥٥ ـ ٥٦.

علاوة على ما ذُكر، كان الزرادشتيون يحتفلون يوم «خرداد» من شهر فروردين (اليوم السادس من هذا الشهر) الذي هو يوم ولادة «أشو زرادشت» وقد ذكر عنه أبو ريحان البيروني بأنه هو «النيروز العظيم»[١].

٩ الاحتفالات القومية عند الزرادشتيين:

هناك ثلاث احتفالات التي تعتبر احتفالات وطنية وهي «النيروز»، «المهرگانو» و«السدة» والتي تقام بشكل رائع على المستوى الوطني وما زالت هذه الاحتفالات تستمر إقامتها منذ القرون الغابرة وحتى الآن ولم يكن للثقافات الآخرى أي تأثير عليها ولم تضعف أو تخبو جذوتها. حتى الإمام محمد الغزالي في كتابه «كيمياء السعادة» طلب من الإيرانيين الامتناع عن الاحتفال بـ «النيروز» و«السدة» وألّا يزينوا بيوتهم ولا يرتدوا ثياباً جديدة، بل على الإيرانيين إقامة المأتم لكي يزول المجوس، مع هذا وبالرغم من طلبه هذا، حافظ الإيرانيون الوطنيون على هذه الاحتفالات[٢].

وجدير بالذكر، بأنه حتى القرن السابع الميلادي الذي كان دين الزرادشتي، دين الإيرانيين، لم يكن يوجْد أي فارقٍ بين الاحتفالات الدينية والاحتفالات الوطنية والكلام في ظهورهذه الاختلافات بدءت بعد أسلمة إيران.

احتفالات النوروز:

وكان النوروز أكبر الأعياد الشعبية كما هو اليوم في إيران (نوگ روز = بالفارسية نوروز) وهو يوم رأس السنة الذي يلي عيد فروردیگان[٣]

---

(١) الطبري، التاريخ الطبري، مجلد ٨، ص ٤٠٦ وما بعدها.

(٢) بالفارسية: دكتر فرهنگ مهر، ديدى نو از دينى گهن، ص ١٨٤.

(٣) كانوا يحتفلون برأس السنة في أول الربيع أيام الإسلام، وفي العهد الحالي نظم التقويم الشمسي الذي يجعل النوروز رأس السنة كما اتخذ أسماء السنة الزرادشتية القديمة.

مباشرة في السنوات البسيطة. وقد جاء في دينكرد[١]، أن الملوك كانوا يسعدون رعاياهم في جميع الولايات في هذا اليوم السعيد، وكان من يشتغل يستريح ويحتفل بالعيد، وقد عدد نص پهلوى حديث[٢] كل الحوادث الماضية والحاضرة المتصلة بالنوروز منذ خلق أهورمزد الدنيا ومنذ عهد المجد في التاريخ الخرافي حتى نهاية الدنيا. وقد تحدث عن هذا العيد، كثير عدا البيروني[٣].

لا جدال في أنّ الاحتفال بـ «النوروز» (رأس السنة) هو أجمل احتفال من بين جميع الاحتفالات لكلّ الأديان والأمم وفيها المبدأ المنطقي لبداية السنة الجديدة والتي تتجسد النواحي الثلاث: الفلكي، الوطني والديني بشكل بارز ومن حيث «الفلكي» يمكن القول بأن هذا اليوم هو يوم الاعتدال الربيعي وفيه تكون الشمس على المدار الاستوائي وبذلك تعادل ساعات النهار بساعات الليل وتستيقظ الطبيعة من نومها الشتوي وتبدأ حياة جديدة وتظهر جمال الخلقة في أبهى صورها[٤].

يقول أبو ريحان البيروني[٥] النوروز هو اليوم الأول من شهر الفروردين وهو جنين السنة الجديدة واليوم السادس من هذا الشهر، هو «النوروز العظيم» لأن ملوك الأسرة في الأيام الخمسة الأولى من هذا الشهر كانوا يقومون بتلبية الحاجات للحاشية (الأقرباء والخدم) وللجماعات ويقضون حاجاتهم وبعد ذلك يعقدون خلوة مع الخاصة والفرس كانوا يعتقدون بأن النوروز هو بداية الأيام والمُلك. كما أن الشعراء كالفردوسي ومنوچهرى قد تغنوا به. إنه عيد ربيعي قد حفظ بعض خصائص الزجموك

---

(١) ٤١٩، ٥، طبعة پشوتن سنجانا، (٩)، ص ٤٤٧ «الترجمة، ص ٥٦٣.

(٢) Pahlavi Texts، نشر جاماسب اسانا (٢)، ص ١٠٢ وما بعدها.

(٣) الآثار الباقية، ص ٢١٥ ومابعدها، الترجمة ص ١٩٩ وما بعدها.

(٤) بالفارسية: موبد اردشير آذر گشسب، مراسم مذهبى وآداب زرتشتيان، ص ٢٣٤ و٢٣٥.

(٥) البيروني، ص ٢٢٠؛ الترجمة ص ٢٠٥.

Zagmok الذي هو عيد البابليين القدماء. كانت الضرائب المحجبية تقدم للملك في النوروز، وفيه يعين أو يستبدل حكام الأقاليم؛ وتضرب النقود الجديدة وتطهر بيوت النار[1] ويستمر العيد سته أيام متوالية، وفي هذه الأيام يجلس ملوك الساسانيين للعامة، ويقابلون العظماء وآل ساسان في نظام حسن ويقدّمون لهم الهدايا. وفي اليوم السادس كان الملك يحتفل هو نفسه بالعيد مع خاصّته، والواقع أن اليوم الأول واليوم الأخير من النوروز (اليوم السادس) كان يحتفل بهما احتفال يحوي كل المظاهر الشعبية[2] وكانوا يصحون مبكرين في اليوم الأول ويذهبون إلى مجاري المياه والقنوات للاستحمام ورش بعضهم بالماء، وكانوا يتبادلون هدايا الحلوى. وكانوا في الصباح، قبل أن ينطق أحدهم بكلمة يأكلون السكر ويلعقون العسل ثلاث مرات، ويدلكون أجسامهم بالزيت، ويتبخرون بثلاث قطع من الشمع ليحفظوا أنفسهم من الأمراض والآفات.

نشأ النوروز من هدف وطني وتاريخي جاء فيه: عندما فرغ «الملك جمشيد» من أعمال البناء، عاشوا الناس في الرخاء والبلاد كانت عامرة ولم يكن ينقص فيها شيئاً حينئذٍ أمر الملك جمشيد[3]، العفاريت بأن يصنعوا له سرير من الذهب والأحجار الكريمة ويطيّرونه إلى السماء. ولهذا السبب سمّوا هذا اليوم، يوم بداية السنة.

ويقول «فردوسي» الشاعر الوطني في قصيدة مضاها الملك بعد انتهاء أعماله، أمر بصنع سرير من الذهب حتى إذا أراد العفاريت يأخذونه إلى حيث يريد. رفعوه من الأرض إلى السماء والسرير كالشمس المشرقة في كبد السماء والملك الحاكم جالس عليه، وفي يوم رأس السنة، كان هرمز

---

(١) الجاحظ، التاج، ص ١٤٦.

(٢) يحتفل اليوم بنوع خاص باليومين الأول والثالث عشر من النوروز، وهذا اليوم هو آخر العيد.

(٣) قد بذل جمشيد، سعي جباراً لتنظيم البلادو رخاء الناس وهوالذي قسم الشعب إلى أربعة فئات: المعلمون، العسكر، الفلاحون والحرفيين..

الفروردين يجلس مطمئن البال والقلب وخالٍ من العداوة، وبقى هذا الاحتفال السعيد من ذلك اليوم، وذكر لذلك الأكاسرة[١] يقول أبو ريحان البيروني[٢] في هذا الشأن: بأن في اعتقاد الفرس، بأن العالم وجد الحياة في هذا اليوم وفي هذا اليوم بدأت الخلقة. والخيّام الشاعر الإيراني[٣] يقول في كتابه «النوروز نامه» قبل، عندما أرسل سبحانه وتعالى أمراً إلى الشمس بأن تستقر، لكي تصل إشعاعها وفائدتها إلى كل شيء، حينئذٍ استقرت الشمس على مدار الحمل والسماء دمرتها، وانفصل الظلام عن الضياء وظهرت الليل والنهار وأصبح هذا بداية لتاريخ العالم.

وبما أنّ الكلام يجري من منظور تاريخي، تجدر الإشارة إلى أنّه بعد الإسلام، أضافوا إلى «النوروز» (يوم أورمزد فروردين) دلالات تاريخية أخرى وهذا من روائع الفكر والنبوغ الإيراني، الذي لأجل الاستمرار وبقاء الاحتفالات الوطنية صبغ هذه الاحتفالات بصبغة مذهبية إسلامية. ورُوي من سلمان الفارسي[٤] بأن خُلق آدم في بداية شهر فروردين وهذا اليوم، يوم سعد لطلب الحاجات وتحقيق الآمال والزواج والسفر. ويقول الشاعر «هاتف» مع التأكيد على بركة هذا اليوم:

همايون روز امروز است وبه فيروزي
بر او رنگ خلافت گرد شاه لافتى مآوي

تعني اليوم، هو «النوروز وهو يوم ملكيّ ولنصرة هذا اليوم ملك، جلس فيه ملك الجديد على سرير الخلافة»[٥].

أما اختلاط الأساطير الدينية فكان لها حسنات وكذلك سيئات ومن

---

(١) بالفارسية: أبو لقاسم فردوسي، شاهنامه، بخش قصايد سياووش.
(٢) البيروني، الآثار الباقية، ص ٢٢٠.
(٣) بالفارسية: خيام نيشابورى، نوروزنامه، ص ١٨٧.
(٤) سلمان الفارسي، الأصل الإيراني، هو من أصحاب محمد بن عبدالله في بداية الإسلام، سنة هـ ق.
(٥) هاتف أصفهاني، ترجيع بند، نوروز.

حسناتها أنها حافظت على السنن الإيرانية والوطنية ومن سيئاتها أنه أصبح الانفصال في كثير من سنن الإيرانية والدينية عن بعضها البعض، صعباً جداً. ومن أمثلة ذلك يمكن القول بأن بعد استيلاء العرب على إيران ولأجل حفاظ على «مقبرة قورش» سميّت هذه المقبرة بـ «مقبرة أم النساء» أو مقبرة أمّ سليمان «وبيت النار» أو «آذرگشسب» بـ «تخت سليمان» و«تخت جمشيد»، «تخت سليمان» وبالغوا في استبدال الأسماء حتى أجبر بعض كُتّاب القرن الرابع مثل «ابن حوقل» في كتابه «صورة الأرض»[(١)] و«الاصطخري»[(٢)] في «المسالك والممالك» وفي القرن الخامس «أبو ريحان البيروني» في «الآثار الباقية عن القرون الخالية»[(٣)] و«ابن بلخي» في «فارسنامه»[(٤)] و«محمد بن محمود بن أحمد الطوسي «في كتاب «عجايب المخلوقات وغرائب الموجود»»[(٥)] لتكذيب تخت جمشيد بـ «سليمان».

مع هذا، الجمع بين «جمشيد» و«سليمان» لم يكن جمعاً قسرياً لأن كلاً من جمشيد وسليمان كان ملكاً وكذلك النبي وكلّ واحد منهما صنع «تخت» أو عرشاً ملكياً من الذهب وكان يفعلان أعمالاً خارقة للعادة وكلاهما صعدا إلى السماء، العفاريت كانت تحمل تخت جمشيد، والرياح كانت تحمل سجاد النبي سليمان وكل واحد منهما كان يملك قدرة إلهية والاثنان أُبعدا عن الألطاف الإلهية واحد بسبب أكل اللحم[(٦)] والتكبر

---

(١) ابن حوقل، صورة الأرض.

(٢) اصطخري، في مسالك والممالك.

(٣) البيروني، الآثار الباقية.

(٤) فارسنامه، ابن بلخي،.

(٥) عجايب المخلوقات وغرائب الموجود، محمد بن محمود بن أحمد طوسي.

(٦) جمشيد هوYIMA وفي الأفستا YAMA في اللغة السانسكريت. وبناءً على ماجاء في الأساطير الإيرانية، يكون جمشيد ليكون «نبي» أما جمشيد الذي كان يعرف ضعفه، رفض النبوة، مع هذا أخبره إلى وقوع ثلاثة: شتاء قاسي وجمشيد لإنقاذ الحياة في الأرض، جمع نموذجاً من كل حيوان ونبات في مغارة حتى نهاية ذلك الشتاء الثلاث وثم أخرج الحيوانات والنباتات من المغارة وبذلك امتلاء العالم مرة ثانية من الحيوانات والنباتات. أما في آخر حياته، وجد جمشيد في نفسه =

والثاني بسبب الزواج من فتاة غير سامية وانظلم. وهذا الاختلاط علاوة على ما يشير إلى الذكاء الإيراني، كانت لأجل الحفاظ على الآثار القديمة.

أما المنظور الديني للاحتفال، فيمكن القول بأن احتفالات النوروز تبدأ دائماً بقراءة «جشن» والزرادشتيون قبل أن يقوموا بزيارات بعضهم بعضاً، يذهبون إلى «در مهر» والمعابد ويصلّون هناك صلاة الشكر[1].

وملوك الأخمنيين في هذا اليوم، كانوا يستقبلون العامة في قاعة قصر «آپادان» وممثلي الأجانب والأساتذة ومجموعات متنوعة من الشعب يأتون لحضور الملك ويقدمون له الهدايا أو يأخذون منه وكان يذهب «داريوس» إلى معبد البابل ويمسك يد «رب النوع البابلي». والملوك الساسانيون كانوا يحتفلون بالنوروز، احتفالاً رائعاً وكان يرتدي الملك ثياباً حريرياً ويجلس في قاعة القصر ويقدم إليه رئيس الموبدان صينية فيها خبز، خضار، شراب، خاتم، سيف، قلم ومحبرة و. . . .مع هذه الصينية حصان ونسر وبهينية بهذه العبارة:

أيها الملك، باحتفال فروردين من شهر فروردين، اختار الحرية في العدالة والدين، إن سروش الحكمة والبصيرة والذكاء، لك طول العمر مع أخلاقي «الهژير» كن فرحاً على سرير الذهب، اشرب طويلاً من كأس الجمشيد وحافظ على طقوس السلف كن قوياً في العزم واعمل صالحاً واحفظ العدالة والصدق، فلتكن حياتك أبدية وشبابك مستمر، حصانك منتصر في الحرب وسيفك لامع وقاطع على الأعداء ونسرك صائد ومنتصر في الصيد، أعمالك مستقيمة كالسهم، دارك عامر والحياة مديدة[2].

= الغرور الإلهي وأجاز الناس بأكل لحم الأبقار ولهذا السبب ذهب عنه، «فر ايزدي» أو القدرة الإلهية (XVARNAH) أو الـ «خُور» وقام عليه الشعب وثم غلبه «آژى دهاگ» وأخذ منه السرير.

(١) بالفارسية: دكتر هاشم رضي، الأفستا، فروردين يشت، ١٦.

(٢) البيروني، الآثار الباقية، الترجمة: علي أكبر دانادوست، ص ٢٥٥.

أما وبعد استيلاء العرب على إيران وفي أيام بعض الخلفاء العباسيين، كانت تقام احتفالات النوروز بشكل رائع وقيل إن عمر بن عبدالعزيز الخليفة الأموي وكذلك المعتضد الخليفة العباسي وبتقليدٍ عن الساسانيين كانا يرتديان ثياباً مخاطة من ذهب ويجلسان على الكرسي وثم يقدّم إليهما شخص رشيق القامة وجميل الصوت يسمّى «أمير النوروز» أو «ميمنت» وبعد أذن الدخول يقدم التهانئ[1]. وكذلك في عصر أمراء ديلميين، غزنويين وسلجوقيين كانت تقام احتفالات النوروز. ومنذ عصر ملوك الساسانيين، تكوّنت عادة وأصبحت معمول بها وهي زراعة عدة أنواع من الحبوب في سبعة أعمدة التي مصنوعة من التراب وذلك قبل ٢٥ يوماً من حلول النوروز وإن كانت نتيجة زراعة أي واحد من الحبوب، جيّدة، كانوا يزيدون زراعتها في السنة القادمة، كذلك تنظيف البيت، وارتداء الثياب الجديدة ومبادلة الهدايا كلها تعتبر من سنن وعادات هذا العيد. أما «مائدة السبع» (جديربالذكر بأن «سبع ش» هو أضبط لأن هذا الإشارة إلى «السبع أمشاسبندان» وهي مائدة لاستقبال النوروز وعليها سبعة أشياء يتكوّن أول اسمها من حرف سين)[2].

وعلى هذه المائدة كذلك النار، المرآت، كتاب أفستا، ماء الورد، الملبس الأبيض، وعاء الماء، نبتة خضراء، أغصان من شجرة السرور وطبخة من الأرز والسمك والرمان والمخلوطة وكلّ واحد من هذه الأشياء له مفاهيم سمبولية ورمزية.

وقد انتقلت احتفالات النوروز إلى كثيراً من البلاد الإسلامية ووصلت إلى المنغولية وآسيا، مصر، زنجبار في أفريقيا.

أكبر شاه، ملك الهند، أقام في السنة ١٥٨٤ الميلادية احتفالات رائعة «النوروز» و«مهرگان» وبدّل الأسماء الإسلامية لشهور السنة إلى

---

(١) البيروني، الآثار الباقية، ٢٢٥؛ الترجمة، ص ٢١١.

(٢) بالفارسية: دگتر هاشم رضى، جشن هاي إيران قديم، ص ١٥.

الأسماء الزرادشتية مثل فروردين وأرديبهشت وكذلك السلاطين العثمانيين كانوا يحتفلون «النوروز»[1].

احتفـالات مهـرگان:

«مهرگان» (مهرجان) يعتبر احتفال الثاني الكبير من الاحتفالات الوطننية ـ الدينية للإيرانيين ويقام في اليوم العاشر من شهر «المهر» والذي يوافق اسم اليوم باسم الشهر «مهرگان» مثل النوروز فيه ثلاث نواحي الفلكي (طبيعة) التاريخي والديني. أما من الناحية الفلكية (الطبيعية)، تقام احتفالات المهرگان بعد مضى عدة أيام من الاعتدال الخريفي (يذكر بأن الاعتدال الخريفي يقع في يوم الأول من شهر المهر أو ٢٢ سبتمبر) ويعتبر المهرگان احتفالات لحصاد المحاصيل الزراعية[2].

ومن الناحية التاريخية، يذكر بأنّه في هذا اليوم، انتصرت قوى العدالة والصدق بقيادة «كاوه»[3] الحداد، على جيش الكذب والظلم «آژى دهاگ»[4] وبذلك أصبح «فريدون»[5] الملك ويجب القول بأن الصراع بين الصدق والكذب وبين العدالة والظلم في إيران له جذور دينية وهذا الصراع وانتصار الحق على الباطل ظاهران فى جميع الاحتفالات الوطنية. أما «مهرگان» واحتفالاته له ملامحه الخاصّة[6].

يقول أبو ريحان البيروني في كتابه «الآثار الباقية»:

وكان يوم المهرگان وفيه جاء الملائكة لمساعدة كاوه ونصره وثم

---

(١) البيروني، الآثار الباقية، ص ٢٢٨ ـ ٢٢٩، الترجمة، ٢١٥ ـ ٢١٦.

(٢) المرجع نفسه، ص ٢٢٦.

(٣) گاوه، هو حدّاد من زمن الساسانيّين وضد ضحاك.

(٤) آژى دهاگ، في الأفستا تعني ضحاك، هو لديه ثلاث رؤوس وثلاث أفواه وستة عيون.

(٥) فريدون: (في الأفستا ثرئتون)، وهو من شخصيات أساطيري في الزمن الساسانيين.

(٦) المرجع نفسه، ص ١٦٠ وما بعدها.

جلس فريدون على السرير الملكي وحبس «ضحاك»[١] في جبل «دماوند»[٢] بذلك وتحرر الناس من ظلمه[٣].

أما من المنظور الديني والحضارة الفارسية، تعني مهر أو ميترا، أشعة الشمس والمحبة والصداقة وعلاوة هذا، تعني المهر حارس الميثاق ونذير لمن ينكث عهده.

احتفالات المهرگان كاحتفالات النوروز إحدى ألمع المظاهر للحضارة الإيرانية والمهر قبل ظهور دين الزرادشتي كانت إحدى الإله، أما بعد ظهور زرادشت، فتبدلت إلى أحد الملائكة المخلوقة من أهورا مزدا، إنّ النور والمهر كانا دائماً مع النور الإلهي اللامتناهي، واحداً.

وقيل إن تتويج «أردشير بابكان»[٤]. جرى أثناء احتفالات المهرگان. مع هذا ومن غير شك يمكن القول، إن ملوك الأخمنيين، الأشكانيين والساسانيين كانوا يجلّون احتفالات المهرگان، أما اليوم وفي عصرنا ولأن اليوم الأول من شهر المهر هو بداية السنة الدراسية، والمعاهد والجامعات تفتح أبوابها، لذلك أُعلن عن الاحتفال المهرگان باحتفالات ثقافية وكذلك، وبصفتها احتفالات المزارعين، ظلّ الحفاظ عليها كاحتفالات وطنية[٥].

أما الزرادشتيين يحتفلون بها دائماً كاحتفال خاص بهم وبنو أمية بسبب عنصريتهم ضد الإيرانيين، كانوا يجبرون الزرادشتيين في يوم المهرگان، بأن يقدموا لهم هدايا و«جرجي زيدان» في كتابه «التمدن الإسلامي»[٦] يذكر قيمة هذه الهدايا التي كانت تصل من خمسة إلى عشرة

---

(١) ضحاك: (فى الافستا اژى دهاگ) بمثل حيون ثلاث راس.

(٢) دماوند: أكبر الجبال فى طهران.

(٣) البيروني، الآثار الباقية، ص ٢٦٢.

(٤) أردشير بابكان: ملگ الدولة الاشگانية.

(٥) برهان، نوروز آيين هزاره ها، ص ٥٣ ومابعدها.

(٦) جرجي زيدان، التمدن الإسلامي، ص ١٣٤.

ملايين درهم؛ وأيضاً أبو مسلم الخراساني والبرامكة ورجال الحكومة في عصر العباسيين، كانوا يصرون على إقامة الاحتفالات المهرگان.

ويقول الشاعر الإيراني «عمر الخيّام»:

يوم المهر وشهر المهر ولأجل احتفال المهرگان، أكثري المحبة أيتها الحبيبة المنيرة الودودة. اعطفي علينا بفرحة المهرگان ويوم المهر، يستحق العطف في يوم المهر وفرقة المهرگان[١].

احتفـالات سـدة:

احتفالات السدة هي احتفال لظهور النار وموعد إقامته هو بعد مضي المائة يوم على انتهاء فصل الصيف وعندما لا يبقى إلّا مائة الليل والنهار إلى النوروز. وتصل أهمية احتفالات السدة، إلى مستوى أهمية النوروز المهرگان[٢].

ومن المنظور الفلكي (الطبيعية)[٣]:

كان الإيرانيون الأوائل ومنذ القديم، يقسّمون السنة إلى قسمين، الصيف الذي يدوم سبعة شهر ويبدأ من أول يوم من شهر الفروردين وينتهي في آخر يوم من شهر المهر. والشتاء يبدأ من أول يوم من شهر آبان ويستمر إلى آخر يوم من شهر اسفند. لذلك يمكن القول إنّ احتفالات السدة هي احتفال اليوم المائة من بداية الشتاء أو المائة نهار وليل (خمسين نهاراً وخمسين ليلاً) الباقية إلى اليوم الأول من الصيف. ومن المنظور التاريخي، ينسب هذا الاحتفال إلى الملك هوشنك وقد جاء في «الشاهنامه الفردوسي»[٤]:

---

(١) بالفارسية: عمر خيام، نوروز نامه، ص ١٨٦ بند ١٥.

(٢) البيروني الآثار الباقية، ص ١٩٩ وما بعدها.

(٣) المرجع نفسه، ص ٢٠٧.

(٤) الفردوسي، شاهنامه، قسم القصايد، چاپ وولرس ج١ ص٢٨٩.

كان الملك هوشنك يذهب ذات يوم مع مرافقيه إلى منطقة جبلية وفجأة ظهر ثعبان أسود اللون، و«هوشنك» الذي يتكّون اسمه من «هوش» (الذكي) و«هنگ» (القوى) أُخذ حجراً ورمى به الثعبان وصدم الحجر حجراً آخر ومن اصطدم الحجرين، ظهرة «شرارة» واحترقت الحشائش اليابسة حولها وهرب الثعبان وظهرت النار وفرح هوشنك من هذه الواقعة وحمد الرّب الذي أظهر له سرّ ظهور النار والملك هوشنك جعل النار من ذلك اليوم قبلة وأعلن هذا اليوم يوم إقامة احتفال وهذه السنة بقيت إلى يومنا هذا.

ويقول أيضاً الفردوسي في قصيدة ما معناها[1]:

وقع حجر صغير على حجر أكبر وإن كان كلا الحجرين انكسرا وأصبحا حجارة صغيرة.

ومن تضاربهما، ظهرت شرارة وأصبح قلب الحجر ويتوهّج بالنار.

والملك حمد الخالق الذى قدّم له الشرارة هدية.

والملك جعل النار له قبلة واحتفل في تلك الليلة وشرب وسمّي هذا الاحتفال السعيد «السدة».

أما من المنظور الديني، يمكن القول إنّ هذه الاحتفالات تركّز على أهميّة النور والنار والطاقة، ولهذا السبب قيل عن النور الذي عن الربّ منفصل وليس بمنفصل وفي أي مكان يوجد نوراً، يمكنك أن ترى الرب فيه وهو قبلة أينما وُجد. أشعة الشمس، ضوء القمر النار، المصباح وكذلك النور في الداخل وفي القلب وفي الروح، كل هذا هو من أشعة «أهورا مزدا» ولهذا سمّيت الجنة في الأفستا بـ «الضياء اللامتناهي»[2].

يقول الشاعر «عمر الخيام» في كتابه «نوروزنامه»[3]:

وفي كل سنة حتى ذلك اليوم، كان الملوك الحسنو العهد في «إيران

---

(١) المرجع نفسه، ص ٣٢٥.

(٢) حامد عبدالقادر، زرادشت الحكيم، ص ٨٨.

(٣) بالفارسية: عمر الخيام، نوروزنامه، ص ٢٥٤ وما بعدها.

وتوران» يقيمون احتفالات «السدة» أما اليوم فتركت بيد النسيان ونُسيت هذه الاحتفالات.

مع هذا، الزرادشتيين الذين كانوا ولا يزالون حُرّاس السنن القديمة، يقيمون هذه الاحتفالات وقيل إن «مرداويج الزياري»[١]، أقام هذه الاحتفالات في السنة ٣٢٣ الهجرية (القرن العاشر الميلاد) بشكل رائع في «أصفهان» وفي عصر الغزنويين جددّت إقامة هذه الاحتفالات مرة أخرى وكذلك العنصري»[٢] الشاعر الشهير الإيراني وفي إحدى حفلات «السدة» قرأ قصيدة عند السلطان محمود في شأن هذه الاحتفالات وكانت تبدأ بأن السدة التي هي احتفال للملوك العظام، بقيت تذكاراً من فريدون والجمّ (جمشيد) ذكري وفي إيران القديمة وعند الزرادشتيين الإيرانيين، كانت تقام احتفالات السدة، مع أشعال النارو ذلك قبيل غروب الشمس. واليوم يشعلون النار في خارج المدن وأشعال النار يبدأ بحضور الموبدان الذين بيدهم وردة الخزامي ويقرؤون قسماً من كتاب الأفستا. ثم الناس الذين يتجمهرون حول النار يقرؤون صلاة النار وبعد الانتهاء من الصلاة، يمسكون أيادي بعضهم ويدورون حول النار ويغنّون ويرقصون.

في مدينة كرمان في إيران تقام هذه الاحتفالات من قبل جمعية الزرادشتيين الكرمان خارج المدينة ويشترك فيها جميع الرجال والنسوة الزرادشتيون وكذلك المسلمون واليهود في المدينة ويشاركونهم سرورهم.

احتفالات تيرگان:

ففي كلّ شهر عيد اليوم المسمّى باسمه الشهر، وعلى هذا النحو كان تير من شهر تير عيداً (١٣ تير) هو التيركاه. وفيه يغتسل الفرس ويطبخون ويأكلون الفواكه[٣].

---

(١) مرداويج زياري: هو من حكام آل بويه في عصر صفوي.

(٢) عنصري: الشاعر الأيراني في القرن الرابع والخامس هـ ق.

(٣) البيروني، الآثار الباقية، ص ٢٢٠؛ الترجمة، ص ٢٠٥ ـ ٢٠٦.

من الناحية الفلكية، أن الاحتفالات «تيرگان» تقام حينما يكون النهار فى أطول ساعاته في السنة الشمسية وكذلك حرارة الصيف على أشدّها[1].

أما من الناحية التاريخية، هو اليوم الذي فيه «آرش» حامل القوس مع رمي سهم من قوسه ليعيّن الحدود بين بلاد إيران وتوران وفي هذه القصة جاءت بعد الانتهاء من الحرب بين الإيرانيين والتورانيين في ذلك الزمن، توافقا الطرفان، بأن آرش الإيراني يرمي سهماً من على جبل الدماوند وأينما يسقط السهم، يكون هناك حدود بين البلدين، وآرش عجبته بكبر الوطن، يرمي سهم، بكل ما أوتي من القوة وقدرة وبكل روحه ونفسه ويسقط السهم في ضفة «نهرالجيحون» ويصبح هناك الحدود بين بلدين. أما الضغط على آرش كان بقدرٍ حتى احترق وأصبح رماداً بعد رمي السهم والانتصار فيه. وهذه نموذجاً من الحماس وعظمة النفس وسمّو الأخلاق عند الإيرانيين[2].

ومن الناحية الاجتماعية والدينية، بعد الانتهاء من إقامة الاحتفالات وقراءة صلاة أهورامزدا، يجتمع أفراد العائلة وبعض من أصدقاءها في بيت رئيس العائلة «الرمز» والأولاد يلعبون وبما أن الطقس في ذلك اليوم يكون حارّاً، يرش الأولاد الماء على بعضهم والخاطبون يقدّمون هدايا لخطيباتهم والكبار يلعبون لعبة الكوز وهي لعبة فيها يكتبون أسماء اللاعبين على ورقة ويدخلوها داخل «الكوز» ثم يسحبون ورقة ومن كان اسمه على هذه الورقة عليه أن يقرأ أشعار الحافظ أو شاعر آخر ويتفاعل معها وفي نهاية هذا الجلوس وأكل الفاكهة والمخلوطة وغيرهما من الحلوى، يغنون ويرقصون[3].

---

(١) المصدر نفسه: ص ٢٢٨ ـ ٢٢٩؛ الترجمة، ٢٠٧.

(٢) حماسة «آرش» تعتبر أكثر غيرة من حماسة «ماراتن».

(٣) البيروني، الآثار الباقية، ص ١٦٠ وما بعدها.

من منظور فلكي[1]، الليلة اليلدا أو ليلة الأربعين هي بداية أول ليلة لفصل الشتاء وهي أطول ليلة في السنة لأنه من بدء صباح يوم غد ومع طلوع الشمس يزيد عدد ساعات النهار ويطول النور الرباني، ولذلك كان الإيرانيين القدماء يسمّون ليلة نهاية الخريف والليل الأول من الشتاء ليلة ولادة مهر أو ولادة الشمس ويقيمون احتفالاً كبيراً وعلى سبيل المثال، نعرف من المصادر الرومانية، بأن الشيوخ والنبلاء الإيرانيين كانوا يذهبون إلى تلّةٍ بثياب جديدة وحين إقامة طقوس، يطلبون السماء أن ترسل إليهم ذلك «القائد العظيم» لفلاح البشر وإنقاذهم وجدير بالذكر بأن الفرس كانوا يعتقدون بأن ظهور نجمة في سماء الجبل الذي يُسمي «جبل فيروز» وعليه شجرة كاملة الجمال، تكون من إشارات الولادة لذلك المنقذ وكان كبير الموبدان يقرأ صلاة خاصة في هذا الشأن والتي بقي قسم من هذه الصلاة في كتاب ربهمن يشت»[2] وهي:

تلك الليلة التي يولد فيها سيدي

تأتي علامة من الملك، فيتزل النجم من السماء

فيدل نجمه، كما يأتي قائدي

وعلى الظاهر، بعد مضي ثلاث مائة سنة على ولادة عيسي المسيح، وافقت الكنيسة المسيحية، على احتفالات ولادة «مهر» ومن الظريف أن كلمة «يلدا» هي كلمة سريانية وتعني «الولادة» وأبو ريحان البيروني ترجم هذه الكلمة بـ «ليلة الولادة»[3].

ومن طقوس «يلدا» أو ليلة الأربعين من فصل الشتاء أكل المخلوطة

---

(١) البيروني، آثار الباقية، ص ٢٣٠.

(٢) الأفستا، بهمن يشت، فرگرد ٧.

(٣) البيروني، المرجع نفسه، ص ٢٤٥.

والبطيخ، الرمان والحلويات والفاكهة المتنوعة. ولكلّ فى هذه الأشياء، رمزه الذي يرمز إلى البركة والصحة والكثرة والسرور. وفي هذه الليلة مثل احتفال تيرگان يتفاءل بالكتاب الشاعر الحافظ والحاضرون يتحدثون عن المستقبل بواسطة اختيار جوزة وكسرها ووجود أو عدم وجود اللُّبّ فيها[1].

احتفالات فروردين:

الاحتفالات بولادة أشو زرادشت (خرداد وفروردين) هو أحد الاحتفالات والمراسيم الدينية في شهر فروردين وهو في الحقيقة يسمّى «النوروز الكبير» ويكون اليوم الأخير من احتفالات النوروز. وكذلك هناك مراسيم تقام في اليوم التاسع والعاشر من فروردين (يوم فروردين من شهر فروردين) لذكرى كل الأرواح وهذه المراسيم التي هي احتفالات الأرواح يُسمّى «فرودوك»[2]. ويخص الأيام الخمسة الأخيرة في السنة أو الخمسة الأيام قبل حلول شهر فروردين إلى «فروهر»[3] أرواح المتوفيين لأنّ الإيرانيين القدماء كانوا يعتقدون بأن كل المخلوقات كانوا في أول الخلقة بشكل «فره وشي»[4] وهي جوهرة مينوية (من الجنة) ومن النوع الجوهر الأهورايي والذي منه الأهورا مزدا كذلك، ثم هذه الفروشي تأخذ صورة مادية وبعد موت الإنسان، تبقى الصورة الماديّة أو عالم الفره وشي وفي كل سنة وفي الأيام الخمسة الأخيرة وكذلك في يوم فروردين من الشهر الأرواح يزورون أهليهم في عالمنا هذا ولهذا، وفي هذه الأيام تقام مراسيم أو طقوس مع قراءة جشن وتنتهي بالخيرات وبالمبرات.

وكان عيد آذرچشن الأول، عيد النار، يعيد في السابع من شهريور (يوم شهريورمن شهريور)، وهو يوم عيد النيران التي في دور الناس، وفيه

(١) المصدر نفسه، ص ٢٣٩.
(٢) الأفستا، مينوي خرد، قسم ٥٧، بند ١٣.
(٣) فروهر: الخامس القواي مينوي اهورا مزدا.
(٤) فره وشي: بالفارسية «فرورتي» تعني: الحماية وحامي.

يوقدون النيران العظيمة في بيوتهم ويكثرون من عبادة الله وحمده ويجتمعون على الأكل والفرح. ولكن يظهر أن هذا اليوم لم يكن عيداً إلا في بعض ولايات إيران[1].

وكان يقام مهرجان لعيد كبير جداً، هو عيد ميترا، يحتفل به يوم مهر (١٦من شهر مهر). وكان من تقاليد الأزمنة القديمة، يوم رأس السنة كما رأينا، وقد احتفظ بكل تقاليده. وقد كان المهرجان، كالنوروز، احتفالاً بخلق الإنسان والأرض وغير ذلك من حوادث التاريخ الخرافي[2]. ومن رسوم الأكاسرة في هذا اليوم التتويج بالتاج الذي عليه صورة الشمس وعجلتها الدائرة عليها. ومنه جرى الرسم بأن يقف في صحن دار الملك رجل شجاع وقت إسفار الصبح ويقول بأعلى صوته: «يا أيها الملائكة أنزلوا إلى الدنيا وامنعوا الشياطين والأشرار وادفعوهم عن الدنيا»[3].

ومن طعم يوم المهرجان شيئاً من الرمان وشمّ ماء ورد دفع عنه آفات كثيرة.

وفي أول آذر يحيون عيد بهار جشن «عيد الربيع» ولأن أول آذر وقع في عهد الأكاسرة (أي حين اختلفت التقاويم) فإنّ هذا اليوم صادف أول الربيع. وكان هذا العيد يسمّى في العهود الإسلامية «بخروج الكوسج» فيركب كوسج بغلا ويطوف وقد أمسك بيده مروحة مظهراً سروره بأن البرد قد ولى وأن فصل الحر قد اقترب[4].

وبعد انقضاء عدة أيام على البهار چشن كان يحتفل فى يوم آذر

---

(١) البيروني، الآثار الباقية، ص ٢٢١ ـ ٢٢٢؛ الترجمة، ص ٢٠٧.

(٢) لعل أصل الصيغة البهلوية أن يكون يزدان (يازاتا) أو أمر سبندان (امشاسبنتا).

(٣) البيروني، ص ٢٢٣ ـ ٢٢٢؛ الترجمة، ٢٠٧ ـ ٢٠٨.

(٤) البيروني، ص ٢٢٥؛ الترجمة، ص ٢١١؛ قارن المسعودي، مروج، (٣)، ص ٤١٣ وما بعدها حيث وصف العيد كما كان يحتفل به آيام المزلف، مع ما فيه من العاب.

(التاسع من شهر آذر) بالآذر جشن الثاني وفيه يحتاج إلى الاصطلاء بالنار لأنه آخر شهور الشتاء وكان البرد في آخر الفصل أكلب والقر حينئذ أغلب[1].

أول داذ، هو يوم آخر من أيام السنة القديمة[2]، كان عيد خرّم روز (اليوم السعيد) وكان الملك فيه ينزل عن السرير ويلبس الثياب البيض ويجلس على الفرش البيض في الصحراء ويرفض الحجبة وهيبة الملك ويتفرغ للنظر في أمور الدنيا وأهلها ومن احتاج أن يكلمه في شيء دنا منه رفيعاً كان أو وضيعاً وخاطبه غير ممنوع من ذلك. ويجالس الدهاقين والمزارعين ويؤاكلهم ويشاربهم ويقول «أنا اليوم كواحد منكم وأنا أخوكم لأن قوام الدنيا بالعمارة التي تجري على أيديكم وقوام العمارة بالملك ولا استغناء بأحدهما عن الآخر»[3].

وفي الرابع عشر من شهر داذ العيد المسمى «سير سور» أو عيد الثوم. وفيه يؤكل الثوم ويشرب الخمر ويطبخ النبات باللحوم التي يتحرز بها من الشيطان وبها يتداوون من الأعمال المنسوبة إلى أرواح السوء[4].

وفي الخامس عشر من داذ يحتفل بعيد آخر وفيه كان يتخذ شخص من طين أو عجين على هيئة الإنسان ويوضع في مدخل الأبواب ولم يكن يستعمل ذلك في دور الملوك.

وفي السادس عشر من داذ يحتفل بعيد له اسمان مختلفان ولكن قراءتهما غير مؤكدة ولعل أولهما يتكون من اسم مركب فيه كلمة گاو بمعنى الثور. وأصل هذا العيد يتصل بخرافة الملك فريدون القديم.

فقد ركب هذا الملك ثوراً في الليلة التي ظهر فيها الثور الذي يحرس عجلة القمر: «وهو ثور من ضوء قرناه من ذهب وقوائمه من فضة يظهر

(١) البيروني، ص ٢٢٥، الترجمة، ص ٢١١.
(٢) انظر ص ١٦٠ وما بعدها.
(٣) البيروني، ص ٢٢٥، الترجمة، ٢١١ ـ ٢١٢.
(٤) المرجع نفسه، ص ٢٢٦، الترجمة، ص ٢١٢.

سائمة ثم يغيب والذي يوفق لرؤيته مجاب الدعوة في ساعة نظره إليه، وفي هذه الليلة يرى على الجبل الأعظم كما زعموا أن ثور أبيض يخور مرتين إن أخصب الزمان ومرة إن أجدب»[١]. ومن الطريف ذكر الثور الجرار لعربة القمر. قد وجد في متحف لننجراد كأس ساساني من الفضة (كأس كليموا) يظهر فيه ملك القمر (ماه) جالساً على عرشه داخل هلال يتكون منه الجزء الأعلى من عربته التي يجرها أربعة ثيران[٢].

والعاشر من بهمن مشهور بعيد سادَگ (ساده بالفارسية) وهو أهم أعياد النار. وقد ذكره كثيراً الكتاب العرب والفرس[٣]. ووصله آخرون ببيوراسب الظالم أو الضحاك (ضحاك عند الفردوسي)، وهو الرجل الذي نبت على كتفيه ثعبانان والذي عزله وقيده أفريدون. ويروي البيروني[٤] أن الإيرانيين في مساء عيد السذق يتبخرون لطرد السوء حتى صار في كل رسوم الملوك في ليلته إبقاء النيران وتأجيجها وإرسال الوحوش فيها وتطبير الطيور فيها والشرب والتلهّي حولها.

واليوم الثلاثين من شهر بهمن عيد آبريزگان (آبريزان) ـ عيد السقي ـ وفيه يصيب كل فرد الماء، وهو عمل سحري يقصد به جلب المطر. وقد روى البيروني أصل هذا العيد ولم يرجعه إلى التاريخ الخرافي السابق على الدولة الأخمينية ولكن يرجعه إلى العهد الساساني، ويقال إن هذا اليوم قد عيد فيه احتفالاً بنزول المطر الذي هطل بعد جدب طال أوانه وذلك بعد أن حج الملك إلى بيت النار آذرخوره (آذرفربغ)[٥].

(١) نقص في النص (البيروني، ص ٢٢٦، الترجمة، ص ٢١٢، ٢١٣) وفي هذه الملحوظة الأخيرة نستطيع أن نري أثرًا امن التقويم الذي يبدأ السنة بشهرداذ (انظر ص ١٦٠).

(٢) هرتسفيلد، Der Thron des Khosro، جزء ٤١، ص ٤ و١٤٢.

(٣) كريستينسن، إيران في عهد الساسانيين، (١)، ص ١٦٤ وما بعدها.

(٤) ص ٢٢٦ ـ ٢٢٧، الترجمة، ص ٢١٣ ـ ٢١٤.

(٥) البيروني، ص ٢٢٨ ـ ٢٢٩، الترجمة، ص ٢١٥ ـ ٢١٦. ويقول الدمشقي (ترجمة =

ويوم اسپندار مذ (الخامس من شهر اسپندار مذ) هو عيد النساء، ويسمّى مُزدگيران. وفيه يجود الرجال على النساء، ويستقي فيه العوام زبيباً وحب رمان مدقوقين ويقولون إنه ترياق يدفع مضرة لدغ العقارب ويكتسبون من لدن وقت طلوع الفجر إلى طلوع الشمس رقية على أوراق مربعة ويلزقون في هذا اليوم ثلاثاً منها على الجدران الثلاثة من البيت ويتركون الجدار المقابل لصدر البيت لتهرب منه الهوام[1].

واليوم التاسع عشر من سبندارمذ عيد يسمّى «نوروز الأنهار والمياه الجارية» وفيه يطرحون الطيب وماء الورد وغير ذلك في المياه الجارية[2].

ويشير أجاثياس (٢ ـ ٢٤) إلى عيد ديني كان حسب قوله أعظم الأعياد عند الإيرانيين وهو يسميه «عيد إبادة الكائنات الشريرة» ففي هذا العيد يقتل عدد كبير من الزواحف والحشرات التي تعيش في الصحراوات ثم تقدم إلى المغان إثباتاً لتقوى القاتلين. وليس لدينا مصادر غير أجاثياس عن هذا العيد ولكنا نعلم أن الدين المزدي قد أوصى بإبادة الحيوانات الضارة التي خلقها أهريمن، وأن قتل عدد معين من كل صنف منها كان مما يكلف به المومنون[3].

وكانت قراءة الطالع من الأعمال التي عرف بها المغان فكانوا يتحدثون عن الغيب وهم ينظرون إلى النار المقدسة[4]. وكانوا يحضرون الطالع بما لهم من معرفة بعلم النجوم. ولكن مع ذلك كان هناك طريقة

= مهرن Mehren ص ٤٠٥) إنه السقي الذي يجري في النوروز وهو الذي يذكر بعهد فيروز، ولكن فيروز، هنا، قد ذكر بدلاً من ييم (و هي رواية أكثر قدما عند البيروني).

(١) البيروني، ص ٢٢٩، الترجمة، ص ٢١٦.

(٢) البيروني، ص ٢٣٠، الترجمة، ص ٢١٧.

(٣) انظر، مثلاً، الونديداد ١٤ ـ ٥: ٦.

(٤) أجاثياس ٢، ٢٥.

شعبية لمعرفة النجوم. فالبيروني[١] يذكر قائمة بأسماء أيام السنة، السعد منها والنحس، كما أنه يبين أحكام الحية ورؤيتها في أيام من الشهر، العلة والمرض، موت أو ذهاب شيء من أهل البيت، منفعة ومعونة من أهل البلد، ذكر ومحمدة، سفر فيه منفعة كثيرة، دخول على السلطان، تزويج ونكاح، مال بلا تعب[٢]. . . وكانت أيام قران النجوم أو تقابلها من أيام النحس ويشير البلعمي[٣] إلى كتاب فارسي اسمه «كتاب التفاؤلات» يشمل كل التفاؤلات التي ذكرت في حروب الإيرانيين ثم يذكر فقرة من هذا الكتاب[٤].

١٠ الثور القربان والطقس:

لقد تم الافتراض عموماً أنه عندما شجُبت القسوة نحو الثور، قد قصد بها القسوة الملازمة للأضحية، وأدان الرسول جماعة كهنة العبادة القديمة (كربان وفسغ)[٥] بتعريض الثور إلى العنف الشديد (إيشما)، وزعم أن الأمراء كانوا يجعلونه يصرخ[٦] ألماً. وكانت روح الثور نفسه تصرخ قائلة: «العنف والضراوة والقسوة والخوف والقوة تحيط بي[٧]»، وكان هذا بسبب خطط الديفاس[٨] والناس على حدٍّ سواء، وإضافة لذلك، اتهم أتباع الكذب بعدم السماح للثور أو البقرة بالنماء[٩]، ولذلك فهم أعداء الراعي المستقر،

---

(١) ص ٢٣١ ـ ٢٣٢، الترجمة، ص ٢١٨.

(٢) قارن روزنبرج Notices de Litterature Parsie (لينجراد ٩. ١٩)، ص ٤٩ رقم ١٨، مارنامه «كتاب الثعابين»، منظوم.

(٣) ترجمه روزنبرج، (٢)، ص ٣٢٢.

(٤) كتب اينسترنتزف بحثاً عن التفاؤل والتشاؤم عند الفرس أيام الساسانيين، نقلاً عن المصادر العربية.

(٥) ريگ ودا، ١ بند ٦٠، ٤،.

(٦) يسنأ ٤٤ بند ٢٠.

(٧) Ibid 46. 4.

(٨) Ibid 11.7, etc.

(٩) يشت ١١ بند ٢٠.

وبصرف النظر عن هذه الهجمات العامة نوعاً «على أتباع الكذب» لسوء معاملتهم الفظة لأنعامهم، هناك هجوم زرادشت المحدد على جم، والذي هو الإنسان الأول مثل نظيره الفيداوي جم، وتمت لإدانة جم الذي وصمه زرادشت بأنه آثم، لتقديمه لرجالنا أجزاء من لحم الثور ليأكلوها[١]، إنه هو الذي تحدث عن الثور والشمس بأنهما «الشيء الأسوا الذي تستطيع العين أن تراه»[٢]، والذي كان يدمر حياة الثور بصيحات الفرح[٣]، كما أن الأمراء المعادين لزرادشت والذين استمروا باتباع العادات القديمة التي نقلها إليهم جم، ومؤسس عرقهم، كانوا يفعلون كل ما باستطاعتهم لقمع تعاليم الرسول بحيث كانوا يقدمون المساعدة إلى أتباع الكذب قائلين: فليذبح. . الثور الذي يُحرق (الربّ) والذي يهرب الموت منه[٤] والعبارة الأخيرة مهمة بقدر ما هي غامضة، إلا أن شيئاً واحداً أكيداً فيها هو أن الرب الذي يهرب الموت منه هو هاوما، أي النبات المقدس الذي أصبح فيما بعد الأضحية القربانية التي كانت تتم تضحيتها بصورة رمزية في الطقوس الزرادشتية.

لقد تم الافتراض حتى الآن أنّ زرادشت كان يهاجم في هذه المقاطع كلاًّ من أضحية الثيران والأبقار والجواميس من ناحية أولى، وعبادة الهاوما التي ترافقت معها من الناحية الثانية، ويُفترض أن هذه العبادة كانت تتسم بالقصف والعربدة، حيث كان يترافق ذبح الثور بصيحات الابتهاج، ولأن زرادشت أدان في مكان آخر القذارة (حرفياً: البول) لهذه الثمالة التي خدع كهنة العبادة القديمة (كربان) الناس بها بشكل شرير، مثلما فعل الحكام الأشرار للأقاليم وهم مدركون إدراكاً تاماً لما كانوا يقومون به[٥]. ويبدو من دراسة النصوص معاً بأنها تؤكد بالفعل تماماً هذا

---

(١) Ibid 32,. 12.

(٢) يشت ٥ بند ١٧.

(٣) See especially R V. 10. 119´ïõ Òüû.

(٤) Ibid. 29.4.

(٥) يسنا ٤٨ بند ١٠.

الرأي، ولم يناقشها أي عالم، حسب معرفتي، في الأزمان الحديثة، حيث يبدو أن شجب الرسول كان قوياً جداً لعادة ذبح الثيران، مع صيحات الابتهاج، بمرافقة القصف الثمل الذي أثارته العصارة المخمرة لنبات الهاوما، ومع ذلك، فإن الأمر يبدو مخالفاً لمنطق تاريخ الديانات، نوهو أن يكون قد تم تبنّي عقيدة، كان مؤسس أحد الأديان قد أدانها بقوة، وذلك دونما احتجاج أو معارضة من قبل الأتباع الأوائل لذلك المؤسس. ويتداخل هنا سؤالان: هناك أولاً مسألة الأضحية الحيوانية وثانياً عبادة نبات الهاوما ويبدو أن العبادة المختلطة التي لا بد وإن كانت مسألة غير لائقة ومتسمة بالقصف والعربدة كما زاولها عبدة اليفاس، قد أدانها الرسول علانية عندما نقل عن خصومه قولهم: «فليذبح الثور الذي يحرق (الرب) والذي يهرب منه»، وأدان أيضاً الثمالة الطقوسية بأقوى العبارات الممكنة، ومع ذلك، لا يوجد شيء في النصوص يدفعنا إلى الاستنتاج أن زرادشت أدان الأضحية الحيوانية، وعبادة نبات الهاوما كما كانت عليه، ولم يلم جم للذبح القرباني للأنعام، بل لإعطاء الناس أجزاء من اللحم القرباني ليأكلوه، ولا تعني هذه ولا يستدعى هذا أن نفهم أكثر من أن الرسول كان يعارض تناول جمهور المؤمنين الطعام القرباني، ويمكن تدعيم هذا الرأي بحقيقة أن الكهنة فقط يتناولون عصارة نبات الهاوما، في عملية العصير الأولي، وذلك في طقس الهاوما كما يزاولها الفريثون الحديثون[١]، وبشكل مماثل، يبدو من غير المحتمل أنه توجب على زرادشت أن يدين عبادة الهاوما مجردة، فالشيء الذي لا يصدق تقريباً أن هذا الطقس قد أصبح منذ زمن سحيق القربان الرئيسي الذي أسسه، أو أنه قد أصدر تحريماً كهذا، وكان الهنود ـ الإيرانيون يعدّون نبات الهاوما (تمركز الطقس نفسه في الهند حول نبات السوما)[٢] أكسيراً

(١) J. J. Modia, The Religious Ceremonies and Customs of the Parsees, pp. 296, 306 - 7.

(٢) Soma and Homa are etymologically the same word, Iranian h corresponding to Indian s. Cf. Iranian ahura, Indian asura.

للخلود، وله بالتالي صفة مطلقة هي (دوروشا) والتي تعني «الذي يهرب منه الموت»، ولذلك فإذا كان زرادشت قد رغب بشجب الطقس، فنادراً ما أشار إلى الهوما بالصفة ذاتها التي كانت تعزو إليها القوة للتغلب على الموت، ويبدو أن تفسير استخدام الرسول للكلمة على أنه سخرية، كما تم عمل ذلك مؤخراً بأنه مضيعة للوقت.

إن ما أدانه زرادشت بالفعل لم يكن طقس الهاوما كطقس، بل بعض المزيج الغريب مع أضحية الثور التي يبدو أنه تم فيها إحراق النبات، ويتوافق مثل هذا التفسير بشكل أنيق جداً مع «الآزوتوش مانثرم» في (اليسنا ٢٩/٧)، ونادراً ما تستطيع هذه الكلمات أن تعني شيئاً سوى «الصيغة المقدسة لتقديم الدهن»، أي الطقس المرتبط مع تقديم دهن الحيوان المذبوح، وكان الرب نفسه قد أمر بإقامة هذا الطقس وذلك باتفاق تام مع الصدق، وهو يقدم في تلطيف هذا القانون الأبدي، وبالاتحاد مع العقل السليم، ويقدم زرادشت إلى روح الثور كحام له، وبشكل واضح لو أن الرب نفسه أوجد طقس تقديم الدهن، لما استطاع رسوله أن يلغيه، ولو كان قد فعل ذلك لما كانت روح الثور قد اشتكت أنه يتوجب عليها أن تكتفي بحام عاجز، وبرسالة رجل بلا قوة، ولذلك فإن كل ما أدانه زرادشت يبدو بأنه كان شكلاً من أشكال الأضحية الحيوانية تم فيه تقديم اللحم القرباني إلى جمهور المؤمنين ليأكلوه، والتي كان يتم فيها رش اللحم القرباني بالسائل المقدس، ثم يتم شواءه، وذلك بالحكم من الإشارة إلى حرق نبات الهاوما[١].

ويمكن تقديم برهان واحد وأخير على نظريتنا القائلة إن زرادشت لم يلغ أبداً طقس الهاوما كطقس، وهو أنه قد تمّ إعداد الهاوما في اليسنا[٢] من أجل إشباع «الفرفشي» القديم لزرادشت، وصحيح تماماً بالطبع أن

(١) بهلوي، يسنا ١٠ بند ١٣.
(٢) يسنا ٣ بند ٢.

الزرادشتية التي أسميناها بزرادشتية المدة القديمة أعادت كمية كبيرة من المادة الوثنية من الديانة القومية القديمة، ومن غير المعقول بالفعل أن أي فرد كان يدّعي بأنه تابع صادق للرسول أن ينحرف كثيراً عن طريقه، من أجل إهانته ليقدم لروحه عنصراً قربانياً كان زرادشت نفسه قد حرمه.

ونستطيع القول، إن طقس الهاوما كانت العمل الطقسي الرئيسي للديانة الزرادشتية منذ أن طورت الديانة طقوسها العبادية، ولم تتم أبداً مناقشة الموقع الرئيسي الذي كانت تنعم به، إلا أن هذا غير صحيح بالنسبة للأضحية الحيوانية، فقد مارسها بعضهم في عصور لاحقة وعارضها آخرون، غير أن طقس اليسنا كما هو موجود في نص الأفستا، كان في الأصل وبشكل واضح تماماً عبارة عن أضحية حيوانية وقرباناً حيث كان يشتمل أيضاً على تضحية نبات الهاوما، ويبرز هذا بوضوح تام من تقديم «الغاوش ـ هداوة» أي الثور المفيد (جاموس أو بقرة) و ـ «الغام جيفام» (أي البقرة الحية) [والتي لاتزال تُترجم بأنها لحم في الترجمة البهلوية]، ولا تزال آثار منها باقية في اليسنا كما كان يمارسها الفرثيون اليوم، حيث تتم تصفية عصارة الهاوما مع ماء مكرس بمساعدة قمع محاك من شعر ثور مقدس[1]، ولا بد أنه تم تقديم هذا الثور في الأصل كقربان، ولابد أن الكهنة القربانيون قد تناولوا اللحم القرباني وعصارة نبات الهاوما، ويبدو أنه تم مزج الهاوما واللحم[2]، ولا يزال الذبح الحقيقي للحيوان مذكوراً في الترجمة البهلوية لليسنا[3]. ومع ذلك، فهو باق في الأسطورة، مع أن الأضحية كانت على وشك أن يتم إلغاؤها في الوقت الذي تم فيه كتابه الكتب البهلوية، لأن «الساوشايان»، الشخص الغيبي الذي يحدث قيامة الموتي، يضحي بثور في نهاية الحياة، ويفتتح بذلك الحياة الثانية التي كان زرادشت قد تنبأ بها، والتي سيتم إيقاف الموت فيها.

---

(١) بندهشن، ص ٢٢٦، الترجمة: زيهنر.
(٢) دينگرت مدن، ص ١٤١.
(٣) بهلوى، يسنأ، ١٠ بند ١٣.

«سيؤدّي الساوشايان ومساعدوه أضحية بعث الموتي، وذلك بينما تستمر قيامة الموتى، وسيتم في تلك الأضحية ذبح الثور هذيانس، وسيتم تحضير الهاوما البيضاء من دهن الثور، أي سوف يتم تحضير شراب الخلود، وسيتم إعطاوه لجميع الناس الذين سوف يصبحون خالدين إلى أبد الآبدين»[١].

وعلى كل حال، إن إدانات زرادشت لسوء معاملة الأنعام قوية جداً، حيث سيبدو من غير المحتمل أنه نفذ بالفعل أي نوع من الأضحية تشتمل على أضحية حيوان، ومن المحتمل أنه ساعد في أضحيات كهذه تماماً كما فعل المجوس الذين حضروا بعد زمن قصير منه، حيث كانوا يقفون موقف المتفرج بينما كانت تذبح الأضحية، وكانوا يشبعون أنفسهم بفناء ما سماه هيرودوت باسم «ثيوغونيا»[٢]، وعلاوة على ذلك، من المحتمل أن زرادشت لم يفعل أكثر من تخفيف أسلوب الذبح القرباني، لأن قساوة خصومه هي التي كان يهاجمها دائماً، وليس حقيقة المجردة بأنهم يقدمون الأضحية، وكانت الطريقة التي اختارها الزرادشتيون اللاحقون هي ضرب الثور أولاً ضربة صاعقة بجذع شجرة[٣]، ثم ذبحه، وتمّ شرح هذه العملية والأسباب التي أدت إلى تبنيها في أحد الكتب البهلوية، ويمكن أن تنطبق الكلمات على زرادشت نفسه:

«إن السبب لضرب الأنعام القربانية بجذع شجرة قبل ذبحها بالسكين.. بصرف النظر عن الفعالية الطقسية لتطهير الجسد من عدد من الشياطين.. وبصرف النظر عن منع الذبح الجائر واللامترّوي للأنعام، هو قبل كل شيء رحمة للحيوان، وتخفيفاً لخوفه وألمه عندما يذبح بالسكين على هذا الأساس، ومنع ذبح الأنعام بطريقة طائشة ومتهورة، أو في أي وقت عندما يشعر المرء بدافع قوى [لفعل ذلك]»[٤].

---

(١) J. J. Modi, op. cit., p. 292.

(٢) هيرودوت، ١. ١٣٢.

(٣) Strabo, XV, 3. 15.

(٤) دينكرد مدن، ص ٤٦٦ (ZZD. P, 52).

يبدو أن الشيء الذي اعترض به زرادشت على عبدة الديفاس هو التالي تماماً: كانوا يذبحون الأنعام بكميات كبيرة، وبطريقة طائشة، وبشكل متهور، وفي أي وقت كانوا يشعرون فيه بدافع قوي لعمل هذا، ولم يعارض، بشك مماثل، طقس الهاوما كطقس، بل كان يعارض طريقة عبدة الديفاس في أدائه، وربما كانت ثمالتهم قد سببت الاشمئزاز له، لأنها كانت قد بدت بالنسبة له تدنيساً لرب النبات الذي كان المركز القرباني للعبادة.

ويبدو واضحاً من الدليل بأكمله بأن عبادة الهاوما قد مارسها قبل عصر زرادشت أؤلئك الذين كانوا ما يزالون يعبدون الديفاس، والذين لم يعبدوه، ويترتب علينا الآن أن ندرس العبادة نفسها كما نجدها في أليسنا.

(11) طقس الهاوما:

الهاوما في الأفستا ثلاثية الهيئة: أولاً، شراب طقسي مسكر، وثانياً، آلهة تجسد النبات والشراب، وثالثاً، نبات يصنع منه شراب الهاوما.

في أليسنا (٩) هاوما يقدم نفسه كإله في هيئة إنسان، ولكنه في الواقع يلعب أدواراً متنوعة في مقاطع يسنا المختلفة[1].

تقاليد هاوما واستخدامه الطقسي موغل في القدم، ويصل إلى عصر الجماعة الهندو إيرانية. هاوما الأفستي مماثل لـ سوما الفيدي. ومن الصعب إيجاد إله مطابق لهذه الدرجة في التقاليد الهندية ـ الإيرانية. حرف (س) السنسكريتية يقابل (الهاء) الفارسية ومن هنا نجد سوما أصبحت هوما والسند هي الهند عند الفرس. ويُعرف الهاوما نفسه في التقاليد الهندية ـ الإيرانية كسند للتحالفات الأخرى المسكرة، التي تأخذ عقل الإنسان وتحلّ الغضب والكراهية مكانه.

---

(١) يسنا، هات ٩ بند ١ ومابعدها.

وعلى ما يبدو كان تأثير الهوما ـ السوما على جسم الإنسان ما يشبه التنويم أو التخدير، بحيث حرر وعي الإنسان ونشطه. ويقال في فيدا: «مثلما الفارس يقود الفرس، كذلك يهيج سوما الأغاني». ويعني أن السوما يلهم المؤمن بإنشاد الترانيم أثناء الصلاة.

ويعتقد الباحث الروسي ف. ن تاباروف بأن إحدي تأثيرات هاوما كان يتضمن تغيير التصورات عن الزمان والمكان والعلاقات الذاتية ـ الموضوعية. وعلى المستوى الأسطوري كان يمكن أن يتطابق هذا على مثل هذه التناقضات: كيف يمكن لهاوما أن يكون في الأرض والسماء، وبالأخص عند امتزاج الهاوما بشخصية الإله ـ الكاهن، الذي قدم له القربان وهو القربان نفسه[1].

ينفي زرادشت في الجاتها، الهاوما كنبات سيئ[2]. ويشجب استخدامه. رافق انتشار الزرادشتية في إيران، في مراحلها:

الأولى، اتخاذ خطوات فاشلة لتضييق الخناق على عبادة الآلهة القديمة مثل (آناهيتا، ميترا، فيرتراغنا)، ومع ذلك لم تتخذ أبداً خطوات جادة لمحاربة طقوس الهاوما. وتشهد مرحلة حكم داري الأول (٥٢٢ ـ ٤٨٦ ق.م) على الطقوس الرسمية، التي أقامت الهاوما. وفيما بعد ينتعش احترام وتقديس «أفستا الصغرى»، حديث ينسب فيها إلى زرادشت التمجيد والتغني بـ هاوما كنبات و شراب وإله. يلقب الهاوما بـ «الرائع»، «الساحر»، «الأفضل في العالم المادي» الخ...

وابتداءً من عصر السلوقيين تفقد طقوس الهاوما أهميتها، وفي بداية حكم الساسانيين بقيت آثارها فقط في أطراف الإمبراطورية في شكلها البدائي. في النصوص البهلوية القديمة «هوم» هو«شجرة الخلود» و«ملك

(١) موسوعة أساطير شعوب العالم، ف. ن، تاباروف ـ هاوما ـ الجزء ٢ ـ موسكو ١٩٩٢ ـ ص ٥٧٩.
(٢) يسنأ، هات ١٠ بند ٤٨.

الأدوية المصنوعة من الأعشاب»، الذي ينمو على جزيرة في وسط فاركاش (فاروكاشا بالأفستية)، أو على ضفاف نهر العالم «راه» (رانها بالأفستية)، وهى محمية من قبل السمكة المقدسة كار (كارا بالأفستية) المخلوقة من قبل أهورا مزدا، التي تحميه من ضفادع وحراذين الأبالسة[1].

ووفق أفستا وريكفيدا «هاوما ـ سوما» ذا لون أصفر أو ذهبي، وينبت في الجبال. وهناك فرضيات كثيرة حول مدى تطابق هذا النبات الأسطوري مع النبات الحقيقي، فـ هاوما ـ سوما يمكن أن يكون سالفيا (نبات ينمو فقط بفارس)، خلنج، سيكرران (بنج)، قنّب، نوع من الفطر السام، ايفدرا (الصنوبر)، يتوع، راوند غيرها... من الصعب جداً تحديد النبات الواقعي الآن، الذي صنع منه الهاوما أجداد الهنود والإيرانيين. وذلك بسبب توزع أجداد الإيرانيين الأفستيين والهنديين الآريين ـ على مدار آلاف السنين ـ في أراضٍ واسعة، مختلفة في ظروفها الجغرافية والمناخية والنباتية. وللحفاظ على طقوسهم، هم جهزوا الشراب الطقسي، وذلك بإيجاد أي نبات يصلح لهذا الطقس في مناطقهم الجغرافية المتنوّعة، المهم أن يعطي المفعول المشابه لطقس الهاوما[2].

الهاوما ـ شراب الخلود للهنود ـ الإيرانيين

كان طقس اليسنا أضحية وقرباناً مقدساً وكان يتم أداؤه تشريفاً لأهورا مزدا والفيوض السرمدية، وجميع الكائنات الربانية الأخرى الروحية فيها والمادية على حدٍّ سواء، التى تسللت عائدة إلى ديانة الرسول بعد وفاته. ولا بدّ أنه وجد في شكلها الأصلي قرباناً طقسياً لثور أو بقرة مقدسة بالإضافة إلى العصر الطقسي لنبات الهاوما الذي كان حسب وصفه نباتاً

---

(١) بالفارسية: أفستا، جليل دوستخواه، جلد ١، ص ١٣٦.
(٢) المصدر نفسه: ص ١٧٢.

أصفر ومتلألاً، وربما شيء ما يشبه كثيراً نبات الراوند الحالي، والذي يعثرعليه في الجبال الإيرانية حتى اليوم، والذي يغدو أكسيراً للحياة عندما يتم عصره.

وتعود عبادة الهاوما إلى العصور الهندية ـ الإيرانية، ويظهر في الهند تحت اسم ساوما: إنه طعام الخلود، الطعام الذي تتناوله الآلهة ليس لتضمن خلودها فقط، بل لتزيد أيضاً من قوتها في صراعها ضد أعدائها وأعداء الشعب الآري، وترتبط في الفيدا عبادة الساوما بشكل رئيسي مع عبادة الديفاس، وفقط بشكل ثانوي مع عبادة الأسوراس، وعلى الرغم مما قلناه عن زرادشت بقبوله للعبادة بشكل معّدل[1]، يبدو أن هذه كانت الحال في إيران أيضاً. ويتّضح هذا عندما ندرس قائمة الديفاس التي تظهر في كتاب الأفستا الأخير، وهذه هي: إندرا، وساورفا، ونانهيثيا، وتاورو، وزيري. وأمكن التعرف إلي الثلاثة الأول من هؤلاء، إنها الأسماء المرادفة بدقة للأرباب الفيداوية (الديفاس): إندرا وساورفا والناستياس، ويعد ساورفا أحد الأسماء الأكثر شؤماً بين كافة الأرباب الفيداوية «وررودرا» هو رامي السهام الذي يوجه الموت والمرض، في حين أن ناستياس أو أصفين هما ربا الشفاء، ويعد إندرا الرب الأكثر سمواً بين كافة الأرباب الفيداوية، ويتم ربطه قبل جميع الأرباب وفوقهم مع عبادة الساوما، إنه هو الذي يشرب جرعات كبيرة من السائل المسكر ليعطيه قوة إضافية ليسدد الضربات إلى الأشخاص العنيفين المتنوعين الذين يعترضون سبيل الآريين الزاحفين، وواضح تماماً بأنه أصبح مرة ثملاً بشكل مخزي خلال المسيرة[2].

وعلاوة على ذلك، فإنه هو فقط مع «فايا» ربّ الريح، كانا يشربان شرابهما من الساوما صرفاً غير ممزوج لأنه بالنسبة «للآصفين» يكون ممزوجاً بالعسل، بينما بالنسبة «للفاروما» ومترا يكون ممزوجاً بالحليب[3]،

---

(١) Vd.109:19.43.

(٢) انظر إلى ريك فيدا، ١٠ بندا ١١٩.

(٣) A. A. Macdonell, Vedic Mythology, p. 106.

ويقوم الزرادشتيون أيضاً بمزج الهاوما بالحليب، غير أننا لسنا متأكدين من أن هذا كان أصيلاً بالنسبة للكلمة التي تعني الحليب (غاومان) لأن من المحتمل أنها كانت تعني في الأصل لحم الثور، فهكذا فهمها المترجمون البهلويون.

وليس من السهل تحديد هوية الشيطان الرابع الذي دعى باسم «تاورو» في كتاب الأفستا الأخير، وعلى أي حال لا بدّ أن زيري الشيطان الأخير هو هاوما نفسه، وتعني الكلمة «أصفر» وتتطابق مع كلمة «هاري» السنسكريتية، ومن المحتمل أن هذه الصفة هي أكثر الصفات انتشاراً للساوما في الفيدا، وتقف دائماً في مكان اسمه الخاص[1]، وهكذا انقسمت شخصية الهاوما إلى قسمين حيث بقي الاسم كرب وأصبحت الصفة شيطاناً، وهناك تحت اسمه الخاص «هاوما» النبات الذي ينتج الخلود، بينما يوجد شيطان تحت اسم «زيري» الأصفر، وقد يبدو هذا - غريباً جداً بالنسبة لنا، إلا أن الشيء نفسه قد حدث في حال الربين الآخرين، وكما رأينا، فقد تم تخفيض الربّ إندرا إلى منزلة الشيطان، لكن صفته الأصيلة ثراغنا (التي تساوي فرترهان الهندية) تبقي رباً[2]. ومع ذلك فإن حالة أكثر وضوحاً هي حالة الربّ الجويّ للريح «فايو» الذي نقابله في الفيدا تحت اسم «فالو»، وقد تم تشعيب هذا الرب باتقان في كتاب الأفستا الأخير وفي الكتب البهلوية، حيث هناك «فالو» صالح يحمي مخلوقات أهورا مزدا، وهنالك «فايو» شرير أفضل قليلاً من أحد شياطين الموت.

إن الدليل الفيداوي على أن الهاوما كان مرتبطاً إلى حدٍّ بعيد مع عبادة الديفاس أكثر من ارتباطه مع عبادة الأسوراس قد تأكد ببرهان أليسنا نفسها، لأن الأشخاص الأوائل الذين يقال بأنهم أقاموا طقس الهاوما كانوا «فيفاهفانت» ووالد جم الجد الأول الذي كان زرادشت قد راه موائماً

---

(١) ريك فيدا، ١٦٤٨.

(٢) ريك فيدا، ص ١٠٣.

للمهاجمة، و«آثويا، وثريتا»، والآن «ترتيا آبيتيا» (الذي يساوي ثرثيا ـ آثويا في الأفستا) هو رب فيداوي مشهور، ومتصل إلى حدٍّ بعيد ليس فقط مع إندرا وساوما، بل أيضاً مع جم (الذي يساوي جم في الأفستا)، وقد اتخذ قسماً اسمه في كتاب الأفستا شخصيان متميزتان لكل منهما شخصيته، ولم يترك مع ربّ واحد، بل مع بطلين أسطوريين، ولذلك لا بدّ من أن نستنتج أن طقس الهاوما كان في الأصل أكثر التصاقاً مع عباد الديفاس أكثر مما كان مع عبادة الهوراس، ومع كل الاحتمالات لم يتم إجراء أي تمييز واضح بين الاثنين حتى مدة قصيرة قبل ميلاد الرسول، لأن الشخص الرابع الذي أدّى طقس الهاوما لم يكن شخصياً أقل من «بوروشاسبا» والد الرسول نفسه، حيث نقرأ: و«كانت هذه هي الهبة التي تلقاها، بأنك قد ولدت له يا زرادشت الصالح في أسرة بوروشاسبا حيث كان ناكراً للديفاس وتابعاً لعقيدة الأهوراس»[1].

ولذلك، إذا كان علينا أن نحّل الأتباع الأوائل لزرادشت من إقحام طقس الديفاس في المركز ذاته لدينه تحدياً لأمره الواضح، فلا نستطيع إلا القول إنه تمت مزاولة عبادة الهاوما من قبل أتباع الديفاس، وأتباع الأهوراس على حدٍّ سواء وذلك في الوقت الذي رأى فيه الرسول ضوء النهار، وكانت عبادة الديفاس بلا شك عبادة متسمة بالعربدة، وكانت عنيفة وقاسية، وهذا الانحراف للعبادة الذي ينسب في التراتيل إلى جم هوما هاجمة الرسول. وسيبدو إثم جم كثيراً جداً في نظر زرادشت وفي أن والده هو الذي كان قد أسس العبادة في كل نقائها، وأن جم كان قد دنس هذه العبادة الأساسية

ومهما كان الشيء الذي كان زرادشت قد فكر به، فإن التقاليد اللاحقة لم تفسر أقواله بأنها كانت تعني أنه أدان الأضحية الحيوانية، كما كانت عليه بل أدان فقط القساوة التي يمكن ربطها معها، وفقدان الاعتدال

---

(١) أليسنا ٩ بند ١٣.

في الاستخدام لها، ونقرأ بخصوص طقس الهاوما كما مارسها الزرادشتيون ما يلي: «تترافق كافة الأشربة المسكرة بضراوة (أيشما) الرمح الدموي، غير أن الثمالة التي يسببها نبات الهاوما تكون مصحوبة بالصدق والمسرة، فالثمالة التي يحدثها نبات الهاوما تجعل المرء نبياً»[١].

الهاوما كتضحية واضحية:

تبعاً لكتاب (داتستان دينك)[٢]، وهو كتاب بهلوي كتبه في القرن التاسع للميلاد كبير رهبان فارس وكرمان منوجهر، كان طقس أليسنا بأكمله يستمر من الفجر حتى الغسق، ولم يكن بإمكان الكهنة المترئسين للقداس أن يأكلوا أو يشربوا أو يناموا، أو يريحوا أنفسهم خلال هذا الوقت، ولم يكن يُسمح لهم بالنطق بأية كلمة دنسة وكان جوهر الطقس هو التقديم القرباني لنبات الهاوما، وتناوله الطقوسي من قبل الكهنة أولاً، ثم من قبل جماعة المصلين[٣]، وعدّ نبات الهاوما، نبات الخلود «فهو يجعل الجسد والروح خالدين في استقامة»[٤]، ويختلف بهذا عن الأضحية الحيوانية التي أسّسها جم لأن الذين التهموا لحم جم أصبحوا خالدين بالجسد [فقط][٥]، ويستدل من هذا المقطع أن الطقس المختلط لأضحيتي الثور ونبات الهاوما غدا قادراً على تأمين الخلود لكل من الجسد والروح، حيث يستمد الخلود الجسدي من الثور[٦]، بينما يشتق خلود الروح من الهاوما. هذا وإن القربان المقدس على الأرض يحدث فقط انتظاراً للأضحية النهائية للثور «هذيان» المنجز من قبل شاوشيان ـ المنقذ الغيبي ـ

---

(١) Ibid,. 10.8.

(٢) البهلوي، أليسنا ٩ ١٣.

(٣) داتستان دينيگ، القسم ٤٧.

(٤) دينگرد مدن، القسم ٤٧.

(٥) البهلوي، اليسنا، ١ ـ ٩.

(٦) اليشت، ١٠ ـ ٨٩ ـ ٩٠.

الذي سوف ينبعث في آخر الحياة من أبناء زرادشت، لبعث الخلق الصالح بأكمله ولسوف يتم تحضير الهاوما البيضاء ـ شراب الخلود ـ من دهن هذه الأضحية القربانية النهائية، والتي سيتم بواسطتها تجديد جميع الناس وهم كاملون ومثاليون في الجسد والروح[١]، ولقد كانت الهاوما على الأقل بالنسبة لزرادشتيّ القرن التاسع بعد الميلاد رمزاً للحقيقة الغيبية فقط ومؤشراً عليها مثلما، الهاوما الرائعة النمو في حاويتها المعدنية الصافية»، والهاوما الدنيوية التي باركها زرادشت، هي رمز تلك الهاوما البيضاء التي تسمى (غوكرين) التي ينبثق منها الخلود الذي يغيب في إعادة التأهيل النهائي لجميع الأشياء[٢].

ومع ذلك، يبدو أنه كان في أزمان مبكرة إدراك أكثر لوجود حقيقي في القربان المقدس لرب النبات، الهاوما، مثلما عدت النار ابناً لأهورا مزدا[٣] الذي رسمه والده ليكون كاهناً أبدياً يقدم نفسه ـ كابن للرب ـ على شكل نبات إلى أبيه في السماء[٤]، والأضحية الدنيوية كما أداها كهنة من البشر هي مجرد إعادة تقديم للأضحية السرمدية التي يقدمها الرب هاوما على القمة الأعلى لتل «هراء» حيث تلتقي السماء والأرض، وعليه إن أضحية والقربان المقدس هو قربان عشاء رباني بكل معنى فالنبات متطابق مع ابن الرب، حيث يتمّ سحقه ودقه في المهراس بحيث يخرج السائل المعطي الحياة الذي ينشأ من جسده، فيتمكن من تقديم حياة جديدة في الجسد والروح إلى العابد.

لم يتمّ الأخذ إلا بالجزء المبكر من أليسنا الكاملة مع القربان المقدس للهاوما، وبما أن أليسنا هي الكتاب الطقوسي الرئيسي بالنسبة

(١) داتستان دينيك، القسم ٤٨.
(٢) داتستان دينيگ، القسم. ٤٧.
(٣) أليسنا، ١١ بند ٤.
(٤) اليشت، ١٠ بند ٨٩ ـ ٩٠.

للزرادشتيين فيقتضي الحال إعطاء وصف موجز جداً عنه هنا[1]، فقد تم تنفيذ أضحية الهاوما مرّتين: وترافقت في التحضير الأول المسمى «برغنا» بتقديم خبز مقدس دعي «دراونا» وهو مكرس للرب سراوشا[2]، ولقد تم استهلاكها بشكل طقوسي بعد التكريس، ثم كان يتبع ذلك تلاوة الهاوما ياشت، وهي ثلاثة فصول منظومة شعراً، سوف ندرسها بدقة أكثر فيما بعد، ويتناول الكهنة السائل المقدس في ختام هذه الترانيم المخصصة لمدح النبات السماوي إلّا أنهم لا يوزّعون هذا السائل على جمهورالمؤمنين، ثم كان يتبع ذلك الاعتراف بالعقيدة الزرادشتية التي يتم فيها ـ الاعتراف بأهورا مزدا على أنه الرب الفاضل «الذي يملك الصدق والذي يملك الثور، والذي يملك النور. . والذي خلق الصدق والإنسان القويم»، ويتمّ شجب الديفاس بشكل جليل، كما كان زرادشت قد شجبهم عندما كان قد تحادث مع الربّ الحكيم.

ويتبع الاعتراف بالعقيدة تلاوة الصلوات الثلاث الأسمى تقديساً التي يفترض أنها تعود إلي زرادشت نفسه، ثم يأتي التحضير الثاني للهاوما وتكريسه وتناوله: وتوجه الدعوة في الأداء الثاني لهذا الطقس إلى جمهور المؤمنين من أجل المشاركة، ويختتم هذا القسم القرباني المقدس جداً للطقوس الدينية.

وبعد الفراغ من أضحية الهاوما يتابع الكاهن التلاوة، فيتلو تراتيل زرادشت مع ترنيمة، ثم يقوم بترتيل صلاة على شرف الترانيم نفسها، وتشكل الأقسام (٥٦/٧) من اليسنا من السراوشا يشت، وهي ترنيمه كانت تتلى على شرف سراوشا، والذي يعد من وجهة النظر الطقوسية أكثر الكائنات الربانية أهمية بما في ذلك الفيوض السرمدية، وهناك أغانٍ

---

(١) For a detailed description of the Yasna see J. J. Modi. op., cit., pp. 246 - 310.

(٢) المصدر نفسه: ص ٩٤.

إضافية للمديح والتضرع، وقسم أخير على شرف المياه والرابي «أرد في سورا» التي هي حاميتهم، أي الرطوبة والقوة والنقاء.

ويتركز الطقس بأكمله من البداية حتى النهاية حول النار المقدسة التي يتم مخاطبتها باستمرار بأنها ابن أهورا مزدا، إلا أنه بصرف النظر عن عودة الكثير من الأرباب القدماء وعن تبجيل المياه التي أصبحت سمة مشهورة للديانة الزرادشتية مثلما كان تبجيل الشمس والنار، فإن السمة الأكثر لفتاً للنظر لليسنا، بصرف النظر عن محتواها القرباني والمقدس، هو التبجيل المتكرر لوحدات من الزمان والمكان، وجدير بالذكر هنا أن الطقس بأكمله ينتهي بتضرّع ليس لأهورا مزدا والفيوض السرمدية، كما يمكننا أن نتوقع، بل بتضرع لفراغ قانونه الخاص منذ زمن غير محدد ولزمن يتبع قانونه الخاص زمن طويل، وسنسمع المزيد عن الزمن اللامحدود في بعض الأطر المدهشة جداً[(١)].

كتب معظم اليسنا نثراً، بصرف النظر عن التراتيم نفسها فإن المقاطع الشعرية الوحيدة الأخرى هي اليشت أو أناشيد المديح تشريفاً لهاوما وساروشا، ويتلقى هذان الربان فقط إجلالاً خاصاً في أليسنا لأنهما يعدان مع النار المقدسة وسيطان بين الرب والإنسان، وتمّ تمثيل الهاوما في الهاوما ـ يشت على أنه رب زرادشتي أصيل تماماً، وكان زرادشت قد ادعى بأنه يتكلم مع الرب وجهاً لوجه، وبشكل مشابه، حالما كان القربان المقدس لرب نبات هاوما قد أسس نفسه بأنه العمل المركزي للعبادة في الطائفة الزرادشتية[(٢)]، وقد تمّ تصوير الهاوما على أنه الابن السماوي لأهورا مزدا وبأنّه يقترب من الرسول عندما يكون منشغلاً بالاعتناء بالنار المقدسة وينشد التراتيم عليها، ويسأله الرسول قائلاً: أي نوع من الناس أنت، فأنا لم أر من هو أجمل في العالم المادي بأسره؟ ويخبره هاوما من

(١) أليسنا ٧ بند ٥٦.

(٢) أليسنا ٩ بند ١.

يكون ويأمره أن يجمعه في شكله النباتي ويحقه في المهراس، ويستخرج العصارة منه ويتناولها، ويفعل الرسول هذا، ويقدم بذلك بركته إلى العبادة، ويتم التوضيح أن هذه العبادة ليست عبادة جديدة كان يتم إدخالها بل على الأصح عبادة يعود تاريخها إلى أول الزمان، وكان «فيفا هفانت» هو خالق العبادة، وكان بالأصل رب الشمس، وتم منحه ابناً رائعاً مقابل تأسيسه للعبادة:

«جم الجليل ذي المراعي الخصبة، أكثر [الناس جميعاً] المولودين على الأرض تألقاً بارزين كالشمس بين الناس، لأنه جعل البهائم والناس خالدين خلال مدة حكمة، وأحدث ذلك بجعله المياه لا تنصب والنباتات لا تجف أبداً، وبأن يكون هنالك مخزون لا ينفد من الطعام، ولم تكن هنالك حرارة أو برد في مدة حكم جم الشجاع، ولم تكن هنالك شيخوخة أو موت، ولم يخلق أي مرض من قبل الديفاس، وكان الأب والابن يميشان مع بعضهما، وكل منهما يبدو أنه لايتجاوز الخامسة عشرة من عمره أو هكذا بدوا طالما كان جم ذو المراعي الخصبة، وابن فيفاهفانت مستلماً لزمام الحكم»[١].

وحسب ما تقوله الأسطورة التي وجدت قبل العصر الزرادشتي استمرت مدة حكم جم الذهبية، التي كان فيها جميع الناس خالدين واستمتعوا فيها بشباب أبدي، ألف عام كامل[٢] حتى أثم جم ففقد الناس خلودهم، ولقد رأينا أنه ستكون في نهاية الحياة أضحية أخيرة للثور «هذيان»، وأنه سيتم تحضير الهاوما البيضاء من دهنه حيث سيتم بواسطتها بعث كافة الجنس البشري بالروح والجسد، الذي سيبقى خالداً وشاباً إلى أبد الآبدين، وبشكل مماثل أيضاً، بدأت الحياة وذلك حسب الديانة الإيرانية القديمة، وكان من خلال الطقس القرباني المقدس لربّ النبات

(١) بالفارسية: گزيده هاى زاتسبرم، ٤ بند ١٣.

(٢) اليشت ١٠ ـ ٩.

هاوما الذي أسّسه ربّ الشمس فيفاهفانت، والتقديم القرباني لثور مقدس الذي أضافه ابنه جم تمّ طرد الموت والشيخوخة والمرض من هذا العالم المادي.

هاوما والأضحيــة وكاهن الربّ

تُعدّ الهاوما أضحية قربانية، وكاهناً ورباً، على حدّ سواء. وبدأ بمثابة كاهن في العمل على التضحية بنفسه، وفي التضحية الثور الذي هو الشعار الذي كان يحمله على رايته[١]، وكما كانت تتم تقوية الناس وجعلهم خالدين بشرب العصير الذي كان يتدفق من جسده المسحوق بشكل طقوسي، يمكننا الافتراض أنه كان يتم إحياء قوته بلحم الثور القرباني الذي كان الرب الحكيم، والده، قد خصص له منه الفكين واللسان والعين اليسرى[٢]، وهو الوسيطا الكهنوتي بين الرب والإنسان، لأن زرادشت كان يتضرع إليه، وكان هو يتضرع بدوره إلى وسطاء ذوي منزلة أعلى تقوم بينه وبين والده، كما أن الهبات التي كان زرادشت يلتمسها منه ليست، كما يمكن التوقع، الخلود فقط، أي «الوجود الأفضل لأتباع الصدق» وأي «الحياة الأبدية في النعيم» وأيّ «نور يحتوي على منتهى السعادة»، بل أيضاً صحة الجسد، وحياة طويلة، وقوة وازدهار دنيوياً، وانتصاراً في المعركة على الكذب والقوة لقمع اللصوص والذئاب[٣]. غير أن هاوما ليس أكثر من وسيط كرسه الرب الحكيم ككاهن، وكان يؤدي مهمته الكهنوتية بشكل رئيسي لعبادة مثرا، وسراوشا[٤] اللذان هما نفسيهما ليسا أكثر من وسيطين بين الإنسان والرب. وقد يبدو هذا الشذوذ الغريب على أنه يشير إلى أن

---

(١) Ibid., phl. gloss.

(٢) المصدر النفسه: ١٠. ٤.

(٣) المصدر نفسه: ١١. ٤.

(٤) سراوشا: وهو إله الطاعة والاهتمام والانضباط، وهو يمسك عصاً، حيث بها يعاقب، الذين لايودون الإنصات (غير المطيعين) وسماه زرادشت أعظم الكل.

عبادة الهاوما كانت مرتبطة في الأصل مع عبادة مثرا أكثر من كونها مرتبطة مع عبادة أهورا مزدا[١].

ولم تعامل عبادة الهاوما كما وجدت في أليسنا بشكل معتدل، فقد جلبت إلى الارتباط الأقرب مع الرسول نفسه، إلا أنه لم يتم تمثيلها أبداً بأنه هو الذي أدخلها كشيء جديد، إنها جزء من الدين القديم الذي ورثه وأقره في نظامه المصلح، وحالما تم إقرارها أصبحت العمل القرباني المقدس الرئيسي للدين الجديد، وعلاوة على ذلك، لم يتمّ تكييف طقس رب الميت مع النظام اللاهوتي الجديد فحسب، بل تم الترحيب أيضاً في النظام الجديد بالأضحية اللازمة لثور أو بقرة مقدسة، والتي كان الرسول قد انتقدها لدى عباد الديفاس، وتمّ التخلّي عن الأخيرة بمرور الزمن بعد صراع طويل، لأننا نسمع حتى في العصر الساساني أن يزدجرد الثاني ضاعف أضحية الثيران البيض والأكباش الخشنة الوبر للنار[٢].

تبجيل الهاوما:

١ ـ فلتسقط المياه ضد الدفيين (الأبالسة) فليضربهم سراوش الطبيب[٣].

٢ ـ أنا أمجد تحضيرك الأول[*] بالكلمة، أيها الحكيم! عندما يأخذ الكاهن الغصن. وأمجد التحضيرات الأخرى بالكلمة، أيها الحكيم (مراسم التحضير»، حيث فيه تكون قوة فتاكة للإنسان[٤].

---

(١) اليشت ١٠ بند ٨٨ و٨٩.
(٢) الرواية البهلوية، ص ٦٥ ـ ٧٠ ـ ٧٥.
(٣) يسنأ هات ١٠ بند ١.
(*) يقصد بالمراسم الأولى في طقوس تحضير الشراب.
(٤) يسنأ هات ١٠ بند ٢.

٣ ـ أنا أمجد الغيوم والأمطار، التي تعطي النمو لجسدك على قمم الجبال وأمجد الجبال العالية، حيث تنمو أنت يا هاوما![١]

٤ ـ أنا أمجد الأرض الواسعة، الرحبة لجذورك الأصلية يا هاوما الصادق. وأمجد حقول الأرض، حيث تنمو أنت بطول مازدي مبجل فى الجبل هاوما! ولكي تنمو يا هاوما على درب الطيور، ولتكون منبعاً واضحاً للصدق[٢].

٥ ـ ارتفع بكلماتي بكلّ جذعك، بكلّ أغصانك، وبكلّ خيوطك.[٣]

٦ ـ ينمو هاوما المبجّل، والإنسان، الذي يمجده يجعله أكثر ظفراً. قليل من عصر هاوما، وقليل من تبجيل هاوما، وقليل من تذوق هاوما، كافٍ لأجل هلاك آلاف (الأرواح الشريرة)[٤].

٧ ـ ويطرد المدنسات (التي يسببها الدفيون)[*] في ذلك البيت، الذي فيه ينادون ويمجدون هاوما المعالج، القوة العلاجية الواضحة، التي تمكث في القرية (في البيت وبين العشيرة)[٥]

٨ ـ لأن كل العصائر الأخرى، المرافقة (للدفيين) لآيشما (الغضب) الفظيع، ولكن شراب هاوما يرافقه لهوٍ (بمعني الانتعاش، وليس العربدة) وصدق متسامٍ[٦].

---

(١) يسنأ هات ١٠ بند ٣.
(٢) يسنأ هات ١٠ بند ٤.
(٣) يسنأ هات ١٠ بند ٥.
(٤) يسنأ هات ١٠ بند ٦.
(*) أي الدفيون، ولكن المقصود هنا ليست المخلوقات الأنتروبوفينية (أي إعطاء وظايف إنسانية للظواهر الطبيعية والحيوانات، أو تصور الآلهة في أشكال إنسانية) بل الأحاسيس الخاطئة (كالغضب والحسد.) والأرض (الرشح، الالتهابات. . .) والمدنسات (بعد ملامسة الجثة، الدورة الشهرية، الدم المراق من الجروح. . .).
(٥) يسنأ هات ١٠ بند ٧.
(٦) يسنأ هات ١٠ بند ٨.

٩ ـ هاوما! امنح الوسائل العلاجية للذين تعالجهم[١]
امنحهم وسائل النصر
أكثر من وسائل قهرك للعداوة.
أريد أن أكون صديقاً لك،
وممجّداً لك من الآن
الخالق أهورا مزدا نفسه ثمن عالياً
الصداقة بالتمجيد الأخير مع الحقيقة.
١٠ ـ مخلوق الخالق السريع أنت[٢]
لقد نقشك الإله الخيّر
مخلوق الخالق السريع أنت
لقد جلبك الإله الخير
إلى هارايتي[*] العالية
١١ ـ والطيور الاحتفالية[٣]
رفعتك عالياً، نحو القمم المقدسة
التي تصل إلى النجوم،
حيث لا يستطيع النسر الوصول إليها
ووزّعتك على الشعاب والوديان السحيقة
وعلى قمم بدون دروب، وعلى الأعالي البيضاء

(١) يسنا هات ١٠ بند ٩.
(٢) يسنا هات ١٠ بند ١٠.
(٣) يسنا هات ١٠ بند ١١.

١٢ ـ ومن بين كل الأشكال الممكنة يا هاوما[١]!

كان الشكل الأول حليبياً ومذهباً

سعت كل قواك إلى إلهام (انعاش) الفكر الخيّر

لترعب أنت لأجلي كل فكر ينطق بالسوء

ولترعب كل إنسان شرير، الذي يعاديني بالقول السيئ.

١٣ ـ هاوما الممجّد[٢]:

ينمو عند الأفكار الفقيرة

فيحّولها إلى أفكار غنية

هاوما الممجد

ينمو الفكر عند الإنسان الفقير،

وكأنه يحصل على قمة المعرفة

يا هاوما الأصفر

عندما تقف على هذه المعرفة

يصبح ذلك العارف مشهوراً، حكيماً وقوياً

وتوهب الحليب لذاك الذي يبعثك حياً

١٤ ـ لا تنفصل عني[٣]

مثل أوتار المطر (التي لا تنفصل عن بعضها بعضاً)

دع ثملك يسعى إلى الأمام،

---

(١) يسنا هات ١٠ بند ١٢.

(٢) يسنا هات ١٠ بند ١٣.

(٣) يسنا هات ١٠ بند ١٤.

دعه يكون مؤثراً

حولك أيها المقدس هاوما،

سيكون آشا، صاحب الجسد الجميل

١٥ ـ فلتتواري جايتي القائلة ـ العاقر[١]

التي ستختفي، والتي هبطت على الهاوما

لن يظهر رجال الدين من سلالتها

ولا المقدسون

١٦ ـ أنتمي إلى الخمسة[٢]

ولا أنتمي إلى الخمسة،

أنتمي إلى الفكر الخيّر،

ولا أنتمي إلى الفكر الشرير

أنتمي إلى الكلمة الخيرة،

ولا أنتمي إلى الكلمة الشريرة.

أنتمي إلى النشاط (السلوك) الخير،

ولا أنتمي إلى السلوك الشرير.

أنتمي إلى الطاعة،

ولا أنتمي إلى التمرد.

أنتمي إلى الصدق،

ولا أنتمي إلى الكذب.

---

(١) يسنأ هات ١٠ بند ١٥.

(٢) يسنأ هات ١٠ بند ١٦.

وهذا هو الانقسام الروحي العميق.

- ـ في أوقات الصلواة (بهاونكاه) وفي هذا الوقت يقرأ زرادشت الأدعية والأناشيد[1]

ويجيء هوم عند زرادشت،

يسأله زرادشت؟

من أنتم، إن روحك منيرة ومضيئة في العالم المادّي (العالم استومند)، حيث أنت أول شخص أراه على هذه الصورة ولم أرى قبلاً أحد مثلك.

- ـ هذا الوقت «قال هوم (هوم: مانع الموت) فى الجواب[2]:

يا زرادشت، أنا هوم أشون (هوم النظيف والطاهر) مانع الموت (صاحب الكرامات).

يا سبيتمان، يا زرادشت!
افحصني وخذ الشراب،
قدّسني، هكذا في النهاية يقدسني سوشيانت،
قال زرادشت له:
سلام على الهوم، يا هوم، أي شخص أول مرة أخذ منك الشراب،
أي جزاء أعطى له، وأي نصر وصل له.

- ـ عندئذٍ قال الهوم في الجواب[3]:

في أول مرة من بين الناس في العالم المادي «ويونگهان» أخذ الشراب مني،

---

(١) يسنا هات ٩ بند ١.
(٢) يسنا هات ٩ بند ٢.
(٣) يسنا هات ٩ بند ٣.

وهذا الأجر أعطى له وهذا النصر وصل له، وصار له ولدُ جديد «جمشيد» هو أحسن الناس، الذي من قوته وعظمته وجماله أعطيت القوة للوحوش والجمال للنباتات.

- ـ «جمشيد» هو الذي عظمته وقوّته لا بارداً ولا ساخناً، لا يشيخ ولا يموت، ولم يُخلق من الشر (أهرمن)[1].
- ـ يا هوم[2]:

أي شخص آخر، من بين الناس أخذ الشراب منك؟

أي أجر أعطي له، أي نصر وصل له،

- ـ وقال هوم أشون (مانع الموت)[3]:

المرة الثانية، من بين الناس، في العالم المادي، أخذوا الشراب الشخص اسمه «أتبين» وأعطى هذا الأجر له ووصل نصر له، وصار له ولدُ جديد؛ ويسميه «فريدون» من الأسرة القوية.

- ـ يا هوم[4]:

أي شخص للمرة الثالثة من بين الناس في العالم المادي، أخذ الشراب منك.

أي أجر أعطي له وأي نصر وصل له،

- ـ وقال هوم أشون (مانع الموت)[5]:

للمرة الثالثة، من بين الناس في العالم المادي، «أترت» هو

---

(١) يسنا هات ٩ بند ٤.
(٢) يسنا هات ٩ بند ٦.
(٣) يسنا هات ٩ بند ٧.
(٤) يسنا هات ٩ بند ٨.
(٥) يسنا هات ٩ بند ٩.

أقوى الرجل في الأسرة سام، أخذ الشراب مني وأعطى هذا الأجر له ووصل النصر له، وصار له ولدان جديدان.

اسم هذين الولدين: كرشاسب (Garshseb)، أوراخشية (Ouraksheieh).

كرشاسب: هوالشخص الماهر والقاهر والقوي

آوراخشية: هو القاضي العادل.

- ـ أي شخص الذي للمرة الرابعة من بين الناس في العالم المادي، أخذ الشراب منكم[١]؟

أي أجرٍ أعطي له، وأي النصرِ وصل اليه.

- ـ وقال هوم أشون (مانع الموت)[٢]:

للمرة الرابعة من بين الناس في العالم المادي «پوروشسب» أخذوا الشراب مني، وهذا الأجر أعطي له وهذا النصر وصل له.

يا زرادشت، أنت خُلقت في أسرة «پوروشسب»

يا زرادشت، يا أيها رجل الطاهر وخصم الشر والأهريمن،

- ـ يا زرادشت اسبيتمان، في ايرانويج (منطقة آذربائيجان) حيث إن أول مرة قرأت أربع مرات بدون الشك الدعاء (الدعا أهون ويريه)[٣].

- ـ يا زرادشت، يا أقوى رجل، أشجع رجل، أحسن رجل، والذي تنتصر ما بين سبنتامينو وأنكرمينو[٤].

أنت تخفي كلّ أهرمن في الأرض.

---

(١) يسنأ هات ٩ بند ٩
(٢) يسنأ هات ٩ بند ١٠
(٣) يسنأ هات ٩ بند ١١
(٤) يسنأ هات ٩ بند ١٢

• ـ وقال زرادشت في الجواب[1]:

تحيّة على الهوم، هوم الحسن، هوم الجيّد، هو الذي خلق الجيّد، هوم الصدق هوم الدواء، هوم الناصر، هوم الزينة، إن الهوم أحسن وأفضل الشراب.

• ـ يا هوم الزينة[2]:

تعالوا هنا، يا هوم، يا شجاع، يا دواء، يا كثرة، تعالوا هنا، يا هوم بصوتٍ عالٍ أناديكم، يا مبطلي الكذب، تعالوا هنا.

• ـ يا هوم، يا مانع الموت[3]!

أريد هذا العفوالأول،

أعطني أحسن العيش، وكل السرور والراحة،

يا هوم، يا مانع الموت،

أريد منك هذا العفو والمسامحة الثانية،

أعطني الصحة والسلامة،

يا هوم، يا مانع الموت،

أريد منك هذا العفو والمسامحة الثالثة،

أعطني العيش الطويل، والحياة الطويلة،

• ـ يا هوم، يا مانع الموت[4]!

أريد منك هذا العفو والمسامحة الرابعة،

---

(١) يسنأ هات ٩ بند ١٣
(٢) يسنأ هات ٩ بند ١٤
(٣) يسنا هات ٩ بند ١٥.
(٤) يسنا هات ٩ بند ١٦.

أعطني السعادة والسرور والشجاعة،

افعل حتى تكون الحياة حياة السعادة والسرور والشجاعة وأهزم الباطل والكذب.

يا هوم، يا مانع الموت!

أريد منك هذا العفو الخامس!

اجعلني أنتصر في الحرب مع الخصم والكذب في الأرض.

• - يا هوم، يا مانع الموت[١]!

أريد منك هذا العفو والمسامحة السادسة،

اصنع لي شيئاً، حتى نتفهم وجود السارق ووجود ذئب.

• - يا هوم[٢]:

أعطني القوة والقدرة على الإنسان الشجاع حتى أركض بمثل الحصان يا هوم، أعف عن النسوان والأولاد الصالحين والطاهرين، يا هوم، أسبغ الطهارة والذكاء على أولئك الذين يريدون أن يتعلموا من الأفستا.

• - يا هوم[٣]!

هنيئاً لكم، وهنيئاً أيامكم، حيث إن مع قدرتك جاءت السعادة.

هنيئاً لكم، وهنيئاً أيامكم، حيث إنك تعرف الأحاديث الصدق.

هنيئاً لكم، وهنيئاً أيامكم، حيث إن لا تحتاج لأي شيء

• - يا هوم[٤]!

---

(١) يسنا هات ٩ بند ١٧.
(٢) يسنا هات ٩ بند ١٨.
(٣) يسنا هات ٩ بند ١٩.
(٤) يسنا هات ٩ بند ٢٠.

يـا بيـت الإله، يـا دهـخدا، يـا رئيس المدن، يـا ملك، يـا رفيع المستـوى في الطهارة والعقل.

يا هـوم،

أعطني القدرة الكثيرة والنصـرة القويّة لأجـل روحي وبدني.

يا هـوم!

أنقـذني من الخصـوم الظالميـن، وأيضاً من الطريق المظلم.

١٢ الشعـائـر الدينيـة:

يوجد نوعان من الشعائر والطقوس الدينية، فهي داخلية وخارجية. ولا تقام الأولى إلّا في موضع خاص مهيأ لهذا الغرض ويعرف باسم «در ـ إي ـ ميهر» (Dr ـ I ـ Meher) أي: خارج المهر. ويكون هذا الموضع ملحقاً بمعبد النار، بشكل عام. وتتألف الشعائر والطقوس الداخلية مما يلي:

- ـ أليسنا أو اليازيسنا
- ـ الفيسباراد
- ـ الفنديداد
- ـ الباج

الياسنا

إن الياسنا (وهي بالسنسكريتية Yagna) صلاة تتضمن الحمد للرب وسواه من الكائنات الروحية، وتسألهم المعونة، وهي صلاة هامة، وشعيرة شديدة التعقيد تعرض خلالها بعض الأشياء الرمزية، وتتلى في هذه الشعيرة الاثنان والسبعون فصلاً المسماة بالـ «هات» من الياسنا. وهذا شرط لا غنى عنه[1].

---

(١) بالفارسية: الأفستا، دكتر هاشم رضي، ص ٣٥٠.

الفيسبارد

الفيسبارد شكل من الصلاة الموجهة إلى إحياء الأعياد الفصلية. وهي كذلك صلاة يستشفع بها إلى مجمل الراتو، وهي كلمة تدل على ما هو جوهري أو مفضل بين المخلوقات[1]. ويضيف الدكتور مودي قائلاً إن إقامة الفيسبارد يجب أن توحي للكاهن بفكرة التسامي. فكيف الوصول إلى تلك الحالة؟ وتجيب الفيسبارد:

أيها الزرادشتيون المزديون، هيئوا أقدامكم، وأيديكم، وعقولكم لإنجاز الأعمال الطاهرة، المناسبة، المحسنّة، واجتناب الأشياء النيئة، غير المناسبة، والأنانية. وليكن العمل شعاركم.

ساعدوا المحتاجين وانقذوهم من سوء الحال.

الفنديداد

الفنديداد هو متن (corpus) القانون. ويتباعد عن طرق اليفا (الأرواح الشريرة) ويتضمن القواعد والأوامر التي تبين كيفية محاربة المؤثرات الفاسدة لهذه الأرواح الشريرة. أو محاربة القوى المؤدية إلى الدنس وتهافت الجسد والفكر. ويمكن أن ندعو جزءاً من هذا المجموع، القانون الصحي لقدماء الإيرانيين، والجزء الآخر قانونهم الجزائي[2].

شعيرة الباج

إن شعيرة الباج جزء من مراسم الجنازة. وتقام على مختلف الأحوال، في مسكن زرادشتي. والأحوال الرئيسية هي الأيام الثلاثة الأولى التالية على الوفاة. يأتي بعدها الشاهروم، أي اليوم الرابع، ثم الداهوم، أي

---

(١) المصدر نفسه: ص ٣٦٥.

(٢) بالفارسية: الأفستا، جليل دوستخواه.

اليوم العاشر، ثم السيراروز، أي اليوم الثلاثون، ثم السالروز التذكار السنوي.

وتقع مسؤولية إقامة هذه الشعيرة على عاتق ابن المتوفى، أو أقرب واريثه. وتوهب خلالها بعض الأشياء كرموز من أصناف المخلوقات المختلفة، من حيوان ونبات، على سبيل المثال. وهي فريضة إكراماً لليزاتا، أو أي كائن سماوي آخر، أو تذكارا (على روح) لأحد الأقارب المتوفين[1].

١٢ الشعائر الدينية الخارجية

يمكن أن تقام هذه الشعائر في در ـ أي ـ ميهير، كما تقام في أيّ مسكن خاص أو تقام في الهواء الطلق. يقيمها من يشاء من الكهنة. وتحتوي على ما يلى:

- ـ الأفرينجان.
- ـ الفاروخشي
- ـ الساتوم

الأفرينجان

تعبر صلوات الأفرينجان عن تمجيد الرب والأرواح العلوية، وهي تقابل صلوات (Apei) لدى البرهميين. توقد نار متوهّجة في مبخرة أمام الكاهن الممارس، يذكيها خشب الصندل والبخور الحر. وتكون الهبات أساسا من الفواكه، والأزهار، والحليب، والماء، والخمر والشربات أي: العصير[2].

---

(١) المصدر نفسه: ص ١٤٨.

(٢) المصدر نفسه: جلد ٢، ص ٧٨.

ترمي هذه الصلاة إلى دعوة الفرافاشي التابعين للموتي، والشفاعة بهم، والضراعة إليهم. وهي تؤدّي ـ عموماً ـ مثل الأفرينجان، على الفواكه، والأزهار، والحليب، والماء والخمر. . إلخ، أمام النار. والفارفاشي هي هذه القدرة، أو هذا الجوهر الروحاني الكامن في المادة، الذي يتيح لها النماء. وهو الروح الحاضر في كل شيء من جماد وحيوان، يحفظه من التهافت، ويمنحه القدرة على التطور، والازدهار، والمعتقد أن كل شيء في الطبيعة يملك فرافاشي خاصاً به.

هذه الفرافاشي هي نماذج أولية، شبيهة بـ مُثُل أفلاطون الذي يعتقد أن لكل شيء وجوداً مزدوجاً، متصوراً في البداية ثم متحققاً. وعددهم، بحسب الفرافارون ياشت، قرابة الكتيبة. وهم يحفظون ويحرسون بحر قزوين. وإن عدداً مماثلاً منهم يحرس مجموعة الدب الأكبر، ويحفظ جسد كيريساسبا (Keresaspa) وعرق زرادشت. والمعتقد أن الكون مصنوع من أشياء لا حصر لها، ذات حياة أو جامدة، كبيرة أو صغيرة. وأن لكل شيء فرافاشيه، أو جوهره الروحاني الخاص به، يحفظه ويحمله، وكل هذه الجواهر الروحانية على كثرتها، تفيض جميعاً عن الجوهر القدس الأعظم، وخالقها الذي يسخرها لخدمته[١].

«أهورا مزدا» هو المهندس الأعظم للكون. وهو خالق العالم المادي، كما هو خالق العالم الروحاني. أما الفارفاشي فتؤلف خليفة العالم الروحاني، وتحتل في التراتبية الروحانية مرتبة الشرف الرابعة.

أما أهورا مزدا (السيد الكلي الحضور، الموجود بذاته) فهو في الذروة.

وتأتي بعد الأميشاسبنتا (الخالدون السامون)، مخلوقاته التي أبدعها.

---

(١) بالفارسية: الأفستا، جليل دوستخواه.

ثمّ تأتي اليزاتا (حرفياً: أؤلئك الجديرون بالعبادة)، ثم الفرافاشي، الأرواح الحارسة، والحامية.

تدعو الزرادشتية إلى تمجيد الأموات. تقرّ بأنّ للأموات كينونة مستقبلية في مكانٍ ما، وأن بين الأحياء والأموات علاقة من العلاقات تمرّ عبر الفارفاشي، الروح الوصي على الموتى والمرشد لهم، وهو يسارع إلى نجدة الأحياء ويتيح لوجودهم أن يكون طاهراً، فاضلاً، ويفيض بالبركة على الأموات[١].

أما الفاروخشي فهي تلاوة الأماديح لهذه الفرافاشي، إكراماً لروح الأموات. تحتوي على صلاة الساتوم والفرافارون ياشت. أما قرابينها فهي قرابين الأفرينجان ذاتها[٢].

الساتوم

هي صلاة تمجيد لفرافاشي الموتى، وتتلى قبل تناول الوجبات، عموماً فتسكب وجبة الطعام في قصعة توضع أمام الكاهن، أثناء الصلاة. فالميت الذي تقام صلاة الساتوم إكراماً له، يذكر اسمه أولاً في صلاة البازند[٣].

توليفات من الشعائر الدينية

قد تُجمع مجموعات من الشعائر حينما تقام بعض الطقوس الدينية المختلفة. ونذكر من بين هذه التوليفات ما يلي:

١ ـ الهوما ياشت (Homayasht) (عبادة الهاوما).

٢ ـ الجيتي خاريد (Geti - Khariid) (محرفة عن الاسم الأفستي البدائي

---

(١) فنديداد، فردگرد ٣ ببعد.

(٢) فيسبرد، گرده ١، بند ١و ٣و ٩.

(٣) الأفستا، هادخت نسك، فردكرد سوم.

(Usefriti)، وهي شعيرة موجهة للحصول على الخلاص، والتحرر من ذنوب الدنيا).

٣ ـ السراوش (شعائر جنائزية تقام تكريماً للمتوفى، خلال الأيام الثلاثة الأولى التالية على وفاته).

٤ ـ الزنده ـ رافان (Zindeh - - Raven) (شعيرة سراوش تقام في حياة الإنسان).

٥ ـ الجاهامبار (Ghambars) (إحياء للأعياد الفصلية).

٦ ـ الجاشان (Jashan) (استذكار لحدث هام).

٧ ـ الفرافارديجان (Fravardegan) (تكريم للفرافاشي، الأرواح الحامية).

٨ ـ الفاريستا (Faresta) (ويُضرع فيها إلى كل اليزاتا)[١].

خلال إقامة هذه الشعائر تتلى الياسنات، والفنديداد، والفيسبارد، والأفرينجان والباج وسواها من الصلوات، وتكرر عدة مرات على نظام محدد بشكل معين.

إن هذه الديانة القديمة تعالج مسائل القدر الأبدية بعقلية إنسانية وعقلانية عميقة الغور. داعية أتباعها إلى الأمل المركز، والإعلاء من شأن أعمال الخالق الخيرة التي لا تحصى. وإلى الالتزام الشديد بمبادىء الحق والعدل، على حين تشيد قانوناً للطهارة الاجتماعية، قائماً على مفاهيم النظافة والسلامة، سابقة بذلك تعاليم العلم الحديث.

١٤ العبادة:

● ـ الصلاة

أما عن صلاتهم وزيهم، فللزرادشتيين صلوات خمس في اليوم

(١) بالفارسية: الأفستا، جليل دوستخواه، مجلد ٢.

وأخرى في المناسبات، ولهم كذلك أزياء تقليدية يرتدونها ويحافظون عليها لأنها بتراثهم الديني، منها الخيط المقدس. أما صلاتهم ومواقيتها، فالمعلوم عندهم أنه «هناك صلوات بعدد أقسام اليوم الخمسة، كالصلاة مع غروب الشمس، واحتفالات لجميع المناسبات الكبرى في الحياة: في الميلاد، والبلوغ، والزواج، وإنجاب الأبناء»[١].

للزرادشتيين ـ كما قلنا ـ خمس صلوات واجبة على كل بالغ تمنطق بالحزام المقدس، يعتبرونها جزءاً من عبادتهم للرب وسلاحاً فعالاً ضد الشيطان وأعوانه، وقسمت الصلوات الخمس على ساعات اليوم فصلاة الساعة الأولى عند شروق الشمس إذ يستقبل بها البالغ يوماً جديداً من أيام حياته والساعة الثانية للصلاة في منتصف النهار، والساعة الثالثة للصلاة قبل غروب الشمس، ثم يتوقف لبرهة قصيرة من الزمان والشمس في طريقها للاختفاء ليصلي صلاة الساعة الرابعة، أما صلاة الساعة الخامسة فهي صلاة الفجر[٢].

يهيىء الزرادشتي نفسه قبل الشروع في الصلاة بغسل وجهه ويديه ورجليه ثم يحل الحزام المقدس (الزنار) من وسط ه، ويقف أمام النار منتصب القامة، وبكل خشوع وخضوع ووقار وطمأنينة يكون نظره مركزاً على شعلة النار، ثم يتلو صلاته بصوت خفيض، وحينما تقترب الصلاة من نهايتها يعيد الحزام المقدس إلى وسطه، وبه تختم الصلاة[٣]. وفي كل مرة يصلي فيها عليه فك وعقد الحزام كجزء لا يتجزأ من الصلاة، ولا تكتمل الصلاة إلا به، ولذلك يسمون الصلاة كلها بـ «تجديد الحزام المقدس».

والصلوات في اليوم عندهم هي:

---

(١) بارندر، جفرى، م. س، ص ١٢٢.
(٢) بالفارسية: موبد اردشير آذرگشسب، خرده افستا، ص ٣٠ ومابعدها.
(٣) بالفارسية: افستا، جليل دوستخواه.

صلاة الصبح «گاه هاون»، وصلاة الظهر «گاه رفتون»، وصلاة العصر «گاه ازيرن»، وصلاة الليل «گاه ايوه سرى ترم» وصلاة الفجر «گاه اشهن»[1] ويذكر ول ديورانت أن صلواتهم هذه ترتبط بتعظيم الشمس، وينقل عنهم أنهم يقولون في نصوصهم المقدسة: «يجب أن تعظّم شمس الصباح إلى وقت الظهيرة، وشمس الظهيرة يجب أن تعظم إلى العصر، وشمس العصر يجب أن تعظم حتى المساء.. والذين لا يعظمون الشمس لا تحسب لهم أعمالهم الطيبّة في ذلك اليوم»[2].

يا أهورا مزدا في حين صلاة، وقبل أيّ شيء أريد كل الأفعال من طريق صدق والصواب، وكما أريد، أن أفعل كل الأعمال عن طريقك إلى السعادة.

(يسنا ٢٨ ـ ١)

صلواة گاه هاون:

هاونى إ، أش أن، أش هـ رثو، يسنا اي ج، وهما اى ج، خشن آترا اى ج، فرسس ت ى اى ج

نقدسكم يا أهورا مزدا، أقدرك يا أهورا مزدا، وسررتُ حارس الفجر النظيف والصانع (هاون)

ساونكهي إ، ويس يا اي ج، اش ان، أش هـ رثو، يسنا أي ج، وهما اي ج، خشن أترا اي ج، فرسس ت ي اي ج

نقدّسكم يا أهورا مزدا، أقدرك يا أهورا مزدا، أحبك يا عادل ويا صانع.

---

(١) المصدر نفسه: ص ٦٠٩.

(٢) ديورانت، ول، م، س، ج ٢، م ١، ص ٤٣٣.

صلواة گـاه رفتـون:

رپيت وي نا اي، أش أن أش هـ رثو، يسنا اي ج، وهما اي ج، خشن أترا اي ج، فرسس ت ي اي ج[1].

نقدسكم يا أهورا مزدا، أقدرك يا أهورا مزدا، وأ حب قيادة المدن النظيفة والعادل والصانع (أهورا مزدا).

صلواة گـاه آزيـرن

أزي اي رينا اي، أش أن، أش هـ رتو، يسنا اي ج، وهما اي ج، خشن أتر اي ج، فرسس ت ي اي ج.

نُقدسكم يا أهورا مزدا، أقدرك يا أهورا مزدا، أرضي العالم العادل، والحارس النظيف (أزيرن)

فُرادت وي را اي، دخيو ما اي ج، أس أن هـ رثو، يسنا اي ج، وهما اي ج، خشن أتراي ج، فرسس ت ي اي ج.

نقدسـكم يا أهورا مزدا، أقدرك يا أهورا مزدا، أرضى رئيس العالم (دخيو) هو النظيف والعادل والصانع.

صـلواة گـاه ايـوه سرى تيرم

ايوى سر وثر ما اى، اى بى گياه اى، اش ان هـ رثو، يسنا اى ج، وهما اى ج، خشن اتراى ج، فرسس ت ى اى ج.

نقدّسـگم يا أهورا مزدا، اقدرگ يا أهورا مزدا، أحب حارس الليل (ايوى سروثرم).

فرادت ويسبام، هوجيا اي تي اي، زرتشتر وتما اي ج، أش أن، اش هـ رثو، يسنا اي ج، وهما اي ج، خشن أتر اي ج، فرسس ت ي اي ج.

---

(١) بالفارسية: موبد اردشير آذركشسب، خرده افستا، ص ٣٣.

نقدسكم يا أهورا مزدا، أقدرك يا أهورا مزدا، أحب أي إنسان في طريق أشو زرادشت.

صلواة گاه آشهن

اوشهى نا اى، آش آن، آش هـ رثو، يسنا اى ج، وهما اى ج، خشن آتر اى ج، فرسس ت ى اى ج.

نقدّسگم، يا أهورا مزدا، أقدركم يا أهورا مزدا، وأحب الملائكة الفجر (اوشهي نا اي)[1].

بزجينا اى نمانيا اى چا، اش ان، اش هـ رثو، يسنا اى ج، وهما اى ج، خشن اتر اى ج، فرسس ت ى اى ج.

نقدسگم يا أهورا مزدا، وأقدرك يا أهورا مزدا، وأحب الرب المنزل (نمانا) هو النظيف والعادل والصانع.

صلاة الصباح

سلاماً أيها الفجر، لك السلام

سلاماً حتى نضح [ي له بكل] ما هو عظيم

هو «أهورا مزدا»

السيد الماديّ والسيد الروحي

لكي يدحر الشرير آنغرامينيو

ويهدم عفريت الغضب ـ ذا السلاح القاتل

ويدحر عفاريت مزاندران

ويمحق كل أرواح السر

---

(١) المرجع سابقة، ص ٣٥ بيعد.

نحن هنا ندعو بتوقير، كل المؤمنين
رجالاً ونساء، في العالم كله
الحاضرين والسابقين ومن سيأتون.

صلاة المساء

نحن هنا ندعو لتوقير الملك سراوشا
القديس، الجليل، الحامي الأرضي، وقديس السيد المنتصر
ندعوه ذلك أن يحمي مخلوقات أهورا
وهو الحارس أن يحفظ مخلوقات مزدا
ندعوه هو الذي يحارب عفاريت «مذندران»، بلا كلال، ليل نهار،
ندعوه هو الحافظ، والمدبر لهذا العالم
أيتها القداسة! متي نراك
وأنت، يا روح القدس، متي نكتشف
الطاعة، والطريق المؤدية إلى السيد؟
مزدا ـ صانع الخير الأسمّى؟
بهذه المنثرا (Manthra) نعلم[1].
الهراطقة[2] الأدنياء، الإيمان بسيدنا
أقبل مع روح الخير وامنحنا

---

(١) بالفارسية: اردشير آذركشسب، خرده افستا، ص ٣٠ الي ٤٥.
(٢) الهرطقه: وهي ترجمة للكلمة اليونانية: هيرزيس، بمعني «يأخذأو يختارأو يفضل» ولكن في البداية في العصر المسيحي صار لها هذا المعني، أي أنها تعني كل ما يتعارض مع الرأي القويم أو هي كل نكران لحق قويم وتستخدم في العهد الجديد بعدد من المعاني: ضد الارثوذكسية أو البدعة في الكنيسة الأولى.

حضور آشا، أنت أيها الموجود الأبدي

امنحنا العون

لكي نقدر على سحق شر الشرور

نحمدك

نحمد ذكاء أهورا مزدا، لكي ندرك الكلام المقدس

نحمد حكمة أهورا مزدا، لكي ندرس الكلام المقدس

نحمد لغة أهورا مزدا، لكي ننشر الكلام المقدس

ونعبد كل نهار وليل، الجليل أو شيدارينا الطريق المؤدية إلى السيد الرب

حارس الفكر الذي يحبه جاوكرينا (Gaokerena) خليفة مزدا، نحن نحمده، أكثر من الجميع، وأكثر من كل المؤمنين[(١)].

❖ ـ الدعاء إلى أهورا مزدا

بروح الخير والاستقامة، بأفعال الحكمة وأقوالها نتقرب إليك. وإليك نرفع دعاءنا، ونعترف بأننا مدينون إليك يا أهورا مزدا!

(يسنا هات ٢٧ بند ١٣)

وبكل الأفكار الصائبة، وكلّ الأقوال الطيبة، وكل الأفعال الصالحة نتقرب إليك.

وبمثل ما فكرت به، يا أهورا مزدا، وبمثل ما أمرت به، وما فعلته من خير، فإننا نتقرب به إليك، ونحمدك ونعبدك. وكذلك ندعوك، ونعترف بأننا مدينون لك.

(يسنا هات ٢٧ بند ١٤)

---

(١) خرده افستا، ص ٣٥ وما بعد ها.

يا مزدا أهورا! هب لنا في هذه الحياة، وفي الحياة الروحية أن نكون قادرين على الاتصال بك، وأن نحقق الاستقامة في كل الأوقات.

(يسنأ هات ٢٧ بند ١٥)

يا أهورا مزدا أنكون قادرين على الوصول إلى ملكوت الخير إلى الأبد! أنت، في العالمين، الحكيم الذي سمت حكمته على الموجودات. وأنت ملك الخير لنا جميعاً رجالاً ونساءً. ونحن ملك يمينك، أيها المعبود، المشهور، يا مالك الحقيقة. أنت يا من سمت حكمته على الموجودات في العالمين كن جسدنا وحياتنا. وبك، يا أهورا مزدا! لا نستحق ونال البهجة طول الحياة. وإن حبنا لك، واتكالنا عليك، ليهبانا القوة. يا من سمت حكمته على الموجودات هبنا الفرحة والسعادة في كل الأوقات.

(يسنا هات ٢٠ و٢١)

كذلك تقرّب زرادشت إلى مزدا. تقرب إليه بجسده، وبروعة فكره الصائب وخضوعه الطوعي، وقوّة أفعاله وأقواله الساعية إلى تحقيق الاستقامة.

هذا ما اخترناه لأنفسنا لا يا مزدا أهورا لا يا آشا الجليل! اخترنا أن نفكر، وأن نقول لا وأن نفعل ما هو أفضل للعالم. وبسبب الثواب الذي تجزي به أفضل الأعمال فإننا نبذل جهدنا ـ سواء كنا علماء أو جهلة، سادة أو عبيداً ـ لتقديم الراحة والعلف للمواشي. إننا نمتلك إلى الأبد ـ القانون الأفضل الذي وهبه لنا الزعيم الأفضل، فأمر به الناس، ونهيىء أنفسنا له، ألا هو:

قانون مزدا أهورا وآشا فاهيشتا. وبما أن كلّ إنسان من ذكر أو أنثى ـ يمتلك المعرفة الواضحة، فإنه يعمل طبقاً لأفضل المعرفة، ثم يعلمها لمن ينبغي لهم تنفيذها حين تقتضي الأحوال.

(يسنأ هات ١٢)

وبما أننّا نعلم أن أفضل الأمور تقديم العبادة والحمد إلى أهورا مزدا، وإطعام الماشية، فإننا نفعلها ونعلم الناس كيف يفعلونها، بأقصى ما لدينا من قدرة. إنما في قانون آشا وضمن شعب آشا، توجد أفضل حياة الناس، ثواباً في العالمين. وإن ما أنزلته يا أهورا مزدا سوف ننشره، ونرتجي الخير لآشا.

(يسنأ هات ١٢ هات فرارتي)

هبنى ذلك يا مزدا، وسيكون مصدر فرحة لك.

لنكن تلكُما الساعتان إلى لقاء مزدا، ولنقدم له الحمد بتواضع!

يا أهورا مزدا أرفع إليك أكف الضراعة، يا خفي، يا كريم، أسألك بغبطة أن تهبني أعمالاً صالحة، وأفكاراً صائبة، تمكنني من الاتصال بروح الكون.

(يسنأ هات ٢١ بغان يشت)

ونورد *هنا* بعض الأدعية في *الديانة* الزرادشتية

- ـ **أشم وهو** (Ashem - Vohu): الصدق أفضل أو أحسن الأعمال، وسبيل إلى السعادة وتتحقق سعادة الإنسان تعطي من طريق الصدق والاستقامة.
- ـ **يتا اهو وئيري** (Yata - ahu - Vairya): يا أهورا مزدا، هبني لنا الفكر السليم واعطاني قلبي صديق. القوة أو القدرة الأهورايي يعطيها للإنسان، الذي يساعد المساكين.
- ـ **ينكه هاتم** (Yanghe - hatem): من بين الموجودات من الرجال والنساء فإن الصادقين والأطهار هم الذين يقدسون أهورا مزدا.
- ـ **ائيريا من آشي** (Airyaman - ishya): وفي هذا الدعاء المسمّى إلى تنصرونا ونهزم أعداءنا، وهي أكبر الكلام الصدق. وجدير بالذكر أن أئيريا من آشي هو اسم أحد الملائكة، وهذا الملك وقع عليه المرض

الشديد ومن أجل صحته وسلامته، أدّى هذا الدعاء[1].

وقال زرادشت من أجل هذا الأدعية والكلام المقدس:

إذا قرأ الإنسان يومياً هذه الأدعية والكلام المقدس وكما يعيش معهم يقيناً هم الإنسان مسروراً بالسعادة والصدق.

وقال زرادشت: علمني أيها الربّ الحكيم، أفضل الكلمات، وأحسن الأعمال والأفعال و«كمقل الخيّر» و«حق» صلاة التسبيح من خلال هيمنة ملكوتك.

(يسنا هات ٣٤ بند ١٥)

وهنا نقرأ بعض الأدعية من أجل الصلوات اليومية، ومنها صلاتا الصباح والمساء بنصّهما الكامل والآخر:

الأدعية الأخرى في الديانة الزرادشتية:

١ ـ **أفستا الكوستي (اوستاي كُشتي)**: الكوستي تعني الحزام، الذي لا يفارق الزرادشتي أبداً وهو العلامة الفارقة لجماعة المزديين والرابطة التي تربط الزرادشتي بها. وهو حزام مجوف منسوج من (٧٢) خيط من صوف أبيض يلف على الخصر ثلاث لفات ترمز إلى فروض الزرادشتي الثلاثة. الأفكار الصالحة. والأقوال الصالحة. الأعمال الصالحة. والعدد (٧٢) يقابل (اليسنا هات ٧٢) وهذه الخيوط ملحومة بستة خيوط غليظة كل واحد منها مؤلف من ١٢ خيطاً وهذه الخيوط الغليظة بعدد (الكاهنبار) الأعياد الفصلية الستة عندهم. وهذا الحزام يفصل القسم العلوي من الإنسان وهو القسم المختص لهرمزد من القسم السفلى المختص بأهرمن وعندهم قميص يسمّى (سده ره) (صدره) وهو ذو كمين له جيب صغير أمام (الكريبان) (الجربان) وهو جيب الأعمال الصالحة على المؤمن لابس (السده ره) أن ينظر إلى

---

(١) يسنا، الفصول ١٩ و٢٠ و٢١.

الكريبان ويسأل نفسه هل هو مملوء بالأعمال الصالحة؟[1].

أنا مع الفكر الحسن، والقول الحسن والعمل الحسن وأريد أن أتخلّص من كل ذنوبي وأفكاري وأعمالي وأقوالي السيّئة والخبيثة، وأنا نادمٌ على ما اقترفته من ذنوب.

(يسنا هات ٧٢)

أنا أريد أن أتغلب على أهرمن وأهزمه.

(يسنا هات ٧٣)

نحن نريد أن ينهزم أهرمن على يد أهورا مزدا

(خرده أفستا)

نحن نقول ونعتقدأنّ أحسن الأعمال هو الصدق والطهارة ونقدس الصدق لأنه هو سبب السعادة في الدنيا والآخرة.

(خرده أفستا)

أنا زرادشتي، أعتقد بهذا الدين وقوانينه، وأنا أعتقد بالفكر الحسن والقول الحسن والعمل الحسن، أنا مؤمن بالديانة الزرادشتية، وهي دين الصدق والسلم، ومخالفة للحرب وموافقة للسلام، وهي واجبة للأخوة والمحبة.

(خرده أفستا)

٢ - مهر نيايش

«نحمد الملاك مهر صاحب السهول الفسيحة، ذو القول الصادق، المشهور، صاحب الألف أذن، الجميل البدن صاحب الألف عين، العالي المرتفع، البصير، القوي، اليقظ ونظير الساهر ـ نحمد مهر

---

(١) يسنا هات ٧٢.

المحيط بكل البلاد ـ نحمد مهر الذي هو داخل البلاد ـ نحمد مهر الذي هو خارج البلاد ـ....

نحمد الملاك مهر وأهورا العظيم، الخالدين والطاهرين...»

(يشت ٥٠، ١٧ ـ ١٩)

كذلك يضحّي أهورا مزدا لآناهيتا ويرجوها «أن تمنحه هذا الإحسان، لا حث التقى زرادشت ليفكر، ويتكلم، حسب الدين الجيد».

(يشت ٥٠، ١٧، ٢٠)

وآناهيتا هي ملاك الخصب والمياه وهي تحيط بكل أتباع مزديسنا، وتحسبها وكأنها سور يحيط بالقطيع. لها ألف حوض وألف قناة، تخصب بها الأرض وتؤتي أكلها. وتعني الطهارة والعفة والتقوى، تقابل أفروديت لدى الأغريق واسمها يعني التي ليس فيها عيباً أو نقص أو قذارة. وقد خصصت إحدى اليشتات (أبانيشت) في وصفها وتعريفها. واسمها الكامل هو أردويسور أناهيت. وفي الفقرة الأولى من (أبان يشت) نجد أهورا مزدا يقول لزرادشت:

يا زرادشت اسبنتمان: مجّد من أجلي أردويسور اناهيت هذه إنها تلك التي تمتد في كل مكان، وتهب الدواء لأعداء الشياطين والمؤمنين بالعقيدة الأهورائية الجديرة بأن تمجد في العالم المادي، وقمينة بأن تسبح فيه، إنها المقدسة التي تبارك الأرواح والقطعان والثروة والمملكة.

(آبان يشت بند ٢)

وفى الفقرة الثانية: «إنّها التي تطهر نطف الرجال، وتطّهر مشيمات النساء من أجل الولادة أنها تيسر وضع الحوامل «وهي في صورة المياه السماوية. وهي امرأة شابة جميلة بيدها أعنه أربعة هي: الريح والسحاب والمطر والندي.

وإضافة إلى ذلك فإن الرب الحكيم يضحي لفايو (ويطلق اسمه في اليوم الثاني والعشرين من الشهر) ويرجوه أن يمنحه هذا الإحسان «أن يستطيع قتل خلائق أنكره مينو» وكذلك نلاحظ عبادة الهاوما:

«نعبد الهاوما الذهبي، نعبد الهاوما المنير الذي أغنى الحياة، نمجد الهاوما الذي سيهرب الموت منه»

(يسنا ٤٢ ـ ٥)

إن هذا التمجيد لهاوما قد فسر كدليل لتوفيقه، تاليه لموت زرادشت، بين ديانة النبي والديانة التقليدية.

وبالإضافة إلى الأسماء التي ذكرناها من ملائكة الدرجة الثانية (يازاتا = ايزد) وردت أسماء أخرى بين ثنايا الكتب الدينية الزرادشتية منها: تشتره وهو تشخيص (للشعري اليماني):

يتجنب تشتره لأنه لم ينجح في قهر الشيطان الذي احتجز المياه، وهدد بخراب كل الخليقة ـ لأن البشر تجاهلوه في شعائرهم، عندئذ يدعم أهورا مزدا تشتره، وذلك بأن يقدم له أضحية (يسنا) وكنتيجة يخرج هذا منتصراً من المعركة ضد الشياطين ويضمن الخصب للأرض: تروي الحكاية أن الملاك تشتره كلما حاول النزول مرة على هيئة فتى في الخامسة عشرة من عمره وأخرى على هيئة ثور ذهبي القرن أو جواد ذهبي بأذن ذهبية وعينين من ذهب اعترضه «أبوش» عفريت الجفاف إلى أن يهب النسيم السرمدي من ناحية أهورا، ويدفع المياه إلى أقصى مكان في الأرض. وأوجد من تلك المياه بحراً محيطاً في أرض الآريين. نزل تشتره مرة أخرى على هيئة جواد أبيض وتصدى له العفريت على هيئة جواد أسود، أبتر الذيل بلا عرف، مقطوع الأذن، دار الصراع ثلاثة أيام. يغلب تشتره على العفريت مرّة ويغلبه العفريت مرّة فيرميه في المحيط ويسيطر الجفاف... فيبدأ النجم بالنحيب والشكوى. ويطلب الصلوات له.

نحن نعبد تشتره، النجم المضيء ذا الجلال والبهاء الذي إليه الماء

لأن النجم يجلب المطر. وهذا النجم المسمى تشتره يمضي في الفلك، كأنه سهم منطلق في فضاء السماء وهو يحمي أرخشيا رأس حماة الآريين من جبل أربو شون إلى جبل فونوانت.

(خرده أفستا)

نتيجة:

لا ينكر أحد من المؤرخين والمحققين أن عقائد أريا اتجهت بعد زرادشت ولا سيما في العهد الساساني ـ الذي نبحث فيه ـ إلى التردي والانحطاط، وأن الجوانب العالية والجميلة من تعاليم زرادشت تبدلت إلى أفكار منحطة وقبيحة، وتعلقت بدين زرادشت في العهد الساساني آلاف الخرافات. لا يختلف أحد في هذا، بل يعترف به الجميع.

كتب «دومزيل» المستشرق المتخصص في مسائل إيران، تحت عنوان «رفورم زرادشت» يقول:

«الحق أن أفكار وتعاليم زرادشت كانت متطورة وشجاعة، إلا أن دينه ابتلي بعده بمصير سائر الأديان والمذاهب. وبوضوح نقول: إن تعاليم زرادشت تغيّرت بتأثير من سنن الكون وحاجات الحياة وميول المؤمنين؛ فتبدل التوحيد بنوع من الشرك والثنوية، وأصبح اسم الملائكة مقترناً بالربّ الأكبر، وأضيفت إلى مناسك القربان طقوس عجيبة، واستبدلت الأخلاق بمحاورات روحية....»[(١)].

وكتب المستشرق ب.ژ. دومناشه يقول:

«إن الدين الخرافي والقصصي الأسطوري القديم ظهر مرة أخرى على الرغم من إصلاحات زرادشت الأساسية، بل ظهر وهو يدعي أن زرادشت

---

(١) بالفارسية: تاريخ تمدن إيراني، بقلم جمع من المستشرقين، ص ٩٤ ت: ج - محبي.

كان منه ومن أتباعه والحق «جاتها = النشيد الديني الزرادشتي» بالطقوس المتعلقة بـ «هئومة» مع ما كان بينها من تضاد وتنافر وتغاير! وهكذا اصطف الرب الأكبر أهورا مزدا مع الأرباب الخالدة ـ التي كان دين مزدا قد طردها ـ في صف ربوبي واحد»[١].

ويقول جان ناس:

«لم يبق من الأعمال والعبادات والآداب والتشريفات الدينية الزرادشتية الأصيلة شيء يذكر، وإنما يعلم أن زرادشت قد نسخ مناسك ومراسيم الإيرانيين القدماء المبنية على العقيدة بالسحر وعبادة الأوثان والتي كانت هي قبل نسخ زرادشت في طريقها إلى الزوال. وإنما بقي من مذهب زرادشت مرسوم عبادة واحدة فقط، وهو ـ كما قيل ـ إن زرادشت قتل وهو واقف في محراب عبادته للنار المقدسة! وقد جاء في أحد أناشيد «جاتها» أن زرادشت كان يقول: «إني حينما أرفع يدي للضراعة إلى النار المقدسة أراني براً صحيح «العمل» وقد عدّ النار في موضع آخر من عطايا «يزدان»[٢] التي وهبها أهورا مزدا للإنسان تكريماً وتعظيماً وليعلم أن ـ أن زرادشت نفسه لم يكن يعبد النيران، بل لم يكن يعتقد فيها ما كان يعتقد به آباؤه في شأن هذا العنصر المقدس، وهو يختلف في عقيدته بشأنها مع ما يعتقده فيها عباد النار المتأخرون عنه وإنما كان يرى أن النار رمز مقدس وشارة ثمينة من أهورا مزدا يستطيع الإنسان أن يتوصل بها إلى ماهية الحقيقة العلوية للرب العليم».

وسواء كان زرادشت يقدس النار أو لا يقدسها، وعلى فرض تقديسه لها فعلى أي صورة كان يفعل..؟ الذي نقطع به أن تعظيم النار وتقديسها وتكريمها وعبادتها شاع بعد زرادشت بين اتباعه بحيث أصبح أكبر شعار الزرادشتية وهو بعدُ باقٍ إلى اليوم، فبيوت النيران تبني بين المجوس كما

---

(١) المصدر نفسه: ص ١٤٤، الترجمة: الدكتور بهنام.

(٢) بالفارسية: تاريخ جامع أديان، ص ٣٠٩ ـ ٣١٠.

تبني الكنائس في النصارى والكنيست في اليهود والمساجد بين المسلمين.

ونرى الدقيقي الشاعر المجوسي الإيراني الفارسي، الذي كان أمام الفردوسي في نظم الشاهنامه بمعنى أنه هو أول من بدأ بنظم شاهنامه ثم عقبه الفردوسي وأكمل عمله وأمله في نظمه كلام الملك لزرادشت بشأن النيران يأتي بكلمة العبادة حيث يقول:

«اذهب برسالتي هذه إلى الملك كشتاسب.

فقل له: يا ربّ الأرض والزمان.

أوكلت إليك أمر كل نار. . . . .

كما رأيت منها بأي مكان كان.

لا يسعون في إطفاء النيران

لا بالماء اللطيف ولا بالتراب الثقيل. وقل للموابدة ورجال الدين. . .

لأولئك الطاهري القلوب من الهربدان ليغلقوا المغان ويسعوا في

عبادة جميع النيران»[1].

ويعتقد الزرادشتيون: «إن النار تكمن في جميع الموجودات الطبيعية، وأن جوهر حياة البشر وجميع الأحياء هي تلك الحرارة الباطنية أو الغريزية، وإن النار له منبع جميع النشاطات الإنسانية. . . بل هي موجودة معنوياً حتى في النباتات والجمادات أيضاً. . . .

وفي طقوس الزواج يجب أن يكون الزواج مبنياً على العقل، الحب، التعاون، العلاقة البناء وبعيداً عن الجهل، الهوس، والأنانية والتدمير.

لا يجوز استخدم مصطلح النكاح مكان «بيوكاني» في الديانة الزرادشتيّة، لأنّ «بيوكاني» هو عمل في الزواج يكون فيه الرجل والمرأة متساويان.

---

(١) نقلاً عن مزديسنا وادب بارسي، ص ٢٨٣.

وفي العبادة، أن [العبادة لدى أتباع زرادشت تتلاءم مع تعاليمه التي اتّخذت شكل الإعلاء من شأن المثال الأخلاقي والروحي فقط والرغبة العارمة في تحقيق هذا المثال وفي الديانة الزرادشتية العبادة هي في الصلاة والدعاء و . . .

وفي الدعاء والصلاة إلى أهورا مزدا، بروح الخير والاستقامة بأفعال الحكمة وأقوالها نتقرب إليك وإليك نرفع دعاءنا، ونعترف بأننا مدينون لك يا أهورا مزدا. وفي النهاية أفكار وتعاليم زرادشت كانت متطورة وشجاعة ووفيرة الخير والصواب.

الحياة الآخرة:

ينسب النظام الديني الزرادشتي إلى الطبيعة الإنسانية صفة ثلاثية: مادية، وحيوية، وروحية، أي: جسد، وحياة، وروح. وبما أن العناصر الروحية سابقة في الوجود فهي خالدة. وهي تشترك مع العناصر المادية (الفيزيقية) حين ولادتها، وتفارقها حين تحضرها الوفاة. والأساسية في هذه العناصر الروحية هي: الروح (urvan)، والفكر (Faravashi)، مع قواهما المختلفة، مثل: الذهن، والشعور، وإن الجسد الحي بالنسبة إلى الروح والفكر كنسبة العدة أو الأداة إلى الصانع الذي سيتخدمها، وكمثل الفرس بالنسبة إلى الفارس. ونميز في هذا التصنيف العناصر التي ميز التصنيف الحديث بينها، فهو يقسم الشخصية الإنسانية إلى العقل، والإحساس، والإرادة[١].

إن من واجبات المتدينين في الزرادشتية البقاء في صحة جيدة. ويسأل المؤمن الورع الرب في صلواته اليومية «الصحة أضعافاً مضاعفة، صحة مضاعفة عشرة آلاف مرة».

ويعتبر الصيام منتجاً لأثر يتناقض مع الحفاظ على الصحة، وإتماماً

---

(١) History of Zoroastrianism، دستور مانكجي دالا، ص ٢٣٥.

للأفعـال الصالحة، العظيمة، ولذلك لا ينصح به. تقول الفنديـداد:

«لا ينبغي أن تغيب عن خاطرك هذه الحكمـة: لا أحد ممن يمتنعون عن الطعـام بقادر على استكمال صحته، أو ممارسة الفلاحة بنشاط. ولن يكون قادراً على إنسال أطفال أقوياء. إن العالم المادي كله يعيش بالغذاء، فإذا صام هلك»[1].

هنالك إيمان بالأخريات محدد بشكل جيّد في الزرادشتية اللاحقة، حيث سيأتي (سوشيانت) أو (المنقذ) في آخر الحياة لتجديد الوجود كله، ولسـوف يبعث جثث المـوتى ويوحدها بأرواحهـا، وسوف يحدث حريق هائل، ويترتب على جميع النـاس أن يخوضوا عبر نهـر من المعـدن المصهـور سيبدو كاللبن الـدافئ بالنسبة للنـاس الصالحين، بينما سيكون بالفعل معدناً مصهوراً بالنسبة للأشرار، وتتم إزالة آثام المدانين في هذه المحنة الرهيبة، ويعود جميع الخلق في الجاتها، غير أنها ليست مصاغة بشكل نظامي، وعلاوة على ذلك، لا يجب ترقّب وقت يتمّ فيه عتق المدانين من الجحيم.

ويبدو أن زرادشت تطلع قبـل كـل شيء إلـى ذاته، وهـو يصلح الوجود هنا على الأرض، وأنه تأجل إلى وقت لاحق فقط قدوم ملكوت الإله ولمـدة غير محـددة. وهكذا، فهـو يطلب من أهورا مزدا في (اليسنا ٦/٣٤) أي متى سيكون «التحـول التـام لهـذا الوجود»، والآن وهنا، يتـوسل إليه أن يجعـل الحيـاة ممتـازة للغـاية (Ferasha)، ثانية الآن وهنا كما يبدو، والشيء الأوضح أيضاً هو تضرّعه حتى يمكن «أن نكون نحن الذين نجعـل الحيـاة ممتـازة للغـاية». وبشكل مماثل فإن السوشيان ليس شخصاً غيبياً في الجاتها بل هو زرادشت نفسه، ويبدو هذا بالتأكيد أنه كـذلك في اليسنا (٤٥/٩ و٤٥/١١)، بينما ينبغي أن تكون الجاتها الوحيدة في اليسنا (٥٣/٢) التي تم تصنيفها بعد وفاة زرادشت والتي تشير

---

(١) الفنديداد ١٩ بند ٣٠.

إلى ديانة (سوشيان) التي افتتحها أهورا، ينبغي أن تكون ديانة زرادشت، وفوق ذلك، فإنه عندما يتم استخدام الكلمة بصيغة الجمع فهي تشير على الأرجح إلى زرادشت، وإلى أحلافه الدنيويين، على الرغم من أنه لا يمكن عدّ هذا أكيداً بشكل مطلق.

وعلى الرغم من أنه يوجد اعتقاد في أن الرسول سوف يجدد الحياة الدنيا «الآن وهنا»، فقد قام إلى جانبه إيمان بمسائل أخروية أيضاً ـ أي وجود حياة ثانية في نهاية الحياة عندما يتم خلق جميع الأشياء من جديد بشكل تام، ثمّ سيتمّ تخصيص القدر النهائي للأشرار في نقطة التحول الأخيرة في الحياة، وسيتم تخصيص المكافأة الخالدة للأتقياء، وسيكون الحساب على شكل محنة بالنار وبالمعدن المصهور: ولدينا بالتأكيد مثال آخر تقريباً لذلك التفسير ـ للعالَمين المادي والروحي ـ المميز جداً لتفكير زرادشت، لأن المحاكمة بالمحنة تشير بالتأكيد إلى محنة لا بدّ وأن الرسول نفسه قد خضع لها لكي يثبت صحة رسالته، كما خضع لمحنة غيبية أيضاً سوف تقرر قسمة الفريقين إلى أبد الآبدين، وإنها هذه النار هي التي ستخصص أقساماً من السعادة وأقساماً من الويل للطرفين، هنا في الحياة الدنيا وفي الحساب النهائي[1].

كان بين جميع عقائد الزرادشتية التي وجد العقل العلمي الحديث صعوبة في قبولها، عقيدة القيامة، إذ وجد الزرادشتيون أنفسهم أنها عقيدة صعبة، فقد جرى عرض الرسول نفسه وهو يسأل ربه بخصوص هذه العقيدة التي بدأت بأنها تتحدى العقل:

«فقد سأل زرادشت أهورامزدا قائلاً: هل تسترد المخلوقات المادية التي فنيت على الأرض أجسادها في الإصلاح النهائي، أم أنها ستكون كالأطياف؟

وأجاب أهورامزدا قائلاً: سوف تسترد هذه المخلوقات أجسادها،

---

(١) Ibid, 46.6 (البندهشن الهندي).

وسوف تبعث من جديد وسأل زرادشت قائلاً: كيف سيتم مجدداً جمع أشلاء الذين مزقت الكلاب والطيور أجسادهم، والذين افترستهم الذئاب والنسر؟

وأجاب أهورامزدا قائلاً: إذا توجب عليك يا زرادشت أن تصنع تابوتاً من خشب، هل سيكون من الأسهل بالنسبة إليك أن تصنعه وليس لديك خشب، ويجب عليك مع ذلك أن تقطعه وتجهزه، أو إذا كان لديك تابوت، وأجزاؤه منفصلة عن بعضها البعض وتوجب عليك أن تجهزه من جديد؟

فقال زرادشت: إذا كان لديّ غصنٌ من الخشب، سيكون الأمر أسهل مما إذا لم يكن عندي خشب البتة، وإذا كان لدي تابوت، وأجزاؤه منفصلة عن بعضها، سيكون من الأسهل تجهيزه مع بعضه من جديد، أكثر مما إذا لم يكن عندي خشب أبداً، ومع ذلك يترتب عليّ أن أصنعه وأجهّزه.

وقال أهورامزدا: لقد كانت لدي القدرة على خلق تلك المخلوقات، عندما لم تكن موجودة، والآن وقد تفرقت في كل اتجاه، من الأسهل أن أخلقها ثانية، عندي خمسة خزنة يتلقون المادة الجسدية للذين ماتوا، أولهم هو التراب الذي يحفظ لحم الناس وعظامهم وأعصابهم، والثاني هو الماء الذي يحفظ الدم، والثالث هو النباتات التي تحافظ على شعر الرأس والجسد، والرابع هو نور أثير السماء الذي يتلقى النار، والخامس هو الريح الذي [يعيد] أرواح مخلوقاتي عند زمن الإصلاح[1]».

تجديد العالم

يدخل العالم بعدئذ، دورة جديدة، محرّراً من كل شرٍّ وكل بؤس،

---

(١) زاتسفرم، ٣٤ بند ١ ـ ٧.

فيبقى على الدوام، حافلاً بالبهجة الأبدية، وتعيش الأرواح كلها حياة سعيدة، لا توصف بركتها، ولا يدرك سامي مجدها: ويقول «الزميادیشت» (Zamyad yast): هنالك يشيد (ساوشيان) العالم الذي لا شبيه الشيخوخة، ولا يعرف الفناء، ولا التدهور، ولا السقام، بل يحيا ويتطور مزوّداً بقوة تحقيق إرادته، حينما ينهض الموتى، وتقبل الحياة والخلود، ويشاد العالم طبقاً لإرادة الرب وبذلك يتحقق انتصار آشا أو الاستقامة، على دروج الكاذب[1].

وما مصير أنكره مينيو أبو الشر؟ لا تذكر الكتب المقدسة شيئاً عن مصيره. ولكن يمكن الافتراض بأنه حينما يزول حكم الشر فلا يعود عمله مؤذياً. فالهزيمة النهائية لدروج تقتضي بالضرورة، هزيمة آرشي - دروج وهزيمة آنغرامينيو.

«اعرف كذلك، الشكوك التافهة! وازدد علماً بالعقل الكلّي، الذي نفث في الإنسان قبساً من ناره.

ودعا روحه الطليقة، المتحررة من قيود الزمن الأرضية، دعها إلى السماء، وإلى الخلود الذي تصبو إليه». «فالحياة الماديّة تنتهي إلى الفناء والتلاشي. أما الحياة الروحية فهي، في خاتمة المطاف، البقاء، والخلود، والسكينة، بالنسبة إلى الإنسان التقي العادل. إنها حياة حافلة بالبهجة الأبدية السرمدية، بصحبة الملائكة الأبرار والكروبين والأرواح الحامية لذلك الإنسان الصالح».

وتدقّ ساعة الفراق في صمت مهيب، ولا مناص من انفصام عرى صداقة واتحاد دنيويين كانتا موجودتين فيه كإنسان. أما الأولى فتسمو وتعلو، وأما الثانية فتتبدد وتذوب في عناصره الأولية. وقد وصفت أسفار زرادشت بصورة حية هذا الحدث الجلل، كما قدمت دليلاً واضحاً من خلال الإيمان العميق بخلود الروح وبعث الجسد.

---

(١) زامیآد یشت، يشت ١٠ و١٣ و١٩.

حين تأفل شمس حياة الإنسان التقي، تبقى الروح ثلاثة أيام بجوار رفيق عمرها، أي هو: الجسد. ويدرك «ويرى كثيراً من المسرّات التي يمتلكها العالم الحي»، وأما في اليوم الرابع فيبدأ تمجيد الرب في الأعالي، وتودع الروح صحبها الصالح وسط أقرب أنسبائه، وأصدقائه، وجيرانه في الحياة الدنيا، تحيط بها هالة من النعم القدسية. وتصعد بصحبة ملاكها الحامي/ شروس/ «Shoros»، لتحاسب عند بوابة: / صراط شينفات/ وفي رحلتها نحو أعالي السماء، تفوح حولها رائحة البلسم الزكية التي تزجيها رياح الجنوب العليلة، وتشهد شكلها الكواكبي، وقد تحولت إلى صورة من البهاء الملائكي«السيرافي» (Seraphic).

وتتجلى هذه الصورة عليّة على شكل أفكاره الحسنة، وأقواله الطيبة، وأعماله الصالحة. وتغمره نشوة الترحاب، وبعد أن يقدم حسابه إلى مهردافار المدن على بوابة السماء، يتخطّى العراقيل في طريقه إلى النعيم والسعادة الأبديين، وينتظر جسده يوم البعث العظيم. وعلى النقيض من ذلك الصورة القاسية لروح الإنسان الشرير[١].

فعلى هذه الروح أن تكابد الآلام إلى آخر يوم من الحشر الأكبر، حين يتلقى كل إنسان حكمه، وتنتهي حينئذٍ المعركة، فلا يعود بوسع الروح الشريرة أن تتخذ من الإنسان رهينةً في يدها، ويعمّ السلام والسعادة الأبديّان.

ليس على الروح الآثمة أن تيأس من رحمة الرب وغفرانه. ومهما كانت شريرة، فإنّ الرب العظيم ذا الرحمة الواسعة والمغفرة، لا يضيع ذرة تصدر عنها. ومن بين التساؤلات العديدة التي طرحها زرادشت على أهورامزدا تلك المسألة المتعلقة بالرجل الذي يذوق جسده عذابات النار، باستثناء قدمه اليمني، وتلك إشارة إلى رحمة الإله ولطفه. فقد كان ذلك الرجل فيما سلف، ملكاً شريراً، مؤذياً، في دار الدنيا، يحكم بلاده بالقمع

(١) الفنديداد، الجزء الثالث.

والاضطهاد وممارسة العنف وذلك في غياب القانون، ولم يكن ليقدم على أي عمل فاضل.

وفي أحد الأيام، بينما كان في رحلة صيد ترفيهية، شاهد عنزة مربوطة إلى وتد، تحاول عبثاً الوصول إلى كومة التبن، فأثار مشهد تلك الدابة المسكينة.. الجائعة.. المشدودة بحبل، مشاعر الشفقة في قلبه القاسي، فبادر، مدفوعاً بحافزٍ مفاجئ، إلى ركل تلك الكومة من العلف بقدمه اليمني، ليدنيها من الدابة الجائعة.

وقد تم تدوين هذه الحادثة في «سفر الأقدار» ولذا لقيت تلك القدم ثوابها. إن هذه الأسطورة الموغلة في القدم، المذكورة في المصادر الموثوقة، تبيّن للزرادشتي المبدأ السامي للثواب والعقاب(١).

فعندما يبلغ الفتى الخامسة عشرة، ينشد القانون الزرادشتي، ويفرض عليه أن يكون متحرراً، ومتسامحاً فيما يتعلق بالأفكار والأعمال، وأن يكون تقياً، ملتزماً بالشعائر الدينية، وأن يكون عادلاً حكيماً إذا وصل إلى السلطة، وأن يوصف بالثقة والأمانة في معاملاته، حريصاً على بقاء العناصر صافية غير مدنسة، وأن يجهد في تدمير الشر، وأن يكون رحيماً بالحيوانات الداجنة أو الأليفة يؤمن لها حاجاتها، ماهراً في حراثة الأرض وسقايتها، مواظباً على تربية وتثقيف نفسه على الانسجام، والوئام، والوحدة بين أقاربه، وأصدقائه والآخرين. كما يجب أن يوازن بين محاسن ومساوئ كلّ خطوة يخطوها على درب الحياة. فإذا فعل أمراً ثم تحوّل.. لنقص في معرفته أو جهله... إلى عمل شرّ.. فإنه ينبغي له وبأسرع ما أمكن المبادرة إلى معالجته(٢).

وهو يلقّن منذ يفاعته الاعتقاد بأن كل عمل من أعماله الخيرة أو الشريرة، ستدوّن في حينها، ومع مرور الزمن تنمو وتتضاعف وتتراكم.

---

(١) الفنديداد، فرگرد ١٩ بنج ٥.

(٢) الفنديداد، فرگرد ١٩ بند ١١ و١٢.

وحين تفيض روحه وتصعد إلى السماء يسائله الملك المدوّن «مهردافار» عن حياته الدنيا القصيرة مدتها، ثم يدعوه إلى الدخول في ذلك المكان المحاط بالنعم السماوية، وهو معروف لدى البارثين المحدثين باسم: كاروثمن بهيست Garothman Behest.

لا ريب أن تعاليم زرادشت هي فلسفة عملية، تؤمن بالفكر والمادة معاً. وهو في هذا المنحى، يتماشى مع الرسل الذين جاؤوا في الفترات اللاحقة؛ فالحياة طبقاً لمنظومته الفكرية، هي المحور الذي تدور حوله كل الأشياء من الناحية المادية؛ إذ إنّ ما تؤكد عليه قوانين الطبيعة يتمثّل في تحقيق الصحة والحيوية. أما من الناحية الروحية، فإن الحياة تعاش طبقاً لما يمليه الضمير، بتأكيده على العفة والاستقامة، مما يؤدي إلى تحقيق النماء والتقدم في الجانب الروحي، وحالة من المجد والعلاء في الآخرة. ولترسيخ هذه المبادئ الحياتية جعل زرادشت النار رمزاً للطهارة؛ فهذا العنصر، قبل كل شيء، يرادف الحياة والطاقة، وينعدم الوجود والعمل بدونه. كما أن الحياة تكون أكثر كمالاً، مادياً وروحياً، حينما تكون نقية طاهرة[1].

النشور

جدير بالذكر هنا، أن نشير إلى المقطع المتصل بهذا الموضوع في البدهشن «Bandhosh» حيث سأل زرادشت أهورا مزدا: كيف يتشكل الجسد الذي تذروه الرياح وينقله الماء، كرّةً أخرى. وكيف يحدث النشور؟

فكان جواب أهورا مزدا كالتالي: عندما أنشأت السماء بأمري من مادة الياقوت بلا عمد، بالمعونة الروحية لنورٍ متباعد الأرجاء، وعندما

---

(١) المعتقدات الدينية لدى الشعوب ـ إشراف جفري باندر ـ ترجمة: عبد الفتاح إمام، ص٤٥ و٤٧ و٤٨.

بسطت الأرض بأمري وحملت الحياة المادية، إذ ليس هنالك من مُعين للخلق الدنيوي سواها وحينما سلكت النجوم والقمر والشمس بأمري سبيلها نحو القبّة الزرقاء للأجسام النيرّة الوضّاءة، وحينما ازدهرت الذرة ونمت بأمري، وتناثرت في كل مكان على الأرض، نمت ثانية، وازدادت حين صبغت النباتات بأمري بمختلف الألوان، وحينما جعلتُ النار، تذوب في النباتات الأخرى ولا تحرقها وحينما جعلت الولد يخلق ويتشكّل في رحم الأمّ، وحينما نشأت بُنية الجلد، والأظافر، والدم، والأقدام، والعينين والأذنين وغيرها، كلٌّ على حدة[1].

حينما أحدثتُ قنوات المياه، بحيث تتدفّق بقوّة، وخلقت الغيوم لتحمل الماء إلى العالم، فتمطر هناك لغاياتٍ معيّنة، وحينما خلقتُ الهواء ليصل إلى أبصارنا بقوّة الرياح، ويتّجه إلى الأسفل حسب إرادته، فلا يمكن للمرء الإمساك به مهما امتدّت يده، فكلّ شيءٍ من هذه الأشياء خلقناه بأيدينا، وكان أشدّ صعوبة من إحداث النشور لأنّها مخلوقةٌ من قبل. وكان تشكّلها الماضي مرهوناً بمستقبلها.

وطبقاً إلى البوندهشن القديم، فإنّ الروح، يوم النشور، تطالب بجسدها الأصلي، بعيداً عن وصاية العناصر الثلاثة المعروفة وهي: التراب، الماء، والنار. وينهض الموتى جميعاً مدفوعين بأعمالهم الصالحة وأعمالهم السيئة، ويوم الحشر الأكبر، يوم يحشر الصالحون، يندم المسيئون على ما قدّمت أيديهم ويقال امتازوا بعضكم من بعض، ويُعزل الصالح عن المسيء ثلاثة أيام وثلاث ليال، وأما المسيء:

«فعلى مرمى البصر من الفردوس

يشاهد السماوات ويشعر بالجحيم».

---

(١) البندهشن، القسم التاسع عشر، بند ٢٢١ و٢٢٢.

لقد ولّى الفزع وتحوّل إلى سلوان، في نهاية الزمن المحدود، ومضى محرّكه الرئيس أهريمن ليلقى مصيره في الفناء التامّ، وبقي أهورا مزدا القادر، القهّار، العظيم والكلّ في الكلّ.

بعد هذه الكفّارة العظمي، يُعدّ الربّ، بلطف عنايته، حمّام المطهر، يدخلها الجميع، وينهضون منها أبراراً مطهّرين، يقدّسون ويدركون عرى القرابة والصداقة التي كانت قائمةً في حياتهم الدنيا، وبعد تدرّجهم في معارج السماوات، يدخلون مجال الأبديّة خالدين فيها.

إنّ ذكرى الميّت تتناقلها الأجيال، جيلاً بعد جيل، في الشعائر الدينيّة التي يقيمها الكهنة في صلواتهم اليوميّة. وينبغي لي أن أذكّر بحدث واحد، قبل طيّ صفحة هذا الموضوع السامي، وهو أنّ أرواح الزرادشتيين تقوم بزيارة الأرض الواقعة تحت القمر مرّة واحدة في السنة[1].

ولذلك يمكن لأولئك الذين ساهموا في المراسم، وكان لهم فيها نصيب، أن يشعروا بإلهام رباني، بحسب طبيعة كلّ منهم، وإيمانه، ودرجة تقواه أما أثناء تلك الزيارة المقدسة، فتكون كل أسرة بارثية، مطهّرة على أكمل صورة، وفي أحسن غرفة من غرف المنزل يكون مكان ما منعزل، مفعم بأريج الزهور، والروائح العطرة الزكية، والفواكه. وتلك صورة متكاملة عن نعم السلام المصحوبة بنار خشب الصندل المحترق. وينشد الكهنة وأفراد الأسرة، وسط الزخرفة واللألاء، ترانيم المجد للربّ وما خلقه.

فلنفترب من تلك الصورة الرائعة، والطقوس السامية التي تنمّ عن ولاء طاهر لبركات الرب اللامتناهية. كما أنّ إقامة عشاء ربّاني يشكّل لنا مصدراً لراحة النفس، وتغمرنا البهجة بحضور الآباء، والأمهات، والزوجات، والإخوة والأخوات، والأقارب، والأصدقاء الذين نُكنّ لهم عظيم حبّنا وتوقيرنا واحترامنا. فقد أدّوا واجبهم، وسبقونا إلى الدار

---

(١) البندهشن، القسم التاسع عشر، بند ٢٢٣ ـ ٢٢٤ ـ ٢٢٥.

الآخرة، طبقاً للقانون، ونأمل أن نلحق بهم. فالجسد من التراب وإلى التراب يعود، وأمّا الروح ففي الرحمة الخالدة لـ «گارودمانا» (Garodemana)[١].

مصيـر النفس عند الموت

«تجلس النفس لمدة ثلاثة أيام وثلاث ليال إلى جانب الشاهدة الحجريّة [اللوح الذي توضع عليه] الجثة، وعند فجر اليوم الرابع سوف تأتي النفس برفقة «سروشا» المبارك، وVay الصالح و(فرثرغنا) وتقوم بمواجهة مفكّك العظام، والـ Vay الشرير، والشياطين «فريهزشت» و«وزشت»، ويطاردها حقد الحنق الشرير، الذي يحمل رمحاً دموياً، وسوف تصل النفس إلى جسر المجازي، العالي والمخيف، لأنه إلى هناك يجب أن يذهب الناجون والمدانون على حدّ سواء، وهناك ينتظر الكثير من الأعداء [وهناك يتوجب عليها أن تواجه] حقد الحنق الذي يستخدم رمحاً دموياً، ومفكّك العظام الذي يبتلع جميع المخلوقات[٢] ولا يشبع أبداً. لكن مثرا، وسروشا وشينو، سوف يتوسّطون من أجلها، وسوف يزن رشنو العادل أعمالها، ولن يترك ميزانه الروحي يميل إلى جانب المدانين، ولا إلى جانب الناجحين، ولا أيضاً إلى جانب الملوك والأمراء، ولن ينحرف مقدار شعرة، لأنه لا يعرف الاحترام الزائد للأشخاص، بل يوزّع عدالة نزيهة إلى كل الملوك والأمراء، وإلى أدنى الناس مكانة. وعندما تمرّ نفس الناجي فوق ذلك الجسر، يبدو لها أنه جسر يبلغ عرضه نحو فرسخ واحد، وتتقدّم نفس الناجي برفقة سروشا المبارك، وتأتي أعماله الصالحة لتقابله على شكلِ فتاة أجمل بكثير من أية فتاة موجودة على الأرض، وتقول نفس الناجي: من أنتِ؟ إنني لم أر فتاة أجمل منك على الأرض أبداً، ثم تجيب صورة الفتاة تلك قائلة: إنني

---

(١) البندهشن، القسم التاسع عشر، بيت الترانيم ـ أعالي السماء.

(٢) البندهشن، القسم الخامس عشر، بند ٢٢٥.

لست فتاة، بل أنا أعمالك الصالحة أيها السيد الشاب، يا صاحب الآراء، والأقوال والأعمال، والدين الصالح، لأنك عندما كنت على الأرض، ورأيت شخصاً ما يقدّم قرباناً إلى الشياطين، نأيت بجانبك وقدّمت القربان إلى الأرباب، كما أنك عندما رأيت إنساناً ما يقترف الأذى، أو السلب، ويسبّب الحزن للناس الطيّبين، ويعاملهم بازدراء، أو يحتجن سلعاً حصل عليها بطريقة غير شرعية، امتنعت أنت عن إلحاق الأذى والسلب بالمخلوقات، وكنت مراعياً لحقوق الناس الطيبين، وكنت ترحّب بهم، وتقدّم الضيافة لهم، وتعطي الصدقات للدانين منهم والقاصين، ولقد جمعت ثروتك وفق الاستقامة، وعندما كنت تجلس وترى شخصاً ما يصدر حكماً زائفاً، ويأخذ الرشاوى، ويدلي بشهادة زائفة، كنت تجلس وتدلي بشهادة صحيحة وصادقة، إني أفكارك الصالحة، وأقوالك الطيبة وأعمالك الخيرة، التي فكّرت بها، وتحدّثت بها، ونفّذتها، ومع أنني كنت مبجّلة (منذ البداية) فقد جعلتني أكثر توقيراً، ومع أنني كنت مشرّفة منذ البداية، فقد زدتني شرفاً، ومع أنني كنت محلّاة بالوقار (خوار) فقد أضفت عليّ سمواً إضافياً. عندما ترحل النفس من هناك، تندفع نسمة عطرة نحوها، تكون أطيب رائحة من أي عطر، ثم تسأل نفس الناجي سروشا قائلة: ما هذه النسمة التي أشمّ نسمة مشابهة لها بين العطور على الأرض؟ ثمّ يقدّم سروشا المبارك إجابة لنفس الناجي ويقول: إنّها نسمة من السماء، ولذلك هي طيبة الرائحة كثيراً[1].

ثم تطأ النفس سماء الأفكار الصالحة بخطوتها الثانية، وتطأ سماء الأعمال الخيرة بخطوتها الثالثة، وتبلغ بخطوتها الرابعة إلى النور اللامنتهي، حيث النعيم كلّه، وتأتي الأرباب كلّها، والفيوض السرمدية لتحييها ولسؤالها كيف كانت رحلتها قائلين: كيف كان عبورك من تلك

(١) البندهشن، القسم الخامس عشر، بند ٢٢٦.

العوالم المخيفة المفعمة بالشر إلى هذه العوالم التي لا تزول، والتي لا يوجد فيها خصم، أيها الشاب، يا صاحب الأفكار والأقوال والأعمال، والدين الصالح؟

ثم يقول ربّ أهورامزدا: لا تسألوها كيف كان عبورها، لأنها انفصلت عن جسدها المحبوب، وسافرت في طريق مخيف، ثم يقدّمون لها أحلى أنواع الأطعمة، وكان بينها حتّى زبدة فصل ربيع مبكر، حتى تتمكن النفس من نيل راحتها بعد رعب الليالي الثلاث، التي سبّبها لها مفكّك العظام والشياطين الآخرون عند الجسر وتوضع على عرش مزيّن في كلّ مكان[1] لأنّه قد عُلم أنّ أحلى الأطعمة التي قدمتها الآلهة الروحية إلى رجل أو امرأة، بعد رحيل الوعي والجسد، هي زبدة ربيع مبكر، وأنهم قد أجلسوه على عرش مزيّن في كل مكان، وسوف يعيش في وفرة النعيم إلى الأبد مع الآلهة الروحية. وعندما يموت الإنسان المدان، تحوم نفسه قرب رأسه لمدة ثلاثة أيام وثلاث ليال، وهي تنوح قائلة: إلى أين سأذهب، وإلى من سألتجئ؟ وتشاهد خلال تلك الأيام الثلاثة والليالي الثلاث بعينيها كافة الشرور والآثام التي اقترفتها على الأرض. ويأتي الشيطان «وزرش» في اليوم الرابع ويقيّد نفس المدان بطريقة شائنة جداً، وعلى الرغم من معارضة سروشا المبارك يجرّها إلى جسر المجازي[2].

ثم يكشف رشنو العادل نفس المدان، ويبيّن أنّها مدانة بالفعل. ثمّ يقبض الشيطان «وزرش» المتحمّس في حنقه، على نفس المدان، ويضربها ويحتقرها من دون رحمة، وتصرخ نفس المدان بصوت مرتفع، وبأنين، وبتضرّع تقدم عدة التماسات جديرة بالشفقة، وسيكون كفاحها[3] يائساً، وعندما يثبت أنّ كلّ كفاحه وصرخات عويله خاوية وبلا فائدة، ولا ينال أيّ مساعدة من الآلهة ولا حتّى من الشيطان، يجرّه الشيطان «وزرش» على

---

(١) يسنا هات ٣٥ بند ٢.

(٢) المرجع السابقة: بند ٢٢٧.

(٣) البندهشن، ص ١٩٩ حتى ٢٠٥.

الرغم من إرادته إلى قعر جهنّم، ثمّ تأتي لاستقباله فتاة، لا تشبه أيّ فتاة أخرى، وتقول نفس المدان لتلك الفتاة المشؤومة: من أنتِ؟ لأنني لم أر فتاة أكثر شؤماً وقباحة منك على الأرض، وتجيبه تلك الفتاة المشؤومة قائلة: أنا لست فتاة أبداً، بل أنا أفعالك، إنني أفعالك الشائنة، إنني آراؤك الشريرة، وأقوالك الرديئة، وأعمالك الذميمة، وديانتك الفاسدة فقد نأيت بجانبك، وقدّمت القربان إلى الشياطين، وعندما كنت تبصرين، وأنت على قيد الحياة في الأرض، شخصاً ما يقدّم القربان إلى الآلهة كنت تعبدين الكذب والشياطين، وعندما كنت تشاهدين شخصاً ما يرحّب بالناس الصالحين كنتِ تنظرين بازدراء، وتظهرين الإهانة لهم، ولم تعطهم الصدقات، بل كنت توصدين أبوابك في وجوههم، وعندما كنت ترين شخصاً يصدر حكماً عادلاً، أو لا يقبل أيّ رشاوى، أو يدلي بشهادة صحيحة، أو يتحدّث باستقامة، كنت تجلسين وتصدرين حكماً زائفاً، وتدلين بشهادة مزيفة وتتحدثين بطريقة كاذبة! إنني أفكارك الشريرة، وأقوالك الرديئة وأعمالك الذميمة التي فكرت بها، ونفذتها، ومع أنني كنت سيئة السمعة في البداية، لقد زدت من سوء سمعتي، ومع أنني كنت شائنة في البداية، فقد زدتني خزياً، ومع أنني جلست في البداية بين غير المدركين فقد زدتني عدم إدراك.

ثم ينتقل المدان مع الخطوة الأولى من جحيم الأفكار الشريرة، ويذهب بخطوته الثانية إلى جحيم الأقوال الرديئة، ويصل بخطوته الثالثة إلى جحيم الأعمال الذميمة، ثم ينزلق بخطوته الرابعة إلى حضرة الروح المدمّرة والشياطين الأخرى، وتسخر الشياطين منه، وتعرّضه للسخرية قائلة: ما هو الشيء الذي أزعجك في الربّ أهورامزدا، والفيوض السرمديّة، وفي سماء عطرة وسارّة، وما هي الشكوى التي شكوتها منهم حتى ذهبت لرؤية أهرمان والشياطين، وجحيم مظلم؟ إننا سوف نعذّبك ولن نرحمك أبداً، ولسوف تكابدين العذاب لمدة طويلة.

ثمّ سوف يحضرون الروح المدمّرة إلى الشياطين فتقول: لا تسألوا

شيئاً بخصوصه، لقد فصل عن جسده المحبوب، وقدم خلال الطريق الأكثر شؤماً فقدّموا له أقذر الأطعمة وأردأها، قدموا له طعاماً ما أنتج في جهنّم[1].

ثم سوف يحضرون له سمّاً، وغلاّ، وأفاعي، وعقارب، وزواحف ذميمة أخرى تنمو في جهنم، ويقدّموها له ليأكلها، ويجب عليه أن يبقى حتى القيامة والجسد النهائي في جهنّم، يكابد عذاباً كثيراً، ويعاني من كافة أساليب العقاب ويكون الطعام الذي يتوجب عليه تناوله في معظم الأحيان، طعاماً فاسداً، وشبيهاً بالدم.

طبيعة عدم تجسيد النفس

يمكن الاستنتاج من هذا الوصف حول مصير النفس عند الموت، أن المفهوم الزرادشتي لطبيعة النفس كان مفهوماً مادياً إلى حدّ ما، فللنفس أحاسيس ترعبها، وتسمع، وتشمّ، وتتذوق، ولها شيء معادل للأعضاء المادية لأنها تأكل، ويستطرد منوجهر، ويذهب إلى حدّ وصف النفس بأنها «مينوكي تن[2]»، أي «النفس الحارسة غير المرئية للجسد»، التي لها الأحاسيس ذاتها كما للجسد[3]، حيث تتمكن بوساطتها من التمتع بمباهج الجنّة، والمعاناة من عذاب جهنّم، فخلال الليالي الثلاث، التي تنتظر النفس خلالها الحكم، تكابد نفس الإنسان الفاضل من العقاب على الآثام القليلة التي كانت قد اقترفتها، ثم تنتقل إلى الجنة[4]، أمّا بالنسبة لنفس الإنسان الشرير، الذي على الرغم من كل شيء، يمتلك بعض الأعمال الخيرة الصالحة، فتزورها روح الأفكار الصالحة في الليلة الأولى، ثم تزورها روح الأقوال الفاضلة في الليلة الثانية، في حين تزورها روح

---

(١) مينو خرد (MKh) جلد ٢ بند ١٢٢ ـ ٧٣.
(٢) داتستان دينيك، ٢٣ بند ٢.
(٣) المصدر نفسه: ٢٤ بند٢.
(٤) المصدر نفسه: ٢٣ بند ٣.

الأعمـال الخيرة في الليلة الثالثة: وتجلب له هذه الأرواح بعض العزاء، وتحاول أن تواسيه، ومع ذلك[1] لا بدّ في جميع الأحوال من نزوله إلـى جهنّم.

لكن الجنة والنار ليسا الشيء بالنسبة للجميع: لأنّ مباهجها وآلامها سوف تكون متناسبة بدقة مع كمية الفضيلة أو الإثم، التي جمعها الإنسان خلال حياته في الدنيا[2]، وإضافة إلى الجنة والنار هناك مكان يمكن لنفس الميت أن تذهب إليه ويدعى هذا باسم «هميستجان» أي «مكان المختلطين» المخصص للذين يتساوى ميزان فضائلهم وذنوبهم تماماً[3]، وهذا واقع بين الأرض «ومحطة النجوم» والألم الوحيد الذي تعاني النفس منه هناك هو من الحرّ والقرّ[4].

مصيـر الـروح

* ـ سـأل زرادشـت أهـورا مزدا: «يا أهـورا مـزدا، يـا أقـدس خـالـق سمـاوي للعـالـم المـادي، أيهـا الطـاهـر! متى يفنى الإنسـان الطـاهـر، وأين تمكث روحـه خـلال تلك الليلة؟»[5].

* ـ أجاب أهـورا مزدا: «إنها تمكث قـرب رأسـه، حيث تـتلو «الكاثا» أو ستفيتـي «Gatha Ustavaiti»، مصلّيـة لراحة نفسـهـا: فالسعـادة ترافق الإنسـان الـذي يؤمن الراحة لكـلّ ما قـد خلقـه أهورا مزدا، حيث يحكـم بمحض إرادته «ز» فالروح تشعر بالـراحة والبهجـة في هذه الليلة، كمـا لو أنهـا تمتلك كل ما في هذه الدنيـا»[6].

---

(١) البندهشن ٢٠٤ بند ١٥ ـ ١٤.
(٢) ارادي ويراف نامه ٦ بند ١١.
(٣) البندهشن ١٢ بند ١١.
(٤) مينوك خرد ٧ بند ١٤.
(٥) الأفستا، اليشت، هادخت نسك، فرگرد الثانى، بند ١.
(٦) المصـدر نفسـه: بند ٢.

* ـ أين تسكن الروح خلال الليلة الثانية[1]؟

* ـ أجاب أهورا مزدا قائلاً إنها تقيم بجوار رأسه.. إلخ[2].

كما في السورة الأولى

* ـ أين تقيم روحه خلال الليلة الثالثة[3]؟

* ـ فأجاب أهورا مزدا قائلاً: إنها تقيم بجوار رأسه.. إلخ[4].

كما في السورة الثانية.

* ـ حين تتحول عتمة الليلة الثالثة إلى نور، تتقدم روح الإنسان الطاهر إلى الأمام، مستجمعة نفسها قرب أريج النباتات والزهور، حيث تهبّ الرياح، حاملة إليها روائح زكيّة في منتصف النهار، وهذه الرياح محمّلة أكثر من غيرها بالعطر الفوّاح[5].

* ـ في خضم هذه الرياح، يواجهه قانونه الخاص على هيئة عذراء، جميلة، متألّقة، بذراعين بضّتين، قويّة، هيفاء، باذخة، ناهدة، وجسم حسن الأوصاف، نبيلة، وسيمة، مشرقة الوجه في الخامسة عشرة من عمرها، كأجمل المخلوقات نمواً واكتمالاً[6].

* ـ ثم تخاطب روحُ ذلك الإنسان الطاهر العذراء وتسألها: ماذا ترى عيناي يا أجمل العذارى جسماً[7]؟

* ـ فيجيبه القانون الخاص به: أجل، أنا، أيها الشاب، أمثل أفكارك،

---

(١) المصدر نفسه: بند ٣.
(٢) المصدر نفسه: بند ٤.
(٣) المصدر نفسه: بند ٥.
(٤) المصدر نفسه: بند ٦.
(٥) المصدر نفسه: بند ٧.
(٦) الأفستا، اليشت، هادخت نسك، فركرد الثاني، بند ٨.
(٧) المصدر نفسه: بند ٩.

وأقوالـك، وأفعـالك الخيرة، وقانونك الخيّر، قانون جسـدك الذي يحيـل إليـك في عظمتـك، وصلاحك، وجمالك، وطيب شذاك، ونصرك، وإعراضك عن الأذى، هكذا كنت تبدو لي[1].

* ـ فأنت قريني يا ذا الكلام العـذب، والفـكر الصائب، ويا حسن العمـل أيها الشاب، يا من كرسته للقانون الخير، فأنا في عظمتـك، وطيبتـك، وجمالك أظهر لك[2].

* ـ أنت تجعل الممتع أكثر متعـة، والجميـل أبهـى جمـالاً، والمـرغوب فيه أشـد إثارةً للـرغبة، والرفيع أسنى رفعـةً، في فراديس «هوماتا، وهوختا، وهفارشتا»[3].

* ـ تخـطو روح الإنسان الطـاهر خطـوتها الأولى فتصل إلى جنـة هـومـاتـا، ثم تخـطو خطـوتها الثانية إلى جنـة هـوختـا، ثم تخطو خطوتها الثالثة فتصـل إلى جنة «هفارشتا» ثم تخطو روح الإنسـان الطـاهـر الخطوة الرابعـة وتصـل إلى الأنوار الأبـديّة[4].

* ـ سـأل زرادشت أهـورا مـزدا: أيهـا السمـاوي المقـدس، يا خالق العـالـم المـادي، أيهـا الطـاهـر! حين يموت الشرير، فأين تسـكن الـروح خلال هـذه الليـلة؟

* ـ فأجابه أهورا مزدا: هنـالك يا زرادشت الطـاهـر، جانب الرأس تطوف وتجول، وتردّد صلوات «كي مانم Kemanm، إلخ. . .[5]

«أي أرض أمتـدحهـا، وأين أوجه صلواتي، يا أهورا مزدا؟ وترى الروح في هـذه الليلة من الأذى ما رآه العـالم الحي كلّه».

---

(١) المصدر نفسه: بند ١٠.

(٢) المصدر نفسه: بند ١٤.

(٣) المصدر نفسه: بند ١٥.

(٤) المصدر نفسه: بند ١٩.

(٥) المرجع السابق: بند ٢٠.

* - حين ترى ظلمة الليلة الثالثة النور، يا زرادشت الطاهر، تمضي روح الإنسان الشرير نحو المكان المدنّس، تسوقها الرياح النتنة، وتهبّ عليها الرياح القادمة من منطقة الشمال، روائحها أكثر نتناً من أي ريح(١).

* - حين تتلقّى روح الإنسان الشرير تلك الرياح وتتنشقها، تمضي قائلة: ترى من أين تصلني هذه الرياح التي يحسّ أنفي رائحتها كأشدّ ما تكون الرياح نتانة وفساداً(٢)؟.

* - «وتمضي الخطوة الرابعة بالروح الشريرة لتدخلها الظلمات دون مقدّمات»(٣).

حساب الروح

السؤال التالي: من يتولّى حساب الروح عن أعمال الشر والخير، وأين يكون ذلك الحساب؟

ومتى تلقى القصاص، وفي أي مكان؟

والجواب هو التالي: إن حساب الأعمال الخيرة والآثمة، يعرض ثلاث مرات يومياً، حينما يكون صاحبها على قيد الحياة، ويقوم «فوهومانو» Vohu mano بتحضيرها، لأنّ حساب الأفكار، والأقوال، والأعمال لكل الموجودات المادية، هو من بين واجباته.

وفيما يتعلق بالخطيئة التي تؤثّر على المدّعين، واقترفها أولئك الذين نكثوا العهود وأخلّوا بها، فإنه حتّى العالم المفروض أن يكون فيه «ميترو» Mitro، جاثماً على الأجسام، ضابطاً أقوال المخلّين بالعهد ومصائرهم، فالأمر يتعلّق بمدى الإخلال وشدّته، لأنّ مترو هو القائم على الحساب.

---

(١) المرجع السابق: بند ٢١.
(٢) المرجع السابق: بند ٢٢.
(٣) المرجع السابق: بند ٢٣.

ويقوم كلٌّ من «سروش» الورع، و«راشنو» العادل، أثناء الليالي الثلاث للحساب، بالإشراف على تقدير أعمال الخير وأعمال الشر، من حيث صلاحها أو فسادها. وفي الحياة الآخرة، وعند تصفية كل الحسابات، فإن الخالق أهورامزدا نفسه يتولّى الحساب، سواء حساب الليالي الثلاث أو حساب كلّ الأفكار، والأقوال، والأفعال التي هي للمخلوقات فإنّها معلومة من خلال حكمته ذات العلم الكلّي.

إن العقوبة التي تتلقّاها روح الآثمين تفرضها تلك الروح الشريرة ذاتها، التي كانت سبباً في اقتراب الذنب، وهذه العقوبة مرتبطة ومعزّزة بممارسة الإثم والظلم، فتلك العقوبة تحيق بأرواح الأشرار والآثمين على الأرض أولاً، وبعد ذلك في الجحيم، وأخيراً في نظام الحياة الآخرة. وحينما ينقضي عقاب الليالي الثلاث، تواجه روح الإنسان الصالح مصيرها في الجنة، وتنعم بالعيش الرغيد، على حين تواجه روح الإنسان الشرير عذاب الجحيم، وعنت العيش. وحينما يقضون مدة عقوبتهم إبّان إعادة تجديد الكون، فإنّهم يطهرون من كل الذنوب طهارة كاملة، وينالون التقدم الدائم، الكامل السعيد في حياة مثلى لا يُزعجون فيها[1].

عــروج الروح العادلة

يـدخل الإنسان بعد موته الجنة أو الجحيـم إذا رجحت أعمـاله الصـالحة على أعمـاله الفاسدة، والعكس بالعكس، وهذا هو النذير الذي يعبّر عنه «البانام ـ أي ـ ايزد» فينبغي للمـرء أن يتزوّد من العالم المادّي لعالمه الروحيّ لكيـلا تلقى الروح العذاب. وفي اليوم الرابع من الوفاة، تعبر الروح الصراط المسمى شينفات (Chinvat)، الذي يصل عالمنا بعالم الغيب. أمّا أرواح الصالحين الذين حافظـوا على تعاليم زرادشت، فتعبر الصراط بيسر، وتدخل جنة النعيم. وأما الذين ضلّـوا عن سواء السبيل فإنهم يقفون وهم يرتعدون عند جسر الحساب، تعذّبهم آلام ضمائرهم،

(١) داتستان دينيگ، كتب الشرق المقدّسة، ترجمة الجگتور: ويست.

وينادون بالثبور، فقد أدّت بهم ضمائرهم ذاتها إلى الخسران، والغوص في روح الفساد. وإليكم نصّ يصف وصفاً مجازياً، عروج الروح إلى السماء: وبعد انقضاء الليلة الثالثة، حينما يبزغ الفجر تمر روح الإنسان العادل تحت الأشجار، تتنسّم الأريج العطر، كأنه ريح الجنوب، نعم، ريح مناطق الجنوب رائحة زكية كأطيب ما تكون الروائح. ويخيّل إلى روح ذلك الإنسان الصالح، أنها تتنسّم الريح بمنخريها، فتقول: «من أين تهب هذه الريح، الريح العطرة التي لم يتنسّم منخري أطيب منها؟».

ويخيل إليه أن ضميره يخطر أمامه على صورة عذراء جميلة وضّاءة بضّة الذراعين، شهمة، رائعة، هيفاء، ناهدة الثديين، فارعة القوام، نبيلة، شريفة النسب، بنت أربع عشرة، كأجمل ما تكون المخلوقات.

حنيئذ تسألها روح الإنسان الصالح: من أنت من العذارى يا أجمل عذراء رأتها عيناي؟

فيجيبه ضميره قائلاً: أيها الفتى ذو الأفكار الصائبة والأفواه الطيبة، والأفعال الصالحة، ويا ذا الضمير الخير. الكلّ يحبّك للبهاء والصلاح، وطيب العطر، والشجاعة، والطهر الذي تراءيت لي به.

لقد أحببتني أيها الفتى ذا الأفكار الصائبة والأقوال الطيبة والأفعال الصالحة، ويا ذا الضمير الخير للبهاء والصلاح وطيب العطر والشجاعة والطهارة التي أتراءى لك بها[١].

وحينما كنت ترى الناس منغمسين في الكفر وعبادة الأصنام، يفسدون في الأرض ويدمّرون النبات، تكبح نفسك بترتيل التسابيح المقدسة، وتتقرّب إلى الأمواج، صانعة الخيرات، وإلى نار أهورا مزدا. وتدخل البهجة على نفوس الصالحين، المقبلين عليك من قريب أو بعيد.

لئن كنت طيباً فقد زدتني طيباً، ولئن كنت جميلاً فقد ضاعفت

---

(١) يسنا ٤٩، ٥٠، ٥١، بند ١١ ـ ٣ ـ ٤ ـ ٦ ـ ٩ ـ ١٣ ـ ١٥.

جمالي، ولئن كنت مفضالاً فقد بعثت إلى المزيد من الفضائل، ولئن كنت في منزلة سامية فقد زدتني سموًّا. فأنا ثواب تلك القرابين التي قدّمها الصالحون زمناً طويلاً، إلى أهورا مزدا وتقرّبوا بها إليه.

فأول درجة تصعدها روح الرجل الصالح تجعله في جنة الفكر الصائب. وثاني درجة تدخله جنة القول الرباني، ويدخل بالثالثة جنة العمل الصالح. وأما الرابعة فتمهّد له السبيل إلى الأنوار التي لا انتهاء لها أبد الآبدين[1] ذلك هو المفهوم الجازم، العقلاني والروحاني، عن الجنة مقام الفكر الأفضل، أو الحياة الفاضلة. وأما الكلمة التي تعبّر عن الجنة في الفارسية الحديثة فهي: بهشت (Behesht): أي النعيم والتي تعني ببساطة في الأصل بأنها «الأفضل».

تفوّق الروح على المادة

ليست الزرادشتية هي هذه الحياة، ولا الحياة الآخرة، إنها حياتان، ولكن يتم دوماً إعطاء الأولوية إلى الحياة الآخرة، أي حياة الروح غير المرئية، التي يلد منها العالم المرئي هذا، ونجد فوق تلك النصوص التي تساوي الفضيلة مع السرور، والاستقامة مع الازدهار، نصوصاً أخرى تحذّرنا من انصراف آحادي الجانب إلى الازدهار الدنيوي على حساب الصحة الروحية، فهذه الحياة ـ بعد كلّ شيء ـ زائلة لأنّ أهرمان والكذب كانا قد أفسداها، ولا يمكنك أن تضع ثقتك بها، ويجب أن تنتظر إعادة تركيبها النهائي في نهاية الحياة، وهكذا تمّ ربط الأشياء الفاضلة لهذه الحياة «بسحابة تأتي في يوم شديد البرودة، ولا تتوقّف على أيّ قمّة من قمم الجبال[2]» ويجب على المدى الطويل ـ التخلّي عن رغباتنا الدنيوية بأكملها، ما عدا الاستقامة فقط، التي يعدّ ادّخارها أمراً شرعياً، «وعندما تفاجئك شهوات الجسد، وتجعلك تتلهّف لتحقيق احترام ورخاء أكثر مما

---

(١) يسنا هات ٤٨ بند ١٢.

(٢) مينوك خرد، ٢ بند ٦٥.

هو منسجم مع الاعتدال، عندئذ يكون علاجك الأفضل لمقاومتها هو دراسة الطبيعة الزائلة للجسد، وللأشياء المادّية، ويجب أن ـ تفكّر بالأمور وتقول لنفسك: فكّر فقط، لقد قلت إنني أريد هذا الاحترام والرخاء الكثير، حسناً، ماذا ستكون الفائدة منهما، حيث عليّ أن أتركهما يرحلان، أو أنهما سيرحلان [بناءً على إرادتهما]، وبما أن هذا كذلك، لن أثابر عليه، حتّى لا أعاني من ألم السماح لهما بالرحيل، أو من رحيلهما [بناءً على رغبتيهما]»[1].

«والقاعدة الذهبية هي أنه ينبغي على الإنسان أن يشغل نفسه في أمور هذه الحياة، فقط إلى الحد الذي لا تتداخل فيه مع أمور الحياة الآخرة[2]، وعلامة الإنسان الكريم هي أن يضع دوماً نصب عينيه نهاية الحياة[3]، وحذر أتربات بن مهرسبند وكان نفسه عدواً شديداً لأتباع الجبرية ـ من وضع أيّ ثقة في الحياة الزائلة، حيث قال: «عليك أن لا تعلّق أهمية على هذه الحياة، ويجب عليك عدم عدّها شيئاً له قيمة البتة، ومع ذلك عليك أن لا تهجرها، لكن عليك أن لا تعلّق أيّ أهمية عليها، لأنّ كلّ ما هو مقدّر سوف يكون، ويجب عليك أن لا تعدّها شيئاً لأنّها زائلة ولسوف تتركها، ومع ذلك عليك عدم التخلّي عنها لأنّه لا يمكن الظفر بالروح إلّا عن طريق العالم المادّي[4]».

والجملة الأخيرة هي جملة زرادشتية بشكل نموذجيّ ومتميّز، فمع أن الإنسان قد يكون كئيباً إزاء زوال الحياة، فعليه أن يلاحظ أنّ الحياة في الأرض هي المقدّمة اللازمة لحياة الروح في السماء، وليست هذه أيضاً أكثر من تمهيد لبعث الحياة، التي يتّحد فيها الجسد والروح مجدداً[5].

---

(١) رواية پهلوى، ص ١٤٤.

(٢) دينگرد مدن، ص ٥٨١.

(٣) Ibid, p. 505,. 20-21.

(٤) Ibid,. p 515,. 10-11.

(٥) يسنا هات ٤٣ بند ٥.

النعيم والجحيم (الجنة والنار):

يوصف النعيم والجحيم بشكل متباين في الجاتها، فهما الحياة المثلى، والحياة الأكثر سوءاً، كما أن هذين المفهومين اللامتمركزين تماماً في الحياة الآخرة باقيان في اللغة الفارسية حالياً: وهما بهشت (Behesht): أي النعيم والتي تعني ببساطة في الأصل بأنها «الأفضل». ودوزخ (Duzakh) والتي تعني حياة بائسة، كما إن الحياة الأفضل تعد بأنها في مستوى روحي وعقلي تبينها حقيقة إن النقيض للحياة الأكثر سوءاً ليس الحياة الأفضل فحسب بل العقل الأفضل، وبشكل مماثل، فإن النعيم والجحيم بيت العقل السليم، وبيت العقل الشرير أو بشكل أكثر نموذجياً، بيت الفناء، وبيت الكذب.

جرى التفكير حول الجنة والنار باصطلاحات مادية، ونادراً ما ورد ذكر التأمل الخالص للرب، وكاد منوجهر أن يذهب إلى حدّ التأكد على أن مباهج الجنة هي مثل مباهج الأرض تماماً، باستثناء أنه لا يمكن أن تكون هناك أية مقارنة حقيقية بين صيغة محدودة للوجود، وصيغة لامحدودة، ويجب عدّ أعمال وصف الجنة الموجودة في كتاب الأفستا، بأنها مجرد تشابه لإعطاء فكرة ما عنها إلى الناس الذين ما يزالون على قيد الحياة على الأرض[1]، ولأنه «لا يمكن مقارنة المحدود مع اللامحدود، ولا مقارنة الزئل مع غير الزائل، ولا مقارنة الشيء الخاضع للنقصان مع ما هو غير خاضع فهذا العالم محدود وزائل وخاضع للنقصان في حين أن النور اللامنتهي غير زائل، ولا يخضع للنقصان، وخزانة النفع الدائم غير قابلة للإتلاف، والمنزل المتألق للأغنية كله سعادة دون اختلاط بالألم[2]».

ومع ذلك يبدو من وصف منوجهر (والنصوص البهلوية الأخرى كذلك) للجنة قبل الإصلاح النهائي، أنه عدّها نسخة مطابقة لهذا الكون،

---

(١) دينكرد مدن، ٣٠ بند ١٨.

(٢) Ibid., 30,. 18 - 19.

أو أكثر قليلاً، يعني الكون الذي طردت منه جميع الآثام والآلام، وعلاوة على ذلك، هو بالتحديد التام مكان، وليس حالة، إنه «فوق» (وقد استخدم أكثر من ثلاث كلمات ذات معنى متطابق ليؤكد هذه النقطة) «الأكثر تألقاً، والأزكى رائحة، ونقاءً، وجمالاً، وجاذبية، ووسامة، إنه مسكن الآلهة ومكانها، فيه كل الراحة والبهجة، والفرح، والغبطة، وهو حالة رفاهية، أعظم وأفضل من السعادة الأكبر والأعظم على الأرض، ليست فيها حاجة، أو أسي، ولا تعاسة، ولا قلق[1]»، وسكان الجنة متحررون من خوف التعرض للأذى من جديد[2]. وإضافة إلى هذا، لقد قيل بأن النفس ترى الربّ حقاً، ويعطيها أهورمزد أحاسيس روحية، وهي تبتهج بما تراه[3]، لكن أهورمزد ـ على كل حال ـ لم يفكر به قط بأن له شكلاً بشرياً، مثل رب العهد القديم، وهكذا نحن نقرأ في كتاب «اردي ويراف نامه» الذي تولى وصف رحلات الإنسان المقدس خلال مختلف أنواع جهنم، وظهوره النهائي ومثوله أمام حضرة الأكثر علواً، ونقرأ أن الإنسان لم ير شكلاً مادياً، مع أنه تحدث إلى أهور مزد وسمع صوته: «لقد دهشت عندما تحدث أهورمزد بهذه الطريقة، لأنني رأيت نوراً، ولم أر جسداً، وسمعت صوتاً، وعرفت أن هذا كان أهورمزد[4]».

ورؤية الرب ـ على كل حال ـ هي واحدة فقط من متع الجنة، مع أنها بلا شك هي الأعظم فبعدما تكون النفس الواصلة حديثاً قد أدخلت إلى الحضرة الإلهية بوساطة العقل الصالح[5]، وتجري تحيتها من قبل أصدقائها، ويرحبون بها، ويتم إبلاغها بجميع المتع التي تنتظرها[6]،

---

(١) Ibid., 25,. 3 - 4.

(٢) Ibid., 25 - 6.

(٣) Ibid., 30 6 - 7.

(٤) ارادي ويراف نامه، ص ١٠١ بند ١٢ ـ ١٠.

(٥) دينكرد مدن، ٣٠ بند ٣.

(٦) Ibid., 30,. 8.

ويختلف الطعام السماوي أيضاً عن طعامنا في الأرض، فعلى الأرض نحن نأكل إما لأننا جائعون، وعلينا أن نأكل، أو نأكل لمجرد التلذذ بالطعام، أما في الجنة فلا يوجد سوى دافع المتعة[١].

ولسوف تنعم النفس أيضاً برفقة الأصدقاء المتعلمين والأتقياء، وبالزوجات الجميلات والمحتشمات المخلصات لأزواجهن والمزدهرات، وسوف تكون هنالك أيضاً المملكة الحيوانية بكاملها، أي: القطعان، والأسراب، والحيوانات البرية، والطيور والأسماك، بالإضافة إلى النيران، والرياح، والمعادن اللامعة، وماء في أنهار، وينابيع وآبار، وستكون هنالك أيضاً أشجار، وفواكه ذات مذاق طيب، وقمح، وجميع أشكال النباتات والأزهار[٢]، لكن هذه ليست سوى صورة صنعت لتوائم العقل المحدود، وعلى الرغم من هذه السمات، من الواضح ـ على كل حال ـ أن الزرادشتيين، كانوا يعدون الجنة على أنها نموذجاً كامل لهذه الدنيا، فيه سوف تستمر العلاقات الشخصية، وفيه سيتم الاستمتاع بالمباهج الحسية.

الجحيم (النار)

والحال هو نفسه بالنسبة للنار، فهي واقعة على مسافة عميقة جداً تحت الأرض، وهي المكان الأكثر «ظلاماً، ونتانة ورعباً، وعقوقاً، وشؤماً، وهي موضع ووكر الشياطين والكذب[٣]»، ليس فيها مسرة ولا بهجة، بل كلها نتانة، وتعفن، وآلام، وعقاب، وأسى، ومعاناة، وبؤس، ومشقة، وهذا كله كائن إلى مدى غير محدود، حيث لا يمكن أن تكون هنالك أية مقارنة مع الآلام الدنيوية، وحيث يكون على الأرض الخوف من شر قادم أسوأ عادة من الشر نفسه، في جهنم تتجاوز الحقيقة الرعب كثيراً[٤].

---

(١) Ibid., 30. 11.

(٢) ارادي ويراف نامه، ١٨، ١٣ ـ ٣.

(٣) Ibid., 26. 2.

(٤) Ibid., 26. 3. 8.

والوصف الأكثر حيوية للنار هو الوصف الأكثر الذي قدمه أرادي ويراف نامه، الذي عانى منها مباشرة في رؤيا تسبب بها الحشيش الذي تناوله، حيث قال:

«وهكذا عانيت من ريح باردة ومتجمدة، وجفاف، ونتانة، لم أكابد مثلها في الحياة الدنيا، ولم أسمع بمثلها أيضاً، وعندما مضيت متقدماً مسافة أخرى، رأيت الأعماق الشنيعة لجهنم، فلقد كانت مثل هاوية مرعبة كثيراً، تؤدي إلى مكان أكثر ضيقاً وإرعاباً، وكان ظلامها كثيفاً جداً، إلى حدّ أنه كان يمكن إمساكه باليد، وكانت نتانتها مذهلة إلى درجة لأن كل من كان يستنشقها لابدّ من أن يصعق ويرتجف وينهار، وكانت ضيقة جداً إلى حدٍّ أنه لم يستطع أحد الوقوف هناك، واعتقد جميع من كان هناك «أنني كنت وحيداً»، وفقط عند انقضاء ثلاثة أيام أو ثلاثة ليال: من المؤكد أنه مضت تسعة آلاف عام، ومع ذلك لم يسمحوا لي بالذهاب، وكان هناك في الأماكن التي توجد فيها حيوانات أقل ضرراً، البهائم مكدسة فوق بعضها مثل الجبال وهي تمزق، وتقطع، وتعذب نفوس المدانين بطريقة لا تليق حتى بالكلاب[1]».

وعلى هذا، جهنم سجن منعزل في ظلام متجمد ونتن، وهي محاطة بثلاث طبقات ذوات ظلام متدرج، وواقعة في الشمال بين الجانب الأسفل من الأرض، وبين ذلك الجزء من السماء الواقع تحت الأرض[2]، والرفاق الوحيدون للمدانين هناك هم الشياطين الذين ولدتهم أعمالهم الشريرة على الأرض، وتتولى هذه الشياطين تعذيب المدانين باستمرار، وعلى الرغم من حقيقة تغذية هذه النفوس الميتة بأكثر المواد اشمئزازاً، هي لا تشبع أبداً، وتطلب دوماً المزيد من هذه المواد، لكن جهنم ليست حالة دائمة، ولا يعد من الجائز أيضاً أن إنساناً ما يمكن أن يكون شريراً جداً إلى درجة لا يكون فيها قادراً على التوبة والحنين إلى

---

(١) ارادي ويراف نامه، ص ١٠١ بند ١٢ ـ ١٢.

(٢) دينكرد مدن، ٣٢ بند ٦ ـ ٣.

منزلة فاضلة[1] ففي جهنم تفهم النفس أخيراً الحقيقة كما هي، وتدرك الشر الذي لا يعرف الرحمة لأهرمان، الذي كانت قد خانته، وصحيح أن آلام جهنم ليست مطهرة، لكنها كافية لإيقاظ التوبة، ويكون هذا كافياً ليمكن النفس من أن تتخلص من قيودها، عندما يأتي يوم الرب للحساب مع قوى الشر، وستكون عندها نفوس المدانين الأسرى قوية بما فيه الكفاية حتى تتغلب على سجانيها الشياطين[2]، وسوف تعّد النفوس في النهاية - عندما ينتهي الإصلاح النهائي، ويقهر الكذب - لتجتاز نهراً من المعدن المصهور، وسوف يطهرها من جميع آثار الذنوب المتبقية[3]، وستنضم هذه النفوس، وهي مطهرة إلى نفوس الناجين، وسيعيشون في وئام كامل إلى الأبد.

وفي الجاتها[4]، يسمّى النعيم والجحيم (بهشت - دوزخ) بالإصطلاحات التالية:

١ - گرودمانه (Garo - demana) (خان ومان) تعني بيت الأناشيد وفي الأفستا گروثمان وفي رواية البهلوي گرزمان.

٢ - من گثير (Man - gaire) أعلى الخان أو أعلى السرادق، هذه الكلمة عادةً كانت مع الفكر الحسن، وفي الواقع اسمه خان الفكر الحسن.

٣ - ونگهشوش دمانه وونگهنوش دمانه مننگهو (Vangheush demana manangho)؛ خان الفكر الحسن أو السرادق الفكر الحسن.

٤ - هوشي تثيش ونگهنوش مننگهو (Hushitish Vanng)، خان الهدوء والسرور أو خان الطريق الطاهر.

---

(١) Ibid., 31., 4- 5.

(٢) زاتسفرم، القسم ٣٤ بند ٩ - ٢١.

(٣) Ibid., 36. 95.

(٤) الجاتها، يسنا هات ٢٨ - ٣٠ - ٤١ - ٤٣ - ٤٥ - ٤٨ - ٥١.

٥ ـ وهيشتم منو (Vahishtem manu)، أحسن الفكر أو أحسن الطريق الفكري، وفي الأفستا يسمي «آشه وهيشتا» أو «بهشت».

٦ ـ دروج دمانه (Durjo demana)، خان الدجل، تعني جحيم أو دوزخ.

٧ ـ اچيشته دمانه مننگهشو (Achishtem demana manangho)، خان الدجل الأعلى، أو خان الدجل الفكر السيئ.

٨ ـ اچيشتم منو (Achishtem menu)، أسوأ الحالات الروحية، أو عذاب الضمير.

سأرشد نفسي إلى الفردوس في شعاع من التفكّر الطاهر، ومع العلّام بـ جزاء الخير الذي قرّره رب الخالق الحكيم، لكلّ عمل الصالح، سأسعى حتى رمقي الأخير أن أعلم الناس أن يميلوا إلى الصدق والصلاح.

(يسنا هات ٢٨ بند ٤)

يا خالقي الحكيم، يا من أفضل على الكلّ ومع أفضل الصادقين، متحد الإرادة، أتمني منك من صميم قلبي أن تهب «فرشوشتر» الشهير (لقب كشتاسب الملك) ولإصحابي وكذلك لكل من يتمتع بالتسامح الخالدة والتفكتر الصالح، الجنّة.

(يسنا هات ٢٨ بند ٨)

عندما تقابلت هاتان الجوهرتان مع بعضهما، أظهرتا الحياة واللاحياة، وبعدها سيبتلى أصحاب الكذب والمجرمون بأسواء حالة نفسية وكذلك سيبتلى أصحاب الصدق والمحسنون بأفضل السلوك راحة البال وهذا الأمر سيدوم إلى نهاية الحياة.

(يسنا هات ٣٠ بند ٤)

القصد من «الحياة» ليس الموت، بل تعني هذه الكلمة نوع من

الحياة مملوءة بالتزوير والكذب والرياء والفساد والسلوك السيئ والكراهة، إنها حياة مليئة من العار والسمعة السيئة والهواجس والتشويش وبذلك لا يمكن أن تسمّى حياة حقيقية، بل تشبه الموت وليس الحياة وهذه الحياة، هي حياة لا تنفع وليس جيّداً للمجتمع.

هذا القسم من أليسنا صار أفضل نموذج برأي زرادشت للثواب والعقاب من أجل الجنة والنار أو «بهشت وجهنم» وأيضاً حديث عن النعيم والجحيم المتجذر في ضمير الأشخاص الصالحين والسيئين.

وهنا يشير، إن الإنسان الصالح عنده الفكر الحسن وعنده الضمير النظيف والطاهر مع الهدوء وهو صاحب النعيم أو جنة (بهشت)، وعلى العكس، فإن الإنسان الذي عنده الفكر السيئ، عنده ضميرٌ غير نظيف (غير طاهر)، وهو صاحب الجحيم (جهنم).

عندما يُعاب عالم الكذب بالأذى والفساد حينئذٍ يمكن القول أنّ أمنيات الصالحين قد تحققت وسيتمتعون نعمة الدار الطيبة والسلوك الصالح والصدق وعرش المنير «مزدا» (الجنة).

(يسنا هات ٣٠ بند ١٠)

وفي هذا القسم يبيّن بصراحة، أن الكذب ينهزم ويقيم الجنة للإنسان الصالح في النهاية.

أيها الناس، عندما تتعرفون على فلسفة السرور والألم، التي قررّها ربّ العقل وتعلمون بأن الكاذبين والمجرمين سينالون العقاب الخالد وكذلك سيفوز الصالحون ومن يعمل صالحاً بسعادة أبدية لذلك وعلى ضوء هذه الحقيقة ستنالون أعلى السعادة والسرور الحقيقيين.

(يسنا هات ٣٠ بند ١١)

المقصود هنا الحديث عن الثواب والعقاب وليس الحديث عن النعيم والجحيم. ويقول أردشير آذرگشسب[1]، في هذا القسم: إن الشخص الذي يواجه عذاب الضمير في الحياة الدنيا، فإن ذلك ينعكس راحة له في الحياة الآخرة

يا أيها الخالق الحكيم، لأجل الاطلاع، أسألك ما الذي حدث من قبل وما الذي يحدث في المستقبل؟ يا أهورا مزدا، ما هو الجزاء (الحسن أو السيئ) الذي سيسجّل على كتاب الحياة المحسنين والمسيئين وكيف سيكون حالهما في يوم الآخرة.

(يسنا هات ٣١ بند ١٤)

وهنا سأل زرادشت أهورا مزدا في خصوص الثواب والعقاب بالنسبة للصالحين والكاذبين في الدنيا.

ومن يتوجه صوب الصدق والطهارة (يعمل ناسك)، سيكون له دار المنير (الجنة)، أما الإنسان الكذاب وسيئ العمل سيعيش لأمد بعيدة في الظلمات نادماً ومتألماً، إن النية الخبيثة والعمل السيئ يجعلان الإنسان يعيش حياة شقية وعذاب الضمير.

(يسنا هات ٣١ بند ٢٠)

وهنا منزل الكذابين يسمى عذاب الضمير، وهو ضميرٌ غير هادئ وغير مرتاح وجزاء الصالحين يسمّى الجنة (بهشت). وجاء في الأفستا الجديد: في يوم القيامة الصالحون يظهرون بمثل الفتيات الجميلات، والكاذبون يظهرون العجائز (بيتاره) والقدرة التي تحصتلها هذه الذئاب المتوحشة (گرهما) في سعيها إلى

---

(١) أردشير آذر گشسب: مؤبد مؤبدان، للمرجع الأعلى والمؤلف الزرادشتيين في إيران.

الفساد والتفكر المعوّج ستكون نبياً لشقائهم وفساد حياتهم، يا رب العقل، ثم هذه الذئاب المتوحشة، سيرجون الرسالة المقدسة لرسولك، الرسول الذي يحمي الصالحين والطاهرين من كيد الأعداء.

(يسنا هات ٣٢ بند ١٣)

گرهما، هومن القادة المسيئين في زمن زرادشت، يريد الحياة مع الفكر السيئ حتى يأخذ القوة والقدرة لأجل هزيمة الناس واعوجاجهم.

وهنا يشير بصراحة مؤكداً إنّ الجنة هي مكانٌ للصالحين، والجحيم مكان فاسقين والظالمين، وفي الواقع جنة (بهشت) خان الفكر الصواب والحسن، والجحيم (جهنم) خان الفكر غير السليم والباطل.

أهورا مزدا، الذي هو السلطان المطلق قد قرّر، بأن السعادة لمن يسعد الناس.

يا أهورا مزدا لأجل ثبات دين الصدق، أطلب منك قدرة الجسم والروح يا «آرمييتي» يا رمز الإيمان والمحبة، أعطني ذلك الشعاع الأهورائي، الذي هو جزاء الحياة مملوءة بسلوك الحسن.

(يسنا هات ٤٣ بند ١)

وهنا يشير إلى أن سعادة المرء هي بسعادة الآخرين.

إن هكذا إنسان (إشارة إلى الذي يسعد غيره وقد جاء ذكره في البند الأول)، سيحظى على الأفضل ومن يرجو الحصول على البصيرة ويسعى إليها، يا مزدا اعطه البصيرة الداخلية من شعاع عقلك المقدس والمطلّع، يا أهورامن ضوّ «آشا» (القانون الأزلي للصدق والطهارة) اعطنا من الحكمة والعلم اللذين هما من عطاءات «وهومن» لكي نتمتع في حياتنا بالفرح والسرور.

(يسنا هات ٤٣ بند ٢)

وهنا تسمّى «ويسب نام وهيشتم» أفضل حالات السعادة والسرور.

يا مزدا أهورا، يا إله العقل والنفس، عندما وجدتك بأنك بداية الحياة وأزلي، حينئذٍ عرفتك طاهراً ومقدساً وعندما قرّرت جزاء لتفكر والكلام والعمل الصالح وكذلك قرّرت في ضوء العقل وحكمتك بأن السيئات للسيئين وحسنات للمحسنين حينئذاً عرفتُ بأن هذا الأمر سيستمر إلى الآخرة ونهاية الوجود.

(يسنا هات ٤٣ بند ٥)

وهنا على كلّ حال يتحدّث عن الجزاء أو الأجر الأخروي (إشارة غير مباشر إلى الحياة بعد الموت).

الكل يريد منه التقوى، أولئك الذين هم أحياء والذين قد ذهبوا من هذا العالم أو الذين سيأتون إلى هذا العالم، حيث تفرح نفس المتقي والطاهر السلوك وسيتمتع من عطاء الخلود. لكنّ أصحاب الكذب والمجرمين سيعذبون العذاب الذي يتجدد ووضع هذا القانون الخالق الحكيم والأوحد الذي قرّره بقدرته.

(يسنا هات ٤٥ بند ٧)

وهنا يشير، أهورا مزدا إلى عدم إعطاء أي إنسان ثواباً أو عقاباً جزافاً، بل إن الإنسان صاحب أعماله، يعني من يعمل خيراً فسوف يلاقي خيراً في الآخرة ومن يعمل شراً فسوف يلاقي الشر في الآخرة هذا يعني أيضاً بشكل غير مباشر الألم والعذاب للإنسان الشرير والسيئ، وبالعكس الجنة والنعيم للإنسان الصالح، وهو إشارة غير مباشرة أيضاً إلى جسر چينوت (بالفارسية: گذرگاه بهشت وجهنم).

«گاويان وكربهان» (رؤساء وأمراء عبدة أصنام) قد اتّحدوا يسعيان بأعمالهما السيئة والسوداء إلى أن يفسدا الحياة المعنوية للناس.

لكن عندما يصلان إلى «جسر ...سينوت» سينخجلان من نفسهما وضميريهما وسيران العذاب والشقاوة وسيجبران على أن يعيشا في خان الكذب (دار الكذب) للأبد.

(يسنا هات ٤٦ بند ١١)

وهنا يقول زرادشت: ضمير الإنسان يبيّن موقعه في عالم ما بعد الموت.

و من يحقق لي أنا «زرادشت» أفضل السرور والرحة، سيتمتع هذا الشخص بحياة خالدة وسيحصل في هذا العالم على طلباته وعلى الراحة القلبية وكذلك سيتمتع بعطاءات الدنيا. يا خالقي الأوحد والحكيم أنت الذي علمتني كل هذه الحقائق.

(يسنا هات ٤٦ بند ١٩)

يا أهورا مزدا: أنّ الذي له تفّكير سيئ أو حسن، عمله وكلامه وضميره كذلك سيصبح سيئاً أو حسناً، والطريق الذي يختاره بالتفكر بحريّة، سيتبعه الإيمان والإرادة وينسجم معه وعلى أساس حكمتك يا مزدا، سيكون مصيرهما منفصلاً ومتمايزاً بعضهما عن بعض.

(يسنا هات ٤٨ بند ٤)

وهنا يشير إلى أنّ ضمير الإنسان يتبع لفكر الإنسان وإشارة أخرى غير مباشرة إلى أنّ الفكر الحسن للإنسان يبني ضميره ومصير حياته، حيث يصير عيشه تابعاً لضميره.

يا أهورا مزدا أنت قرّرت للناس هذه القناعة بأن الصدق يعقبه الفلاح وهو نافع ولكن الكذب يدفع الناس إلى الارتباط

بالتفكير الطاهر وإن يقطع ارتباطهم بالكذب وأصحاب الكذب كاملاً.

(يسنأ هات ٤٩ بند ٣)

وهنا يشير إلى أنّ الرب أعطى الناس الاختيار الكامل لكي يفهموا ويعرفوا ويعتقدوا أن نتيجة أعمال الصدق والكذب تعود عليهم.

إن الجاهلين والفاسقين بكلامهم اللاذع، يريدون الغضب ويثيرون الحسد ويمنعون العمال الصالحين عن العمل، وإن الفاسقين لا يرغبون العمل الصالح وقد تقوا بالكذب حتى أصبحوا عفاريت وحيوانات بثياب الإنسان.

(يسنأ هات ٤٩ بند ٤)

وهنا يشير ويستنتج أن المسيئ هم أولئك الذين تزوّدوا بالغضب والحسد وفي النهاية فإن ضميرهم بالسيئات والفساد.

يا مزدا، إنّ الذي يحقق الارتباط بين ضميره والسلوك الطاهر وذلك بناءً على الإحساس الذاتي والجهد، هذا الشخص يتمتع من الحب والإيمان بالرب وعلى ضوء الصدق سيزيّن بزينة العقل وفي النهاية هذا الشخص بامتلاكه كل الأنوار المعنوية يا أهورا سيعيش في مملكتك الخالدة.

(يسنأ هات ٤٩ بند ٥)

وهنا زرادشت يتحدث كيف يصل الإنسان إلى الرب ويستنتج أن الإنسان الذي تكون أعماله صالحه وصائبة هو الذي يصل.

إنّ نفوس الملوك الظالمين والفاسقين والمجرمين والكذابين وأصحاب القلوب السوداء وكذلك أصحاب الكذب ستدخل الجهنم أو خان الدجل، لأن ضمائرهم النيرة ابتعدت عن الحق والنور وأصبحت مظلمة.

(يسنأ هات ٤٩ بند ١١)

دور سوشينز وأضحية الثور الأخيرة:

لا يدشن أهورا مزدا بنفسه ـ على كلّ حال ـ قيامة الجسد، بل يعهد بهذا الأمر مع لطف مميز إلى سوشينز، الابن الأخير لزرادشت، والمولود بعد وفاته، والذي يمثل الجنس البشري المحرر من الخطيئة، وسوف يحيي في أول الأمر عظام كيومرث الجدّ الأول للجنس البشري، والذي وقع أولاً ضحية لمكر المعتدي، مع أنه لم يكن مذنباً ثم يحيي عظام مشه ومشيانه، أي الأبوين الأولين للإنسان، واللذين كانا أول من تعلم اقتراف الذنب، ثم «يقوم سوشينز خلال مدة خمسة وسبعين عاماً بإحياء الموتى، ولسوف يبعث جميع الناس الذين أنقذوا والذين أدينوا على حدٍّ سواء وسينهض كلّ إنسان من المكان الذي كانت روحه الأساسية قد غادرته فيه، أو في المكان الذي سقط فيه لأول مرة إلى الأرض[1]».

يبدو أن سوشينز قد امتلك فقط المقدرة على إحياء العناصر المبعثرة، ولم يمتلك القوة على إعادة تشكيلها كأناس مستقلين، فهذا ينبغي على أهورمزد نفسه أن يقوم به، معيداً إلى كل إنسان شكله الخاص (أذونيك)[2]، وشخصيته المستقلة، وهكذا تم مرة ثانية إعادة ضم الجسد إلى النفس، ومع ذلك ينبغي على الكائن البشري المخلوق من جديد أن يتلقى ختم الخلود، ويُضفي هذا عليه ابتكاراً مهيباً لأضحية «هوما» التي كان قد تلقى من خلالها عربون الخلود على الأرض، مع أنه لم يتلق جوهره، فهذا هو «القربان لبعث الموتى... وسوف يجري في تلك الأضحية ذبح الثور «هذنيز» وسوف يتم إعداد الهوما البيضاء (أي شراب) الخلود من شحم الثور، وسوف يوزع على جميع الناس[3]»

(١) زاتسفرم، القسم ٣٤ بند ١ ـ ٧.

(٢) البندهشن، ص ٢٢٣ بند ٧ ـ ٤.

(٣) الرواية البهلوية، ص ٤٨ بند ٥٥.

ولسوف «تعاد الحياة إلى أجسادهم، سيملكون روحاً خالدة خالية من الشر والزوال، وحية إلى الأبد، ومتزايدة على الدوام (همى ـ سوت)[1]».

التطهير بالمعدن المصهور:

لكن قبل حدوث القربان الأخير، ينبغي إزالة الذنب كله من النفس البشرية إزالة نهائية، ولمدة ثلاثة أيام سوف يعاد الناجون إلى الجنة، وسيعاد المدانون إلى جهنم للمدة نفسها، استعداداً للمحنة الأخيرة:

«ثم يصهر إله النار والإله «ريمن» المعادن الموجودة في الجبال، والهضاب وسوف تتدفق على الأرض مثل الأنهار، وسيرغم الناس جميعاً على المرور خلال المعدن المصهور ليتطهروا بذلك، وسيبدو هذا المعدن المصهور بالنسبة للإنسان الذي أنقذ، وكأنه يمشي خلال معدن مصهور بالفعل[2]».

وسوف يصيح بعد هذا التطهير النهائي الذي أزيلت فيه وإلى الأبد جميع آثار الذنب، الذين كانوا في الجنة والذين كانوا في جهنم «بصوت واحد ومرتفع في تمجيدهم لأهور مزد، والفيوض السرمدية[3]». لأنهم أيضاً خالدون، وعلى وشك الدخول إلى حالة سعادة لا تنتهي أبداً.

الجسد النهائيّ وتجديد جميع الأشياء:

الفرشكوت أو «الوصول إلى درجة الفخامة» أو الإصلاح النهائيّ هو أيضاً «تني فسين» أو الجسد النهائي، وتحتاج هذه العبارة إلى التوضيح، فهي بالنادر استطاعت أن تعني أي شيء سوى الشكل الكامل

---

(١) البندهشن، ص ٢٢٦ بند ٥ ـ ٣.

(٢) البندهشن، ص ٢٢٥ بند١١ ـ ٦.

(٣) البندهشن، ٢٢٥ بند ١٦.

والنهائي الذي يأخذه الجسد الأول[1]»، الكون أو العالم الكلي، أي «جسد زروان، أو الزمن المحدود[2]» عند نهاية الزمن، عندما يندمج الزمن نفسه في اللامحدود، ولذلك ينظر إلى «الارتقاء التقدمي» للعالم المادي الذي يتاوج في الإصلاح النهائي، في مرحلته الأولى، بأنه تمييز تقدمي من مادة متكاملة، خلال النواحي الطبيعية الأربع، والعناصر الأربعة، إلى ظهور حياة عضوية متميزة، وظهور كائن عاقل هو الإنسان، وتكون المرحلة الثانية هي مضاعفة أفراد مستقلين وفي حياة عضوية بشكل عام، وأما المرحلة الثالثة، فهي توحيد الجنس البشري في انسجام تام، وفي قبول موقر لمشيئة الرب، وكان «الجسد الأول» واحد ـ بمعنى أنه لم يكن واعياً ومميزّاً على الإطلاق، «لكن الجسد النهائي» هو جسد بمعنى أنه مركّب متكامل تماماً للوحدات العقلية الفردية، يسهم فيها كل عنصر بدوره في إكمال المجموع بإنجازه لذاته وهذا هو «الخوار» المنجز، فقد أصبح كل إنسان وكل مجموعة وكل أمة، والجنس البشري بأكمله في النهاية ما كانوا في خطة الرب دوماً أي تهذيبهم الخاص، وقضيتهم النهائية، وجرى التأكيد على أهمية هذا التفسير لمعنى الإصلاح النهائي في كتاب دينكرت، كما أن هذا الكتاب هو الكتاب الوحيد بين الكتب البهلوية التي ترى أن هذا التضامن المنجز، والتآلف المركب من جديد للجنس البشري بأكمله، يتمّ تحت إشراف الرب، وإن هذه الوحدة التامة، تمت في تنوع، مثل جوهر حياة القيامة، ولا يوجد في البندهشن أي شيء هام حتى نقوله حول الموضوع، غير أن زاتسفرم أكد بالفعل أن جوهر حياة القيامة هو التآلف والوئام، حيث جرى تمثيل أهورمزد والفيوض السرمدية وهم يقولون:

---

(١) دينگرد مدن، ص ٣٥٠ بند ١.

(٢) ZZD., P., 333.

«إننا سبعة، لكننا واحد في التفكير والقول والعمل، بما أننا واحد في التفكير والقول والعمل، إننا لن نهزم، ولن نموت، ولن نعرف الفساد، ولا البلى، وعندما تصبحون أيها الناس واحداً في التفكير والقول والعمل، عندها لن تهرموا، وستكونون متحررين من المرض، ولا تعرفون لا الفساد ولا البلي، وتصبحون كما نحن ـ الفيوض السرمدية[1]».

زواج المادة والروح:

جاء على العموم ـ على كُل حال ـ وصف حياة القيامة مخيباً للآمال؛ فعلى الرغم من التحذيرات المتكررة بأن مناهج الحياة الخالدة تفوق مباهج هذه الحياة، بلا نهاية في أننا لا نستطيع أن نتمالك أنفسنا من الشعور أنه لم يكن لدى الزرادشتية الرؤية المتأخرة إنه أحاسيس حقيقية من أجل حياة روحية ستفوق الإدراك، صحيح أن الأرض رفعت إلى موقع النجوم، والجنة، وهبط منزل الأغنية من السماء ليقابلها هناك[2]، والهوة بين الروح والمادة مع أنها كانت ضيقة دوماً، يجري الآن سدها، وتكتسي المادة بالروح، وتكتسي الروح بالمادة، ويسكن الرب في الإنسان، وتسكن الفيوض السرمدية الأخرى في الحيوانات، والمعادن، والتراب، والماء والنباتات التي تشرف عليها كل على انفراد[3]، ويُغمر الخلق المادي، وينار بأكمله بالروح. أو يجتمع أهورمزد والفيوض السرمدية، وجميع الآلهة من جديد، في مكان واحد، مع البشرية المبعوثة، وتتخذ النجوم، والشمس، والقمر، أشكالاً بشرية، وتسير مع الناس، ويكون أهور مزد قد أنجز عمل الخلق، وبانتهاء عمل أهور مزد، يستطيع أن يرتاح الآن بسلام إلى الأبد، وسيكون عمل الإنسان الوحيد هو النظر إلى أهور

---

(١) زاتسفرم، ص ٣٥ بند ١ و٢.

(٢) الرواية البهلوية، ص ٤٨ ـ ٩٨.

(٣) زاتسفرم، ص ٣٥ و٣٩.

مزد وتقديم الصلاة له، والقيام بأي عمل آخر، قد يبدو مرضياً له كثيراً، وسوف يحب كل لإنسان نظيره[1] كما يحب نفسه[2] ومرة ثانية، الكلمات ـ على كل حال غير كافية للتعبير عن الحقيقة لأن «مباهج الجسد النهائي ـ بصرف النظر عما تم وصفه أعلاه ـ هي من سعة الحجم بمكان أنه لا يمكن معرفتها بالعقل، والتفكير المحدودين للإنسان، ولا يمكن استيعابها»[3]. وتتفق المصادر ـ على كُل حال ـ أنه سوف يعاد إلى كل رجل زوجته، أو زوجاته، وسوف يستمتع بهنّ[4]، مع أنه لن يلد لهم أولاد، لكن كيف يمكن مقارنة الجماع بين الرجل والمرأة، مع ما يحدث في حياة القيامة؟ لأنه من الواضح تماماً أن جسد القيامة مختلف تماماً عن جسد الحياة الدنيا هذه، حيث يثقل الظلام كاهله[5]، فعظام «أجساد حياة القيامة سوف تضيء مثل الزجاج الصافي (الكرستال) وسط الجواهر، وسوف يكون اللحم المغطى لعظامهم مثل لحاء الشجر، وستكون أعصاب عظامهم مثل سلاسل ذهبية، وستكون الخلائط في أجسادهم أطيب رائحة من المسك، والعنبر، والكافور[6] وتجنب منوجهر مذهب العقيدة المادية الفج، وألح فقط على أن الخلق المبعوث لن يكون في حالة اطمئنان فقط، بل سيكون مغموراً أيضاً بنور، وبحب متبادل متمحور في الربّ.

«لن تكون هنالك أي شياطين بعد الإصلاح النهائي، لأنّه لن يكون هنالك أي خداع، ولن تكون هنالك أية أكاذيب، لأنه لن يكون هنالك كذب، ولن يكون هنالك أهرمان، لأنه لن تكون هنالك أي نوايا عدوانية،

---

(١) البندهشن، ص ٢٢٥ بند ٢٨ ـ ٢٩.
(٢) زاتسفرم، ص ٣٥ ـ ٥٢.
(٣) الرواية البهلوية، ص ٤٨ بند ١٠٢.
(٤) البندهشن الهندية، ص ٤٨ ـ ٩٤ بند ٦ و٧.
(٥) ارواية البهلوية ن ص ٤٨ بند ١٠٢.
(٦) دينكرد مدن، ص ٣٦ بند ١٠١ ـ ١٠٢.

ولن تكون هنالك جهنم، لأنه لن توجد أية حالة إدانة، ولن يكون هنالك أي نزاع، لأنه لن يوجد أي حقد، ولن يكون هناك أي انتقام، لأنّ لن يوجد أي أذى، ولن يوجد أي ألم، لأنه لن يكون هنالك مرض، ولن يكون هنالك عويل، لأنه لن يوجد أي خوف، ولن تكون هناك أية حاجة لوجود أية رغبة جامحة (آز)، ولن يكون هنالك أي خزي، لأنه لن يوجد أي قبح، ولن يكون هنالك أي خداع، لأنه لن يوجد أية رغبة للخداع، ولن يكون هنالك كفر، لأنه لا توجد أية عقيدة زائفة، ولن يكون هنالك أي شر، لأنه مصدره سيكون قد أبيد، وفق المبدأ القائل: «إن مصدر جميع الآراء الشريرة، والأقوال الرديئة، والأفعال الذميمة، وجميع حالات الشر تنشأ عن الروح المخربة، وسوف يباد الشر كله، حالما يتم القضاء على الروح الشريرة، وتكتمل جميع الأشياء الحميدة بإبادة الشر، والألم والبؤس، بأي وسيلة مهما كان نوعها ضد أي مخلوق[1]».

ولقد رمز بالنور إلى الخير، ورمز بالظلام إلى الشر، وهكذا إن إبادة الشر والسيادة المتفردة للخير يمكن أن تعنى فقط أن العالم المادي قد جرى تحويله إلى نور خالص: «سوف تكون النجوم، والقمر والشمس موجودة بالفعل، لكن لن تكون هنالك أية حاجة إلى ضوء نهار، أو إلى تعاقب أوقات فجر مضيئة، لأن العالم كله سوف يكون مضيئاً، وسيكون خالياً من أي ظلام، سيكون كل مخلوق [فرد] ضياء، وبما أن المخلوقات ستكون ضياء، فإنها سوف تمتلئ بالبهجة، وسيكون لجميع المخلوقات إرادة واحدة ورغبة واحدة فقط، ولن يشعر أفراد الناس بأي حسد تجاه بهجة مجموع الكائنات المخلوقة (وسفان دامان)، بل سوف ينعمون بها مع بعضهم بعضاً، وسيكبر الخير[2]، وتزداد البهجة المخصصة لكل فرد، في مجد قدرته الكلية، الذي هو كله خير،

(١) دينكرد مدن، ص ٣٦ بند ١٠٢ ـ ١٠١.
(٢) المصدر النفسه: ص ٣٨ بند ١٠٤.

والمدرك لكل الشيء، وله الأمر كلّه والعطاء من خلال كرمه الفائض، والبراعة الكاملة في الوسائل»[1].

يُعدّ وصف منوجهر من بين جميع الروايات عن حياة القيامة بأنه وصف زرادشتي، بشكل أساسي كثيراً، فقهر الشر معناه قهر الموت، والموت هو نقصان وانفصال وتعني إزالة الشر، والسيادة الوحيدة للخير، والحياة الأبدية، والنمو والتآلف والاتحاد لجميع الإرادات المنفصلة مع إرادة الربّ، حيث يبقى كل فرد بذاته وتكتسي كل نفس بالمجد العائد لها بشكل خاص، ويقدم مساهمته الفردية الخاصة الكاملة إلى مجموع، وهي مساهمة لا يمكن لأحد أن يقوم بها إلّا اللّه، والتي سيكون المجموع غير كامل بدونها، فالروح والمادة تندمجان بالفعل، غير أن الاندماج لا يستدعي أي تشويش للذات:

«الروح شيء والمادة شيء آخر: المادة شيء واحد، والروح شيء آخر ولكن بفضل القدرة الكليّة للربّ، فإن جميع النفوس، والنفوس الخارجية، رغبت واختارت مجد الخالق (خوار) وأمره، وهي تفعل هذا بشكل عفوي، وهي ممتلئة بالبهجة، ومثلما تلهو البحار، والأنهار، والمياه الأخرى، والجبال، والنباتات، التي تختلف في الشكل والمظهر، في تألق خاص بها[2]، كذلك تلهو النفوس، والنفوس الخارجية، وتبتهج بالاتحاد مع أجسادها التي تكتشفها من خلال الإحساس مع أنها نفوس مخلوقة، وتنشغل في العبادة إلى الأبد تعيش في وفرة من النعيم[3]».

وهذه هي الحياة غير المحدودة التى يندمج فيها زمن محدود في زمن غير محدود، ويصبح الرب نفسه هو الكل في الكل في النهاية، وبما أن الرب مقيد منذ البداية بمصدر ظلام حمل ضمنة بذرة الموت، فإنه يدخل

---

(١) دينكرد مدن (٧)، الفصل ١ بند ١٠٥ ـ ١٠٦.
(٢) دينگرد مدن، فصل ٣٨ بند ١٠٩ ـ ١٠٧.
(٣) دينگرد مدن، فصل ٣٤ بند ١١٠ ـ ١١١.

لأن إلى كماله، وإلى لا محدوديته الخاصة، ويأتي خلقه، وهو متحرر من الشر والموت، وهو متحد مع إرادته، المشاركة في صلاحه التام، وفي نعيمه المطلق، ويشترك كل إنسان به حسب مقدرته، ويجب رؤية القيامة على أنها بهجة متزايدة دوماً، لا يمكن أن يكون لها أية نهاية، لأن طبيعة الرب هي سخاء وفير، ومنح الرب، يتجاوز الطبيعة الخاصة خلقه غنى بالحياة وبهجة روحية ومادية، وهذا ينبغي أن يستمر بالازدياد دوماً، مع أن الزمن قد توقف منذ وقت طويل.

جسر جينوت (پل صراط):

الصراط إنما مد فوق هاوية الجحيم فإنما هو أيضاً مد تؤدي نهايته إلى جنة المأوى الـ فردوس! وعلى كل إنسان، حتماً، ورود (الصراط) والمرور فوق هاوية الجحيم وهو أمر، كان على العدالة الإلهية حتماً مقضياً...

يا خالقي الحكيم، إن كلّ من رجل وامرأة في هذا العالم يعمل ما قرّرت أفضل الأعمال هذا الشخص سيتمتع بجزاء «آشا وخشترا» الذي هو القدرة المعنوية والخدمة للناس اللتان تحصلان على ضوء التفكير الصالح. إلهي سأعلمهم بأن يعبدوك وسأرشدهم عند مرورهم على جسر «جينوت» (جسر جينوت أو صراط هو جسر الحكم بين الصالح والطالح).

(يسنا هات ٤٦ بند ١٠)

«كاويان وكربان» (رؤساء وقادة عبدة الأصنام) قد اتّحدوا ويسعيان بعملهما السيئ والأسود أن يفسدا الحياة المعنوية للناس، ولكن عندما يصلان إلى «جسر جينوت» سيخجلان من نفسيهما وضميريهما وسيريان العذاب والشقاوة وسيجبران على أن يعيشا في خان الخجل للأبد.

(يسنا هات ٤٦ بند ١١)

إن أصحاب الكذب يشوشون تفكير السالكين على الطريق المستقيم ويضعفون إيمانهم. ولكنّ في يوم الآخرة وعلى «جسر جينوت» ستؤنّبهم أرواحهم علناً بما فعلوا من الأعمال والكلام السيئ وخروجهم عن طريق الصدق.

(يسنا هات ٥١ بند ١٣)

نتيجة:

يرتبط معتقد نهاية التاريخ ارتباطاً وثيقاً بمعتقد البعث والحساب والحياة الثانية فبعد أن دخل الموت في نسيج الحياة خلال فترة التمازج بين الخير والشر صار الموت من نصيب كلّ كائن حيّ وبوابة عبور من حالة الجيتنغ المادية إلى حالة المينوغ الروحانية الهلامية القاصرة فالأرواح بعد مغادرة الأجسام عقب الموت تبقى في برزخ المينوغ تنتظر يوم القيامة بشوق وترقّب لكي تلتقي بأجسادها التي تبعث من التراب. يحدثنا زرادشت في أناشيد الغاثا عن مصير الروح بعد الموت وأحوالها إلى زمن البعث والنشور. فبعد مفارقتها الجسم تمثل الروح أمام ميترا قاضي العالم الآخر (وهو رئيس فريق الأهورا الذين يشكلون مع الأمشاسبنتا الرهط السماوي المقدس) الذي يحاسبها على ما قدمت في الحياة الدنيا من أجل خير البشرية وخير العالم. ويقف على يمين ميترا وعلى يساره مساعداه سرواشا وراشنو اللذان يقومان بوزن أعمال الميت بميزان الحساب، فيضعان حسناته في إحدى الكفتين وسيئاته في الأخرى. وهنا لا تشفع للمرء قرابينه وطقوسه وعباداته الشكلانية، بل أفكاره وأقواله وأفعاله الطيبة. فمن رجحت كفة خيره كان مآله الفردوس، ومن رجحت كفة شره كان مثواه هاوية الجحيم، بعد ذلك تتجه الروح لتعبر صراط المصير، وهو عبارة عن جسر يتسع أمام الروح الطيبة، فتسير الهوينا فوقه إلى الجهة الأخرى نحو بوابة الفردوس، ولكنه يضيق أمام الروح الخبيثة، فتتعثر وتسقط لتتلقّها نار جهنم. هناك آنغرامينيو نفسه يسوم المذنبين سوء العذاب. أما من تساوت سيئاته وحسناته

فيعبر الصراط إلى مكان وسط بين النعيم والجحيم، حيث يستمر في وجود باهت كظل شبحي بلا إحساس.

هذا وتقدّم شروح اللاهوتيين الزرادشتيين مزيداً من التفاصيل حول هذه القيامة الفردية. فبعد أن يواري الميت في مثواه الأخير تمكث روحه عند رأسه ثلاث ليال تتأمل في حسناتها وسيئاتها. وخلال ذلك يزورها ملائكة الرحمة إن كانت من الصالحين، أو شياطين العذاب إن كانت من الكافرين، فيسومونها سوء العذاب. وفي اليوم الرابع تساق الروح إلى جلسة الحساب؛ وبعد اجتياز امتحان الميزان الذي يقرر مكانها تتجه إلى الصراط، وهو عبارة عن جسر يشبه السيف: فإذا كان العابر روحاً خبيثة فإن السيف يستدير بطرفه الحاد نحو الأعلى، فتخطو الروح عليه ثلاث خطوات، هي الفكر السيئ والقول السيئ والعمل السيئ، وعندما تحاول الخطوة الرابعة تنزلق إلى مهاوي جهنم؛ أما إذا كان العابر روحاً طيبة فإن السيف يستدير بطرفه العريض لتعبره الروح إلى الطرف الآخر بسلام. وفي رواية أخرى نجد أن الصالح، بعد خطوته الأولى على صراط، تهب عليه ريح عطرة آتية من الجنة، وعند منتصف الصراط تظهر له فتاة في ريعان الصبا لم تقع العين فى الحياة الدنيا على أجمل منها، فيسألها: «من أنت؟» فتقول: «أنا عملك الطيب» ثم تأخذ بيده إلى الجنة. وأما الإنسان الطالح، فبعد خطوته الأولى على الصراط تهب عليه ريح نتنة من أعماق الجحيم، وعند منتصف الصراط تظهر له عجوز شمطاء نتنة لم تقع العين على أقبح منها، فيسألها: «من أنت؟» فتقول: «أنا عملك السيئ» ثم تقبل عليه وتعانقه، فيهويان معاً إلى الجحيم.



الفصل الرابع

المخلّص الموعود في الزرادشتية

تمهيد

الذين ربطوا فكرة المخلّص بالفكر الوضعي في بعده النفسي يرون أن عقيدة ظهور المخلّص الموعود لا تختصّ بدين معين فحسب، فإنّه أهل كلّ ملةٍ ودينٍ في العالم بشكلٍ أو بآخر يعتقدون بهذا الأمر، بل هي على مستوى الشعوب وذلك أن العامل المشترك بين هذه الفئات هو عامل نفسي واحد، وهو الشعور بوضعية غير عادلة من حكم قائم بالفعل، ومخزون متراكم من حكام سابقين عاشوا مع شعوبهم على شكل قاهر ومقهور، ومتسلط ومسحوق، ورزحوا تحت نير الظلم والطغيان. ولذا كانت هذه العقيدة عند الشعوب الشرقية ونظائرها ممن يشترك مع الشعوب الشرقية بأنه مسحوق، وحيث إن بعض هذه الشعوب عنده عقيدة دينية تبشر بالمخلّص الموعود أيضاً، فإن هذه العقيدة مهمتها تدعيم هذا العامل النفسي، وخلق لون من المشروعية لهذه النزعة في نفوس الناس، وهذا هو المعني الذي عبر عنه برتراند رسل بقوله:

ليس السبب في تصديق كثير من المعتقدات الدينية الاستناد إلى دليل قائم على صحة واقع كما الحال في العلم، ولكنه الشعور بالراحة المستمدة من التصديق، فإذا كان الإيمان بقضية معينة يحقق رغباتي فأنا أتمنى أن تكون

هذه القضية صحيحة وبالتالي أعتقد بصحتها[١].

إنّ عقيدة انتظار مخلّص أو منقذ أو مصلح عالمي ينشر العدل والرخاء في ظهوره، وتتطهّر الأرض من الظلم والقهر، هي من العقائد البارزة التي تؤمن بها الديانات والشرائع الوضعية (سواء أكانت سماوية أم فكراً انسانياً وضعياً حيث كان للظواهر الطبيعية والظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية دوراً في ظهور عقيدة الانتظار، وقد اختلفت شخصية هذا المنقذ عند العقائد الوضعية، فلاحظنا مثلاً أنه النيل عند المصريين القدامي والديانة أخرى تمثلت شخصيته بالإله تموز عند العراقيين القدامى، وأخرى تمثلت في شخصية (كرشنا) عند الديانة اليوذية وسوشيانت عند الديانة الزرادشتية وأخرى تظهر لنا بطبقة البرولتاريا عند المفكرين الماركسيّين[٢].

وبتأثير الأفكار الزرادشتية التي شاعت في المنطقة المشرقية عقب استيلاء قورش على بابل في العام ٥٣٩ ق م ووراثة فارس للإمبراطورية البابلية، قامت الإيديولوجيا التوراتية بالمزاوجة بين فكرة المسيح القادم وفكرة المخلّص الزرادشتي. فوفق التعاليم الأصلية الزرادشتية، يظهر في آخر الأزمنة مخلّص البشرية الذي يقود المعركة الفاصلة الأخيرة ضد الشيطان ويقضي عليه. عند ذاك يقوم الله بتدمير العالم القديم الملّوث بعناصر الشر، ثم يعمل على تجديده، ليغدو فردوساً خالصاً يعيش فيه[٣] الأخيار الصالحون في زمن مفتوح على الأبدية. وفيما بعد أدخلت التطويرات اللاهوتية اللاحقة تنويعات جديدة على فكرة المخلّص الزرادشتي. فهذا المخلّص المدعو ساوشيانت سوف يأتي من نسل زرادشت نفسه، عندما تحمل به عذراءُ تنزل للاستحمام في بحيرة كاناسافا، حيث تتسرّب إلى رحمها بذور زرادشت التي حفظها الملائكة في البحيرة إلى اليوم الموعود.

---

(١) (نظرية الإمامة ص٤٢٠).

(٢) http//fcdrs.com / magazem,. P 2.

(٣) http//merbad. net /vb/showthread. Php,. 2.

الموعود المخلّص
في الديانة الزرادشتية

وردت أفكار كثيرة حول آخر الزمان وظهور الموعود في كتب وآثار زرادشتية وطرحت الديانة الزرادشتية موعودين يطلق على كل منهم اسم «سوشيانتؤ وكان هؤلاء الموعودون ثلاثة، أكثرهم أهمّية الموعود الثالث وقد كانوا يلقبونه «بـ. . سوشيانت المنتصر».

وحينئذ لا يبقى للعالم في الوجود غير ثلاثة آلاف سنة، ففي نهاية كل ألف يظهر مخلّص «سوشيانس» يولد بطبيعة الحال من بذور زرادشت المخبأة في إحدى البحيرات، وفي اللحظة التي يولد فيها آخر المخلصين الثلاثة، المخلّص الحقيقي، تبدأ المعركة الأخيرة، فيبعث الإبطال والتنانين الشيطانية التي ذكرها التاريخ الخرافي لكي يتقاتلوا، وأخيراً يبعث الموتى جميعاً ويقع النجم المذنب جوتجهر على الأرض فتشتغل وتذيب جميع المعادن فتنتشر على الأرض كأنها سيل ملتهب، وعلى الناس جميعاً، الأحياء والأموات المبعوثين، أن يعبروا هذا السيل، الذي يكون أتقياء كاللبن الساخن فيطهّرهم المرور به، ويمضون منه إلى الجنة وبعد المعركة الأخيرة بين الآلهة والشياطين، تلك المعركة التي تنتهي بهزيمة هؤلاء وهلاكهم يسقط الشر إلى الأبد في سكون لا يعكر صفوه[1].

هذا ما يسمونه «فرشكرت» في الأفستاه فرشوكرتي، أي التصفية والتجديد وقد استطاع نيبرج في بعض الأبحاث التي في المجلة الآسيوية[2]، أن يلخّص وينظم في دقّة نظر فائقة المطالب والإشارات المتفرقة التي تبحث عن تكوين العالم في الفصول الأولى من البندهشن فهو

---

(١) بالفارسية: إبراهيم بورداود، سوشيانس موعود مزد يسنا، ص ١، ٢، ٣.

(٢) مجلة الآسيوية: ألابحاث ١٩٢٩، ص ١٩٣ ـ ١٩٣١، ص ١ وما بعدها.

يثبت أنه قد أدخل على الفصل الأول من كتاب البندهشن المعروف بـ بندهشن إيراني عبارات مفصلة بعقائد زروانية[1].

وفي الديانة الزرادشتية فإن السعادة الموعودة واتحاد العالم بكل وحاكميته وانتشار قوانينه وليس قوانين الوضعة، بل القوانين التي يحملها ويطبقها رجلٌ إلهي لإظهار العدالة ورفع الظلم و... كل هذا الآمال تشترك فيها الأديان ويمكننا ملاحظة هذا الرجل الإلهية لدى الزرادشتيين في ظهور سوشيانت أو المنجي الموعود.

الممهّدون:

يقارن ظهور هوشيدر ببداية الألفية الخامسة، فقبل فترة قليلة من هذه الثورة، قام منقذان آخران لكلّ منهما دوره ورسالته الخاصّة. ويفهم من النصوص الموجودة أنّ هذين الشخصين مهّدا لمجيء هوشيدر، وسحقا التدهور والاضطرابات التي سلبت هدوء مزديسنان. لذلك لن تكتمل دراسة الموعود في دين زرادشت من دون الكلام عن هذين الشخصين.

١ بهرام ورجاوند

لدينا إشارات كافية نسبياً تتعلّق بولادة بهرام ورجاوند وتربيته وثورته، في النصوص والروايات الزرادشتية. فإنّ الأخبار الواردة في بندهش، زند بهمن يسن، زرادشت نامه، تعرّفه مبارزاً مناضلاً في سبيل الوصول إلى الحقيقة، إذ قام بعدة حروب أدّت إلى إخلاء أرض إيران من الظالمين، وإعادة الهدوء إلى هذا البلد. ولا سيّما أنه اهتمّ وهو يهتمّ كثيراً بسحق الاضطرابات الداخلية. وتشير رسالة «اندر آمدن بهرام ورجاوند» الشاعرية إلى شوق مزديسنان وأمله بثورته.

وتُعتبر ثورة بهرام بشارة بنهاية الليل المظلم للدين وطلوع صبح أمل

---

(١) البندهشن الإيراني، ٢٤٤ ـ ٢٢٩.

جديد على المتدينين الصادقين والباقين على عهودهم، الّذين تحمّلوا لؤم الملحدين لمدّة سنين. إنّه سيأتي كي ينظّم أمور دين زرادشت ويقتلع الطمع والغضب والحقد والكفر، ويضعف الشيطان والعفاريت الأشرار ويذلّهم. ستبتسم الحياة من جديد على وجه الأخيار بمجيئه:

.... في ذلك الوقت سيأتي أحدهم من كابلستان، من عائلة بغان (كيانيان) يسمّى گي بهرام، وسيتبعه الجميع، وهو سيحكم على الهند وروما وتركستان وغيرها، وسيقضي على الأشرار ويرتّب أمور دين الزرادشت ولن يجرؤ أحد أن يظهر انتماء إلى اعتقاد آخر[1].

تعرّفه مجموعة آثار إلى الفارسية الوسطى أميراً متديناً وُلد في گابلستان فى اليوم السادس من شهر فروردين.

«وُلد بهرام ورجاوند بين الهنود في يوم خرداد من شهر فروردين»[2].

حُرم بهرام الذي سمّي بشابور ولُقّب باماوند، منذ طفولته من والده وتربّي على يد خادمات أبيه، حتّى جاء يوم ولمع نجم حظّ الإيرانيين واقترب خلاصهم من ظلم المهاجمين. قتل بهرام عددًا كثيراً من العرب والمهاجمين في ثلاث حروب، وأسقط الملحدين بقوّة إلهيّة ومهّد لاستقرار اعتقاد مزدا ونصره.

٢ پشوتن

پشوتن أو چهره ميان ابن گشتاسب وأحد «بيمرگان» ومنقذ آخر ظهر من گنگدژ لترويج دين مزديسني وتعزيزه.

تُعتبر ثورة پشوتن آخر ثورة للأخيار حصلت قبل ألفية هوشيدر بقليل وكان يهدف منها إلى إعادة تكوين وإقامة الاحتفالات الدينية وبشط تعليماته

(بندهش ص ١٨٧)

---

(١) بندهش ص ١٨١.

(٢) بالفارسيّة: بهار، مهرداد، بندهش، درس ٣٥ ص ١٨ وم ابعدها.

بناء على روايات زرادشتية، حصلت ثورة پشوتن في اليوم السادس من شهر فروردين.

(زندبهمن يسن ف ٧ بند ١٩ تا ٣١)

عندما تعرّض كاردين للاضطراب دعا هرمز الحكيم امشاسبندان من «...گاددائيتي» لمساعدة پشوتن. جاء مهر، سروش، رشن، بهرام، اشتاد، وفره دين مزديسنان متعاونين مع بعضهم لمساعدته. خرج پشوتن مع مائة وخمسين من تلامذته المختارين والرجال المتقين من گنگدژ، لابسين ثياباً من جلد السمّور الأسود وقاموا بعبادة دينية ودمّروا مكان العفاريت بمساعدة آذر فرنبغ، گشنسب وبرزين مهر، ووضعوا نار بهرام في مكانه وأقاموا الدين الصحيح وطردوا العفاريت إلى أعمق الجحيم وأبادوهم.

(جاماسب نامه فارسي ص ٨٩ ـ ٨٨)

الإصلاح النهائي

لقد نُظر إلى الدراما الكونية، على أنها تحدث في ثلاث مراحل، هي: الخلق، وتقدم الدين، والإصلاح النهائي، وتعدّ المرحلة الأخيرة ـ الفرشكرت، أو الوصول إلى درجة الفخامة ـ هي الهدف الذي يتطلع إليه الخلق بأسره، وتعدّ مرحلة التحقيق المحتوم لعملية منطقية بدأها الربّ، ولا يفترض أبداً ولا للحظة واحدة أن يكون هناك أدنى شك في أنها سوف تتحقق، والعبارة المستخدمة لهذه العملية هي «فتوندشني أو فرشكرت، التي من الممكن ترجمتها بمثابة «التقدم المستمر نحو الإصلاح»، وتختلف الزرادشتية عن معظم الديانات الأخرى في أنها رأت الحقيقة على أنها تنافر روحي، فالخير والشر يقفان في مواجهة أحدهما الآخر، ويكونان متعارضين بشكل لا يمكن رأبه في خلود سرمدي، ويسرّع أهورمزد النتيجة بتحديد الزمن، وباستدراج أهرمان إلى المعركة، ويكون هدفه أن يدمر بهذه الوسائل قوة الشر إلى الأبد، فهو يعرف أن أهرمان لا يمكنه الفوز مهما

حدث، لأنه لا يمثل سوى قوة مجردة، وهو غير قادر على التخطيط لأي شيء سلفاً، ولا حتى الاعتناء بمصالحه الخاصة، علاوة على ذلك، إن شياطينه المرافقة له غير قادرة على القيام بعمل محكم، لأنها في طبيعتها مشكلة من الفوضي، وذلك باستثناء أنها قادرة على التوحد فقط في حلف غير طبيعي ضد عدوهم الرئيسي الإنسان، وأخيراً هو يعتمد بشكل أساسي على حماقة أهرمان، أكثر من اعتماده على قوته الخاصة لنيل النصر النهائي.

وكان «الفرشگرت» ـ على كل حال ـ كامناً في الخلق منذ البداية، ويذكر أنّ الموت الجسدي لكيومرث جعل من الممكن بالنسبة للجنس البشري أن يتزايد ويتكاثر، فقد ولد من بذرته أول زوجين بشريين، وبدأ الجنس البشري منذ ذلك الحين يتزايد بغزارة متعاظمة دوماً، ولقد فقد الإنسان خلوده كفرد، لكنه حقق خلوداً جديداً في المواظبة والتكاثر المستمر للجنس[1]، وكذلك الأمر بالنسبة إلى النفس:

لقد كان الانتصار الأعظم لأهرمان، هو خداع النفس، وإحداث لعنها في جهنم بذلك، ومع ذلك، حتى هذا الانتصار لم يكن سوى انتصاراً قصيراً الأجل أيضاً، لأن الموت لم يقتصر على أنها الأفاعيل الشريرة لفاعل الشر، بل فتح عينيه في جهنم على الحقيقة البشعة في أنه سمح لنفسه بأن تكون حمقاء، ومهد هذا بدوره الطريق إلى توبته، وما من شيء استطاع أن يقوم به أهرمان، أن يثبت في خاتمة المطاف أنه لمنفعة، لأنه كان أسوأ من وغد، إنه كان أبلهاً.

وسعى أهرمان إلى القضاء على ـ أهورامزدا بخمسة طرق، فقد حاول أولاً، بما أن طبيعته باردة وجافة، أن يقضي على الحار والرطب اللذين يشكلان مع بعضهما الجوهر المادي لأهورامزدا وكان قد أمل في الوقت نفسه، وبالوسائل ذاتها أن يقضي على جميع المخلوقات الحية، لكن أهورمزد واجه هذا بجمع الحار والجاف، وبتوحيد الرطب مع البارد،

(١) Ibid., 36. 68-9.

مشكلاً بذلك العناصر الأربعة التي كان سيشكل منها العالم المادي بأسره، وبصورة مماثلة خدم خلق الشياطين وهجومهم على الجنس البشري فقط في تعليم الناس على أن يساعدوا بعضهم بعضاً وحثهم على ايجاد سبل ووسائل لقهر عدوهم المشترك، ومجدداً أمل أهرمان في أن يقهر خلق أهورمزد بهجوم واحد مكثف، لكنه أخفق في فعل ذلك، وفرق قواته، أو بالأخرى اضطر لأن يتصرف هكذا، لأن زعيمة وقائدة الحشد الشيطاني كله آز الرغبة الجامعة ـ تمردت على هذه الخطة المتكاملة، والمخالفة لطبيعتها تماماً، وأعادت إدخال تلك «الحركة الفوضوية» التي تعدّ جوهرها الأساسي، إلى معسكر الشيطان، وهاجم هذا الاضطراب، الذي أعدّ لإلقاء جيوش أهورمزد في الفوضي، هاجم خلق أهرمان نفسه وأباده[١]، وجرى إنقاذ أهرمان الآن ـ بعد ما بات وحيداً ومخذولاً ـ من هذا الخزي النهائي، من تعرضه للإبادة من قبل الذين خلقهم، بتدخل عدوه الأبدي أهورامزدا.

بـداية النهـاية

في الثلاثة آلاف عام الأخيرة للعالم الكوني، سوف يترأس أولاد زرادشت الثلاثة: هوشيدر، هوشيدر ماه وسوشيانت، الذين ولدوا جميعاً بعد وفاته من بذرته، التي حفظت بأعجوبة في إحدى البحيرات[٢]، فلكل واحد منهم دوره الذي سيشغله في الدراما المتعلقة بالإيمان بالأخرويات، وتشتمل حقبة سوشيانت على إبادة أهرمان في النهاية، وعلى بعث الموتي، وتجديد الخلق بأسره، وجعله خالداً.

وتعدّ ألفية هوشيدر، وهوشيدر ماه المقدمة للإصلاح، ويتم تجديد ديانة زرادشت ثانية مع بداية كل واحد منهما، ويتمّ القضاء في هاتين الألفيتين على الحيوانات المؤذية التي خلقها أهرمان، يعني الذئب، وقبائل

---

(١) GB. 220.

(٢) Ibid,. 103. 1-6 (Indian Bundahishn).

السنانير من ناحية أولى والزواحف والحشرات السامة من الناحية الثانية.

ويفوز الأحياء بالخلود في ألفية سوشيانت، وتبعث فيه جثث الموتى، فلقد كان الإنسان ذاتي الاكتفاء حسبما تم تركيبه بالأصل، ولم تكن لديه أية حاجة للطعام.

وعلى هذا عندما شرب أبوا الإنسان الأولان: مشه ومشيانه حليب الماعز للمرة الأولى، أنهيا صيامها بذلك، وشعرا بغموض لأنهما قد ارتكبا خطأ، ونقرأ «أنهما صادفا في البرية بعد ثلاثين يوماً رأس ماعز ذات شعر أبيض، فرضعا الحليب من ضرعها، وقال مشه لمشينه عندما شربا الحليب: كنت أشعر ببهجة كبيرة قبل أن أشرب الحليب، أكثر مما أشعر به بعدما شربته، إن جسمي مريض[١]».

وسبب شعورها بالمرض أثناء الراحة، كان بسبب أنهما وضعا نفسيهما عرضة لشهوة آز الجنسية، نتيجة لتناولهما الطعام والشراب: ولم تعد أجسادهما ذاتية الاكتفاء بل أصبحت تعتمد على التغذية من مصدر خارجي، وأدى هذا بدوره في النهاية إلى ضعفهما وموتهما، عندما التهمتهما آز، لأن آز ليست شيطانه الشره والشهوة فقط، بل هي أيضاً شيطان الموت الذي لا يشبع أبداً[٢]، إنها الشيطان الذي يبتلع كل شيء، وعندما أثناء الحاجة لا تجد شيئاً أمامها تتلاشي، إنها ذلك الكذب مع أن جميع الأشياء الصالحة قد أعطيت إليها، لن تكون راضية ولا مكتفية أبداً[٣]، وحسبما ذكره زاتسفرم قد قسمت قواها إلى ثلاثة أقسام: أولها «القسم المتخصص بالأعمال الطبيعية الموجهة نحو الخارج» وثانيهما «المتعلّق بما هو خارج الوظائف الطبيعية الموجهة إلى العالم المادي» وثالثهما «القسم المتخصص بالأعمال الطبيعية المشمولة بتناول الطعام الذي

---

(١) DKM. 836.1.

(٢) GB. 185. 13-186.1.

(٣) Zs. 34. 39.

تعتمد الحياة عليه: وأما ذلك الجزء المتعلق بالوظائف الطبيعية الموجهة إلى العالم المادي، فهو الرغبة للاتحاد بوساطة الاتصال الجنسي الذي يسمى الشبق، والذي يتم بوساطته إثارة الأحشاء بنظرة خارجية، والتي تدفع بوساطتها وظائف الجسد في اهتياج عظيم، وأما الجزء المختص بخارج المهام الطبيعية فهو اللهف إلى تحقيق ملكية أي شيء صالح يراه المرء أو يسمع به[1].

ويبدو أنّ مفهوم زاتسفرم عن «آز»، قد تأثرت كثيراً بالديانة المانوية، لأن «آز» لم تكن بالنسبة له ـ إلى حدٍّ كبير ـ إساءة استعمال وظائف جسدية شرعية، أي الأكل والشرب، والاتصال الجنسي، كتلك الأعمال نفسها، ومن ناحية أخرى، يبدو أيضاً أن اعتماد الإنسان على الطعام يجعله بطريقة ما عبداً لـ «آز» حسب رأي البندهشن، كما أن تخليه التصاعدي عن كافة أنواع الطعام والشراب، هو في كل من الكتابين مقدمة أساسية للخلود الجسدي، ولم يقدم منوجهر، ولا «رواية فرشكرت» أي ذكر لهذا التطهير لجسد الإنسان، الذي يبدو على أية حال مخالف للاعتقاد الموثوق القائل إن النفس تأكل الطعام «الروحي» في الجنة، ولعل هذا ـ التناقض ـ على كل حال ـ ليس أكثر من تناقض ظاهر بالنسبة للغاية الكلية للإصلاح، وهو أن الروح والمادة تتحدان في النهاية: «سوف تكتسي الطبيعة بالروح[2]»، وحسب تعبير زاتسفرم، ويجب كما أوضح أخوه منوجهلر بوفرة، ـ عدم فهم أعمال الوصف التقليدية للجنة، وللحياة المجددة للإصلاح، التي يبرز فيها الطعام والاتصال الجنسي بشكل واضح، وبشكل حرفي، ويمكن عدها على أنها فقط مجرد محاولة ضعيفة للتعبير عن حقائق غير محددة بوساطة اصطلاحات محددة فنحن لا نعرف تماماً ماذا تشبه حقاً حياة القيامة، والجسد الروحي الذي ينعم بها، ومن ناحية ثانية، إن قهر «آز» هو الخطوة الحاسمة في هزيمة الشر عموماً، ويجب أن يكون كذلك فهي بحرمانها فقط

---

(١) Ibid,. 34. 39.

(٢) Ibid., 34. 39.

من وجبتها العادية من الناس الموتى، سوف ترغم على البحث عن وجبة بديلة، وستكون الشياطين الحيّة، وهكذا نحن نقرأ أنه:

«تماماً بعد ما نما «مشه» و«مشيانه» من التراب، التهما الماء أولاً، ثم النباتات، ثم الحليب، ثم اللحم بعد ذلك وكذلك يفعل الناس عندما يكونوا على وشك الموت، فهم يمتنعون أولاً عن أكل اللحم والحليب، ثم عن الخبز، لكنهم يشربون الماء حتى لحظة الوفاة، ومثل ذلك أيضاً سوف تتناقص قوة «آز» كثيراً في ألفية هوشيدرماه حيث سيكتفي الناس بتناول وجبه واحدة كل ثلاثة أيام وثلاث ليال، وسوف يمتنعون بعد ذلك عن تناول اللحم، ولن يأكلوا سوى النباتات، وحليب الحيوانات الأليفة، وسوف يمتنعون بعد ذلك عن شرب الحليب أيضاً، وسيمتنعون بعده عن تناول النباتات أيضاً، ولن يشربوا غير الماء فقط، وسوف يصلون قبل عشرة أعوام من قدوم سوشيانت إلى مرحلة لا يأكلون فيها شيئاً، ومع ذلك هم لن يموتوا[1]».

أصحاب الفكر الصحيح والمؤمنون المستقيمون المعتقدين بـ... هرمزد، بحتمية انتصاره وسعيه الدائم الخلاص البشرية واستجابة (أي هرمزد) لدعاء أتباعه وحشر المؤمنين به في الجنة والكافرين به يحشرهم في الجحيم وهذا الخلاص والسعادة الأبدية، التي ستحمل على المؤمنين بـ هرمزد سوف تنال السابقين والحاليين والذين سيعيشون في المستقبل قبل الظهور.

(يسنا هات ٤٧ بند ٧)

الخلاص الذي وعد به هرمزد الناس، الذين يتّبعونه ويؤمنون به، يعني أن المخلّص الذي سيظهر سوف تكون مهمته نصرة الصالحين على الطالحين ونصرة الحق على الباطل وبهذا

---

(١) GB. 221. 1 -11.

يصبح الباطل مغلوباً عليه. وهذا المخلص الموعود الذي سيظهر اسمه في الأفستاه هو «سوشيانت» أو «سوشيانس» والذي بظهوره يصل الناس إلى كمال السعادة.

(فروردين يشت ـ القسم ١٢٩)

في ترانيم زرادشتية أن «سوشيانت» أو زرادشت (حيث إنه ورد في الأفستاه، أن زرادشت هو «سوشيانت» مخلّص) قد خُلق في الوجدان الصافي والطاهر، هدية أهورا مزدا للبشرية، وينير الدرب الأتباع ويهديهم إلى طريق السعادة والنجاة.

(يسنا هات ٥٣ بند ٢)

وفي الترانيم أيضاً وجودٌ لعدّة مخلصين وليس لواحدٍ فقط، وهؤلاء يجمعون المؤمنين بزرادشت لنصرة الحق والتغلب على أهريمن، وهؤلاء هم أصحاب الحق والفكر المستقيم، حيث ينقذون العالم بأكمله.

(يسنا هات ٤٨ بند ١٢)

وفي النهاية السوشيانت، هم أصحاب الفكر الصحيح المستقيم (أصحاب اليمين) مقصدهم التكامل مع فكر أهورا مزدا، وهم سوشيانس يهدفون لاستقرار العالم وايجاد الاستقامة والعدالة على وجه الأرض وهم فقط ينتخبون ويتبعون أهورا مزدا.

يا أهورا مزدا، أيها الحكيم متى ستظهر مشيئة المخلصين الآتين وإشراقات الأيام عندما، سيؤيد العالم الحق خلال المحاكمة العظمى ومن سيأتي العون بوساطة العقل الخير قل لي أيها الربّ لأنني المختار للوحي من لدنك.

(يسنا هات ٤٦ بند ٣)

في الأفستاه الجديد، كلمة سوشيانس هي اسم الآخر خلقٍ بخلقه

أهورا مزدا وخُلق من عناصر الصالحين والمتقين، وهو أقوى وأعلى العناصر المخلوقة ويسمّى بـ فروهر، والعناصر هي: ١ ـ عنصر الحياة. ٢ ـ عنصر الإدراك٣, ـ عنصر النفس. ٤ ـ عنصر الوجدان. ٥ ـ عنصر الفروهر وهو أقدسهم وأعلاهم وهو صالح، قوّي، عفيف،....، والبشرية من «كيومرث» أول الخلق (حسب الزرادشتية) حتى سوشيانس تقدّس الـ فروهر.

(فروردين يشت بند ١٤٥)

فروهر الطاهر يعني «استوت أرت» حيث يقع في وسط الأرض (خونيرة)، وفي المتون الزرادشتية ينقسم سطح الأرض إلى سبعة أقاليم وفروهر الطاهر أي (استوت أرت) هو المركز.

(فروردين يشت بند ١٢٨)

يوم القيامة يخرج الأموات من القبور وتعود الحياة إليهم ويعيشون مع الأحياء ولا يصيبهم الموت وفي هذا الزمن يجيء سوشيانس ويزيّن العالم.

(أرديبهشت يشت بند ١١)

استوت آرت هو شخصٌ مصلح ويُظهر في آخر الزمان (يوم القيامة) وهو «سوشيانس» المخلّص الموعود القسم المركزي من الأرض (خونيره)، وأنصاره الستة هم في الأقاليم الستة الأخرى وهم جمعهم سوشيانت، وهم تحت قيادة «استوت أرت» وهؤلاء السبعة بقيادة استوت أرت ينشرون النظام في كل الأرض.

(زامياد يشت بند ١٢)

سوشيانات العالم، هم مطلوبون في المستقبل وفي المعنى الآخر يعمرون مدينة الجمال (الكيان الجديد في نهاية العالم) وهم سبع سوشيانت أن التعاون في ما بينهم يجلب السعادة للعالم

ويعمرون العالم الآخر على أساس عالم البداية.

(ويسبرد ١١ بند ٧)

«سو شيانات» هم القوى الطاهرة والصالحة وهم بالتعاون مع سبعة «أمشاسبند» (سبعة ملائكة حسب الديانة الزرادشتية)، يسعون إلى مساعدة وإحلال عقائده وتمكينه من حكم الأرض.

(زامياد يشت فركرد ١١ ـ ١٤ ـ ١٥)

مواصفات «سوشيانس» في الأفستاه الجديد:

١ ـ أولو الألباب وعلمهم فطريٌ وذاتيٌ.

٢ ـ سوشيانس، بمثل «أشو» تعني لديه عقل صالح ومتقٍ وصاحب أعمال صالحة. (فروردين يشت، بندهاي ١١٠ ـ ١١١ ـ ١١٢).

٣ ـ مع العظمة والكرامة والتقوى.

٤ ـ هؤلاء الفائزون (فروردين يشت بند ١٤٢).

٥ ـ أتباع الفكر الصالح والسليم وأصحاب آشا

٦ ـ يعدمون قادة الغضب

٧ ـ أولئك عناصرٌ من زرادشت وأيضاً من نطفة (فروردين يشت بند ٦٢)

هوشيدر، هوشيدرماه، سوشيانس، هم أولاد زرادشت الثلاثة، وهؤلاء الثلاثة يصنعون الدين الكامل (كل واحد) وفي كل الألفيـة يأتي إلى عالم الوجود واحدٌ من هؤلاء الثلاثة من أجل إدامة طريق زرادشت وفي النهاية يحذرون الناس من عبادة الأصنام وينقذونهم.

(مينوي خرد ـ فركرد ١ بند ٩٥)

«هوشيدر» هو أول موعود في رأس الألفية الخامسة، «وهوشيدر ماه» في رأس الألفية السادسة الموعد الثاني «وسوشيانس هو آخر موعود ويجيء في رأس الألفية السابعة.

(بندهشن ايراني، ص ١٨٩)

هوشيدر، هوشيدر ماه، سوشيانس:

وفي الثلاثين سنة من آخر الدورة العشرية من الألفية الرابعة والتي تعني ألفية زرادشت. تجئ صبية عمرها خمس عشرة سنة، اسمها «نامي بد» تجلس في ماء بحيرة «كيانسه» (بحيرة سيستان في ايران)، وتشرب من هذا الماء، ونتيجة هذا تصبح حاملاً وليتكامل من الماء وتلد طفلاً صغيراً يجيء إلى العالم باسم «هوشيدر» وهذا الطفل هو من نطفة زرادشت[١].

وقام زرادشت في مدة ثلاثة شهور ثلاث مرات بممارسة جنسية مع زوجة، ثم اغتسل في ماء البحيرة اسما «كيانسه» (بحيرة هامون في سيستان في إيران) ثم مزج نطفته مع ماء البحيرة، ثم ملك الخبرية إسمه نريوسنك أخذت ضؤ من هذه النطفة وأعطيت بملائكة الناهيد (في الأفستا ناهيد = فتات أو بنت شاب) وكان يحارسون ٩٩٩٩٩ فروهر أو آشه (متقين) من هؤلاء ثلاثة النطفة، تعني بمثل ثلاثة سراج في تحت أو أعماق بحر[٢].

يبقى هوشيدر مائة وخمسين سنة في الأرض والألفية ممتلئة بالبلايا السماوية مثل: القحط في الأرض، الثلج الأسود والأحمر وكلّها بلايا ثقيلة تنزل على الأرض[٣].

وفي الألفية الخامسة، والتي هي ألفية «هوشيدر» تبقى الشمس

(١) دينگرد مدن، ص ٦٦ ـ سنجانا مجلد ٧، فرگرد ٧ بند ٥٦.

(٢) بندهشن إيرانى، ص ١٨٩.

(٣) بالفارسية: جاماسب نامه، ص ٨٩.

عشرة أيام في وسط السماء، وهذا الأمر غير متوقع وعجيب![1].

وعندما يبلغ عمر «هوشيدر» ثلاثين سنة يذهب لزيارة أمشاسبندان، وهم من الملائكة في الديانة الزرادشتية، ويتعلم هوشيدر مسائل الديانة الزرادشتية من جانب أهورا مزدا ويصبح هوشيدر مسؤولاً عن التنظيم والمحافظة على مسائل الدينية الزرادشتية[2].

تبقى ثلاثين سنة حتى آخر ألفية هوشيدر، ومرة أخرى صبية عمرها خمسة عشر سنة، اسمه «وه پد» تجلس في بحيرة كيانسه (بحيرة في سيستان ايران) وتشرب الماء من هذه البحيرة ونتيجة هذا تصبح حاملاً وليتكامل من الماء وتلد طفلاً صغيراً يجيء إلى العالم باسم «هوشيدر ماه» وهذا الطفل هو من نطفة زرادشت[3].

فى زمن «هوشيدر ماه» يزيل الشيخوخة، الغضب والخصم والفقر والشهوات، ويزيد أخوّة والهدوء والمحبة والراحة.

(دينكرد سنجانا مجلد ٧ فردكرد ٩ بند ٩ ـ ٨)

في زمن «هو شيدر ماه» يؤمن الناس بالديانة الزرادشتية أكثر وأكثر، وأيضاً يزيد المحبّة بالحيوانات.

(صد در بند هشن ٣٥ بند ٣٨)

في الزمن «هوشيدرماه» يخف احتياج الناس للطعام والأكل والثياب ويزيد الصداقة والمحبة مع الأغنام، ويزيد الحليب والسمنة قبل ثلاثة وخمسين سنة حتى آخر الألفية، وفي هذا الزمن لا يأكلون الناس اللحم، بل يشربون الحليب والماء.

(دينكرد سنجانا، مجلد ٧ ف ٩ بند ٩ ـ ٨)

---

(١) بندهشن إيرانى، ص ١٨٧.

(٢) دينگرد مدن، ص ٦٦٨.

(٣) دينگرد سنجانا، مجلد ٧، فردگرد ٨، بند ٢٣.

في زمن «هوشيدرماه» أيضاً يكمل علم الطب، ويكشف آلاف أنواع الحشيش في معالجة الأمراض، ويزيل الشيخوخة من التكامل علم الطب ولا يموت الناس إلّا بالقتل.

(بند هشن ص ١٨٨)

وفي هذا الزمن تجتمع جميع أنواع الثعابين والحيّات في مكانٍ واحد ويتمزج بعضهم مع بعض ونتيجة هذا الامتزاج تولد حيّة عرضها ٨٣٣ متراً وطولها ١٦٥٦ متراً، وفي هذا الوقت يهجم حرّاسو جنود هوشيدر ماه على هذه الحية ويتصارعون معها، حتى تنهزم هذه الحيّة في النهاية وتتقلّص حتى تصبح حيّة صغيرة بفضل دعاء المؤمنين.

(الرواية البهلوية، فردكرد ٤٨ بند ٣٠ ـ ٢٦)

ويزور «هوشيدر ماه» أمشاسبندان فى سن ثلاثين، ومن علائم هذه الزيارة تقف الشمس لمدة عشرين يوماً في كبد السماء.

(الرواية البهلوية، فردكرد ٤٨ بند ٢٣ ـ ٢٢)

وتبقى ثلاثون سنة حتى آخر الألفية هوشيدرماهلا صبية عمرها خمس عشرة سنة، اسمها «گواگ پد» (فى نصوص الأفستية گواگ پد = أم سوشيانس) وهي من عناصر زرادشتية تجلس إلى بحيرة كيانسة وتشرب من هذا الماء ونتيجة هذا، تصبح حاملاً وليتكامل من الماء وتلد طفلاً صغيراً ويجيء إلى العالم باسم «سوشيانس».

(دينكرد سنجانا، مجلد ٧ بند ١٥ ـ ١٩)

سوشيانس، هو آخر شخص، يأتي إلى الأرض وينظّف العالم ويهزم الباطل.

(خرده أفستاه، يتيت ايراني، بند ٢٢)

ويزور «سوشيانس» أمشاسبندان في سن الثلاثين، ومن علائم

هذه الزيارة تقف الشمس ثلاثين يوماً في كبد السماء، وهذه العلائم من أجل الناس الخاطئين والمذنبين عجيبة ويفهم الناس مرة أخرى أن شيئاً عجيباً يظهر في العالم وفي هذا الوقت (ظهور سوشيانس) كانت تسقر وتكتمل الديانة الزرادشتية.

(صد در بندهشن، باب ٣٥ بند ٤٥ ـ ٤٢)

وتبلغ ألفية سوشيانس «سبعة وخمسين سنة (٥٧) وأساسه في الجاتها، سوشيانس المنتخب أو المخلّص مثل زرادشت وهو مأمور بكل المسائل حيث، يبدأ مع زرادشت وينتهي معه.

(بندهشن، ص ١٨٩)

«سوشيانس» هو مفيد، حيث إن كلّ العالم المادي يستفيد منه. وكانوا يقولون في زمن سوشيانت إن عدد أيام السنة يساوي ٣٦٥ يوماً فقط.

(جاماسب نامه الفارسية، ص ٨٩)

قبل البعث الموت وقبل يوم القيامة سوشيانس يأمر الناس أن يصبحوا جنوداً ويحاربوا ضدّ أهرمن، وينهزم الكذب والأمراض والموت والسيئات والظلم والكفر، وفي زمن سوشيانس وأيضاً كل خلقةٍ جديدة يأتي السرور لمدة سبع عشرة سنة (١٧) يأكل الناس الحشيش ويتناولون المياه ثلاثين سنة

(دينكرد سنجانا، مجلد ٧ فردكرد ١٠ بند ٣)

وفي المتون المقدسة لدى الزرادشتية عن ظهور المنجي الموعود، فإنّ هذا الظهور مرتبط بإرتفاع العدل والخير تماماً من أيدي الناس وتسلط الأشرار والظالمين وعندئذٍ يحين الظهور المنجي الموعود.

علائم ظهور المنجي الموعود في الديانة الزرادشتية:

١ ـ أتباع زرادشت تحلّ عليهم المصائب.

٢ ـ تبدل ضوء الشمس وحصول زلزال.

٣ ـ الطوفان العظيم والجليد المهول.

٤ ـ سقوط النجم أو شهاب باسم «جوزهرمار» على الأرض ويراه الناس بشكل كتلة نارية كبيرة.

٥ ـ توقف الشمس في كبد السماء مدة ثلاثين يوماً بدون حركة.

العالم في نهاية كل ألفية

العالم في نهاية كل ألفية، عالمٌ ممتلئ بالظلم والكفر، بخروب العالم وكل الأشخاص والأشياء تتحرك بطريق الانحدار وتبلغ القلوب الحناجر من الظلم والكفر والسيئات وهذا من علائم ظهور سوشيانت.

(زند بهمن يسن، فردكرد ٤)

وفي النتيجة ينعدم النظام والدستور والقوانين في نهاية الألفية حتى لا تجد واحداً بالمائة من الناس يعرف الفكر أو العلم.

(رسالة زرادشت، ص ٩١ ـ ٨٨ بند ١٤٠٠ و١٣٥٢)

الفساد ينتشر بشكل واسع؛ وحياة للآحرار غير قابل للتحمل، فهم يحبّون الموت على الحياة. وأيضاً العيش للناس صعب، والشر والفساد والسرقة والكذب منتشرة، ولا أحد يقول الصدق.

(رسالة جاماسب بالفارسية، ص ٨٣ ـ ٨٢)

يترك أكثر الناس الأعمال الصالحة ويصيرون مكّارين وسيئين وظالمين. وهؤلاء (ملوك إيران) مكّارون، يعني: تقولون ما لا

تفعلون وأيضاً هم يفعلون ما لا يقولون، وفي هذا الزمن الغضب فائق في القلوب.

(زند بهمن يسن، فركرد ٤ بند ٢١ ـ ١٣ ـ ١٠)

الموعود المخلص في المصادر الزرادشتية:

١ ـ بعد الحديث عن شيوع الفساد في آخر الزمان وعن أن الغلبة والقوة تحت سيطرة الأشرار، جاء في كتاب «الزند الأفستا»:

«سيصل الدعم من إله الخير إلى الأخيار الذين سيحققون نصراً كبيراً ويزيلون الأشرار وبعد هذا الانتصار تتحقّق للعالم السعادة الحقيقة، وسيجلس الناس على أريكة السعادة».

٢ ـ قال جاماسب في كتابه المعروف «رسالة جاماسب» نقلاً عن زرادشت: «يحكم العالم بحكم الأخيار رجل من أولاد بنت نبي يحمل اسم شمس العالم وملك الزمان حيث يكون آخر خليفة له».

٣ ـ وكذلك يقول جاماسب في رسالته:

«يخرج رجل من أرض الفرسان من أولاد هاشم، رجل كبير الرأس والجسم والرجل، يكون على دين جديه بجيش عظيم يتجه إلى إيران فيحيي أرضها ويملأها عدلاً».

٤ ـ ويقول جاماسب في تعاليمه:

نبي العرب هو آخر رسول يظهر من بين جبال مكه، ثمّ ينهض من أولاد النبي شخص في مكه، ليكون خليفة وتابعاً لدينه... ومن عدله يشرب الذئب والخروف من ماء واحد، ويكون العالم كله تابعاً لـ «مهر آزمائي» (محمد).

٥ ـ ووردت تنبؤات أخرى للمجوس فيما يخص الظهور وعلاماته في كتاب «بهمن يشت» (٢٤).

٦ ـ واحتوت أقسام من الـ «كاثاها (الجاتها)»، وهي واحدة من الفصول الأربعة لكتاب الزرادشتيين الأصلي المسمى بـ «أفستا» وفي الصفحتين ٢٤ و٩٨ بشارات عن الموعود العالمي والمصلح المؤسس لحكومة العالم الواحدة.

٧ ـ وتطرق الفصل الأخير من كتاب «زند بهمن يسن» المختص بشرح كتاب «أفستا» إلى موضوع ظهور المصلح العالمي ونهضته وحكومته، فقال:

«ثمّ يظهر «سوشيانس» الخلفة مرة أخرى. . . . وينتهي العالم بعد ذلك وجاء في شرح كلمة «سوشيانس»: إنه آخر منجٍ ديانة الزرادشتية.

٨ ـ وقد ورد في كتاب «زند وهومن يسن» الحديث عن ظهور«سوشيانس» المنجي الكبير للعالم إذ أنبأ فقال:

«تظهر علامات عجيبة في السماء تدل على الظهور، وترسل الملائكة لتعلن للشرق والغرب نداء المنجي» وحينما يتم الحديث عن مقاومة الأشرار له، يشار إلى سقوطهم واستسلامهم للمنجي.

٩ ـ ونقرأ في الفصل (٣ ـ ١٢ ـ ١٦) أقساماً أخرى من تنبوءات زرادشت الخاصة بـ «سوشيانس».

١٠ ـ حينما يسأل كشتاسب الحكيم جاماسب تلميذ زرادشت عن كيفية ظهور سوشيانس وإدارته للعالم، فإنه يجيب:

يروّج سوشيانس (المنجي الكبير للعالم) الدين في العالم فإنه يقتلع جذور الفقر والفاقة، وينجو الأخيار من الأشرار والشياطين، إنه سيوحّد فكر الناس وسلوكهم إن الاعتقاد بظهور «سوشيانس» في الأوساط الإيرانية القديمة كان رائجاً إلى حدٍّ يرفع من معنوياتهم ويعيدهم إلى الأمل بعد تعرضهم لكل انكسار وهزيمة.



الفصل الخامس

الزروانية

تمهيـــد

يتضح من مصادر غير زرادشتية، أنه وجدت على الأقل ثلاث فرق متميزة بين الزرادشتيين، وأن بينها الفرقة التي آمنت بشكل صارم جداً بالثنوية، كانت هي المنتصرة في النهاية، وتشبه الخلافات بين هذا الفرق من بعض الجوانب الخلافات المسيحية الأولى حول طبيعة وشخصية المسيح، وتفسير عقيدة الثالوث المقدس، ويبدو أن هذه الخلافات كانت خلافات لاهوتية محضة ولم تؤثر على الحياة اليومية، أو على الطقوس الدينية للمؤمنين، ولقد كانت القضية الحاسمة بالنسبة للزرادشتيين هي أصل الشر، وكيف يمكن عزو الأذن بالشر إلى الربّ، إذا أمكن ذلك على الإطلاق، ومن الممكن رؤية الحلول الثلاثة المختلفة التي قدمتها الفرق الثلاث، على أنها تفاسير متنافسة لمعنى المقاطع الشعرية لترانيم (اليسنا ٣٠/٣ ـ ٤) التي ينبغي الاستشهاد بها واقتباسها من جديد.

«كانت الروحان اللتان هما توأمان موهوبان تماماً، وكانا يعرفان في البداية بأن أولهما هو الروح الخيّرة، وثانيهما هو الروح الشريرة، في التفكير والعمل والقول وكان العاقل يميّز بينهما ويختار على نحو صحيح، بينما لم يفعل ذلك الحمقى وعندما التقي هذان الروحان أسسا في البداية

الحياة والموت، حيث ترتب على أتباع الكذب مواجهة الوجود الأسوأ، في النهاية، وأن يقابل أتباع الصدق العقل الأفضل».

ومن المحتمل أن زرادشت قصد بقوله هذا أن الرب الحكيم «أهورا مزدا» كان قد خلق روحين من عقله الخاص، وقد طلب منهما أن يقوما باختيارهما الحاسم بين الخير والشر في بداية الحياة، وباختيارهما أصبحا: الروح القدس، والروح المخربة وكان هذا الاختيار متطرفاً كثيراً إلى حدٍّ أنه كان بإمكان الروح القدس القول لعدوه: «لا تتفق أفكارنا وكذلك تعاليمنا، وإرادتنا أيضاً، واختيارتنا، وأقوالنا، وأعمالنا، وضمائرنا، لا بل حتى نفوسنا[1]»، وعلى هذا الرب هو صانع الروحين ومبدعهما، حيث اختار الروح الأول الخير، واختار الروح الآخر الشر، ومع ذلك بما فإنّ ربّ ازرادشت كان هو الرب الحكيم.

وكان الزروانيون أقرب إلى آراء زرادشت أكثر مما كان أتباع العقيدة القويمة المتأخرون، وذلك في تأكيدهم على أن الروحين كانا روحاً خيرة، وروحاً شريرة بالاختيار. ولهذا السبب الزروانية أهم من الفرق الآخرى في الزرادشتية.

إن قصة الزروانية مختلفة تماماً، وأكثر تعقيداً، حيث إن هذا الشكل من الزرادشتية، الذي توجد حوله أثار غامضة في الكتب البهلوية، هو الذي تعرض لهجوم اللاهوتيين المدافعين عن المسيحية والمانوية، ممن صنف كتبه خلال العصر الساساني، ولذالك استنتج أن الزروانية كانت هي الشكل المتحكم من الديانة الزرادشتية خلال تلك الحقبة كلها، لكن هذا ـ على كل حال ـ فيه مبالغة في تبسيط القضية. وتختلف الزروانية عن الشكلين الزرادشتيين الساسانيين اللذين درسناهما حتى الآن، وذلك لأنها تدخل شخصية ثالثة إلى الدراما الكونية، إضافة إلى أهورمزد وأهرمان، وهذه الشخصية هي زروان أكرنا (بالبهلوية زروان أكنارك) أو الزمن اللامحدود

---

(١) بالفارسية: اليشت ٤٥ بند ٢.

(الدهر) لكتاب الأفستا، والحل الزرواني لمشكلة الشر قائم أيضاً على أساس «يسنا ٣٠/٣ ـ ٤» التي جرى تفسيرها حرفياً فقد أعلن هناك بشكل واضح أن الروح القدس والروح المخربة كانا توأمان، وإذا كانا توأمين فلا بدّ بالتأكيد من أن يكون لهما أب، ولذلك من كان هذا الأب؟ فنحن نعلم أنه جاء في التراتيم أن أهورمزد ـ أي أهورا مزدا ـ كان نفسه والد الروح القدس، ولذلك من المحتمل أنه كان والد الروح المخربة أيضاً، لكن أهورمزد والروح القدس كانا متطابقين بالنسبة زرادشتية المتأخرة، ولهذا بات من الضروري العثور على والد أهور مزد نفسه، لأنّه كان قد أصبح الآن واحداً من التوأمين، وبالرجوع إلى ترنيمة الفصول السبعة، كانا أهور مزد متطابقاً مع النور، ومن المناسب الافتراض أن أهرمان كان متطابقاً مع الظلام، وتم فيما بعد تخصيص المجالات الخاصة بكل واحد منهما، حيث وضع أولهما في السماء في نور سرمدي دائم، ووضع الآخر في الأرض في ظلام بلا نهاية، وهكذا وضع كل منهما حدوداً للآخر، فلم يتجاوز أي منهما لا المكان ولا الزمان، لكن لا يمكن للوعي أن يرضي أبداً إلهاً محدوداً ـ محدوداً بالمكان إن لم يكن محدوداً بالزمان ـ ولذلك يبدو أن الزروانية اخترعوا ميثولوجيا من يسنا ٣٠/٣ ـ ٤ (التي ورد فيها ذكر أن الروحين كانا توأمين) كان اللامحدود ـ وفقاً لها ـ هو والد الروحين المحدودين، وهذا الوالد غير محدود في الزمان وغير محدود في المكان، وبناءً عليه يبدو أن هذه أصل الأسطورة الزروانية التي جعلت من زروان، أو الزمن اللامحدود (الدهر) المصدر الأصلي، الذي عنه نشأ كلّ من النور والظلام، والخير والشر أهورمزد وأهرمان وتم تأكيد هذا من خلال إحالة مبكرة وإشارة وردت حول هذه الميثولوجية في مصدر إغريقي[١]، وذلك أنه وفقاً لما رواه يوديوس Eudemus الرودسي، الذي كان واحداً من تلاميذ أرسطو كان المجوس وسائر العرق.

(١) Damascius Dubitationes et Solutions 125 bis:c lemen fonts. p. 95.

الآرى: «يسمون سائر الكون المدرك بالعقل والمتكامل باسم مكان أو باسم زمان، عنه انفصل إله خير، وشيطان شرير، وحسب ما يقوله آخرون: لقد انفصل النور والظلام قبل هذين، غير أن الفريقين يعتقدان أن هذا التكوين الثنوي للقوى العليا ناتج عن كائن ولاحق به، مميز عن كائن غير مميز (physis)، ويحكم أهورمزد أول هاتين القوتين، في حين يحكم أهرمان القوة الأخرى.

وكانت هذه هي الرواية حول الأسطورة الزروانية، التي وصلتنا، ولا يوجد سبب جدي للشك في أن عزوها إلى تلميذ أمر موثوق به[١]، ولأنها لم تتخذ حتى الآن الشكل المقلوب الذي نجده في المصادر اللاحقة، ويمكننا أن نكون متأكدين في هذه الحالة، أن الرأيين بخصوص أصل الشر كانا شائعين في القرن الرابع قبل الميلاد حيث ذكر أرسطو نفسه رأى العقيدة المحافظة القويمة المتأخرة، التي كان يوجد وفقاً لها مصدران هما الروح الخيرة والروح الشريرة، أولهما اسمه زيوس أو أهورمزد، بينما الآخر باسم اوريمانيوس (اهرمان)[٢].

وعلى هذا تبدو الأسطورة في شكلها الأصلي أنها لم تقل أكثر من أن الزمان والمكان اللامحدود، كان أصل المبدأين الأساسيين للنور والظلام، أي أهورمزد، وأهرمان، وهذا تأمل لاهوتي على «يسنا ٣٠/ ٤٣»، الترنيمة التي صممت لتظهر تماماً كيف لقوى الخير والشر أن تكونا توأمين، وجرى اختيار الزمان والمكان اللامحدود على أنه المصدر النهائي لجميع الأشياء، لأنه وحده غير محدود، حيث كان الربّ قد توقف من قبل أن يكون هو المصدر، وكان الاختيار اختياراً طبيعياً بالفعل، لأن الطقوس الدينية نفسها كانت معنية إلى حدٍّ كبير بتقديس وحدات الزمان والمكان وقد بلغت الأوج في تضرع نهائي لزمان ومكان غير محدود يتبع قانونه الخاص[٣] وبحلول

---

(١) R. C. ZAEHNER: As suggested by me in ZZD. P. 20.

(٢) Diogenes Laertius Proem. 8: Clemen fonts. p 75.

(٣) هونمان، ص ٩٢.

الوقت الذي تأسست فيه الأسرة الساسانية، كانت الثنوية المتزمتة، والتعديل الزرواني لها نشيطان تماماً.

وهكذا، مع أنه واضح أن الملوك الساسانيين كانوا مهتمين بشكل أساسيّ في أيجاد زرادشتية محافظة قويمة يمكنها مواجهة المسيحيين والمانويين فيما بعد، على أرضهم، يبدو أنهم واجهوا منذ البداية اختياراً بين اتجاهين لاهوتيين ضمن الديانة الزرادشتية نفسها، حيث ادعى كل واحد منهما أنه اتجاه محافظ قويم، وليس من دون فائدة أو أهمية أن نرى كيف جرى تبادل الاتجاهات خلال العصر الساساني.

الزروانية

يوجد لدى الزرادشتية فرقةٌ تسمى «الزروانية»، اي الزمانية، حيث إن زروان في الفارسية تعني الزمان. والزمان المفتوح في الأفستا، هو اسم الرب حيث إن هرمز وأهرمن تولدا منه والزروانية في الأفستا لم تكن تتمتع بأهمية كبيرة، في البدايات، ولكن في أواخر حكم الساسانيين علت مكانتها وسطع نجمها ولمّا مرّت حوالى الألف سنة على زروان وهو يقّدم القرابين ويقوم بأعمال العبادة للإله الأعلى ولم يتولد منه الموعود، ساوره الشك (اي زروان)، وفي زمنه الشك هذا جاء الفرج وولجت روح التؤام هرمز واهريمن في رحم «خوشي زاك» زوجة زروان، ولمّا حصل هذا الأمر، قال زروان لنفسه أن الموعود الذي يخرج أولاً يعطيه الملك والرئاسة على العالم وفهم هرمز أفكار زروان وسُرّ كثيراً وأخبر أخاه أهريمن عن هذا الخبر السار، ولكن اهريمن الذي شعر بالسوء والحسد ولأنه كان هو يحب ويريد الملك والرئاسة أسرع بشق بطن أمه وذهب ناحية زروان، ولما سأله زروان من أنت؟! أنا ابنك، أجابه أهريمن، ولكنك لست ابني أجابه زروان لأن ابني منوّر وجميل ورائحته العطره تعبق الدنيا ولكنك أنت ذو رائحة قبيحة ومنظر بشع، وفي هذا الحين تولد هرمز وجاء أمام زروان وعبقت

الرائحة الطيبة، فقال زروان: هذا ولدي الجميل ذو الرائحة الطيبة وقال عندئذٍ زروان لهرمز أنا قدمت القرابين لأجل مجيئك لمدة ألف سنة، والآن جاء دورك لتقدم لي القرابين، ولكنّ أهريمن اعترض وقال: يا أبي أنت قلت إن الذي يجيء إلى الدنيا أوّلاً، تعطيه الملك والرئاسة؟ فقال زروان: حسناً أعطيك الرئاسة والملك مدة ألف سنة تفعل فيها ما شئت وبعد انقضائها، أعطى الملك والرئاسة المطلقة والدائمة لهرمز(١).

أُنظروا بالأفستا القديمة، هل هناك ذكر لاسم زروان، ومحصلة الجواب النفي اكتسبت الحركة الزروانية في عهد الأشكانية ـ والساسانية قيمتها واعتبارها، ولكن منظار الزرادشتية لم يؤمنوا بها.

وفي كتاب الونديداد يخاطب الإله «أهورا مزدا» زرادشت، ويقول له أنا خلقتُ زروان وأنت عليك تقديسهم وبعدها صار لدى زرادشت الثالوث المقدس: ١ ـ ثواش THVASHA (= فضا) زروان أكرن ZARVANA AKRANA (الزمن المفتوح) وويو VAYU (إلهه الريح)(٢).

ونفذت الأفكار الزروانية في المعتقدات الميترائية في زمن وجود ميترا «ميترائيسم» وفي مجال آخر فإن أنتيوخس Antiochos أول ملوك كما جن (٦٩ حتى ٣٤ ق م)، ذكر في متحفه إلهه إيران كمعادلة الآلهة اليونان: ١ ـ زئوس ـ ارمس دس zeus - oromasdes [= أهورا مزدا]، آپلن appolon ـ ميترس mitres [= ميثرا] هليوس helios، هرمس hermes، آرتاگنس artagnes[ورث رغن verethraghna، بهرام] هراگلس ـ آرس Heracles ares وهذه الإلهة ورد اسم زروان كواحد منها حيث سميّ في اليونان باسم خرنس آپى رس khronos apeiros(٣).

---

(١) POGON H:Inscriptions Mandaites des Coupes de khouabir.s.

(٢) فنديداد، فركرد ١٩/ ١٢.

(٣) Dittenberger: Orient Inscript p 383.

وتأثرات المعتقدات المانوية «ماني» بالأفكار الزروانية واعتُبر زروان إله النور والجمال لدى المانوية.

وفي أسطورة الخلق عند المانوية نرى مدى الأثر الكبير للأفكار الزروانية. حيث نقرأ في الآثار المانوية اعتقادهم بتعدد آلهة الخير وآلهة الشر ويُعتبر عندهم زروان وابنه هرمز أكبر وأعلى آلهة الخير.

ولدى البحث أكثر وجدنا أن من المصادر المهمة حول المعتقدات الزروانية ما هو موجود في كتابات مؤرخين مسيحين عاشوا في عهد الساسانيين وهذه الكتابات أشارت إلى التعصب والعدائية ضد هذه المعتقدات.

وإذا أغفلنا هذا العداء والتعصب تستطيع أن نعرف الكثير والمهم حول المعتقدات الزروانية في هذه الكتابات. ومن أهم المؤرخين الذين كتبوا عن الزروانية في ذلك الوقت يحضر لدينا كتاب بعنوان Zurvan. a. Zoroastrian dilemma ويطرح أمامنا بعد القراءة، السؤال التالي: هل انفصلت الزروانية عن المزدية والزرادشتية في أواخر عهد الأشكانيين والساسانيين، والجواب لا يمكنه، يمكن الجزم والوصول إلى نتيجة مثبتة ونهائية على الرغم من التعمق في التحقيق بالموضوع.

ولكن من المسلّم به، أنّ المعتقدات المزدية في عهد الساسانيين تظهر الأمر على النحو المذكور حيث إن المزدائين لم يقعوا تحت تأثير الزروانيين، ودليل هذا الادعاء الاختلافات في متون الكتابات البهلوية[1].

ويوجد دليلان حول وجود ورواج المعتقدات الزروانية في زمان الساسانيين: الأول ـ أسماء الأفراد مركب مع اسم زروان، والثاني ـ روايات المؤرخين من سريانيين وأرمن ويونايين يذكرون فيها أنّ زينر سالف الذكر، يُذكر هذه المعتقدات زروانية في كتابه.

---

(١) عصر أوستا ـ ص ١٠١ وكتاب لا نكلو Langlois.

ومن الأمثلة على ما ذكرنا أنّ «مهر نرسي» الوزير الأكبر في عهد بهرام كور ولقبه «هزار بندك» ويعني صاحب الآلف عبد، قد سمى ابنه زروان وسمى ابنة زروان دوخت كما نستطيع لدى التنقيب أكثر في الآثار الساسانية العثور على أسماء مشابه.

ومن المفارقات أن نجد راهباً مسيحياً اسمه أزنيك EZNIK كان يعمل على ترويج المعتقدات الزروانية(١).

من المسلّم به أنّ نهضة الزروانية تعتبر إحدى وجوه الفلسفة الزرادشتية المبني الأساسي لعلم الكلام في الديانة الزرادشتية في زمان الأشكانيين، وأساس هذه الفلسفة تعتمد على قدِم الزمان الظاهر المتجلي في صورة الإله الأعلى.

والمعتقدات الزروانية في خصوص عُمر العالم أو عمر الخلق هناك آراء مختلفة فيها، حيث يقولون في المعتقدات الزرادشتية أنّ عمر العالم ١٢٠٠٠ سنة ولكن في نظر الزروانيين فإن عمر العالم ٩٠٠٠ سنة.

وفي معتقدهم (أي الزروانية) فإنّهم يقولون بوجود ٣٠٠٠ سنة من الوجود قبل الخلق، وعلى هذا فإذا أضفنا الـ ٣٠٠٠ سنة إلى ٩٠٠٠ سنة تصبح ١٢٠٠٠ سنة، وهو ما يطابق رأي الزرادشتية.

كما نجد أنّ مؤرخين سريانيين بحثوا في المعتقدات الزروانية بمثل اليشه elishe وماربها marbea وتئودر بارخوني ويوحنا بارنيكايي و..... حيث إنّ تئودُر بارخوني يرى أنّ الزرادشتين يعتقدون بوجود أربعة عناصر وهي ١ ـ أشوكر ashukar ٢ ـ برشوكر parshukar ٣ ـ زروكر ويقول إنّ زروان هو أب لكل من هرمز وأهريمن(٢).

الحركة الزروانية تعتبر حركة فكرية، قام عليها علم الكلام المزدايي،

---

(١) BENVEN: the Persian Religion According to the Chief.

(٢) POGNON:Inscriptions Mandaites de Khouabir. s.

ومن المسلم به أنّه حسب الفكر الزروانية فإن التوأم الخير والشر يتكاملان حيث لا معنى للخير دون الشر أو العكس.

ولدينا من العصر الساساني آثار حول الجدل الكلامي والمباحثات بين العيسويين والزرادشتيين، وأحد هذه المباحثات جرت بين آذر هرمز وآنسة أناهيد من جهة وموبدان مؤبد أحد رؤساء الزرادشتية، وآذر هرمز وأناهيد من الخارجين عن الزرادشتية والملتحقين بالعيسوية، ويسأل آذر هرمز مؤبدان مؤبد ما أفضل ما دينكم، هل تريدون تقديس العناصر الأربعة (أشوكر، برشوكر زروكر، زروان) واعتبارهم آلهة، أو تريدون تقديم القرابين وتقديس هرمز واعتباره إلهاً وهل قدّم زروان القرابين ألف سنة فعلاً ليصل إلى المرتبة الإلهية ويتابع آذر هرمز أن من المتيقن أن الإله يسبق وجوده وجود زروان وأن هذا الأمير أي زروان عبد هذا الإله وقدم له القرابين[١].

أما عن النظرية الزروانية فقد ألممنا بها في المقدمة[٢]، وها نحن أولاً نبحثها بشيء من التفصيل، ففي إحدى عبارات الجاتات (يشت ٣٠ ـ ٣) يظهر كل من روحي الخير والشر على إنهما «الروحان الأصليان المسميان بالتوأمين العظيمين». فالظاهرأنّ زرادشت قد عرف أصلاً أقدم هو والد هذين الروحين ولم يصل إلينا الاسم الذي سمي به النبي الإيراني هذا الأب[٣] وقد وجدت أيام الأخمينيين آراء مختلفة عن طبيعة هذا الإله الأول الذي كان موضع تأملات دينية وفلكية.

فقد اعتبره بعض الباحثين المكان (أو آشا باللغة الأوستية) واعتبره

---

(١) Hofman. g: Auszuge aus Syrischen Akten persischer Martyrer.

(٢) ص ٢٢. انظر بنفنست، the Persian Religion الفصل الرابع، ص٢٨٧.

(٣) نيبرج (٢)، ص ١١٣ وما بعدها، وهو يعتقد أن الأب هنا هو أو هرمزد الذي يجب أن يميّز عن روح الخير (ص ٢٠ هنا).

الآخرون الزمان (زروان وبالبهلوية زروان) وذلك حسب ما عرّفه أديموس روديوس تلميذ أرسطاطاليس.

والرأي القائل إنه هو الزمان هو الرأي الذي ساد. وقد اعتنق النظرية الزروانية أتباع ميترا (الميترائيسم). وفي نقش للملك انتيوش الأول القومشي وقد أشرنا إليه في المقدمة وسنتحدث عنه فيما بعد ـ يذكر زروان أكرنه بالاسم اليوناني كرونوس أبيروس أي الزمان اللامتناهي. وقد أطلق ماني النبي الذي دعا إلى دينه الجديد أيام الملوك الساسانيين الأولين وهو يطبق مذهبه على المعتقدات الزرادشتية في زمنه ـ اسم زروان على الإله الأعلى.

أما أنّ الزروانية كانت الصيغة العادية للمزدية الساسانية فهذا ما يثبته كثرة أسماء الأعلام المركبة مع كلمة زروان أيام الدولة الساسانية[١]، ويثبته أيضاً سلسلة من كلمات كتّاب الإغريق والأرمن والسريان[٢]، وأقدمهم تيودور المصيصي (حوالى ٣٦٠ ـ ٤٨٨ ميلادية). والمؤلف المذكور لتيودور قد ضاع، ولكن فوتيوس حفظ لنا نبذة صغيرة منه: وعرض تيودور في كتابه الأول نظرية الفرس القبيحة التي دعا إليها زرديس (زرادشت)، وهي الخاصة بزروام (زروان) وقد عرف به على أنه إله العالم أجمع ويسمّيه أيضاً القضاء والقدر، وحينما قدم هذا القرابين حتي يلد أهورا مزدا، ولد أهورا مزدا والشيطان في الوقت نفسه»، وكذلك الكاتبان المسيحيان الأرمنيان أزنيك[٣] وأليزه[٤]، (القرن الخامس)، والبطريق ماربها (القرن السادس)[٥]، والمؤلفات الجلية للسريانيين آذر هرمز وأناهيد ضد أحد الكبار الموابذة الزرادشتيين[٦]، (القرن الخامس أو بعد ذلك)، والكاتب

---

(١) ويزندونك، DAS wesen der lehre Zarthustros، ليزج ١٩٢٧ ص ١٩.

(٢) انظر كريستينسن في .Etudes sur le Zoroastrism de la perse antiqne

(٣) لانجلوا، coll، (٢)، ص ٣٧٥.

(٤) المرجع نفسه، (٢)، ص ١٩٠.

(٥) ساخاو، في Syriache Resehtsbucher، (٣)، ص ٢٦٥.

(٦) نولد كه في SyrischePolemik gegen die Persische Religion ، ص ٣٤.

السرياني تيودور بركونايي[١]، (القرن الثامن أو التاسع)، والكاتب السرياني المجهول الاسم الذي طبع كتابه وترجمه نيبرج[٢].

فيرى خلاف هذا، وعنده أن تسعة آلاف سنة تمثل النظرية المزدية غير الزروانية وذلك على الرغم من أن البند هشن يشير، حتى في أجزائه الزروانية، إلى مذهب الاثني عشر ألف سنة. وأما أنا فأرى أن الاختلاف في التواريخ لا يتصل بما بين الزروانية وغير الزروانية من خلاف وأن النظريتين قد يدخلان أو يستبعدان في تعدادهما المرحلة البدائية وقدرها ثلاثة آلاف سنة وذلك حين كان العالم في بدايته وفي جميع الروايات، الزروانية أو غير الزروانية، تستمر مدة الحرب بين روحي الخير والشر تسعة آلاف سنة. ولكن إذا كان في رواية إزنيك واليزه أن زروان ظل يقدم القرابين ألف عام قبل أن يولد أو هرمز وأهريمن، فإن هذا القول يدل على حقبة قد سبقت على التسعة آلاف سنة التي استمر الحرب بين الروحين فيها.

فالنظرية الزروانية في خلق الدنيا قد سادت الزرداشتية الرسمية إذاً في العصر الساساني، ونجدها في صيغة شعبية مبتذلة في القصص الديني الذي يرويه الكُتّاب النصارى. وأما فيما يتعلق بالعلوم الدينية الزروانية، فإنه يجب البحث عنها كما فعل نيبرج في الآداب البهلوية، وخاصة في البندهشن الذي حفظ في نسخته الإيرانية، عبارات الزروانية، وفي «المينوگ خرد» الذي هو زرواني، ولكنه لا يبين إلّا لماماً مواضيع خلق الدنيا[٣]، والدينا كما رأينا، وجدت بادئ ذي بدء في حالة بدائية، بالقوة ـ مينوگيها ـ وفي هذه الفترة كان زروان، الذي هو الزمان والقضاء والقدر، موجوداً وحده وجوداً فعلياً.

---

(١) بونيو في Inscriptions mandaites des coupes de Khouabir ، ص ١٠٥.

(٢) ص ٢٣٨ وما بعدها.

(٣) وهناك كتاب بهلوي، لم يبق منه غير ترجمته الفارسية، ذكرت فيه نظرية الخلق الزروانية. وهو الكتاب الذي يشار إليه باسم «علماى إسلام» انظر وست، GIPH، (٢) ص ١٢٣، نشر بلوشيه.

ويقول الشهرستاني[1] إنّ الزروانية قالوا إنّ النور أبدع أشخاصاً من نور كلها روحانية ربانية لكن الشخص الأعظم الذي اسمه زروان شك في شي ء من الأشياء فحدث أهرمن الشيطان من ذلك الشك. ونستطيع أن نقارن بهذه العبارة الناقصة التي يذكرها الكاتب العربي الشهرستاني ما ذكرته بعض الروايات السريانية، عند تيودور بركونايي. وآذر هرمز والكاتب السرياني المجهول الاسم[2].

وهي أنّ الزرادشتيين يعتقدون في أصول أربعة على غرار العناصرالأربعة[3]: آشوكر، فرشوكر، زروكر وزروان وآخرهم هو والد أوهرمز وأهرمن. ويقول الكاتب المجهول الاسم إنّ فرشوكر هو الذي من نسل أوهرمز. ويعتمد نيبرج على الأبحاث الهامة التي قام بها شيدر[4] فيقول إن الزروان قد تخيل على أنه إله ذو أربع صور، أي أن أشكالاً كثيرة بثلاثة أسماء قد أعدت «وفيها يبدو زروان فى مظاهر ثلاثة وكيفما تكون أعماله وتجلياته، ثم هو نفسه يضاف إلى هذه المظاهر الثلاثة ويكون معها تربيعاً»[5].

وفي هذه التربيعات يرى زروان تارة في علاقات مع الفلك، وتارة على أنه إله القضاء والقدر، وفي بعض الصلات نجد مزيجاً من هاتين الوجهتين. ويرى نيبرج أنّه يضاف إلى هذه التربيعات التربيع الذي أشار إليه الكُتّاب السريانيون الذين ذكرناهم، والذي يسميه نيبرج التربيع الزرواني الأرضي، وهو التربيع الخاص بمراحل الحياة «آشوگر» ومعناه «هذا الذي يهب قوة الرجولة» و«فرشوگر»، ذلك الذي يهب الأزدهار و«زروگر» هذا

(١) نشر كيرتون. ص ١٨٣، الترجمة لهار بروشر، (١)، ص ٢٧٧.

(٢) پونيون، (١)، ص ١٦٢؛ نولدگه؛ SYRICHE POLEMIK، ص ٣٥ ـ ٣٦، نيبرج، (١)، ص ٢٤٠ ـ ٢٤١.

(٣) تيودور بركونايي، أنظرنيبرج (٢)، ص ٨٥.

(٤) Urformund fortbildungendes Manichaishen Systems ص١٣٥.

(٥) ص ١٠٨.

الذي يهب الكبر، والمقصود بتجلي زروان بهذه الصور الثلاث أن ذاته تجمع هذه الحالات وهي الصبا والكهولة والشيخوخة[1].

ومن ناحية أُخرى يمثل زروان في صورة مزدوجة، فهو زروان أكنارك أي الزمان السرمدي الأبدي، وهو زروان ديرنگ ـ خداي أي الزمان الطويل التسلط أي السيّد إبّان فترة الاثني عشر ألف سنة التي يحياها العالم[2].

وقد جعلت القصة الدينية الشعبية من زروان ـ في الأصل ـ كائناً بين الذكر والأُنثي. وهناك رواية أحدث تجعل منه أنثي اسمها خوشيزاك وقد فسر نيبرج هذا الاسم، تفسيراً صحيحاً بلا شك، بأنه تصغير لكلمة خوش بمعني الجميل أو الطيب[3].

ومن زروان (أو من زواج زروان بخوشيزك) ولد التوأمان أهرمن وأوهرمز روحا الشر والخير، والظلمات والنور. وكان أهرمن، أول المولودين، يملك السلطان على الدنيا منذ البداية، واضطر أوهرمز للقتال لكي يظفر بالسيادة[4]. وفكرة تقدم عنصر الشر على الخير ترجع إلى نظرية متشائمة تناظر قول الجنوستيكيين[5] وتخالف الطابع الأساسي للزرادشتية التي تظهر في الجاتات. ولكن العلماء حاولوا بشتي الطرق سدّ الهوة التي تفصل بين الآراء والمشاعر والنصوص الدينية، فلجأوا تارة إلى فرض يصور أهرمن تابعاً، في مدة سيادته، بشكل ما لأوهرمز[6] وتارة أُخرى يحددون سيادة أهرمن بثلاثة آلاف سنة الأولى من سني الحرب. فيكون أهرمن قد

---

(١) نيبرج، (٢)، ص ٨٦ وما بعدها.

(٢) المرجع نفسه، (٢)، ص ١١٠.

(٣) ويطلق نص مانوي باللغة الغدية (موللر Handschriftenreste، ص ١٠١ و١٠٢) عليها «آم الحياة» زوج إله النور (زروان) وأم الرجل الأول (أوهرمز).

(٤) معركة التوأمين، نيبرج، (٢)، ص ١١١ وما بعدها، ڤارن كريستيسن،.

(٥) نيبرج، (٢)، ص ٧٩ وما بعدها.

(٦) ومع ذلك فإن تأويل نيبرج لنص أزنيك في هذه النقطة يبدو إلي غير مقنع.

حكم ثلاثة آلاف سنة وفقاً للطريقة العادية عند الزروانيين، ثم إنه في مدي ثلاثة آلاف سنة أخرى تعادلت قوى أوهرمز وأهرمن، ثم في ثلاثة آلاف سنة الأخيرة تكون الغلبة لأوهرمز وهي ثلاثة آلاف سنة التي تبدأ بظهور زرادشت وتنتهي بالمعركة النهائية التي تلقى بأهرمن عاجزاً إلى الأبد، والتي تؤدي إلى التحويل ونجد رأي المزديين غير الزروانيين في هذه النقطة الرئيسية مذكوراً في العبارة الآتية من الفصل الأول من البندهشن (نيبرج (١)، ص ٢١٠، (٢) ص ٢٣٢): «كان أوهرمز يعرف بفضل علمه الأزلي، إنه في التسعة آلاف سنة التي تبقاها الحالة المختلطة، تحكم قوتاً أهرمن وأوهرمز سوياً، وأنه في المعركة الأخيرة تكون قوى أوهرمز من الغلبة بحيث يصرع أهرمن فيعجز».

وقد رأينا منذ أيام الأخمنيين، وجود رأيين مختلفين عن مبدأ أصل الخلق فبعضهم يعتبر المبدأ الزمان (زروان)، وبعضهم المكان (ثواشه). ويؤيد نيبرج بأدلة قوية الرأي الذي يقول ثواشه ترادف وايو أي الجو (واي بالبهلوية) وأن في الأوستا الحالية بعض البقايا من عقائد أتباع «الوايوية» الذين يعتبرون منافسين للزروانية[١].

وقد تركت العقيدة الزروانية بعد سقوط الدولة الساسانية لأسباب سنشرحها من بعد[٢] وقد اضطر المؤلفون اللاحقون للعهد الساساني أن يسقطوا العقائد الدينية الزروانية وهم يقيدون المذهب الديني في كتبهم البهلوية، ولكن هذه العقائد قد تركت مع ذلك كثيراً من الآثار.

ويشير الكُتّاب النصارى إلى قصص دينية أخرى، مما كان شائعاً أيام الدولة الساسانية، فمولد الأجرام السماوية كان ينسب إلى زواج أو هرمز

---

(١) نيبرج، (٢)، ص ١٠٣ ـ ١٠٤ و١٩٩ وما بعدها. أما عن الإله وأي في الخرافة الزرادشتية فقارن كريستينسن ـ ص ٩١ ٩٢.

(٢) نولدكه ـ ص ٢٤ ومابعدها.

من أمه أو أخواته أو بناته[١]، ويبدو أن ميترا قد ولد من زواج أو هرمز من أمه نفسها زوج زروان[٢].

وبعد أن ذكر تيودور بركونايي القصة الزروانية عن مولد أوهرمز وأهرمن والخلق الطيب والخبيث الذي نشأه كل منهما، استمر يحكي قائلاً[٣].

وعند أعطى أوهرمز المتقين نساء هربن وذهبن إلى الشيطان (أهرمن) فلما منح أوهرمز المتقين الهدوء والسعادة، منح الشيطان النساء السعادة أيضاً، وقد أذن لهن الشيطان أن يطلبن ما يردون. فخشي أوهرمز أن يطلبن الاتصال بالمتقين فيصيبهم العذاب، فبحث أن وسيلة ليبعدهن فخلق الإله نرسايي، وهو مخلوق في الخمسمائة من عمره[٤]، ثم وضعه عارياً خلف الشيطان وذلك لتراه النساء فيشتقن إليه ويطلبنه. فرفع النساء أيديهن إلى الشيطان وقلن له: يا أبانا الشيطان هب لنا الإله نرسايي[٥]، وهذه القصة تكشف عن نظرية في المرأة عجيبة حقاً في المذهب الزرادشتي ولكنها توضح الميل المتشائم الأصيل في الزروانية، ذلك الميل الذي لاحظه نيبرج بدقة[٦] ثم يشير تيودور بعد ذلك إلى خرافات دينية أخرى من قصص إيران ولكن في عبارات غامضة جداً كانت الأرض عذراء صغيرة وكانت مخطوبة لمن يسمي پريزگ وكانت النار ذات عقل ثم إنها كانت تصاحب شخصاً اسمه گونراب «رطوبة الغابات» وكان پريزگ حمامة حيناً ونملة أو كلباً مسناً حيناً آخر وكان كيكاووز كبشاً جبلياً وكان ينطح السماء بقرنيه[٧].

---

(١) ماربها، ساخاو، Syrische Rechtsbucher، (٣) ص ٢٦٥، لم تذكر تفاصيل.

(٢) اليزه، لانجلوا، (٢)، ص ١٩٣ وفي نص آخر (ص ١٩٤) ولد ميترا.

(٣) پونيون In scriptions Mandaites، ص ٦٣ وما بعدها.

(٤) المقصود هو نيريوسنج، نيريو سنحا في الأفستا، رسول الآلهة - كريستينسن.

(٥) وهذا الباعث نفسه موجود في مذهب الخلق عند المانوية - كريستينسن ف ٤.

(٦) Le temoignage de Theodore bar Conai sur le Zoroastrisme.

(٧) قصص دينية وخرافات ذكرتها المصادر الإيرانية للتاريخ القصصي. پريزگ هو فراسياك (في الأوستا، أفراسياب عند الفردوسي) كيكاووز هو كيكاووس. گونراب گرشسبآوستا.

التحكم الزرواني في القرن الثالث للميلاد

يبدو أنه عندما نجحت الأسرة الساسانية في طرد الفرثيين الأرسسيد في عام ٢٢٦ للميلاد، كان الشكل الزرواني للدين الصالح آخذاً بالتعاظم والصعود، ويبدو هذا أكيداً من الدليل الذي قدمه المانويين، فقد بدأ ماني مهمّته في عام ٢٤٢ م، خلال أيام حكم الملك الثاني من الساسانيين، شابور الأول، الذي أجرى مقابلة معه زوزن[١]، وكانت لديه أوسع الأمال لتحويل ذلك الملك إلى العقيدة الجديدة، وله أوقف ـ وهو يفكر بهذا الهدف ـ الكتاب الوحيد الذي كتبه باللغة الفارسية، أي «الشابرقان» ولاقى ماني التأكيد الملكي في البداية. وأمضي وقتاً طويلاً في البطانة الملكية، ومنح حرية التامة للتبشير بديانته حيثما كان يرغب بذلك، وكان ماني أيضاً أحد أتباع العقيدة الثنوية، لكن الثنوية كانت ذات نظام مختلف بشكل جذري عن نظام الزرادشتيين، فقد رأى الزرادشتيون الشر مبدأ روحياً، إما مثل الكذب، أو بشكل أكثر خصوصية مثل أهرمان «الروح المخربة» وعدو المادة بأنها كانت من خلق أهورمزد، وأنها مقدسة في حدّ ذاتها، وعبدوها بمثابة إله، وذلك في أبسط أشكالها، مثل النار، والماء والتراب، والريح، واعتنوا بالنار والماء بطقس متقن، وبتبجيل عميق لأنهما كانا حقاً getlhamahras pandan «الفيوض السرمدية لهذا الأرض»[٢] ولم يترددوا حول هذه النقطة طوال تاريخهم المتنوع، ووقرّوا الحياة الطبيعية لأنها كانت انعكاساً للقوى السامية، ولأنها كانت من خلق الرب، وقدمت ثنوية ماني تناقضاً حاداً لهذا التفسير الدنيوي للكون، ومع أنه كان نبيلاً فرثياً بالأصل، فقد كانت جذوره في الغنوصية ولم تكن في إيران ولم تكن ثنويته، ثنوية بين مبدأ مجرد للخير، ومبدأ مجرد للشر، بل بين نور طابقه مع الروح وبين ظلام طابقه مع المادة، وكان يعرف تمام المعرفة أن عقيدته

---

(١) H-C. Puech. le Manicheisme. Paris 1949 p. 45.

(٢) DKM, 466. 20: 658. 14.

كانت تستهدف قطع كل شيء أيدته الزرادشتية، هذا وكان ماني داعية ذكياً للغاية، حيث سيصاب الإنسان بالدهشة الفعلية إن لم يكن ماني قد دعاه باسم أهورمزد في كتاباته الفارسية، لكنه لم يفعل ذلك ودعاه باسم زروان، وهذا مدهش أيضاً، في أنه من غيرالممكن ربط زروان الميثولوجيا الزروانية على وجه الحصر بنور، في أنه يلد النور والظلام، أي أهورمزد وأهرمان، ويصل هذا إلى درجة البرهان أنه في النصف الأول من القرن الثالث على الأقل كان زروان وليس أهورمزد، هو الذي كان يعد الإله الأسمى في الديانة الزرادشتية، وعلى هذا يبدو أن إحياء الديانة الزرادشتية، تحت إشراف الملكين الساسانيين ـ الأولين كان إحياءً لتلك الديانة في مظهرها الزرواني، ويبدو أن هذا كان بالتأكيد صحيحاً حول شابور الأول الذي هو نفسه مال نحو الديانة المانوية، مع أن الأمر أعظم ريبة بكثير بشأن حال سلفه أردشير الأول، لكن الكتب البهلوية التي أزيلت منها بشكل عملي الآثار الزروانية توفره، وتوفر كاهنه الكبير تنسر، بمثابة الأبوين المؤسسين للأحياء الزرادشتي.

الكاهن الأعلى كرتير والزندقة

تركت وفاة شابور أول الميدان الديني مفتوحاً أمام كاهنه الكبير المتعصب كرتير، وقد أظهر نقش طويل ومفصل عن هذا الرجل، كان قد نشر للمرة الأولى في عام ١٩٤٠[١] وجلب إلى النور شخصية سياسية ودينية رئيسية، لم تكن معروفة حتى الآن، أكثر من أنه المحقق الذي أعدم ماني[٢]، ويظهر من هذا النقش أنه كان العامل الرئيسي في الإحياء الزرادشتي الذي حدث في القرن الأول للحكم الساساني، وللمرة الأولى تظهر قائمة أسماء الطوائف المضطهدة، كما كان مسوغاً للملوك الساسانيين الأوائل، البحث عن قوة موحدة تجمع إمبراطوريتهم مع بعضها بعضاً،

(١) See noW. M. Sprengling, Third Century Iran, Sapor and Kartir, Chicago,.

(٢) For reference, see Puech, op. cit., p. 137.

حيث لا نجد فقط ذكراً ليهود ومسيحيين، ومانويين، ومندأيين (نصارى)، بل أيضاً بوذيين وبراهميين، وقد ادعى كرتير بأنه عاقب هؤلاء جميعاً، وبفعاليته فرضت الديانة الزرادشتية تحت إشراف هيئة كهنوتية متسلسلة مجوسية، واستأصلت الآثار المتبقية الأخيرة لعبادة الديفا، وأعيد عباد آلهة الديفاس إلى حظيرة الدين الصحيح، وبذلت كافة الجهود لاجتثاث جميع الأديان غير الزرادشتية، بما في ذلك «الزنادقة» الذين يحتمل أنهم كانوا زروانيين ماديين[١]، وما هو أكثر من ذلك، كان هناك نظاماً صارماً يجب أن يكون هو القانون داخل المعبد الزرادشتي نفسه، وقد أخبرنا كرتير قائلاً: «إنه بالنسبة للهراطقة والمرتدين، الذين أتوا ضمن الطائفة المجوسية وكانوا قد استبقيوا من أجل ديانة عباد مزدا، ومن أجل طقوس الآلهة، وليس لنشر الدعاية: لقد عاقبتهم، ووبّختهم بقسوة، وطورتهم[٢]».

وعلى هذا جرى بالتأكيد آنذاك فرض شكل موحّد من العقيدة بالقوة ومن المرجح أن هذا الشكل الموحّد كان متماشياً مع توجهات ثنوية ومزدانية صارمة، وبناءً عليه ينبغي النظر إلى سياسة كرتير على أنها كانت ردة فعل السياسة الدينية الشخصية لشابور، وذلك تحت إشراف سلسلة من الملوك الضعفاء. وكان شابور قد حاول توسيع قاعدة الديانة الزرادشتية لتشمل مادة علمانية نقية تماماً، ومستمدّة من مصادر أجنبية، مع التوقعات بالنسبة للزمان والمكان، الخ التي ذكرها دينكرت، وقال بأنها أدخلت إلى الديانة الزرادشتية عقائد كانت ـ على العموم ـ متعارضة مع معتقداتها الأساسية، ولربما كان بين هؤلاء شكل من أشكال المادية استمد كل شيء من زمان غير محدود، وهذه بدعة تمت مهاجمتها من قبل مسلمين، ليس أقل من الزرادشتيين[٣]، ذلك أنها نفت وجود كل من الجنة والنار، والثواب والعقاب، وكانت هذه هي العقائد التي أيدها كرتير في نقوشه

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٩٦ حتى ١٩٨.

(٢) Sprengling, op cit., pp. 47, 52.

(٣) See BSOAS., xvii, pp. 234-7.

بشكل متكرر وبحماس، والاستنتاج هنا هو أنّ الزنادقة[1] الذين ورد ذكرهم في النقش، وهم الذين كانوا يتبعون تفسيرهم الخاص للـ «الزند» البستاهي، وإنه لموضوع نقاش فيما إذا كان من الممكن تسمية أشخاص مثل هؤلاء باسم زروانية، على نحو قانوني؛ وسوف نعود إلى هذا فيما بعد، لكن بسبب المدى الذين كانوا يستمدون فيه جميع الأشياء من زمان لا محدود «زروان = دهر» من الممكن تسميتهم «زروانيين ماديين» ولقد كان هؤلاء بين الناس الذين اضطهدهم كرتير.

آتـروبات والجبـرية

لم ينجح كرتير ـ على كل حال ـ في القضاء على الهرطقة، ولم يتمكن من اجتثاثها كلها، لذلك توجب اتخاذ إجراء إضافي، خلال أيام حكم سابور الثاني (٣٠٧ ـ ٣٧٩)، وفي هذه المرة ليس هناك أدنى شك أن العقيدة المحافظة القويمة، التي أيدها كانت من نوع ثنوي صارم، لأن بطل هذه الدراما كان هو الكاهن الأعلى آتروبات بن مهر سبند[2]. الذي تعده الكتب البهلوية أنّه كان التجسيد الكامل للعقيدة المحافظة القويمة، وأخضع آتروبات نفسه لمحنة المعدن المصهور، وخرج منها ظافراً، خلال نزاعه مع جميع أشكال الفرق والهراطقة، وانتصر على أعظم الهراطقة بينهم، الذين كانوا يعرفون أيضاً باسم «الجبرية».

وكانت الديانة الزرادشتية ـ حسبما أعلنها الرسول ـ ديانة الإرادة الحرة بشكل أساسي، ذلك أنه حتى الروح المخربة أهرمان، كان روحاً شريرة بالاختيار، وليس بالطبيعة، وصحيح أن هذه الحرية قد انتزعت منه بسرعة، وأصبح مادة شريرة غير قادرة على التغيير، لكن على الأقل، تركت حرية الإرادة إلى مخلوقات أهورمزد، ومع قيام الزروانية اتخذ القدر أهمية

---

(١) المصدر نفسه: ص ١٩٦حتى ١٩٨.

(٢) بالفارسية: شگند گمانيگ ويجار (ShGV)، ص ١٠ القسم ٧٠ ـ ٧١.

خطيرة، وأصبح الإنسان لعبة بين يديه، وكان هذا تحدياً مباشراً لعقيدة كانت أساسية بالنسبة لتعاليم الرسول الخاصة، وكان آتروبات قد خضع للمحنة من أجل الدفاع عن هذه العقيدة، وهكذا حين نجد أن كرتير قد أدان شكلاً مادياً مرتبطاً مع الزروانية، أو الزمن اللامحدود نرى آن آتروبات /أباد الجبريين الذين رأوا في زروان بحكم كونه زمناً محدوداً، السيد المطلق المتحكم بقدر الإنسان ومصيره، ولم تخالف العقيدتان مباشرة المزدانية الثنوية المحافظة القويمة، فحسب، بل خالفتا تعاليم الرسول نفسه أيضاً، فقد أنكرت الأولى الثواب والعقاب، الأمر الذي ألح عليه الرسول إلحاحاً كبيراً، وأنكرت الأخرى الإرادة الحرة للإنسان، وأخضعته بالتالي لثواب وعقاب أعمال لم يكن لديه أي خيار فيها، سوى القيام بها.

زروانية يزجــرد *الثــاني ووزيره الكبير*

كانت الزروانية على كل حال ـ بعيدة عن الموت، ويبدو أنه تم بعثها بصورة واعية، من قبل واحد من الوزراء الساسانيين الكبار كان اسمه مهر ـ نرسي، وقد بقي في مركزه خلال حقب حكم ثلاثة ملوك: يزجرد الأول، بهرام الخامس ويزجرد الثاني، ويبدو ـ على كل حال ـ أنه باشر خلال حقبة حكم يزجرد الثاني فقط، مهمة هداية دينية، كانت فيها أرمينيا المسيحية هي الهدف الخاص لاهتمامه، ويحدثنا المؤرخ الأرمني آلشي وريت Elislhe vardopert ـ وكان معاصراً ليزجرد الثاني ـ أنه أصدر ـ في سياق الجهود التي كان يبذلها لتحويل الأرمن بطرق سلمية ـ مرسوماً طالب فيه الأرمن بالتمسك بالدين الصالح، وقد أرفقه بمجموعة قوانين حول الدين، الذي كان من المفترض أن يتمسكوا به، وليس هناك من سبب صالح للشك بوثائقية مجموعة القوانين هذه، حيث إن الكثير من المصادر التي روت الأسطورة الزروانية في شكلها التقليدي، كان آلشي مع ابن جلدته الأرمني أزنيق اوف كولب Eznikf Kolb هما المصدر الأقدم، ويؤيد بينته الشهيدان المسيحيان: آذر ـ هرمز وأناهيد اللذان أعدما خلال حقبه

حكم يزجرد[1]، وعلى هذا إن مجموعة القوانين كانت بالفعل هي الأسطورة الزروانية التي روت ولادة أهورمزد وأهرمان من زروان[2]، وهناك على كل حال ـ بينة إضافية تدلل على أن مهر ـ نرسي كان زروانيا، حيث إنه سمّى ابنه زرواندات، أي أما الإنسان الذي «خلقه زروان» أو الذي يتبع «شريعة زروان» وقد رقي هذا أصولاً ـ إلى مرتبة كاهن أكبر، خلال أيام حكم بهرام الخامس ومما لا شك فيه أن يقدّم إنسان على تسمية ابنه الأكبر باسم زروان، فهذا الإنسان كان يمتلك تبجيلاً خاصاً لذلك الإله، لكن هذا كله لن يصل بذاته إلى درجة البرهنة على أن مهر ـ نرسي كان زروانياً وعلى كل حال ورد ذكر هذه الزروانية في الكتب البهلوية، لكن من دون عبارات إطراء، لأنه في حين جرى وصف الرسول الشيوعي مزدك الذي حصل تقريباً على السيطرة على الإمبراطورية، في ظل حكم كوات (قباد) سلف خسرو أول، الذي كان قد حوله إلى عقيدته بأنه مرتد بشكل مطلق، وصف أيضاً زرواندات بمثابة طاغية، أو هرطقي بصورة مطلقة، ونعلم من عمل بهلوي، من مصدر آخر، أن مهر ـ نرسي الذي كان الإداري الأكثر فعالية واستقامة، قد جرى تقبله من قبل يزجرد الثاني ووضعه موضع الثقة، بسبب أنه كان مذنباً، وبناءً عليه يبدو مؤكداً أن الزروانية كانت الديانة الرسمية للإمبراطورية[3]، أيام حكم يزجرد الثاني، لكن ينبغي تمييز زروانية يزجرد ومهر ـ نرسي عن الزروانية المادية التي حاربها كرتير، وعن مذهب الجبرية الذي انتصر عليه آتربات، ومن الممكن وصف الذي أوجده مهر ـ نرسي بأنه كان زروانية تقليدية، بشرت بأن زروان كان تجسيداً عالياً، وشكلاً أسطورياً للزمن اللامحدود، وكان والداً لأهورمزد وأهرمان، ومن المحتمل أنه تمّ تحريم هذه العقيدة خلال أيام حكم خسرو الأول، بما أنها اختفت من الكتب البهلوية.

---

(١) See T. Noldeke, Syrische Polemik gegen die persische Religion, in Festgruss an Rudolf von Roth, Stuttgart, 1893. p. 34.

(٢) المصدر نفسه: ص ٢٠٧ ـ ٢٠٨.

(٣) For a full discussion of the case of Mihr - Narse, See ZZD., pp. 39 - 47.

أنواع الزروانية:

الكتب البهلوية:

تبقى الكتب البهلوية التي كتبت في القرن التاسع للميلاد، بشكل رئيسي، أي بعد نحو ثلاثة قرون على سقوط الإمبراطورية الساسانية وانقراض الديانة الزرادشتية كعقيدة رسمية للشعوب الإيرانية، تبقى مصدرنا الرئيسي لفهم الديانة الزرادشتية في العصر الساساني لكنها لا تقدم لنا أية صورة واضحة حول التطور اللأهوتي والتبلور التدريجي للتنظيم الثنوي المحافظ والقويم، الذي لا بدّ وأنه قد حدث خلال هذه المدة أو لم يسمح فيها بظهور أيّ إشارة إلى أن الزرادشتية كانت خلال عصرها الفضي تواصل قتالاً مستمراً مع الهرطقة الزروانية بشكل أو بآخر، ومن الممكن أن نكتشف من النقوش، ومن الحملات المسيحية والمانوية التي كانت تستهدف الديانة الزرادشتية، أن قتالاً كهذا قد استمر بالفعل، ولذلك من الصعب كثيراً تحديد طبيعة هذه الهرطقة بدقة، ومع ذلك ما تزال هناك آثار منها موجودة في الكتب البهلوية نفسها، كما لا تزال على قيد الحياة رسالة زروانية واحدة، مكتوبة باللغة الفارسية الجديدة في القرن الثالث عشر وهي معروفة لدينا بشكل متناقض باسم علماني ـ إسلام، أي علماء الإسلام. ويعدّ كتاب دينكرت بين أهم الكتب البهلوية من وجهة النظر اللاهوتية، وهو مجموعة لمعارف دينية، وهو يتألف من قرابة ألف صفحة مطبوعة، وقد ضاع منه الفصلان الأول والثاني مع قسم من الفصل الثالث، ويعد ما بقي من الكتاب الثالث هو مصدرنا الأكثر أهمّية عن اللاهوت الزرادشتي، وعن العلوم الدينية، لأن الزرادشتيين ادعوا أن الوحي الديني الكامل الموجود في الدين الصالح، كان يمسك بمفاتيح الكون المادي والروحي أيضاً.

الأخوان الكاهنان: منوجهر وزاتسفرم

يبدو أنه هيمن في القرن التاسع على الحياة الدينية وعلى التفكير

لدى الطائفة الزرادشتية أخوان، كان كلاهما كاهناً أعلى، وعرف أولهما باسم منوجهر وكان هو الكاهن الأعلى لشيراز وكرمان، وكان الثاني هو زاتسفرم، وشغل منصب الكاهن الأعلى لسركان، وترك الأخوان كل على حدة رسائل تولت معالجة العقائد المركزية للديانة الزرادشتية، ويتضح من رسائل منوجهر التي وجهها ضد بدع أخيه بشكل واضح حول ما تعلق بقضية الطقوس التطهيرية أنه عده أفضل قليلاً من واحد من المانويين، ولقد كتب منوجهر إلى أخيه قائلاً: يجب أن تعرف أن القليل من الناس سوف يعارضوك إذا ما أقدمت على الحديث في اجتماع الطغزغز[1]، ولم يكن اطغزغز قبيلة تركية فقط، وكانوا سيئين بحدّ ذاتهم، بل كانوا مانويين، وكان هذا اتهاماً خطيراً ويتضح من كتابات زاتسفرم الخاصة، إن الاتهام لم يكن من دون مستند، وكان زادتسفرم زروانياً إلى حدّ أنه اعترف على الأقل بزروان وأنه كان بالنسبة إليه تجسيداً عالياً للزمن غير محدود، وكذلك مصدراً مستقلاً عن أهور مزد وأهرمان، وأنه كان الحكم فيما بينهما، وعلى هذا كان البطل المدافع الأخير عن هرطقة كانت قوية من قبل، وكانت هذه الهرطقة عبارة عن نسخة ملطفة كثيراً عن الهرطقة الأصيلة، لكن زاتسفرم لم يتجرأ على الاستمرار بالتأكيد على أن أهورمزد وأهرمان كانا كائنين تأصّلاً وصدرا عن الزمن اللامحدود، الذي هو وحده أزلي فقط وغير مخلوق.

وإذا أمكن عدّ زاتسفرم أنه كان الزرواني الأخير، فقد رأى منوجهر في نفسه التجسيد الحقيقي للمعتقد القويم، ومن الممكن عدّ عمله الرئيسي «داتستاني دينيك» أي «القاعدة الدينية» أنه كان تعبيراً موثوقاً عن المعتقد الزرادشتي القديم، ويعدّ هذا من بعض النواحي، أنه أكثر الكتب الزرادشتية إمتاعاً، لأنه يقدم تسويغاً فلسفياً لمذهب الثنوية الزرادشتية، وبشكل مترابط تقريباً، فضلاً عن ذلك هو يشتمل على نقد مفصل للعقائد التوحيدية مثل:

---

(١) Epistles of Manushchihr, 2. 1. 12: see also ZZD., P. 96, N. 4.

الإسلام، والديانتين اليهودية والمسيحية، إضافة إلى هجوم على المانوية، التي كانت تعد المنافس الرئيسي للزرادشتية.

تدفق الأفكار الإغـريقية والهنـدية

وعلى هذا كانت هذه هي المصادر الرئيسية التي توجّبت علينا الاعتماد عليها حتى نحصل على معلوماتنا عن الديانة الزرادشتية في العصر الساساني، كما أن المعتقد المحافظ القويم الذي تعكسه هذه المصادر، التي كانت تشكل كتاب الأفستا الساساني، ولربما حملت مجموعات الكتابات هذه علاقة بسيطة مع ما كان قد بقي من كتاب الأفستا الأصيل باللغة الأفستاهية، ذلك أنها كانت قد مزجت مع مواد غريبة وخلطت، وما إن أصبحت هذه المادة جزءاً لا يتجزأ منها، حتى منحت صفة الإقرار المقدس، والقبول الرسمي، وينبغي التذكر أن شابور الأول كان قد «جمع تلك الكتابات من الديانة التي كانت نتشرة في كل مكان من الهند، والإمبراطورية البيزنطية، ومن بلدان أخرى، حيث بحثت: بالطب، وعلم الفلك، والحركة، والزمان، والفضاء، والمادة، والخلق، والتكوين، والموت، والتغيير النوعي، والمنطق، والفنون وعلوم أخرى، وقد أضاف شابور هذه المواد إلى كتاب الأفستا، وأمر بإيداع نسخة واضحة عن جميع هذه الأمور في الخزانة الملكية ودرس إمكانية تأسيس جميع أشكال النطام الأكاديمي، وتطبيقه على ديانة عباد مزدا»[1].

ولا يعرف سوى القليل عن نوع «الكتابات من الديانة» التي يحتمل أنها كانت قد انتشرت في الهند، ولكن يتضح من «الدينكرت، وشكند كمانيك ويجار» أنه تمّ اختيار فلسفة أرسطو في المنحى الرئيسي للديانة الزرادشتية وأن هذه الفلسفة قد اتخذت بعض الأشكال الغريبة جداً أحياناً ونعرف من مصادرنا الإغريقية أن بعض الأعمال الغريبة جداً قد انتشرت

---

(١) المصدر نفسه: ص ١٧٦.

تحت اسم زرادشت في العالم الهلنستي، وأنه كان من المفترض أن زرادشت كان المعلم لفيثاغورث، حيث زعم أنه قابله في بابل[1]، وبناءً عليه من الممكن القول إن أعمالاً قد كانت منتشرة تحت اسم زرادشت، قد اشتملت على آراء فيثاغورث، ولعل هذا جاء في المحصلات.

الزنادقة والدهريون:

استمر في العصور الاسلامية استخدام كلمة «زنديك» (أو زنديق بشكلها المعرب) للإشارة المحددة إلى طبقتين من الناس كانوا يشتركون في أنهم غير معترف بهم من قبل المسلمين، والمسيحيين، واليهوديين، والزرادشتيين، وكان المسلمون ينظرون إليهم على أنهم هراطقة خبثاء، حلال سفك دمائهم، وقد قصد بطبقتي الهراطقة المانوية من الناحية الأولى، والماديين الذين كانوا يؤمنون بخلود الكون، وكانوا ينكرون وجود الخالق من جهة ثانية، وحسب رواية المؤرخ المسعودي، استخدمت التسمية الأولى لأول مرة خلال أيام حكم بهرام الأول، التي تلت أيام حكم شابور الأول مع تداخل في مدة الحكم استمرت عاماً واحداً فقط[2].

وتمّ في عصور لاحقة التمييز بين هذين النموذجين المختلفين من الزنادقة، حيث بات يشار إلى المانويين ببساطة على أنهم أتباع المذهب الثنوي، بينما أشير إلى الماديين باسم «الدهريين» ذلك أن كلمة «دهر» هي كلمة كان يقصد بها «الزمن»، ويلاحظ ـ على كل حال ـ أن جذور الطائفتين معاً كانت موجودة في بلاد فارس الساسانية، وهذا تاريخ تقدم كثيراً على ظهور الإسلام.

وصنف الإمام العالم الغزالي مختلف المدارس الفلسفية إلى: دهريين، وطبيعيين، وإلهيين، وقال عن الدهريين: وهم طائفة من الأقدمين

---

(١) المسعودي، المروج، مجلد ٢، ص ١٦٨ ـ ١٦٧ .

(٢) Cf. Hujwiri, Kashf al - Mahjub, tr. R.A. Nicholson, London, 1936, p. 404.

جحدوا الصانع المدبر، العالم القادر، وزعموا أن العالم لم يزل موجوداً كذلك بنفسه لا بصانع، ولم يزل الحيوان من نطفة، والنطفة من حيوان، كذلك كان وكذلك يكون أبداً، وهؤلاء هم الزنادقة[١].

وعلى ضوء هذا من المحتمل أن الزنادقة الذين ورد ذكرهم في نقش كرتير الكبير كانوا يشتملون على المانويين، والماديين، أو الطبيعيين، وأن التفسير أو «الزند» الذي اتبعه الطبيعيون على الأقل مؤخراً، لربما يمكن العثور عليه في تلك الكتابات الصادرة عن العالم البيزنطي، التي عالجت الحركة، والزمان، والفضاء الخ والتي دمجها شابور الأول في كتاب الأفستا، وكان الشعور السائد في الكتابات الزرادشتية نفسها أن هؤلاء الدهريين، أو الزنادقة الذين جرت مساواتهم بالسفسطائيين[٢]، لم يكونوا إيرانيين[٣] ولا بد أنهم شكلوا فريقاً متهلنساً.

استمر بالادعاء أنه زرادشتي، واستطاع أن يدافع عن معتقده القويم بقول أفراده بأنهم كانوا يتبعون التعاليم الحقيقية لزرادشت، التي بقيت على قيد الحياة ـ مع أنها ضاعت في شكلها الأصلي، عندما نهب الإسكندر تخت جمشيد ـ بأعجوبة في ترجمة إغريقية[٤] وقد أعيدت هذه الترجمة الآن إلى مكانها الصحيح في الأفستا الشرعي بوساطة عمل ملك الملوك.

وأخبرنا الجيلي، الذي كان واحداً من الصوفيين المسلمين المتأخرين أن هؤلاء الدهريين أنفسهم امتنعوا عن جميع أعمال العبادة لأنهم بجلوا الزمن، بإيمانهم بخلوده كإله في جوهره وكقوة خالصة وليس كخالق حقيقي[٥]، ولذلك اعتقد الجيلي أنه كان يوجد تحت مادية الدهريين عنصر صوفي لتأمل خالص للربوبية في جوهرها، وربما نكون ميالين للموافقة معه

---

(١) المسعودي، مروج الذهب، المجلد ٢، ص ٨٠ ـ ١٦٧.

(٢) الغزالي، المنقذ من الضلال، دارالنشر: جبير القاهرة، ص ١٨.

(٣) DkM. 250. 3 - 4. ShGV. 6.

(٤) DkM. 406. 2.

(٥) R. A. Nicholson, Studies in Islamic Mysticism, Cambridge, 1921, p. 133.

عندما نأتي لدراسة بعض النصوص الأكثر غموضاً من دينكرت. ومن ناحية الزرادشتية الثنوية القويمة، هاجم مردان فروخ الدهريين، لكنه لم يدخل في تقديره أي عنصر صوفي من المحتمل أنه قد وجد في معتقداتهم، وكانوا بالنسبة له ماديين كاملين حيث قال:

«لا يختلف الملحدون المسمون باسم الدهريين عن الملحدين الأصلين، فهم يتخلون عن واجباتهم الدينية، ولا يبذلون أي جهد لممارسة الفضيلة بل ينغمسون في مناقشة غير منتهية... فهم يعتقدون أن الزمن اللامحدود هو المصدر الأول لهذه الحياة، ولكافة التغييرات المتنوعة، وإعادة التجمعات التي تخضع أعضاؤها وأدواتها له، بالإضافة إلى التخاصم المتبادل الموجود فيما بينهم ولاندماجهم بعضهم ببعض وهم يعتقدون أنه لا يوجد ثواب على فضيلة، ولا عقاب على خطيئة، وأنه لا وجود لا لجنة ولا لنار، وليس هناك أحد مسؤول عن ثواب الفضيلة وعقاب الخطيئة ويعتقدون أن جميع الأشياء مادية ولا وجود للروحانيات»[١].

ولقد كان هؤلاء هم الزنادقة أو الدهريون الذين اضطهدهم كرتير، ويبدو هذا أكيداً حيث أصرّ كرتير على تأكيد العقائد التي أنكرها الزنادقة، وأمر عابر السبيل بعبارات أكيدة «أن يتذكر أن هناك جنة ونار، وأن الإنسان الفاضل سوف يذهب إلى الجنة وأن الإنسان الآثم سوف يذهب إلى النار»[٢]؛ وبما أن الزنادقة رأوا في الزمن اللامحدود المصدر النهائي والثابت الذي عنه نشأ كل شيء، يجب عدهم ماديين زروانيين، نشأت عقائدهم بالتأكيد تقريباً عن تلك الأعمال العلمية التي كان شابور الأول قد دمجها في كتاب الأفستا، بعد ما جلبها من بيزنطة والهند ومن المحتمل بالفعل ـ أن تكون فكرة أن الزمن هو مصدر جميع الأشياء قد نشأت من

---

(١) بالفارسية: شگند گمانيگ ويجار، فرخ مردان، القسم ٦ الجزء ٨ ـ ١.

(٢) M. Sprengling, op. cit., pp. 65, 67.

الهند وليس من العالم الأغريقي، وهناك بالفعل في Maitri upanishad (حوالي ٥٠٠ قد. م) نجد أن الزمن متطابق مع المبدأ الأسمي، وأن للزمن شكلين: أولهما الشكل السرمدي الذي ليس له أجزاء والذي هو الخالد الآن، وثانيهما هو الزمن المقسم إلى أجزاء كما هو مفهوم عادة، وبمعنى آخر، كان الأول: «زمن بلا شكل» والثاني «شكل زمن»:

من الزمن تصدر المخلوقات المحتملة، من الزمن أيضاً تتقدم نحوالنمو، وفي الزمن أيضاً تعود إلى المقرّ[1] ولم يكن الزمن بالنسبة للهنود مجرد وقت كما نفهمه، لكن بوصفه زمناً بلا حدود كان مادة خاماً، أي المادة الأولية لكافة المخلوقات المحتملة ولأنه كان كائناً، هو مصدر كل ما هو لائق، إنه زمان ـ مكان لا محدود، قد أصبح مجسداً بالكون، وهذا الزمن المجسد هو محيط المخلوقات[2]، ومجدداً تظهر مخلوقات مثل هذه في الدينكرت، وقد جرى بذل جهود ـ في الغالب لم تكن ناجحة كثيراً في أحوال كثيرة ـ لتكييفها مع متطلبات لاهوت ثنوي.

ويبدو مؤكداً أنه في زمن هذا التدفق للأفكار الإغريقية والهندية إلى الديانة الزرادشتية الساسانية، كانت الزروانية بشكلها الميثولوجي، ومن دون ذلك لا يمكن أن يكون سهلاً فهم اختيار ماني لزروان، وليس لأهورمزد، ليمثل «إله العظمة لديه» ولذلك لابدّ أنّ زروان، الذي عدّ الزمان ـ المكان غير المحدود، أي الكون الواضح بأسره الذي عنه ينشأ عفريت شرير وعفريت صالح، أو الذي ينجب نوراً وظلاماً قبل هذين[3] هو زروان الذي أشير إليه من قبل في كتاب الأفستا على أنه «اللامحدود»

وأنه لا بدّ وقد اندمج بالضرورة مع الفكرة الأكثر تجرداً لمكان ـ زمان لا محدود كمادة أساسية، أي المصدر الأساسي لجميع الأشياء والتي

---

(١) Maitri Upanishad, 6. 14. (ميثولوجيا اوبانيشادية).

(٢) بالفارسية: البندهشن الهندي، ترجمة: رقيه بهزادى، ص ٦ بند ١٦.

(٣) المصدر نفسه: ص ١٨٢.

ربما استمدها الإيرانيون من الهند، والتي مزجوها مع آراء أرسطو الرئيسية عن المادة والشكل، والاحتمال، والواقع.

الزروانية التقليدية والمادية

كان نموذجاً الزروانية واضحين تماماً في الأصل، وأنهما نشاءا عن مصادر مختلفة تماماً وتبدأ ميثولوجيا بمثابة محاولة لشرح الشيء الذي ربما عناه زرادشت، عندما قال بأن الروح القدس، والروح المخرّبة كانا توأمين وقد تولت التقاط (الزمان أو المكان) اللامحدود، وكونه الشيء الجوهري الوحيد الممكن حتماً، الذي يمكن أن ينشأ عنه التوأمان: إنه مصدر الخير في الأول، ومصدر الشر للآخر، وهو مصدر النور والظلام اللذين لهما شخصيتهما المتميّزتين في الوجود، وقد ارتقت بزروان، أو الزمن اللامحدود، إلى منزلة والد روحي للخير والشر، والد النور والظلام، وهي بذلك تجعل أهورمزد، المتطابق الآن مع روح قدس زرادشت التابع لزروان، حيث بقي زروان نفسه شخصاً وهمياً، أنهت الدراما الكونية شغل دوره.

وعلى كل حال تختلف الزروانية المادية أو طبيعية ـ أي ديانة الزنادقة ـ عن هذا تمام الاختلاف ومن المحتمل أيضاً أن تكون فكرتها الرئيسية من أصل هندي وهي الفكرة القائلة عن الزمان ـ المكان اللامحدود هو الذي نفسه بلا شكل، مع أنه مصدر كل ما له شكل، غير أن التطور الفلسفي للفكرة سار متماشياً مع الخطوط الأرسطوطالية والشيء كله ـ كما قال دينكرت ـ لم يكن أيرانياً، غير أن كل من نموذجي الزروانية قدما تحدياً مباشراً لمذهب الثنوية القويم وتحدياه معاً.

وكما سنحت لنا الفرصة للقول مراراً، خلق الرب الذي دعا إليه زرادشت من العدم، وبتفكيره جاء العالم إلى حيز الوجود، وبكلمات رسول لآخر قال: «كن» فكان، غير أن الإغريق والهنود قبلوا ـ على كل حال ـ هذا الأمر على أنه أمر بديهي على أساس أنه لا يمكن لشيء أن ينشأ من

العدم، ولا يمكن جعله يعود إلى هناك[1] ولم يعد الخلق فكرة محترمة من الناحية الفلسفية: فقد نسي نفاذ بصيرة الرسول، وأصبح علماء اللاهوت الساسانيون ضحايا لفلسفتين غربيتين لم تكن لهما أي جذور في إيران.

رأي زرواني في الارتقاء

وتطورت أفكار مشابهة، وفق خطط ثنوية على نحو أكثر كمالاً في مقطع آخر في الدينكرت[2]، ووصف هنا «مينوك» أو العالم اللامرئي عموماً بأنه وحيد وغير مركب، لكن داخل هذه الوحدة، يظهر التناقص الرئيسي بين النور والظلام ويشتمل هذا التناقض أيضاً على التناقض بين الحياة والموت، ومن خلال النشاط المبدع للرب ينبثق الخلق من وحدته الأصيلة إلى عدد وافر من كائنات «مركبة مرئية وملموسة» وسوف تعود هذه إلى مصدرها مرة أخرى، إلّا أن الوحدة الأصيلة تصبح متميّزة في الصفات الطبيعية الأربع: الحرارة، والرطوبة، والبرودة، والجفاف، فالحرارة، والرطوبة هما مصدر الحياة، بينما البرودة، والجفاف مصدر الموت، كما أن مجرد حقيقة أن الرطوبة، والحرارة هما نشيطان بشكل طبيعي، هي التي تمكنهما من التطور بشكل طبيعي مادي، والبرودة والجفاف، هما عقيمين بالطبيعة، ولا يستطيعان أن يطورا أي نظام حي، وما يظهر على أنه تعابير مادية عن الشر، وكان هذا موجوداً هكذا في زرادشتية قديمة ـ مثل: ذئاب، وأفاعٍ وهراطقة هي بالأحرى تعابير مادية عن النور الأصيل، الذي كانت تملكه روح شريرة، إنها الملابس التي ترتديها الشياطين، ويبدو الآن أن هذه النظرية الخلق، الذي عزاها على نحو شبه دقيق يويموس الرودسي، إلى المجوس، لأنه تبعاً له، دعا المجوس الكون الواضح بأسره (الذي هو وحدة) باسم مكان أو زمان، ونشأ عن هذه الوحدة إما إله فاضل، وشيطان شرير، أو نور وظلام قبل هذين، وبشكل مماثل إن كلمة «مينوك» في النص

---

(١) الدينكرت مدن، ص ٣٤٥ بند ١٦ (DkM).

(٢) البندهشن الهندي، ص ١٠٠ ـ ٩٨ (Ibid).

الذي ذكرناه من «دينكرتنا»، ينقسم إلى «مينوك» النور و«مينوك» الظلام، حيث إن الأول هو مصدر الحياة، والثاني هو مصدر الموت، ونعرف أن النور والحياة، والحرارة والرطوبة هي جوهر أهورمزد، وإن الظلام والموت والبرودة والجفاف هم بالتأكيد جوهر أهرمان، وبناءً عليه نشأ كلاهما ـ حسب هذه الرواية ـ من مينوك الوحيد واللامتميز، وعلى هذا إن هذه هي الهرطقة الزروانية في قناع فلسفي.

ارتقاء خـلاق

نحن نعلم أن مينوك قد استخدم في المعني الجديد تماماً، للدلالة على مادة أولية غير ملموسة وغير مرئية[١] وخالية من الأجزاء[٢]، وهي تدعى باسم «ras» آي القوة الموجهة[٣]، ويبدو أن كلمة القوة الموجهة اسم غريب اعتمد لتتم مطابقته مع ما كان أرسطو سيسمية «مادة أولية»، وهي تتطلب بعض التفسير، وهي ـ على كل حال ـ الكلمة المستخدمة في مكان آخر «القوة الموجهة» للسماء، يعني العالم السماوي الحاوي للخلق المادي بأسره، ومن المعتقد أن «العالم السماوي» أو «قبة السماء» كان يشتمل على الخلق المادي بأسره، أنه الكون الكبير، الذي يصنع الكون الصغير، أي الإنسان على صورته، إنه بالواقع الكون عندما يكون مشكلاً بشكل كامل، أي «العالم» أو «كتييه».

لكن المادة ـ على كلّ حال ـ لا يمكن خلقها أو تخريبها، ولهذا فإن المادة الأولية، التي هي واحدة، هي خالية من الأجزاء ومفتقرة إلى جميع الأشكال وهي تسمى أيضاً باسم القوة الموجهة ras، وبما أنها خالدة بذاتها هي مصدر التكوين كله[٤] إنها زمان ـ مكان لا محدود أكارانا Akarana

---

(١) a - hambut DkM. 398. 20.

(٢) a - bahr Ibid., 399. 4.

(٣) Ibid,. 207. 18.

(٤) DkM., 202 - 203.

المذكور في الكتاب الأفستا، ويعدّ المكان هو الشرط الأساسي المسبق للمادة، ويعد الزمن خلودها، ولولا زمان ـ مكان التي هي من دون الشكل، لكن هناك نصان لا توجد فيهما أية إشارة البته إلى خالق[(١)]، وجرى تصوير عملية الخلق بأكملها على أنها عملية آلية للتكوين من زمان ـ مكان متكامل ولا محدود، وخالد، وعد الزمان ـ المكان أنه المادة التي نشأ عنها التكوين بأسره، ولربما ليست كلمة «تكوين» هي الترجمة المثلى لكلمة Bavishn التي يبدو أنها تنوب مناب حالة كائن غامض، عنه بدأت المليّة الارتقائية بأسرها، لأنها سميت أيضاً باسم «البذرة» أو «بذرة البذور» ومع ذلك هي حتى في هذه الحالة لاحقة للزمان ـ المكان ومتأصّلة منه، ونظر إلى مسيرة الارتقاء بأكملها من مادة أولية (زمان ـ مكان) إلى الكون المتطور تماماً، أنها حدثت في أربع مراحل وتدعى هذه المراحل باسم: التكوين، عملية التكوين، وترسيخ التكوين وأخيراً الكون «غيتيه»، وبالطبع إن مخطط الأشياء هذا الذي لم يذكر شيئاً عن الرب الخالق، هو مخطط غير زرادشتي على الإطلاق، وتكّرر هذا ـ المخطط الرباعي للارتقاء ـ على كل حال مهما كان مصدره ـ مراراً وتكراراً في دينكرت وقد بذلت جهود لتكييفه داخل إطار ثنوي على نحو دقيق، وجرت مساواة المراحل الثلاث، التي سبقت ظهور الكون المتميز تماماً ـ أي مرحلة التكوين، وعملية التكوين وترسيخ التكوين ـ على التوالي في مكان آخر، مع اثنتين من «الصفات الطبيعية» الأربع وهما: السخونة و«الرطوبة»، ومع العناصر الأربعة (النار، والهواء، والماء، والتراب)، ومع حياة عضوية كما هي ظاهرة في الحيوانات والناس، ومجدداً «صار» وحدث أنه تمت تسمية الرطوبة والسخونة «باسم» مادة أولية و«غير مكونة، وأصل كافة الأشكال المادية» وعملية التكوين «أي العناصر الأربعة أي «مادة وسيطة» أو «شكل قدير»، بينما جرى تعريف «ترسيخ التكوين» بأنه «شكل منفصل عن المادة» وهو «مادة نهائية»[(٢)].

---

(١) Ibid,. 133.2 - 6.

(٢) Ibid., 208. 21 - 12 (البند هشن الهندى).

لقد عدّ كلّ من الزروانيين المحافظين والهراطقة الخلق أنّه عملية تحديد لمكان غير محدود، ولزمان غير محدود، وتحويل للمادة الأولية إلى نظام مرتب، وهذا هو التجسيد لزمان ومكان محدودين، وهكذا أن الكون هو نظام حي محاط بالعالم السماوي، الذي ينظم كل ما بداخله، ويشرف عليه، كونه نفسه زمان ـ مكان محدود لأنه روح الكون[١] وعلى هذا إن كل ما يحدث في الاثني عشر ألف عام التي هي مدة الحياة المخصصة لهذا الخلق المادي، هو مشرف عليه ومنظم من قبل العالم السماوي كما وتنظمه أيضاً البروج الاثني عشر، والكواكب السبعة التي تسكن فيه، وهكذا ينبغي أن يكون المصير البشري في أيدي هذه القوى الفلكية، ولقد كانت هذه هي الهرطقة الزروانية الثانية، أي الجبرية الفلكية، وهي قد خالفت بشكل مباشر أيضاً تأكيد الرسول الواضح على الحرية المطلقة للإرادة البشرية، ومثل جميع الأشياء في حالة مزج الخير والشر هذه جرى ـ على كل حال ـ تقسيم الأجرام السماوية، بين الإله الفاضل وبين: عدوه حيث إن الأبراج أو علامات دائرة البروج إلى جانب أهور مزد، في حين إن الكواكب هي بشكل واقعي بيضة الشيطان[٢] ويتعرض كل شيء صالح يرسله أهورمزد إلى مخلوقاته عن طريق الأبراج إلى خطر اعتراضه من قبل الكواكب وأن يعاد توزيعه بشكل غير عادل.

«يقال إن علامات دائرة البروج الاثنتي عشرة...... هم القادة الاثني عشر إلى جانب أهورمزد، وأن الكواكب السبعة هم القادة السبعة إلى جانب أهرمن وتضطهد الكواكب السبعة الخلق بأسره وتسلمه للموت وإلى جميع أشكال الشر، لأن العلامات الاثنتي عشرة لدائرة البروج والكواكب السبعة تتصرف بمصير الكون وتوجهه»[٣] ويعدّ كتاب مينوكي

---

(١) GB. 181. 6.

(٢) Ibid., 8. 13 -14.

(٣) Ibid., 23. .

خرد من بين الكتب البهلوية التي وصلتنا والذي يرى أكثر الميول الجبرية وضوحاً، ولم ينكر التقليديون أنفسهم أن القدر يتحكم بمنزلة المرء الدنيوية، والشيء الذي أنكروه حقاً هو أنه بإمكان القدر أن يؤثر في عمل أخلاقي، عليه يعتمد الإنقاذ النهائي للإنسان أو الإدانة الدائمة، ولقد ارتكزت هذه تماماً، على سلوك الإنسان وفي بعض الأماكن يقترب «مينوك خرد» بشكل خطير من إنكار هذا، فالقدر لا يحدد فقط النصيب الدنيوى للإنسان بل شخصية الإنسان أيضاً: «مع أن المرء قد يكون متسلحاً بالشجاعة، وقوة الحكمة، والمعرفة، مع ذلك ليس من الممكن أن يكافح ضد القدر، لأنه ما إن يجري تقدير الشيء وتحقيقه سواء للخير أو الشر فإن الرجل الحكيم يضل في عمله ويصبح الإنسان ذو المعرفة الخاطئة بارعاً في عمله، ويصير الجبان شجاعاً، والشجاع جباناً ويغدو النشيط كسولاً، والكسول نشيطاً، حيث تنشأ فرصة مؤاتية لكل ما تم تقديره، وتجرف جميع الأشياء الأخرى[١].

لقد كانت هذه آراء الزروانيين الجبريين، التي ناضل ضدها الكاهن الأكبر آتربات بن مهرسبند خلال أيام حكم شابور الثاني، لكن مع إنه انتصر في معركته، وأنقذ عقيدة الأرادة الحرة للزرادشتية، فلقد انتصرت الجبرية على المدى الطويل على خصمها لأنها وجدت حليفاً جاهزاً مع قدوم الإسلام إلى إيران، كما إن الفردوسي نفسه الذي فعل أكثر مما فعله أي إنسان آخر لإحياء أمجاد ماضيهم الزرادشتي، في أذهان أبناء جلدته وبنى قومه رسم صورة للزرادشتية لم تعكس بأية حال من الأحوال، روح العمل الحر المشجع، الذي هو صفته لكافة أطوار الديانة، وعلى العكس هو رأى كوناً محكوماً بشكل متصلب من قبل قدر يتعذر تغييره، وخاضعاً للسماوات المحيطة، ولزمن عديم الرحمة فيه تنهار بطولة الإنسان كلها، ويتفتت كفاحه ويتحول إلى رماد.

---

(١) D KM. 45. 64.

زروانية تقليدية

يبدو أن الزروانية الأصيلة لم تتلق الإقرار الرسمي حتى أيام حكم يزجرد الثاني، مع أنها لا بدّ وقد وجدت في وقت مبكر يعود إلى القرن الرابع قبل الميلاد، حسبما ترينا شهادة يوديموس، فلقد كانت هرطقة لم تدن بالأصل إلى أي شيء للإضافات الخارجية التي أدخلها شابور الأول، وذلك على عكس الزروانية المادية التي ناقشناها فهي كانت إيرانية وزرادشتية بشكل أصيل في أنها سعت نحو توضيح لغز الروحين التوأمين الذي تركه زرادشت من دون حل، فلو كانت الروح المقدسة، والروح المخربة، أي اهورامزدا وأهرمان - كما كانا قد أصبحا الآن - توأمين بالفعل، إذا لابدّ وإن كان لهما أب، وتبعاً للزروانية كان هذا الأب هو زروان، أو زروان أكرنا المذكور في كتاب الأفستاه، أي تجسيد لزمن غير محدود.

وجاءت المصادقة على أسطورة التوأمين البدائيين، اللذين ولدا من زمن غير محدود، في مصادر غير زرادشتية، ومصادر معادية للزرادشتية: وفقط علمائي إسلام[١]، من بين المصادر الزرادشتية المتأخرة، احتفظ بها بشكل معدل، وظهر زروان بين الكتب البهلوية على أنه إله، وليس مصدر زمن لا محدود، وظهر أيضاً في كل من زاتسفرم والمينوكي خرد، ومنح أيضاً إشارة موجزة في جريدة البندهيش للآلهة، ولم يظهر تحت اسمه الخاص أبداً في الدينكرت، بل أشير إليه بمثابة زمن لا محدود (زماني أكنارك).

الميثولوجيا الزروانية

الميثولوجيا محفوظة في عدد من المصادر المسيحية[٢] التي تختلف اختلافاً ضئيلاً فيما بينها ومعناها ومقصدها هو كما يلي:

---

(١) Ibid., 23.

(٢) المرجع نفسه: ص ١٩٣.

«عندما لم يكن هناك شيء على الإطلاق لا سماء ولا أرض وجد إله زروان العظيم بمفرده، وهو الذي يعني اسمه القدر أو النصيب، وقدم أضاحي لمدة ألف عام، عله يحصل على ابن يجب أن يسمي أهورمزد، وهو الذي سوف يخلق السماء والأرض، وعند نهاية مدة الألف عام هذه بدأ يتأمل وقال وهو يتفكر: ما الفائدة من هذه الأضحية التي أقدمها، وهل سأحصل حقاً على ابن يدعي أهورمزد، أو أنني أتعبت نفسي بهذا كله وشغلتها عبثاً؟ وما إن طرأت هذه الفكرة على ذهنه وخطرت له، حتى تم الحمل بكل من أهورمزد وأهرمان، أهور مزد بسبب الأضاحي التي كان قد قدمها، وتمّ الحمل بأهرمان بسبب شكله، وعندما أدرك وجود ولدين في الرحم قطع على نفسه عهداً بقوله: سأجعل ملكاً من الواحد الذي سيأتي إلي أولاً من الاثنين وعلم أهور مزد بنية أبيه، وكشفها إلى أهرمان، فمزق أهرمان الرحم عندما سمع هذا وخرج وتقدم نحو أبيه (وكما ذكر سابقاً).

كانت هذه هي الميثولوجيا الزروانية في شكلها الفجّ، وغريب أنها ذكرت مرة واحدة فقط في سائر الكتب البهلوية، مع أنها عدت نموذجية بالنسبة للديانة الزرادشتية، ووقع هذا الذكر الوحيد في مقطع في الدينكرت الذي قصد به أن يكون تعليقاً شارحاً على يسنا ٣٠/٣، أي نص نفسه الذي تحدث فيه الرسول أن الروح المخرّبة، والروح القدس، بأنهما توأمين، ولابدّ أن علماء اللاهوت الساسانيين مع أنهم كانوا جاهلين باللغة المقدسة التي كتبت بها الأفستاه قد عرفوا أن هذا كان هو التفسير الوحيد الممكن للمقطع الشعري الذي نحن بصدده، لأن هذا التفسير هو من أوضح التفاسير في الترانيم وكان حلهم للغز حلاً بارعاً إن لم يكن حلاً ماكراً، ومع أنهم عرفوا أن هذه الكلمة عنت «على نحو موائم» وهكذا ترجمت بالعادة، مع ذلك فقد فضلوا في هذا المناسبة أن يتظاهروا بالجهل، وترجموها بالكلمة البهلوية Qrish التي هي واحد من أسماء شيطان الحسد، وهكذا كان ممكناً بالنسبة لمؤلف دينكرت أن يمثل العقيدة العدوانية على أنها من إبداع الشياطين، وقد استهدف من الشيء كله الإعلان من قبل

شيطان الحسد إلى الجنس البشري أن أهور مزد وأهرمان كانا أخوين اثنين في رحم واحد[1] وهكذا رفضت الهرطقة الزروانية على أنها إبداع شيطاني.

ومجدداً وبواسطة الزمن اللامحدود يدخل أهورمزد وأهرمان في عهد مهيب يحددان بواسطته الزمن الذي سوف يشنان فيه القتال بعضهما ضد بعض لمدة تسعة آلاف عام[2] حيث تتطابق أعوام الصراع التسعة آلاف هذه مع أعوام السيادة الدنيوية التي خصصها زروان لأهرمان في الرواية الزروانية الكاملة للميثولوجيا.

زروان والعهد بين أهورمزد وأهرمان:

وأتى زاتسفرم على ذكر هذا الميثاق أيضاً والأغرب من ذلك أيضاً، هو إدخاله لشخص زروان في الدراما الكونية، وبدأ مع زاتسفرم بالوصف الثنوي التقليدي للخلق، حيث إن أهورمزد في الأعلى في النور، وأهرمان موجود في الأسفل في الظلام، والفراغ موجود بينهما ومع ذلك عندما بدأ أهورمزد بتكوين خلقه، توجب عليه التوسل إلى الزمن ليساعده لأن كل الأشياء بحاجة إلى الزمن، وما إن كان قد انتهي خلقه حتى كان غير قدر تماماً على وضعه في الحركة، لأن الزمن وحده يملك القوة على عمل هذا وفوق ذلك إن وقت ـ زروان هو الذي ينظم شروط الميثاق بين الروحين: «وبتفكير زروان وتمحيصه حول النهائي سلم إلى أهرمان وسيلة صنعت من جوهر الظلام ذاته ومزجت مع قوة زروان وكأنها كانت معاهدة، وقد شابهت فحماً أسود، ورمادياً، وقال له عندما سلمه أياها: سوف ـ بوساطة هذه الأسلحة ـ تلتهم آز (الرغبة الجامعة) ذلك الذي هو ملك وستموت هي نفسها من الجوع إذا لم تكن في نهاية الأعوام التسعة آلاف قد أنجزت ذلك الذي هددت به، وهو إزالة العهد والقضاء على الزمن[3]».

---

(١) D KM. 829. 1 - 3.

(٢) MKh. 8.6 -7: ZZD., p 369.

(٣) Zs. I. 29 - 30: ZZD. pp. 342 - 30.

وصحيح أنه لم يشر أي من النصوص حتى إلى زروان أنه والد أهورمزدا وأهرمان، أو أن الروحين هما توأمين (يمضي زاتسفرم حتى إلى حد تأكيد إيمانه بالمصدرين من خلال أقوال زروان) ومع ذلك فإن زروان الذي توجب على أهورمزد أن يتوسل إليه من أجل المساعدة، أنه هو الذي كان يتولى ترتيب شروط القتال، وهو أيضاً الذي يتولى تسليح أهرمان بالسلاح الوحيد الذي من المؤكد أنه سيقضي عليه، ولم يتحدث أي نص بهلوي بالفعل أن أبوة زروان لأهورمزد وأهرمان لكنها تتفق كلها على أن زروان ـ الوقت متداخل معهما بالأزلية، وبالحقيقة يبدو أن الزروانية بدأت مجرد محاولة لفهم «يسنا ٣٠/٣» التي فيها يظهر الروحان على أنهما توأمين ولتزويدهما بأب، وتعقد الوضع في ظل حكم شابور الأول، بوساطة حقيقة أن الزنادقة ـ أو الزروانيين الماديين ـ تخلوا عن التعاليم القديمة بأسرها وحاولوا تفسير الكون على أنه ناشئ عن واحد غير متغير، أي زمن لا محدود يمكن أن يكون في الوقت نفسه مكاناً غير محدود ومادة غير متغيرة، ورفض التقليديون المحافظون في النهاية العقيدتين معاً[١].

زروان الواحد والكثير

«ولست أظن عاقلاً يعتقد هذا الرأي القائل، ويرى هذا الاعتقاد المضحك الباطل ولعله كان رمزاً إلى ما يتصور في العقل، ومن عرف الله سبحانه وتعالى بجلاله وكبريائه لم يسمح بهذه الترهات عقله ولم يسمع هذه الخرافات سمعه»[٢].

هكذا رفض عالم الملل والنّحل الشهرستاني الميثولوجيا الزروانية وذلك بعدما قدم رواية عنها، وكانت بالتأكيد رواية سخيفة قدمت فيها تفسيراً لأصل الكون، وأنه لهذا السبب الذي جعل اللاهوتيين المسيحيين

---

(١) M K h. 8. 9: ZZD., p. 369.

(٢) الملل والنحل، الشهرستاني، نشر كير تون، ص ١٨٤.

المدافعين عن عقيدتهم أن يتمسكون بهذه الميثولوجيا دوماً لدى مهاجمتهم للزرادشتيين، وكما قال الشهرستاني: «لعله كان رمزاً إلى ما تصور في العقل» الرمز الدائم الذي تواجهه جميع الديانات في بعض المراحل العلاقة بين المحدود واللامحدود، بين الواحد الثابت الجامد، والكثير الفعال، والمكافح المتغير دوماً، وبالنسبة للديانة الهندوسية، لقد كان المطلب الديني الوحيد الجدير بالاهتمام هو: كيف يمكن الوصول إلى الواحد وراء المتعدد الأشكال، ومن المحتمل أن التوقعات الزروانية تدين هنا بالكثير إلى الهند، وكان زرادشت رسولاً اهتم بمسألة الحياة، كما عيشت في هذا الكون، وكان الهه إلهاً حياً تحدث معه وجهاً لوجه، وكان إلها فعالاً وكان الخالق لكل شيء، ولم تكن جنته أيضاً حالة نعيم خالد، بل كانت امتداداً لا نهائياً لحياة حسبما عيشت على هذه الأرض، مع أنها مطهرة من كافة آثار الإثم والحزن، لقد كان مغيباً بشكل أساسي بحقيقة الشر، لكنه لم يحاول أن يفسر أصله، إلّا أن أتباعه انحرفوا إلى موقف ثنوي بشكل كامل قيد إليهم بشكل محتوم، وجعله أقل من اللامحدود، وشاملاً بشكل كلي، ويكون ثابتاً في الجوهر ويكون مع ذلك مصدراً لتغيير بأسره ولدى الشاعر المسلم جلال الدين الرومي بعض الأبيات الجميلة حول سر الخلق:

قال داود: بما أنه أيها الملك لم توجد لديك حاجة لنا قل إذا: ماذا كانت الحكمة من خلق الحياتين؟

وقال الله له: لقد كنت أيها الإنسان الفاني كنزاً مخبأً ورغبت في أن يظهر كنز المحبة اللطيفة والسخاء[1].

ولقد كان هذا هو المأزق ـ أيضاً ـ بالنسبة لزروان اللامحدود، ووقف زروان ـ ليقول: الوقت وحده لا يحتاج إلى أي شيء، ومع ذلك كل الآخرين يحتاجونه.

ذلك أن الحياة ذاتها لجميع الأشياء تحتاج إلى الزمن، ولا يمكن

(١) R. A. Nicholson, Selected Poems From the Divani Shamsi Tabriz,Ca.

للإنسان أن يعمل شيئاً مما هو كائن أو مما سيكون من دون الزمن، ولا يحتاج الزمن إلى أي من هؤلاء لأي شيء[١] وهكذا توجب حتى على أهورمزد الرب الخالق، أن يطلب مساعدة الوقت عندما عندما فكر بإحداث الخلق، لأنه أيضاً احتاج إلى الوقت[٢] لأنه من دون وقت من المحال عمل أي نوع من الأعمال، فلو لم يكن هناك وقت لما كان هناك خلق.

شـك زروان:

استخدمت بالعادة كلمة زروان القديمة في نصوص ميثولوجية بشكل صرف، لتمثل الإله، وليس لتمثيل الكلمة الفارسية العادية «زمان»، وهي على كل حال استخدمت لتعني اللامحدود، أو المطلق بحدّ ذاته، ولذلك يجب عد الإله الميثولوجي أنه مركز «السر» الذي ولد بوساطته الواحد غيرالمقيد بوفرة الأعداد، ورغب زروان في الميثولوجيا الزروانية كما رغب إله الرومي بوجوب إظهار «كنز المحبة اللطيفة والسخاء» ورغب الكامن والمحتمل أن يصبح ظاهراً أو حقيقياً إنه: «رغب في أن يكون له ابن اسمه أهورمزد ليخلق السماء والأرض، وكل ما هو موجود فيهما» لكن زروان لم يخلق من أي فيض للحياة لأنه كان هناك في جوهر وجوده خلل لم يعرف عنه شيئاً، ورمز إلى هذا في الميثولوجيا بشكه: فهو قد قدم الأضاحي لمدة ألف عام، ثم شك فيما إذا كان لأضحياته أي أثر، والأضحية ـ كما في الميثولوجيا الهندية ـ هي أيضاً خلاقة، ونجم عنها ميلاد أهورمزد الذي هو أيضاً «روح الفيوض» أو بشكل حرفي أكثر «الروح التي تجلب الزيادة» بينما أنتج الشك الإخفاق التام للقوة في اللحظة ذاتها عندما كان الخالق على وشك الخروج منه، فأنتج مصدر الشر ومبدأه، ولم يبدأ السقوط في الزروانية، ولم يتأصل مع الإنسان، بل نشأ من خلل هو خلل بالذات، خلل وشك في قلب الرب ذاته، فقد ولد الواحد «الاثنين» وفي «الثنوية

---

(١) DkM. 128.20-129.: ZZD.,p. 382.

(٢) بالفارسية: گزيده هاى زادسپرم، القسم الاول، بند ٩.

وجد الشر»[1]، وبات الهدف الكلي للدراما الكونية التي كانت على وشك الظهور للعيان، هو إعادة الوحدة المشطورة لكن هذا لا يمكن إنجازه بمحاولة إعادة دمج الشيطان مع المطلق، بل يمكن تحقيقه فقط بإزالة الشيطان كلياً.

وأهرمان الشيطان هو الواقع الملموس الدال على عدم كمال الرب، وعلى إخفاق قوته، وإذا كان للرب أن يصبح كاملاً، عليه أن يغدو متطابقاً تماماً مع أهورمزد الذي جسد حكمته الأساسية وصلاحه ونوره وبما أن الرب اللامحدود هو مصدر الخير والشر وبما أن الرب اللامحدود، وكان فاضلاً تماماً، والرب هو مقسم ومن الممكن إعادته كاملاً فقط بالإبادة الكاملة للشيطان، وعندها سوف يكون الخير واللامحدود واحداً كاملاً لأول مرة بإزالة الزمن المحدود وإلغائه.

الاختلافات الأساسية بين الزروانية والتقليدية المحافظة:

وهكذا، إنّه بصرف النظر عن قضية الأصول المهمة برمتها، تختلف التقليدية المحافظة عن الزروانية، في ثلاثة أوجه رئيسية: في الزروانية أولاً الروحان التوأمان، هما روح صالحة، وروح الشريرة بالاختيار، وليس بالجوهر، وثانياً إن أهورمزد ليس كلي القدرة، ولا كلي المعرفة والعلم، في حين هو بالنسبة للمحافظة القويمة كلي القدرة والعلم، مع أنه مقيد بالمبدأ المعاكس، وثالثاً في الزروانية لم يظهر أهرمان ذكاءً وقاداً فقط، بل نَعِمَ أيضاً بالسيادة الفريدة على هذه الحياة لمدة تسعة آلاف عام، في حين بالنسبة للمحافظة القويمة سوف يكون بطؤه في المعرفة، وخطأ تفكيره، وحماقته التامة، هي الأمور التي ستسبب هلاكه في النهاية، على الرغم من قوته العدوانية، ورغبته الجامحة بالدمار. وتفرق قضية الأصول الفريقين وتقسيمهما بشكل أقل حدة، فبينما ينكر المحافظون صراحة وعلانية أن

---

(١) DkM., 121. 14.

يكون أهورمزد وأهرمن أخوين كانا في رحم واحد، لكن أصبحت طبيعتهما الخيرة والشريرة واضحة ومتحققة عندما انتقل الزمن اللامحدود - الذي لا يعرف لا ماضي، ولا حاضر، ولا مستقبل - إلى زمن محدود[١] وفي النهاية سوف يذوب الزمن المحدود في اللامحدود، وسيكون أهرمان بتوقف الزمن المحدود - في النهاية عاجزاً تماماً في حين سوف ينتقل أهورمزد وخلقه كله مجدداً إلى خلود تامة، تكون راحة أبدية ونعيماً خالداً.

زروان السباعي:

قرأنا أن «زروان امتلك سبعة وجوه، وفي كل وجه ثلاثة عيون[٢]، فهو قد كان إلهاً سباعياً وكان لكل وجه من الوجوه السبعة لطبيعته المعقدة ثلاثة وجوه صغيرة وبوصفه أنه كان زمناً غير محدود، كانت مظاهره الثلاثة مكاناً غير محدود، وحكمةً غير محدودة، وقوةً غير محدودة، يعني قوة لا محدودة لإنشاء كائنات محتملة، سواء أكانت كائنات صالحة أم شريرة، وهو كان هادئاً ومعتدلاً، ولا يعرف الهرم، وكان خالداً ولا يعرف الألم، ولا البلى ولا الفساد، وليس له منافس، ولا يمكن تنحيته أبداً، أو حرمانه من سلطانه في عالمة الخاص[٣] ولم يكن لديه لا سرور، ولا ألم من شر أهرمان، أو من خير أهورمزد»[٤].

وكزمن محدود كان هو الذي يصنع الرجولة، ويوصل إلى مرحلة الفخامة، وهو الذي يصنع الشيخوخة، وتم بشكل تبادلي تغيير نظام الصفات المميزة، فأصبح هو الذي يصنع الرجولة، وهو الذي يصنع الشيخوخة، وهو الذي يوصل إلى الفخامة وهكذا كان هو في هذه الحالة الحياة والموت، والمشرف على الولادة، والنضوج وموت الجسد وبحكم كونه «فرشوقر» كان هو الذي يوصل إلى الفخامة «وهو الإله الذي يوصل

---

(١) DKM. 294. 1-2: ZZD., P. 392.
(٢) Persian Rivayats, vol. ii, P. 53, 1, 10: ZZD., P. 408.
(٣) M K h. 8.7: ZZD., p. 368.
(٤) ZZD., p. 412 (Ulama-yi Islam,. 23).

المخلوقات إلى الرشد، وهو مبع «الفرشكرت»، أي «الإيصال إلى درجة الفخامة» أو إعادة التأهيل الأخير في نهاية الزمان، وعندما يجري التفكير بهذا الدور نجد أن اسمه «فرشوقر» أي الذي «يوصل إلى الفخامة» يظهر في نهاية السلسلة وبحكم أنه نظر إليه ببساطة على أنه زمن لا محدود، فإن مظاهره هي زمن محدود، ولذلك هو المراتب الاجتماعية العظيمة الثلاث: للكهنة، والمحاربين، والفلاحين، وكان هو مبدع الخير والشر أيضاً، وهو المؤيد والخصم والشخص المسيطر على الاثنين، وهكذا يمكن جدولة وظائف زروان السباعي على النحو التالي:

زروان:

كائن: زمان ـ مكان ـ حكمة ـ قوة، تكوين: هوالذي يصنع الرجولة وهوالذي يوصل إلى درجة الفخامة وهو الذي يسبب الشيخوخة، **نظام**: ميترا ـ نظام ـ قدر، **زمان**: زمان محدود ـ سيرالقدر ـ السنة **قدر**: القرار ـ اللحظة الحاسمة ـ القرار الثابت، **الخير والشر**: المؤيد ـ الخصم ـ الشخص الذي يسيطر على الاثنين، النظام الاجتماعي: كهنة ـ محاربون ـ فلاحون[1].

زروان إلـٰـه القـدر

زروان مريض بالروح، إنّه شكّ وعكس مرضه نفسه في العالم السماوي، لأنه لم يشتمل فقط على الإشارات الاثنتي عشرة لدائرة البروج التي تصب الفيوض على الأرض، بل اشتمل أيضاً على الكواكب السبعة التي كانت تعترض سبيل المنح المفيدة لدائرة البروج، وتحولها إلى أناس وإلى أهداف لم تكن مقصودة أبداً، وهكذا كان زروان المجسد هو إله القدر، وبما أنه ترتب عليه نفسه أن يحقق إنقاذه في زمان محدود، وأن

(١) Ibid., pp 220-5.

هي سبل التي يتوجب على الروح عبورها في طريقها من الموت إلى الحساب[1].

وحتمية الموت وعجز الإنسان أمامه هو اتجاه خفي متواصل لكثير من أكبر الآراء عظمة في الشعر الفارسي، ولا بدّ لهذا الموقف المروع تقريباً والمتشائم كلياً في التقاليد القومية الفارسية من إرجاعه في النهاية إلى مذهب الجبرية الزروانية الذي بنى عليه آتربات بن مهر سبند نصره السريع مع الزوال، ومن النماذج الرائجة حول الانهماك بمثل هذا الموضوع التافه ما يلي:

«أما بخصوص الإنسان الذي أغلق الزمان عينيه، فظهره مقصوم، ولن يتمكن من النهوض من جديد أبداً، يداهم المرض فؤاده، فيتوقف عن النبض، وتنكسر يده، فتتوقف عن النمو، وتنكسر قدمه فتتوقف عن السير، وتباغته، فلا يخرج مرة أخرى ويفاجئه القدر فلا يستطيع رده»[2].

إله القيامة

القدر نصيب جميع الناس، ولا يختلف قدر الكون الكبير ـ في هذا الجانب ـ عن قدر الكون الصغير، فالكون يولد ويكبر، ويشيخ ويموت، لكن وفاة الكون هي مقدمة فقط لتغيير تشكيله عند فرشكرت، أي جعل الوجود يصل إلى «درجة الفخامة» عندما يتحّد الزمان المحدود مجدداً مع الزمان اللامحدود، وعندما يجري تجديد الجسد النهائي الذي هو الخلق المادي ولإقامته ولم تكن الزروانية ـ طالما هي موجودة داخل إطارها الزرادشتي ـ متفائلة أكثر منها محافظة لأن زروان ليس هو فقط «زروقر» الذي يجلب الشيخوخة، بل هو «فرشكرت» نفسه وعلى هذا لم يكن

(١) DkM. 294.1-2: ZZD., p 392.

(٢) ZZD,. P 63 ff.·R. C. Zaehner. Zurvan, A Zoroastrian Dilemmà.

«الجبريون» الذين كافح ضدهم آتربات، هم أنفسهم مثل الزروانيين التقليديين الذين اعتقدوا أن زروان كان أباً لكل من أهورمزد وأهرمان[1].

الجبريـة في ملحمـة الفردوسي:

لا يوجد لدى الفردوسي في ملحمته العظيمة سوى القليل ليخبرنا به عن الزرادشتية الأصيلة، ويسود شعره بأكمله جوٌ من الكابة الجبرية لربما ورثه عن الذين أمنوا بمذهب الجبرية في العصر الساساني، ولعل هؤلاء كانوا إما زرادشتيين حقيقيين وسعوا فقط مجال القدر من القسمة المادية الصرفة للإنسان، إلى عمله الأخلاقي ولعلهم كانوا أناساً مثل مؤلف «مينوكي خرد» الذي تسنت لنا فرصة من قبل لنشير إلى تشاؤمه أو ربما كانوا أناساً كالزنادقة، أو كالدهريين استنتجوا جميع الأشياء من زمن لا محدود والذين لم يأخذوا بعين التقدير لا أهورمزد أو أهرمان على حدٍّ سواء، ووجود مثل هذه الفرقة، يمكن استخراجه من نص عند الفردوسي، وهو ـ يحتوي على ما يشبه كثيراً تعاليم مجوسية منقولة شفوياً؛ فقد جرى استدعاء زال والد الإيراني العظيم رستم من قبل الملك، حتى يمثل أمام هيئة الكهنوت المجوسية، وطلب منه الإجابة على سلسلة كاملة من الألغاز، لكنه كان خاضعاً لاختبار في المعرفة الدينية، وكان السؤال التالي هو أول سؤال وجه إليه: «ما تلك الأشجار السرو الاثنتي عشرة الشامخة، والنامية بشكل مهيب وبهي، وقد طلع من كل واحدة منها ثلاثين برعماً لا تكبر ولا تذبل؟»

وأجاب زال: «بأن هؤلاء الأقمار الاثني عشر الجدد الذين يقعون في كل عام، وفروعهم هي أيام الشهر، لأنه هكذا دوران الزمان»

وطرح المجوسي الثاني هذا السؤال: «حصانان نفيسان ورشيقان، أولهما أسود كأنه بحيرة قار، والثاني لامع كأنه كريستال أبيض يعدوان

---

(١) Ibid,. p 410.

ويتقدمان بسرعة، لكنهما لن يدركا بعضهما أبداً؟ وقال زال: هذان معاً الأبيض والأسود، هما الزمن، وهما يدوران دون توقف إحدهما الآخر، فهما الليل والنهار، هما يقومان أثناء سيرهما المستمر بإحصاء كل دقيقة في العالم السماوي فوقنا، ولا يمكنهما إدراك بعضهما بعضاً أثناء عدوهما، فهما يعدوان مثل الدريدة أمام كلاب الصيد».

ثم وجه إليه سؤال عن «أولئك الفرسان الثلاثين المارين في استعراض أمام الملك وإذا بأحدهم قد ضاع، لكن إذا نظرت متمعناً عندما تقوم بتعدادهم تجدهم الثلاثين قد عادوا جميعاً»؟ ورأى زال أن هؤلاء لا بد وأنهم يمثلون ثانية عدد الأقمار الجديدة وأن القمر الذي يبدو أنه مفقود هو اليوم الذي يختفى فيه القمر تماماً، ثم جاء سؤال تعلق «بمرج مليء بالنباتات الخضراء والجداول، ورجل معه منجل حاد كبير، يسير بخطى واسعة، وبشكل متغطرس نحو المرج فيحصد الأخضر واليابس، ولا يصغي إليك إذا ما تضرعت إليه» ولم يجد زال صعوبة في ايجاد جواب لهذا السؤال لأن: «هذا هو الزمن المهلك، ونحن مثل العشب كلنا واحد بالنسبة له، الأحفاد، والأسلاف، وهو لا يهتم بالشيوخ ولا بالشبان وهو يصطاد كل فريسة تقع على طريقه، فهذه هي طبيعة الحياة الدنيا، وبنيتها في أنها لا تنجي من الموت أي مخلوق، لا أم، ولا ابن، فنحن ندخل من باب ونخرج من باب آخر، والزمان يحصي أنفاسنا» ثم سئل بعد ذلك عن: «شجرتي سرو عاليتين، مثل قصب في بحر عاصف، وقد بني عصفور عشه عليهما[1] حيث كان يجثم على أولاهما عند الغسق، ويجثم على الأخرى عند الفجر وتذوي أوراق الأولى عندما يطير عنها وتنبعث من الشجرة الثانية رائحة مسك عندما يحطّ عليها، وتكون الشجرة الأولى بين هاتين الشجرتين دائمة الخضرة، في حين تكون أوراق وثمار الشجرة الأخرى ذابلة بأكملها».

(١) بالفارسية: المجلة الثقافية، الرقم ٤٠ ـ ٣٩، القسم: الشاهنامه والتاريخ.

ورأى زال أن هاتين الشجرتين «هما الذرعان للعالم السامي الذي فيه نبتهج، وفيه نحزن... وأن الطير الطائر هو الشمس التي منها يستمد العالم الأمل، والتي منها يخاف».

ومجدداً أعادنا الانشغال بالأيام، وبالأشهر، والأعوام الذي أظهره مجوسي الفردوسي مباشرة إلى كتاب الأفستاه، مع تبجيله الغريب لتقسيمات الزمان، وعلى هذا اعتمد الفردوسي على مادة إيرانية أصيلة، لكنه قمع رسالة الأمل الزرادشتية المعلنة، أنه مع أن هذه الحياة زائلة وخاضعة للبلى، ومع أن توازنها قد اضطرب بالحركة الفوضوية التي أدخلها إليها أهرمان والشياطين، فإنه سوف يتم إصلاح هذا كله في النهاية، وسوف يتم تجديد الجميع وايصاله إلى «مرحلة الفخامة» في الخلود، وليس هناك أي تلميح حول هذا في الفردوسي وبيت الخلود وهو نوع المكان الذي تغادره لتجريب حظك في عالم تعرف أنه مليئ بالأشواك، وهو نوع المكان الذي سوف يجعلك زلزال فقط أن تعود إليه، مع «نذير شر الطويل» بعد ذلك، وهناك إشارة ضمنية أنه سوف تتم مكافأة الفضيلة، وفضح الفسوق، لكن ليس هناك أدنى تلميح إلى ما ستكونه المكافأة، وبيت الخلود خال من السعادة وهو قلعة ضخمة شبيهة بمدينة محاصرة أكثر مما يشابه جنة النعيم التقليدية، وهو الرمز نفسه لليأس ولربما كانت هذه هي الرؤيا المتشائمة أتباع المذهب الجبرية، وللزنادقة أيضاً الذين لم يكونوا يؤمنون بوجود جنة ولا نار ولا إله ولا شيطان، بل كانوا فقط يؤمنون بزمن غير محدود، غامض ومجرد، نشأ منه عالم فارغ ومبهم، ويذوب فيه من جديد[1].

على هذا بدت الزروانية وقد اشتملت على انحرافين واضحين تماماً ضمن حظيرتها أوّلها مساواة المبدأ المؤنث مع الشر، والثاني تخصيص القدرة بأكملها بالقدر، جاعلاً بذلك جميع العمل والتصميم عقيماً، ولربما كان مذهب الجبرية هو التهديد الأكثر خطورة، الذي ترتب على الزرادشتية

---

(١) بالفارسية: الشاهنامه الفردوسي، القسم «گنج وادب» الجزء ٥٠١.

محاربته لأنه حاول نسف صخرة الحرية الطليقة للإرادة البشرية التي بنيت عليها ديانة الرسول الإيراني، ولقد حان الوقت الآن لدراسة ما كان لدى المحافظين ليقولوه عن هذه المسألة الشائكة، حول القدر والإرادة الحرة.

نتيـجة:

إن قضية الزروانية مختلفة تماماً، وأكثر تعقيداً، حيث إن هذا الشكل من الزرادشتية، الذي توجد حوله أثار غامضة في الكتب البهلوية، هو الذي تعرض لهجوم اللاهوتيين المدافعين عن المسيحية والمانوية، ممن صنف كتبه خلال العصر الساساني، ولذلك استنتج أن الزروانية كانت هي الشكل المتحكم من الديانة الزرادشتية خلال تلك الحقبة كلها، لكن هذا ـ على كل حال ـ فيه مبالغة في تبسيط القضية. وتختلف الزروانية عن الشكلين الزرادشتيين الساسانيين اللذين درسناهما حتى الآن، وذلك لأنها تدخل شخصية ثالثة إلى الدراما الكونية، إضافة إلى هرمزد وأهرمن، وهذه الشخصية هي زروان أكرنا (بالبهلوية زروان أكنارك) أو الزمن اللامحدود (الدهر) لكتاب الأفستا، والحل الزرواني لمشكلة الشر قائم أيضاً على أساس «يسنأ ٣٠/٣ ـ ٤» التي جرى تفسيرها حرفياً، فقد أعلن هناك بشكل واضح أن الروح القدس والروح المخربة كانا توأمين، وإذا كانا توأمين، لا بدّ بالتأكيد من أن يكون لهما أب، ولذلك من كان هذا الأب؟ فنحن نعلم أنه جاء في ترانيم أهورمزد ـ أن أهورا مزدا ـ كان نفسه والد الروح القدس، ولذلك من المحتمل أنّه كان والد المخرّبة أيضاً، لكن أهورمزد والروح القدس كانا متطابقين بالنسبة للزرادشتية المتأخرة، ولهذا بات من الضروري العثور على والد نفسه، لأنه كان قد أصبح الآن واحداً من التوأمين وبالرجوع إلى ترنيمة الزرادشتية، كانا أهورا مزدا متطابقان مع النور، ومن المناسب الافتراض أن أهرمان كان متطابقاً مع الظلام، وتم فيما بعد تخصيص المجالات الخاصة بكلٍّ واحد منهما، حيث وضع أولهما في السماء في نور سرمدي دائم، ووضع الآخر في الأرض في الظلام بلا نهاية، وهكذا وضع كل منهما حدوداً للآخر، فلم يتجاوز أي

منهما لا المكان ولا الزمان، لكن لا يمكن للوعي أن يرضى أبداً إلهاً محدوداً ـ محدوداً بالمكان إن لم يكن محدوداً بالزمان ـ ولذلك يبدو أن الزروانية اخترعوا ميثولوجيا من «يسناً ٣٠/٣ ـ ٤» (التي ورد فيها ذكر أن الروحين كانا توأمين) كان اللامحدود ـ وفقا لها ـ هو والد الروحين المحدودين، وهذا الوالد غير محدود في الزمان وغير محدود في المكان، وبناءً عليه يبدو أن هذه أصل الأسطورة الزروانية التي جعلت من زروان، أو الزمن اللامحدود (الدهر) المصدر الأصلي، الذي نشأ عنه كل من النور والظلام، والخير والشر ـ أهورمزد وأهرمان ـ وتم تأييد هذا من خلال إحالة مبكرة.

وإشارة وردت حول هذه الميثولوجية في مصدر إغريقي، ذلك أنه وفقاً لما رواه يوديوس Eudemus الرودسي، الذي كان واحداً من تلاميذ أرسطو، كان المجوس وسائر العرق الآري: يسمون سائر الكون المدرك بالعقل والمتكامل باسم مكان أو باسم زمان، عنه انفصل إله خير، وشيطان شرير، وحسب ما يقوله آخرون: لقد انفصل النور والظلام قبل هذين، غير أن الفريقين يعتقدان أن هذا التكوين الثنوي للقوى العليا ناتج عن كائن ولاحق به ومميز عن كائن غير مميز (Physis)، ويحكم أهورمزد أول هاتين القوتين، في حين يحكم أهرمان القوة الآخرى[1].

وكانت هذه هي الرواية حول الأسطورة الزروانية، التي وصلتنا، ولا يوجد سبب جدي للشك في أن عزوها إلى تلميذ أرسطو أمر موثوق به[2]، لأنها لم تتخذ حتى الآن الشكل المقولب الذي نجده في المصادر اللاحقة، ويمكننا أن نكون متأكدين في هذه الحالة، أن الرأيين بخصوص أصل الشر كانا شائعين في القرن الرابع قبل الميلاد، حيث ذكر أرسطو نفسه رأي العقيدة المحافظة القويمة المتأخرة، التي كان يوجد وفقاً لها مصدران هما

---

(١) يسناً، ٣٠ بند ٣ ـ ٤.

(٢) Ibid, 14. 47.

الروح الخيرة والروح الشريرة، أولهما اسمه زيوس أو هرمزد بينما الآخر باسم هاوس أو اوريمانيوس (أهرمان)[1]. وهذا تأمل لاهوتي على «يسنا ٣٠/ ٤٠»، الترنيمة التي صممت لتظهر تماماً كيف لقوى الخير والشر أن تكونا توأمين، وقد بلغت الأوج في تضرع نهائي لزمان ومكان غير محدود يتبع قانونه الخاص وبحلول الوقت الذي تأسست فيه الأسرة الساسانية، كانت الثنوية المتزمتة، والتعديل الزرواني لها نشيطان تماماً.

ويُعدّ كتاب دينكرت بين أهم الكتب البهلوية من وجهة النظر اللاهوتية، وهو مجموعة معارف دينية، وهو يتألف من قرابة ألف صفحة مطبوعة، وقد ضاع منه الفصلان الأول والثاني مع قسم من الفصل الثالث، ويُعدّ ما بقي من الكتاب الثالث هو مصدرنا الأكثر أهمّيّة عن اللاهوت الزرادشتي، وعن العلوم الدينية، لأن الزرادشتيين ادعوا أن الوحي الديني الكامل الموجود في الدين الصالح، كان يمسك بمفاتيح الكون المادي والروحي أيضاً، ولقد كان معرفة روحية أو علماً شاملاً، ويشتمل كتابان من الكتب البهلوية المتبقية على مقاطع شبه زروانية في الهدف على الأقل.

على كلّ حال بعض السمات الزروانية غير منسجمة على الإطلاق مع العقيدة المحافظة للعصور الساسانية، ففي الكتب البهلوية نجد أن أهورمزدا المذكور فيها كلي القدرة، بمعني أنه يستطيع أن يقوم بأي شيء ممكن «وقوته» تكون بالفعل محدودة بقدر ما هي مقتصرة على الممكن، لكن في إطار اللامحدود تكون غير محدودة[2] ويعني هذا أنه ما يكون متطابقاً مع اللامحدود يكون كل احتمال كامناً فيه، لكن بحكم أنه يعمل في إطار الزمن هو يستطيع أن يعمل ما هو ممكن، فهو لا يستطيع ـ على سبيل المثال ـ أن يغير الطبيعة الشريرة لأهرمان إلى طبيعة خيرة، لأن أهرمان حسب رأي المحافظين هو جوهر الشرير والجوهر ـ بالتحديد[3] هو شيء لا

(١) رواية بهلوي ٣ ـ ٥٦.

(٢) دينگرد مدن، ٤٠٦ بند ٢.

(٣) شگند گمانيگ ويجار، جلد ٦ ص ١ و٨.

يمكن أن يتغير مطلقاً ونجد على كل حال في الزروانية المقدمة إلينا من خلال مصادر غير زروانية أن أهورمزد ليس كلي القدرة، لا بل حتى إنه غير قادر علي الاعتناء بمصالحة الخاصة، وهكذا هو قد كشف من دون مسوغ السر إلى أهرمان حول أي من التوأمين عليه أن يقدم نفسه أولاً إلى أبيهما زروان، حتى يتسلم المملكة، ومجدداً إنه بعد ما خلق السماء والأرض لم يستطع أن يجد طريقة لإنارتهما، وقد توجب عليه أن يتلقى تعليمات حول كيفية صنع هذا من شيطان مرتد، قدم من معسكر أهرمان[1] ومثل هذا إن أهرمان الذي هو جوهر الشرير بالنسبة للمحافظين، هو شرير بالاختيار بالنسبة للزروانيين، فهو قد اختار السلاح المشؤوم الذي قدم له زروان، مثل النار المحرقة والإضرار بجميع المخلوقات، وهذا اختلاف حقيقي وأساسي بين الزروانية وبين العقيدة المحافظة القويمة وبالتالي يستطيع الشخص المتحول من الديانة الزرادشتية إلى الديانة المسيحية أن يسخر موبخاً للمحققين معه بالكلمات التالية: «هل يترتب علينا محاولة إرضاء أهرمان، الذي يبدو حسبما تقولون أنفسكم: حكيم، وعالم، وقدير، وقدير من أعماله تماماً مثلما يبدو أهورمزد: ضعيفاً، وأحمقاً، لم يستطع أن يخلق شيئاً إلى أن تعلم من أتباع أهرمان[2]».

وكان الزروانيون أقرب إلى آراء زرادشت أكثر مما كان أتباع العقيدة القويمة المتأخرون، وذلك في تأكيدهم على أن الروحين كانا روحاً خيرة، وروحاً شريرة ـ بالاختيار «لكنهم ضلوا كثيراً عن الطريق الذي كان قد سلكه، ذلك في عزوهم قدرة كلية، ومعرفة غير محدودة، وأقل، إلى أهورمزد، وعلاوة على ذلك جرى منح أهرمان في الميثولوجيا الزروانية قوة كبيرة جداً لفعل الأذى في هذه الحياة، أكثر مما يمكن للمحافظين أن يمنحوه.

وكان زروان قد وعد بأن يجعل أول التوأمين الذي يحضر أمامه

---

(١) دينگرد مدن، ٣٤٥ بند ١٩.

(٢) المرجع نفسه، ص ١٧١.

ملكاً، وهو لم يستطع أن يحنث بوعده، لأن طبيعته الأساسية مستقيمة[1] ولذلك أصبح أهرمان ملكاً على هذا الكون لمدة تسعة آلاف عام، بينما حكم أهورمزد فوقه في السماء فقط، ويعد المحافظون أكثر تفاؤلاً لأنه خلال التسعة آلاف عام التي يمتزج فيها الخير والشر مع بعضهما بعضاً، ويتصارعان أحدهما مع الآخر في هذا العالم، سوف تنقضي ثلاثة آلاف عام كاملة حسب إرادة أهورمزد، وفي المعركة الأخيرة سوف تجعل الروح المخربة ضعيفة، وسوف ينقذ أهورمزد بنفسه الخلق من العدوان[2].



(١) مينوك خرد، ٨ بند ٦.

(٢) دينكرد مدن، ص ٨٢٩ بند ١و ٦.

الخاتمة

وقد عمدتُ في مختلف فصول هذه الرسالة (أطروحة)، إلى تفسير وتحليل آراء الزرادشتية، حول مختلف القضايا، الواردة في نصوص الأفستا والجاتها. وفي هذا البحث نستنتج أن الهدف الرئيسي لزرادشت، هو تربية الإنسان وتطوير الفضايل العليا المعنوية في الإنسان.

وفي رأي الزرادشتية، أنّ الإنسان الصادق يستطيع ان يصل إلى السعادة في الأرض، وهو إنسان صالحٌ ويتمتع بالفكر الحسن والقول الحسن والعمل الحسن في مسيرة الحياة. وعبر هذه الأعمال يستطيع أن يوصل بالسعادة والهدوء بالحياة. والتعاليم الزرادشتية مبنية على الأصول العملية وزرادشت هو معلمٌ حقيقيٌ وتعاليمه بعيدة عن الخرافات والأوهام.

ويشير زرادشت في تعاليمه إلى الطريق غير المباشر إلى عالم ماوراء الطبيعة وما فوق الحس، الآراء الرئيسية تتوجه إلى علاقات الحياة في ما بين الناس، هو يعيش الحياة الواقعية في الأرض وحيث إنّا الواقعية موجودة بقوة ولكن لا يقطع رأيه عن العالم ماوراء الطبيعة. حيث إن في بعض الأوقات نشاهد ونحس أن زرادشت عندما كان في حالة العروج الروحي من العالم المادي إلى العالم الحقيقي ويتوجه إلى عالم الأوهام والتخيل من أجل عروج الحياة الروحية والمعنوية للإنسان، ويكون هذا العروج للحياة عروج روحي ومعنوي للإنسان.

إن الباحث المطلع على أفكار الغاثا يستغرب وجود هذه الأفكار الخيالية لدى أتباع زرادشت.

وقد بينا عدم نجاح وسعادة هذا، ضمن شرحنا للعقائد الزرادشتية في الأطروحة. وينبغي التأكيد على أن ترويج الديانة الزرادشتية في إيران، استمر قروناً طويلة من حين ظهور هذا الدين في إيران، ولكن في وقتنا الحاضر تغييرت أصول الديانة الزرادشتية في إيران، بشكل كليّ.

تعاليم زرادشت تتأثر جذرياً بالثقافة الأفستية وأيضاً تتأثر بالأساليب والأشكال الاجتماعية الإيرانية. أضف أن الأفستا القديمة انحرفت عن التعاليم الزرادشتية، ولكن بالمقارنة مع التعاليم المذهبية الأخرى في عصره وحتى في قرون طويل بعد ذلك، نلاحظ أن تعاليمه كانت صافية وخالصة ومستقلة وغير متأثرة بالتعاليم الأخرى وكانت بعيدة عن الأوهام والخرافات؛ ولو أن تعاليم زرادشت قبل حكومة الأخمنيين لم تتلوث بالأوهام والخرافات والشعائر التي أسقطها الكهنة ذلك الوقت لم تكن لتنزل تعاليمه إلى الحد الأدنى مثل فنديداد.

أكثر أديان العالم تسير على مر الزمان وتحت إشراف الطقوس والآداب والشعائر تتلوث وتتحجر بالأوهام والخرافات وتسقط وتتراجع إلى الوراء.

وفي الروايات الزرادشتية تُنسب الموضوعات المختلفة في أساسي هذا الدين، والخطة الدينية، إلى زرادشت، لكن هذا المسائل خلاف الواقع، وتحامل على زرادشت لأنه لم يقم هو بوضع هذه الأسس. وجاء ظهوره (زرادشت) في زمان ومكان غير متطور والناس في ذلك العصر لم تستطيع أن تتقبل فكرة الحكومة الديموقراطية..

وفي هذا الإطار نستنتج إنّ التعاليم الزرادشتية على قسمين:

١ القسم الأول: الخصوصيات الفرديّة

وفي هذا القسم، أن زرادشت مقصودة كانت تربية الإنسان الصادق مع حسن السلوك وتسميه الأفستا «آشه ون».

«آشه ون» هم الأشخاص الذين يفكرون بالفكر الحسن وصفاتهم: القلب النظيف والهادئ وهم يساعدون على اجتماع الناس مع الأعمال الصالحة والفكر الحسن، ونشاهد في القسم الأمشاسبندان والثواب والعقاب في الديانة الزرادشتية وفي كلام زرادشت، إن اصحاب العمل الصالح والصادق ينبغي أن يجهدوا حتى يصلوا إلى الفضائل المعنوية والسعادة الأهورائية، لأن هذه الفضائل المعنوية والسعادة الأهورائية، جسر يصل بين الناس وأهورا مزدا، أولئك هم الصادقون والصالحون والمجاهدون في سبيل الحق وجزاؤهم جنات النعيم مع الفكر الحسن والضمير الهادئ والقلب المطمئن.

٢ القسم الثاني: الخصوصيات الاجتماعية

وفي هذا الإطار، بالجهاد في سبيل الحق من جانب الإنسان الصالح والصادق يمكن تأسيس الحكومة الأهورامزدا وسعادة الإنسان. وفي «أليسنا ١٠/ ٣٠» في الأفستا يقول:

حينئذ سوف يتوقف «الشر» عن الإزدهار، بينما الذين اكتسبوا السمعة الطيبة سيجنون المكافأة الموعودة، في المستقر المبارك للعقل الخيّر والربّ الحكيم، والحق.

وفي اليسنا ١٥/٣٢ يقول:

ليلحق الخراب بهذه الأفعال، وجنس المضحين والكهان السحرة وهؤلاء الذين يحرمون، على أيديهم، من العيش كما ينبغي، عسى أن يحملوا بعيداً عنهم إلى مقر العقل الخير.

وفى أكثر ترانيم الزرادشت، من خلال العقل الخير، يريد الآشا ووهومن.

وأيضاً «في اليسنا ٤٣»:

لعل الرب الحكيم، الذي يحكم وفق مشيئته، يمنح كل منّا ما تيمنّاه،

أنا أرغب في القوة والاستمرار لأساند الحق، هو الذي أعطيت بالتقوى المنح الوافرة وحياة العقل الخير، ولعل الخير الأسمى يكون لنا، كما يرغب المرء، في النعمة، ستكون له النعمة بوساطة نفسك بعيدة النظر، أيها الرب، عجائب العقل الخيّر الذي ستمنحنا إياه كحق مع سعادة الحياة المديدة كل الأيام.

وفي «اليسنا ٥/٤٩»:

لكن هؤلاء الذين يوحّدون ضمائرهم مع العقل الخير، أيها الرب الحكيم، ويتدشنون بماء القطيع، الذين صاروا من خلال الحق فرسان التقوى، لكن هؤلاء سوف يكون لهم مكان في ملكوتك أيها الربّ.

وهذا الذي جاء في هذه الترانيم:

إن مكان الحكومة والاستقرار عند الرب هو مكان يتعلق بالإنسان الصادق والصالح.

وفي «اليسنا ١٥/٥١»:

المكان الأزلي للأهورا مزدا، هي سرادق الترانيم والأناشيد و: منزل الأغنية الذي وعد به «زرادشت» المتقين، كان الرب الحكيم أول من دخله، لقد وعدكم بكل نعيمة، لأجل عقلكم الخير واستقامتكم.

وفي هذه البحوث، هكذا رأى الباحث مزديسنية البارسية واسمه «دهالا» من اقليم الهند، «دهالا» هو الذي يترك التعصب والتحجر لأجل الديانة، ومقصوده كان التوصل إلى المعارف الحقيقية والرئيسية في مختلف الأديان، ويقول: الديانة الزرادشتية، ديانة الحقيقية والأبدية، ومؤشرات ثبوت الأبدية لهذه الديانة: الاعتقاد بأهورا مزدا، الإيمان وثبات الأقدام في مصيرالحياة مع الفكر الحسن، القول الحسن والعمل الحسن، ورعاية الدستور والقوانين عن الطريق الصحيح، ويعتقد بالثواب والعقاب في الحياة بعد الموت، تقدّم العالم نحو التطور، والانتصار النهائي الحسنة على السيئة، وهذه مؤشرات الثبوت والبقاء في الحياة حتى النهاية.

إنّ المتعصبين للعقيدة (Dogmatism) في الحياة اليومية بنوا عقيدتهم نحو التطور والتقدم الروحي على أساس التطور الإنساني مع الإنسان الآخر، وهم مع الدين وليسوا متديّنين، ويمكن لهذا الإنسان (Dogmatism)، المتعصب أن يترك التعصب للعقيدة ولكن على رغم الترك، يبقى مؤمناً ومتديناً، فلذا الصدق والصواب يستندان إلى التقوى الشخصية وليس على الطقوس والشعائر وإنجاز الأعمال الدقيقة في المراسم والتطهير.

من الموضوعات المختلفة في التعاليم الزرادشتية، نستطيع أن نستنتج، أن حركة الزرادشت حركة عميقة ودقيقة، وكانت تحذير للكهنة ورؤساء الكهنة في النظام الكهنوتي، وفي هذا العصر كان الكهان رؤوس وقيادي النظام، وزرادشت هو شخصٌ مصلح وصادق ومقاوم في مقابل الظلم والظالم، ومخالف للطقوس والشعائر الكاذبة الآريائية، هو خصم للظالمين وعون للمظلومين والضعفاء، هذا ما سبّب هجوم الكهان والكاذبين على زرادشت حتى قتلوه.

وهو الذي ما جاء في أليسنا ١/٤٦:

إلى أي أرض يمكنني الهروب؟ إلى أين تتجه خطواتي؟ وأنا مبعد عن العائلة والقبيلة، لا أجد سبيلاً إلى القرية التي إليها أنتمي، ولا من حكام البلد الأشرار، كيف إذن، أيها الرب سأنال عطفك؟

في النهاية إن أي قارئ لهذه الأطروحة، يصل إلى هذا الواقعية، إنّ زرادشت يطلب السعادة والصحة والسلامة من أجل الناس والمجتمع وأيضاً يطلب الأخلاق الحسنة والفضائل العليا الإنسانية، والمقصودة بالنهاية تربية الإنسان حتى يصل إلى مدينة فاضلة.

ومن المؤكد، في أي مكان إذا أوجد الكمال المطلق والفضائل الأخلاقية العليا والإنسان المعنوي، نجد السعادة والصدق والصواب.

الملحق الأول

الجاتها (الخاثا)

«الجاتها» أو الأناشيد السماوية، هي دروس للحياة وللإنسانية وتعلّم الإنسان في سعيه إلى بناء عالم عامر وحرّ ومتقدّم، كيف يعيش بسعادة ورفاهية. هذه الأناشيد تنقسم إلى خمسة أقسام وهي:

أهنود، أشتود، سپنتمد، وهوخشتر، وهيشتوايشت، والأناشيد هذه التي تسمّى «گات» أو «جات» لها فصول تسمّى بـ «هات» هي الأقدم والأهم ممّا جاء في الأفستا.

أما موضوع عبادة الإله أو أهورمزدا والسعي لمعرفة الخالق الأحد وإعطاء ملاحظات حول «أهورمزدا» أو الخالق الحكيم وطريقة الوصول إليه فتشكّل أهمّ وأعظم ما جاء في «الجاتها».

وقد جاء في الجاتها بأنّ «آشو زرادشت» هو أوّل المعلّمين للبشر وأوّل المبشّرين بعبادة الإله الواحد؛ وهو قد دعا الناس إلى عبادة الإله والخالق لكلّ شيء والذي ليس له مثيل.

مما لا شك فيه أنّ آشو زرادشت قد بعث قبل المسيح بنحو ٦٦٠ سنة، لهداية الناس وإلى معرفة الإله الواحد وكان الجهل والخرافات والتخلف مسيطراً على كلّ أنحاء الأرض الإيرانية وكانت هناك آلهة خرافية موضع العناية والاحترام، وكانت تقدّم لهذه الآلهة قرابين وأضاحي، وفي تلك الحقبة كان آشو زرادشت يدعو الناس إلى عبادة أهورمزدا خالق كلّ شيء.

تصف الـ «جاتها» أهورمزدا بأنّه أزلي وأبدي، وهو البداية والنهاية لكلّ شيء وهو الأعلى والأفضل من كلّ شيء، النور الذي لا نهاية له، والروح الخالصة، وهو الناظر والحاضر على أعمال العباد، الرحيم والرحمن والرؤوف الخالد وغير القابل للتغيير، العالِم والخبير بكلّ شيء، البصير والناظر، لاشريك له ولا مثيل، لن ينخدع، الأب والصديق الرؤوف والمخلص.

أما الموضوع الذي تكرّر كثيراً في «الجاتها» فهو وصف كلام آشو زرادشت بأنّه كلام إلهامي ووحي إلهي من قبل أهورمزدا؛ وقد جاء هذا في بداية «أهنودگات» حينما تقول: إنّ جميع أفكار آشو زرادشت وكلامه وأفعاله، هي كلّها مستلهمة من الإله الواحد وكلّ هذا لهداية الإنسان إلى الكمال والسعادة[1].

أمّا الموضوع الأهم والذي تمّ التشديد عليه الجاتها ويعتبر واحداً من الأركان المهمّة في دين «مزديسنا» فهو موضوع حرّيّة الإنسان في انتخاب الطريق واختيار الدين وبذلك، ومقابل حرّية الاختيار هذه، يكون الإنسان مسؤولاً عن أعماله وأفعاله. ولكلّ عمل صالح جزاء خير ولكلّ عمل سيئ عقاب سوء. ويمكن القول بأنّ قانون «آشا» يعني الفعل وردّة الفعل ويكون حاكماً على كلّ شيء وفي كلّ وقت ولهذا لكلّ عمل ثوابه أو عقابه.

وفي الديانة الزرادشتية، وبناءً على ما جاء في الجاتها الابتعاد عن الأعمال السيئة والشر والفساد لا يكفي، بل يجب السعي لمنع حصول هكذا أعمال وهداية المنحرفين والمجرمين إلى الطريق الصحيح.

وكذلك الإنسانية في التعامل وحبّ الناس، ومسايرتهم وكسب وُدهم، هي مواضيع مهمّة وتقول الجاتها إنّ أشو زرادشت يهتمّ كثيراً بالنواحي الأخلاقية للنّاس وهو يريد أن يعيش جميع أبناء البشر جنباً إلى

---

(١) بالفارسية: اردشير آذر گشسب، الجاتها (الأناشيد السماوية)، ص ٥ وما بعدها.

جنب بسلام ومحبّة وأن يحبّ بعضهم بعضاً في سعادة وحنان. ويقول آشو زرادشت: إنّ الارتباط مع الإله ولقاءه لا يمكن أن يتحقّق إلّا عن طريق تقوية وتعزيز «أنوار الأهورائي» والتي تسمّى «آمشاسبندان» وعلى رأسها «وهومن» وهو يعني التفكير الصالح والعمل الطاهر، وبهذه الوسيلة يمكن للإنسان أن يدخل في المرحلة الثانية للكمال والتي تسمّى «آشا» وتعني الصدق والطهارة. لأنّ الإنسان مع دخوله في هذه المرحلة يتعرّف إلى التسامح والإنصاف، والمروءة والرجولة، والاعتدال والشهامة والفتوّة ويصل إلى مرحلة الصبر والغلبة على النفس وخدمة الناس، والتي تخصّ «خشترا» أو «شهريور»؛ وهذه المرحلة تكون أصعب المراحل، لأنّ على الإنسان في هذه المرحلة أن يتغلّب على هوى نفسه والميول والتمنّيات، وإذا نجح في هذه المرحلة، يدخل إلى المرحلة الأخيرة والتي تسمّى «سبنتا آرميتي» وهي تعني الحبّ الطاهر والتواضع والصبر ويصل الإنسان بذلك إلى الكمال والخلود «أمرتات» (امرداد) وتملأ وجوده الأنوار الإلهيّة، ويحبّ كلّ أبناء البشر من أيّ قوم أو ملّة أو دين أو مذهب كانوا ويحسبهم إخوة له، لأن أصبح وجوده بواسطة تقويه وتعزيز الأنوار الإلهي[1].

إنّ زرادشت يعتبر عالم الوجود، ساحة المبارزة والقتال الدائم بين قوّتين متضادّتين أو بين سبنتامينو وآنغرامينيو. ويعتقد بأنّ هذين الجوهرين مع تعارضهما واختلافهما مع بعض، إنّما هما لازمين وأحدهما ملازم للآخر، لأنّه بوجود هذين الجوهرين تنشأ الخلقة والحياة.

يقول زرادشت: إنّ كلّ ما يوجد في الكون، هو من خلق الإله وكلّ ما خلق الإله يكون جميلاً وجيّداً، لكنّ السيئ والحسن يولدان مع ولادة الإنسان لأنّه يملك قدرة التمييز. وإنّ سبنتا وآنغره هما جوهرتان توأمتان تظهران في عالم التفكير والسلوك، وبذلك يكون أحدهما جوهرة طاهرة أو هو التفكير البنّاء، والثاني جوهرة بليدة أو التفكير المخرّب. مع هذا، لا

(١) المصدر نفسه: ص ١١ وما بعدها.

يمكن القول بأنّ «آنغرامينيو» تغيّر فيما بعد إلى «أهرمنو» وبعده إلى «أهريمن» وأصبح خالق الشر ويقابله أهورمزدا أو الخالق الحكيم الذي هو منبع كلّ الأعمال الخيّرة. لأنّ أهريمن موجود في أصل وجود البشر وذواتهم ويرتبط بـ التفكير المخرّب للناس الذين لهم صفات الشياطين والمتوحشين وليس لأهريمن أيّ وجود خارجيّ[1].



(١) المصدر نفسه: ص ١٥ و١٦.

الجـاتهـا (الـگـاتهـا)

من (ترانيـم زرادشت)

اهنود گا ت

١

بين ممدوتين بالدعـاء نحو هذا السنـد،

أسـألك قبل الجميع أيها «الرب الحكيم» مع «الحق»،

أفعـال «الروح القدس»

لإرضـاء مشيئـة «العقل الخيّر» و«روح الثور».

٢

لي أنا الذي يعبـدك أيها «الربّ الحكيم» مع «العقل الخيّر»

طبقـاً للحق، أن تعطيني النجاح في كل من العالمين،

العالـم الجسـدي وعالم العقل،

لتسندني بواسطتهما وتأخذني إلى النعمة.

٣

لي أنا الـذي ينشد لك المـديح كما لم يحدث من قبل،

«كحق» أيها «الرب الحكيم» مع «العقل الخيّر»،
ولجميع هؤلاء الذين زادت «التقوى» لهم «السيادة»،
التي لم تنقص أبداً،
لتأت عند دعوتي وتمحني التعضد.

٤

أنا الذي يناضل من أجل صحوة «النفس» المتحدة «بالفعل الخير»
والذي يعرف مكافأة «الربّ الحكيم» على أعمالنا
حيث يمكنني وحيثما أستطيع،
سوف أبشر بالبحث عن «الحق».

٥

عالماً أنك «الحق» وأنك مع «العقل الخيّر»،
هكذا أراك وأراي أيضاً،
أن «الرّب الحكيم» بالغ العظمة له العرش والقصاص،
بهذا القول من أفواهنا،
سنحول البشر من فرائس (للشر) إلى كائنات عظيمة.

٦

(المستمعون):
لتأت «كعقل الخيّر» و«كحق» لتضمن لنا،
الهبة الدائمة،
أيها «الرّب الحكيم»، وفقاً لكلماتك المبجلة،
امنح العضد القوي «لزرادشت»، ولنا،
عسى بوساطته أيها «الرب» نهزم أعداءك.

٧

(زرادشت)

«كحق»... عضد نجاحات «العقل الخيّر»

بما هو مقضى (مقدر)،

«كتقوى»... امنح القوة «لوشتاسب»، ولي،

تكفل بهذا أيها «الربّ الحكيم»،

واعط القوة إلى «نبيك» كي يصير مسموع الكلمة.

٨

أيها العظيم المنسجم مع الحق،
منك، أيها الرّب، أطلب النصيب الحسن للبطل «راشواسترا»[١]
ولي، ولجميع هؤلاء الذين إلى الأبد،
يناضلون ليشاركوا في «العقل الخيّر»

٩

مقابل تلك الأفضال، عسى ألا نغضبك،
أيها الرب الحكيم، والحق، والعقل الخيّر،
ونجاهد لتقديم المديح لك،
أنت هم، الذين أقاموا قوى الحياة ومملكة الرخاء.

١٠

الأنقياء الذين وجدتهم مستحقين بسبب

عدلهم وعقلهم الخير،

---

(١) راشوا سترا:

اجب رغبتهم. أيها الرّب الحكيم.
اجعلهم يحصلون عليها.
أعرف أن كلمات الدعاء التي تخدم الخير،
تلقى القبول أمامك.

١١

أنت يا من تشرف على الحق والعقل الخيّر،
هلا علّمتني، أيها الرّب الحكيم، أن أنادي
بمشيئة نفسك، من خلال فمي،
كيف حدثت بداية الوجود.

ترنيمة (٢٩)

١

إليك قد تقدمت روح الثور بالشكوى:
«لمن خلقتني؟ ومن أقامني؟
يقهرني الحقد والعنف والوحشية والعسف،
ليس لي سواك راعٍ... إذا اجعل لي طيب المراعي.

٢

حينئذ سأل خالق الثور «الحق»:
ألست قاضياً للثور،
كي يمكن أن تمنحه مع المرعي العناية لتربية الماشية؟
من الذي عينته سيداً ليدفع عنه شيطان الحقد،
ويطرد الشرير.

٣

أجاب «الحق» الجواب المستقيم:
«ليس للثور هناك رفيق،
خال من الكراهية.. فالبشر لا يفهمون
كم هو عظيم النصيب من اللطيف.
من بين جميع الكائنات هو الأقوى،
إني أهرع إلى مساعدته عند ندائه.

٤

«الرب الحكيم» هو أفضل من يتذكر،
الخطط التي نفذها في الماضي الآلهة المزيفة والبشر،
أو تلك التي سيقومون بها في المستقبل،
«الرّب» الذي سيقرر ما كان وما سوف يكون هو،
طبقاً لمشيئته.

٥

بيدين مرفوعتين نبتهل إلى الرّب،
نحن الاثنتان: نفسي ونفس البقرة الأم،
نستحث الرب الحكيم أن يأمر،
بألا يقع ضرر على الرجل الأمين،
راعي القطيع في وسط الأشرار الذين،
يحيطون به.

٦

حينئذ تحدث الرب الحكيم ذاته الذي،

يفهم الصلوات بروحه:
«لم يتوفر بعد السيد ولا قاض طبقاً للحق»:
للاستيلاد وللراعي قد صاغك الخالق.

٧

القضاء إن ماء الماشية (المخصب) لراحة الثور،
واللبن لراحة الإنسان الذي يتطلب الغذاء،
هذا ما صاغه الرّب الحكيم، الواحد المقدس،
بقراره طبقاً للحق
(روح الثور تقول:)
من يمتلك أيها العقل الخيّر،
الذي يمكن أن يرعانا ـ من البشر ـ كلينا؟

٨

(العقل الخيّر)

لا أعرف غير الإنسان «زرادشت بن أسبيتمان»،
الوحيد الذي يستمع لتعاليمنا،
والذي سوف يكشف مقاصدنا، أيها الرب الحكيم،
مع تلك التي للحق،
إن طلاوة الحديث سوف تعطي إليه.

٩

وحينئذ جأرت روح الثور بالأنين:
هل يجب على أن أقنع،

بكلمة إنسان لا حول لها دون قوة حارس،
أنا الذي أطمع في سيد قوي، هل يمكن أن يوجد الذي سيسانده، بكلتا يديه؟.

١٠

أيها «الرّب» مع «الحق» و«العقل الخيّر»
لتبعث فيهم الطمأنينة بأنه سيكون لديه،
ما يكفي من «السيادة»،
ليحصل لهم على المأوى الطيب والسلام،
أنا «أيها الرّب» قد تعرفت عليك،
كمانح أول لكل هذه المنح.

١١

حيثما كان الحق والعقل الخيّر والسيادة،
تلك الأقانيم الخالدة،
امنح لي أيها الرب الحكيم السّر العظيم،
عساي أحوذ المعرفة،
أيمكننا أن نشارك في وفرة،
ما لديك من عطاء؟.

ترنيمة (٣٠)

١

سوف أتحدث الآن إلى الذين يستمعون
عن الأشياء التي يجب أن يتذكرها المريد:

مدائح وصلاة العقل الخيّر إلى الرّب،
والفرح الذي سيراه في النور، هذه التي يتذكرها جيداً.

٢

استمع بأذنيك لما هو كائن في سيادة الخير،
بعقل واع انظر إلى الجانبين،
بينهما يجب أن يختار كل إنسان لنفسه،
ناظراً بحرص أمامه حتى يكون الاختبار الكبير،
في صالحه.

٣

منذ البدء أعلن الروحان التوأمان من طبيعتهما:
الخيرة والشريرة،
بالفكر، والكلمة، والفعل،
بينهما يختار الرجل الحكيم جيداً، ولا يفعل هكذا الأحمق.

٤

عندما أتى هذان الروحان معاً،
في البدء أقاما الحياة واللاحياة،
وفي النهاية سوف يكون الوجود الأسوأ للشرير،
بينما للتقي العقل الخيّر.

٥

من بين هذين الروحين، اختار الشرير فعل الأشياء الشريرة،

لكـن الروح القـدس الأعظـم، المكتسـي بالسماوات الراسخـة،
انضـم إلـى الحـق،
وهكـذا يفعـل الـذين يبتهجـون بإرضـاء الـرّب الحكيـم.
بالأعمال الخيّرة.

٦

بين الاثنين، أخطـأت الآلهة المزيفة الاختيار،
لـم يتفكروا للحظة بأن الخطأ أحـدق بهم،
هكـذا اختاروا العقل السيئ.
ثم هـرعوا لينضموا إلى روح السوء،
حتى يمكنهـم به أن يفسدوا وجـود للإنسان.

٧

أما إليه فقد اتت ألتقوى، مع السيـادة،
والعقـل الخير والحق:
إنها أعطتـه دوام الجسد ونفس الحياة،
حتى يمكنه أن يكون لك، بعيداً عنهم
مقدماً في الثواب عند الاختبار بالقضيب المعـدني.

٨

أما عندما يلحق العقاب بهـؤلاء الأشـرار،
أيّها الـربّ الحكيم. فلتـكن مملكتك مع العقل الخيّـر،
اعطيتك لهـؤلاء الـذين أسـلمـوا الشـر إلى
أيـدي الحق، أيّها الرّب.

٩

عسى أن نكون نحن هؤلاء الذين يجدون هذا الوجود!
أيّها الرّب الحكيم، وأنتم أيها الأرباب، والحق،
ليقدم تعزيزكم.
حتى تتجمع الأفكار حين تضعف الحكمة.

١٠

حينئذ سوف يتوقف «الشر» عن الازدهار،
بينما الذين اكتسبوا السمعة الطيبة
سيجنون المكافأة الموعودة،
في المستقر المبارك للعقل الخيّر، والرّب الحكيم، والحق.

١١

إذا فهمتم، أيّها الناس الأوامر،
التي أعطاها الرّب الحكيم، المعاناة وطول العذاب للشرير، الصحّة والخلاص للتقي،
فسوف يتجه الكل بعد هذا نحو الأفضل.

١

تذكاراً لأوامرك، نعلن الكلمات
التي لا يسمعها الذين يفسدون مخلوقات الحق
بتصّورات الشرّ،
لكنها نافعة للمخلصين للرب الحكيم.

٢

لأنّ السبيل الأمثل للاختيار بين الاثنين،

لا يبدو لهذا واضحاً للأبصار،

أتيت إليك بكليتي بمثابة قاض بين الجانبين،

هكذا يعرفني الرّب الحكيم.

عسى أن نعيش وفقاً للحق.

٣

الجزء الذي ستمنحه بوساطة الروح والنار

الذي ستقسمه ـ كحق ـ بين الحزبين،

والقرار المنسوب إلى الحكيم،

هلا أخبرتني، كي أعلم، بلسان فمك،

أيّها الرّب الحكيم،

كي أضع جميع الأحياء من البشر أمام الاختيار.

٤

أن ننشد الحق، والرّب الحكيم،

والأرباب الأخرى،

والمصير، والتقوى،

سأتوسل من العقل الفاضل السيادة القادرة،

بوفرتها سوف نتغلب على الشر.

٥

اكشف لي عما عينته لي كحق،
بعدة الأفضل،
كي يمكنني الالتصاق به،
من حيث يأتي الهامي،
الذي يجعلني أتعلم من العقل الخير،
لتذكرني -
ما سيكون، وما لن يكون،
أيها «الرّب الحكيم».

٦

النصيب الجيّد سيكون له كما يطلبه المريد،
تعليمي الصادق عن الكمال، والحق، والخلود،
للرّب الحكيم كل ما تفعله السيادة،
التي ستزداد له بالعقل الخيّر.

٧

هوالذي ملأ، بوساطة العقل في البدء،
السماوات المباركة بالنور،
هو الذي خلق، بمشيئته، الحق
الذي به أبع العقل الخيّر،
هذا الذي زدته، أيّها الرّب الحكيم، بروحك
التي صارت منذ الآن واحدة معك، أيّها الرّب.

٨

بواسطة العقل، أيّها الربّ الحكيم،
عرفتك كمبتدي ومنتهي،
كوالد للعقل الخير،
عندما عاينتك بعيني كخالق حق،
للحق،
كسيّد في أفعال الوجود.

٩

أنت قوّة التكريس، أنت خالق الثور،
أنت قوّة الروح، أيها الرب الحكيم،
عندما منحت طريقاً حراً للثور،
نحو راعٍ أو نحو ما ليس براع.

١٠

من بين الاثنين أختار لنفسه راعي الماشية،
كسيّد عادل كمتم للعقل الخيّر،
من ليس براع - مع كفاحه،
أيّها الرّب الحكيم - ليس له نصيب في الرسالة الطيبة.

١١

حيث إنك، أيّها الرّب الحكيم، خلقت لنا منذ البدء بعقلك،
الكينونة، والضمائر، والإرادات،

حيث إنك قد أعطيت جسداً لروح الحياة،
حيث إنك خلقت الأعمال والكلمات، كي يقرّر
الإنسان بحريّة.

١٢

منذ ذلك الوقت يرفع صاحب الكلمات الكاذبة،
صوته مثل صاحب الكلمات الصادقة،
المريد يفعل، أيضاً العازف عن الرسالة
كل تبعاً لقلبه وعقله،
عسى أن تضع التقوى اختيار الأرواح
واحدة، واحدة، حيث يوجد امتزاج.

١٣

الأفعال ـ مكشوفة أو خفيّة ـ يتم فحصها
أيّها الرّب الحكيم،
لو كان خطأ تافهاً يطالب المرء لنفسه
بكفارة كبيرة ـ
أنت تدرك كل هذا بعينك، تراه
من خلال الحق الساطع.

١٤

عن هذه الأشياء أسأل، أيّها الرّب
كيف ستحدث وكيف ستمضي.
المواثيق التي قطعت للشرير
كيف ستكون، أيها الحكيم، في الحساب الأخير؟

١٥

أسألك، أيّها الرّب، عن العقاب المنتظر
لمن يجلب السيادة لتعس فاعل الشر،
ما عقاب الذي لا يجد عيشه إلّا
في سلب الراعي،
والذي لا يسبب ضرراً لحيوان أم إنسان.

١٦

أسألك عما سيحدث عندما يأتي رجل البصيرة،
وما الأعمال التي سيفعلها،
هو الذي سيكافح، لكونه منتمياً إليك،
ليبسط بوساطة الحق، يادتك على المنزل، والأقاليم والبلاد،
أيّها الرّب الحكيم.

١٧

هل التقي أم الشرير الذي سيأخذ
لنفسه النصيب الأكبر؟
دع هذا الذي يعرف ينطق بالمعرفة،
ودع الجاهل يتوقف عن الخداع،
أيّها الربّ الحكيم ـ أنت معلمنا بالعقل الخيّر.

١٨

لا تدع شيئاً منك يلتفت إلى

كلمات أو تعاليم الشرير،
لأنه يأخذ المنزل، والعشيرة، والمقاطعة،
والبلاد إلى التعاسه والدّمار،
ادفعه عنك بالسلاح.

١٩

استمع، أيّها الرّب، إلى الذي يحرس الحق
المريد، مجدد الوجود،
الذي يضبط لسانه ليقول الكلمات الصادقة
عندما توشك نارك المتوهّجة أن تمنح
لكل من الحزبين ما يستحقه.

٢٠

الذي يساند الرجل التّقي، سيظهر
له المجد المقبل،
يا أيها الأشرار لكم الظلام المخيم المقيم،
والطعام الرديء، والعويل،
لمثل هذا الوجود ستقودكم ضمائركم
التي تملئ أعمالكم.

٢١

من غنى اتحاده بالكمال والخلاود،
وبالحق، والسيادة،
سيجعل الرّب الحكيم منه، سيّداً على العقل الخيّر
هذا الذي يصبح صديقه المخلص في الروح والأعمال

٢٢

تلك الأشياء واضحة للرجل ذي البصيرة،
إنّ الذي يعرف سيادة الحق،
من خلال العقل الخيّر،
والذي يدعمه بالكلمة، والفعل
سيكون، أيّها الرّب الحكيم، ضيفك المكرم.

ترنيمة (٣٢)

١

الأسرة، والقرية، والعشيرة، لا بل حتى الآلهة المزيفة
طلبوا النعمة من الربّ كما فعلت أنا
«دعنا نكن رسلك، وليبتعد هؤلاء المعادون لك»

٢

الرّب الحكيم، المتّحد مع العقل الخيّر، وصاحب الحق الباهر
أجابهم من خلال «سيادته»:
«تقواكم الطيبة، المقدسة، نختارها لأنفسنا....
سوف تكون لنا».

٣

لكن أنتم، أيتها الآلهة المزيفة، والذين يضعونكم
موضع التبجيل،

وينشر الخراب في المراعي، ويرفع ذراعيه
ضد التقي.

١١

إنّهم حقـاً يدمّرون الحياة، هؤلاء الأشرار
يتصارعون ليحرموا السيّد والسيّدة من ميراثهم،
ويباعدون ما بين التقى والعقل الخيّر، أيها الرّب الحكيم.

١٢

الرّب الحكيم قد تنبأ بالشر لهؤلاء
الذين يسلبون حياة الثور صرخات القصف المجنونة،
بهذا القصف يبعدون البشر عن العمل الصالح
هم قد جعلوا المضحى «جراهما» يفضل الشرّ والتسلط
على مالكي الحق.

١٣

من خلال هذا التسلط سحصل «جراهما»
على مكانه في مقر العقل الفاسد،
ومعه الذين يحطمون هذا الوجود، أيها الرب الحكيم،
باكين بكل قلوبهم رسالة نبيك،
الذي سيحرّمهم من معاينة «الحق».

١٤

لطالما وجه «جراهما» والأمراء السحرة
مشيئتهم وجهودهم ليسحقوا هذا النبي،

لأنهم أرادوا مساعدة الشرير، ولقد قيل:
«دعوا الثور يقتل لنجذب «مبعد الموت» إلى مساعدتنا».

١٥

ليلحق الخراب بهذه الأفعال،
وجنس المضحين والكهان السحرة،
وهؤلاء الذين يحرّمون، على أيديهم، من العيش كما ينبغي،
عسى أن يحملوا بعيداً عنهم إلى
مقر العقل الخير.

١٦

أنت، أيها الرّب الحكيم، الذي تمتلك القدرة
على من يهددني بالهلاك.
دعني أبعد الفعل الشرير للنحس
عن هؤلاء الذين أحبّهم.

ترنيمة (٣٣)

١

بالنسبة للشرير والرجل المستقيم،
وهذا الذي يجمع بين الخطأ والصواب،
ستكون المحاكمة بالنظام القائم،
تبعاً لقوانين هذا الوجود.

٢

من بالكلمـة أم بالفكـر أمبالأيدي،
يلحق الأذى برجـل الشر؟
أم هذا الذي يحول ابن عشيرته إلى الخير،
كلاهما يسعدان الرب وينفذان مشيئته.

٣

هذا الـذي ينتمي إلى الأسرة أو القرية أو القبيلة أيـّها الرّب
ويصنع نعمة لرجـل الصلاح أو يكد في رعـاية القطيع،
سيصير في مرعـي «الحق» و«العقل الخير»

٤

أنـا الـذي بصلاتي أبعد عنك، أيّها الرّب الحكيم،
العاصي وعقل السوء،
واحمـي الأسرة والقرية من الشر الـذي يمكن عن قريب،
واخرج الظـالمين من القبيلة، ومن مرعـى القطعـان،
أسوأ الرعيـان.

٥

أنا الذي سأنفذ «نظـامك» كأعظم الأشياء،
وعندما سـأحرز الحياة المديدة ستكون العاقبة،
سيادة «العقل الخير» والطرق المستقيمة للحق،
حيث يقطـن «الـرّب الحكيـم».

٦

أنا الكاهن الـذي أتعلّم من خلال الحق،
عسى أن أتعلم من «العقل الأسمى» الطرق المستقيمة،
حتى أرعى الثور منذ الآن بناءً على إدراك لما هو مرسـوم،
من أجل هـذا أجـاهـد لـرؤيتك وأخذ مشورتك،
أيّها الرّب الحكيم.

٧

تعالـى إلى هنـا، أيّتهـا الأقانيـم السّامية، مجسّـدة ومرئيّـة،
.. «الرّب الحكيم» مع «الحـق» و«العقـل الخير»،
لكي يـكـون صـوتي مسموعـاً أمام أتبـاع «القـربان المقدس»؟
والتـذكارات المتألقـة الآتية بالعبـادة تظـهر بيننا(؟)

٨

التفت إلى شـؤوني التي أتبعها عن طـريق «العقل الخيّر»،
عبادتي لك أيّها «الـرّب الحكيم»،
وكلمات التسبيح التـي أوجهها إليـك «كحق»
لتضمن لي نعمتك كل من «الكمال» و«الخلود» إلى الأبد،

٩

لعل ما فعلته من تغيير يأتي «بنفسك» مع «العقل الخيّر»
أيّها «الرّب الحكيـم» مع البركة،
التي تأتي من اللذين يؤديان إلى الـرخاء بوساطة «الحق»

عسى أن نحصل على العون المواتم... منهما،
الروحان اللذان في واحد.

١٠

كل طيبات الحياة التي وجدت والموجودة والتي ستكون
بوساطتك،
لتهبها أيّها الرّب الحكيم حسبما تريد،
عن طريق «السيادة» و«العقل الخير» و«الحق»
يعضدني كمشيئتك.

١١

أيّها «الرّب الحكيم» الأعظم... أيتها «التقّوى» و«الحق»،
بكم يزدهر الأحياء،
لتشملني أيّها «العق الخير» و«السيادة)
لتشملني الرحمة عند حساب كلّ إنسان.

١٢

بادر إليّ أيّها الرّب،
كتقوى... امنحني الصبر،
كروح قدس عظيم، أيّها الرّب الحكيم، امنحني العطاء الوافر
كحق.. امنحني.. القوة على التصدّي
كعقل خيّر.. أضمن لي ينبوع السعادة

١٣

أعضدني أيّها الرّب الثاقب النظر،
عين بركات ملكوتك التي لا نظير لها،
التي هي هبة «العقل الخيّر»
أيّتها التقوى المقدّسة.. ارشدي ضمائر الناس إلى الحق.

١٤

حينئذ سيقدم «زرادشت» حياته إلى الرّب الحكيم كقربان،
وإلى الحق ـ الاختيار الأول لعقله الخير ـ ما يفعله،
من أعمال وما يقوله من كلمات:
«النظام» و«السيادة».

ترنيمة (٣٤)

١

بكثرة الأعمال والكلمات والتسبيح
سوف تمنح أيها الرب الحكيم والحق
الخلود وسيادة الكمال لمستحقّها
دعنا أيّها الرّب نشارك في عطاياك الوافرة.

٢

بوساطة عقلك وما لروح الخير والمقدس.
كلّ ما يتمّ من أعمال من أتحدّث نفسه بالحق

هي ذخرة للعالم الآخر
في ترنيمة بتراتيل التسبيح يقدمها إليك
يا من أنت الرّب الحكيم.

٣

سوف نقدّم لك القربان والعبادة أيها الرّب مع الحق
عسى أن يتحقق عن طريق العقل الخيِّر المقدّر لجميع الكائنات
في السيادة،
لأجل خلاص الإنسان ذي البصيرة الذي
من بين هم مثالك أيها الحكيم،
سوف يصنع الخير لجميع البشر.

٤

«نارك» أيّها الرّب، عظيمة من خلال الحق، صاعقة وقوية
نطمع أن تكون سنداً متألقاً
للذي يمجدها،
أما للعدو، أيّها الحكيم، فلتكن تبعاً لقوة يديك،
الدليل القاطع على آثامه.

٥

ما أعظم «السيادة» التي لك... ما أعجب ما تملك من قوّة
الفعل!
احم الفقير إليك، أيّها الرّب الحكيم مع الحق والعقل الخير،
لأني مخلص لك،

كي تتحد نفوسنا بك نبذنا كلّ المخلوقات التي ترتكب الأثم،
من آلهة مزيفة وبشر.

٦

لأنك بالحقيقة هكذا، أيها الرب الحكيم مع الحق والعقل الخيّر
امنحني هذه العلامة: التجديد الكلي لهذا الوجود،
حنيئذ يكون فرحي العظيم في عبادتك وتمجيدك.

٧

أين «أيّها الحكيم)، سوف يكون المخلص لك مستحوذاً «العقل الخيّر»
هؤلاء الذين أحالوا العقائد والموروثات إلى معاناة وعذاب،
سوف يكون مصيرهم الجحيم،
لكني لا أعرف غيرك فانقذنا بوساطة الحق.

٨

لأجل أعمالهم يفرون منا،
هؤلاء الذين يقع الظلم منهم على الكثيرين،
القوي يفترس الضعيف
معادين قانونك أيها الحكيم
هؤلاء الذين يعرفون، «العقل الخير» بمنأى عنهم.

٩

فاعلوا الشر الذين يلاحقون «التقوى» الموقفة من قبل مريدك

لأنّهم لا يؤ. . .ن نصيباً في «العقل الخيّر» أيّها «الرّب»
تنفر منهم وترتد، مع الحق،
بقدر ما تجفل أمامنا فرائس الوحوش البرية.

١٠

الرجل الطيّب سيكشف أنّ أفعال «العقل الخيّر» تكمن فيه،
من يعرف أنّ «التقوى» المقدسة رفيقة «الحق» هي الخلّاقة ـ
وكلّ مسراته إنما هي داخل المملكة «السيادة» لك، أيّها الحكيم.

١١

حينئذ سوف يكون «كمالك» و«خلودك» هما القوات والغذاء،
مع السيادة العقل الخير،
«التقوى» المتحدة «بالحق» ستزيد الاحتمال الجلد
بوساطتهم قد منحت القوة لهؤلاء الذين يعارضون أعداءك،
أيّها الرّب.

١٢

ما هي مشيئتك؟ ما هو أمرك؟ وما عبادتك وتسبيحك؟
أفصح أيّها الحكيم لأننا نصغي.
ما «العطايا» التي سيخصصها «القدر»،
عندما يعلمنا «الحق» الدروب السالكة إلى العقل الخيّر؟

١٣

إنّه الدرب الذي تحدثت عنه لي، أيّها «الرّب»

بأنّه طريق «العقل الخيّر» الذي مهده «الحق»،
إليه تتجه مـاثر المخلصين،
وحيث المكافأة المقدرة للحكيـم التي تمنحها أنت بنفسك.

١٤

هذا الجزاء إذن، أيّها الرب الحكيم، ما سوف تعطيه،
بعمل «العقـل الخيّر»،
في الحياة الجسدية لهؤلاء الذين يقيمون حقاً في قرية البقرة الأم
عقيدتك الخيرة، أيّها الرّب، وهي قوة العقل،
التي تجعل القرية تزدهر من خلال «الحق».

١٥

علّمني، أيّها الرّب الحكيم، أفضل الكلمات والأفعال
و«كعقل خيّر» و«حق» صلاة التسبيح،
من خلال هيمنة ملكوتك،
أنت من تجعل الوجود مجدداً حقاً طبقاً لمشيئتك.

نتيجة:

هذا القسم من الجاتها «آهنودكات» من «**اليسنا ٢٨ حتى ٣٤**» يتحدث من أجل الدعاء والصلاة والصفات للأهورمزدا وآشو زرادشت، تعني عند الزرادشت «الإله» هو السيد المهيمن الحكيم، أهورمزدا خالق السماوات والأرض، وهو مصدر كل شيء وأيضاً في هذا القسم يشير، إن أهورمزدا، هو الأول والآخر، ومع ذلك فهو الصديق الذي دعاه من البداية، ولا يمكن أن تكون للرب علاقة البشر، فروحه المقدسة هي التي تقيم الحياة، وتخلق الرجال والنساء، وتعارضه الروح الشريرة أو القوة المدمرة التي

تتسم بالنوايا الشريرة، والتكبر والكذب، وعلى البشر أن يختاروا بين هاتين المتعارضتين. وفى سبيل المثال عن هذا القسم:

من بين هذين الروحين، اختار الشرير فعل الأشياء الشريرة، لكن الروح القدس الأعظم، المكتسي بالسماوات الراسخة، انضم إلى الحق، وهكذا يفعل الذين يبتهجون بإرضاء الرب الحكيم، بالأعمال الخيرة.



اشتودگات (اشتودجات)

١

لعلّ الرّب الحكيم الذي يحكم وفق مشيئته

يمنح كلّ منا ما يتمناه

أنا أرغب في القوّة والاستمرار

لأساند الحق ـ هذا الذي أعطيت بالتقوى ـ

المنح الوافرة وحياة العقل الخيّر.

٢

ولعلّ الخير الأسمى يكن لنا

كما يرغب المرء، في النعمة، ستكون له النعمة

بوساطة نفسك بعيدة النظر، أيّها الرّب،

عجائب العقل الخيّر الذي ستمنحنا إيّاه

كحق،

مع سعادة الحياة المديدة كل الأيام.

٣

(المستمعون):

عسى أن يحصل على أفضل الخير

هذا الذي يعلمنا الطرق المستحيلة للخلاص

في هذا الوجود الجسدي وذاك الوجود العقلي -

الطرق الحقة إلى تلك الكائنات التي يسكن معها الرّب

الرّب الذي هو أنت؛ أيّها الحكيم؛ قوّي؛ وقدّوس

وجوهرة أسمى.

٤

(زرادشت):

سأتعرف عليك كقدّوس وقوي؛ آيها الحكيم؛ عندما

من يدك الممسكة بالمصائر التى ستعطيها

للشرير والتقى -

بوهج نارك التى غذبت بالحق.

ستأتيني قوّة العقل الخيّر

٥

كمقدّس قد أدركتك، أيها الرب الحكيم.

عندما رأيتك في البدء،

عند مولد الوجود،

عينت المكافأة عن الفعل والكلمة:

المكافأة الشريرة للشرير، والطيبة للطيب.

بواسطة حكمتك (كي تتم) عند عودة الخلق الأخيرة.

٦

عند نقطة العودة حيث ستأتي
مع روحك القدس، مع سلطانك.
حينئذٍ، أيها الحكيم ستعلن التقوى (معزّزة) بالعقل الخيّر
الذي تجعل أعماله البشر يزدهرون طبقاً للحق ـ
ستعلن لهم قرارات إرادتك التي؟
لا يمكن لأحد الاحتيال عليها.

٧

كمقدّس قد تعرفت عليك، أيّها الرّب الحكيم
عندما أتيتنا كعقل خير، وسألتني:
من أنت، وإلى من تكون؟
سوف أحدد بأمري
الأيام التي تسأل فيها عن ممتلكاتك الحية، ونفسك.

٨

أجبته: أنا «زرادشت»، أولاً
عدواً صادقاً ضد الشرير بكل قدرتي،
لكني نصير قوي للتقى،
عسى أن أحصل على البركات الآتية
لسيادتك المطلقة، أيّها الرّب الحكيم
بإنشادي ومديحي إليك.

٩

كمقدّس قد تعرفت عليك، أيّها الرّب الحكيم

عندما أتاني كعقل خيّر.
عن سؤاله: «إلى من ستوجه عبادتك؟»
أجبت» «إلى نارك! وبينما أقدم
تبجيلي لها،
سأفكر في الحق بأقصى قوتي».

١٠

«حينئذ أرني الحق، لأني أناديه»،
(الرب الحكيم):
«انظرني آتيا، وبصحتي التقوى
ما تود أن تسأله، أسأله الآن
لأن سؤالاً منك هو سؤال من عظيم -
لهذا فإن كل من ملك القوة يجب أن يجعلك
قوياً وقادراً».

١١

كمقدّس قد تعرفت عليك، أيّها الرّب الحكيم،
عندما أتاني كعقل خير
عندما أرشدت أولاً بكلماتك،
المعاناة بين البشر سيسببها لي حماسي
لنشر ما أخبرتني بأنه الخير الأعظم.

١٢

ولنشر ما قلته لي: «تعال لتعلّم الحق»

ليس عبثاً أن أمرتني:
«امض في طريقك، قبل أن يأتي نظامي
متبوعاً بالقدر مع الهبات العظيمة
الذي سيوزع بين المعسكرين أقدار
الخلاص والدينونة»

١٣

كمقدّس قد تعرفت عليك، أيّها الرّب الحكيم،
عندما أتاني كعقل خيّر،
ليعرف هدف رغبتي،
لتحقق لي هذه الرغبة ـ التي لا يستطيع أحد
أن يرغمك على تحقيقها ـ
معرفة الأفعال التي تضمن الدوام الأبدي
لوجود الغالي الذي يوجد ـ كما كشف لي ـ
في مملكتك.

١٤

السند الذي يطلبه المريدو يستطيع أن يهبه إلى صديق
عسى أن ألقاه، أيّها الحكيم، من حكمتك
ومن سلطانك، طبقاً للحق
كي يمكنني الوقوف ضد أعداء المحاكمة
مع كل هؤلاء الذين يطيعون أوامرك.

١٥

كمقدّس قد تعرفت عليك، أيّها الرّب الحكيم.
عندما أتاني كعقل خيّر.
الفكر الصامت علمني الخير الكثير
هكذا يمكنني أن أعلنها:
«لا تدع إنساناً يصاحب الأشرار
لأنّهم يكتسبون عداوة كل الأتقياء».

١٦

أيّها الرّب الحكيم: «زرادشت» هنا يختار
لنفسه روحك القدس
عسى أن تكتسب الحياة قوّة حين يتجسد
فيها الحق،
عسى أن تقوم التقوى في مملكتك المنيرة،
بمجازاة أفعال البشر من خلال العقل الخير.

ترنيمة (٤٤)

١

هذا ما أسألك عنه، أيّها «الرب» أجبني بالصواب،
عسى الحكيم مثلك أن يكشفه لصديق مثلي،
بفضل ما أقدمه من تبجيل لا يستحقه كائن سواك،
«وكحق» امنحنا تعضيك الودود،
لتقدم إلينا بواسطة «العقل الخيّر)

٢

هذا ما أسألك عنه، أيّها «الرّب»، أجبني بالصواب،
عندما يبدأ الوجود الأمثل...
هل سينالون تمام مكافأتهم هؤلاء،
الذين يتوقّون إليها؟
لأجل هذا الإنسان، المقدس بوساطة الحق،
من تتمسك نفسه بالقوّة التي تداوي الوجود،
لتكن محسناً إلى الجميع كصديق حميم، أيّها الرّب الحكيم.

٣

هذا ما أسألك عنه، أيّها الرّب، أجبني بالصواب
من كان الأب الأول لكينونة الحق عند البدء؟
من عين للشّمس والنّجوم مساراتها؟
من إلّاك يا من بوساطة يهل القمر ويغيّب،
هذا ما أريد أن يكون يقيني، أيّها الرّب الحكيم،
كما أود المزيد.

٤

هذا ما أسألك عنه، أيّها الرّب، أجبني بالصواب،
من الذي وضع الأرض موضعها تعلوها سماء السحاب،
التي لا تسقط أبداً؟
وعليها المياه والنباتات؟
من الذي كبح الرّيح والسّحاب بالجوادين السّمائيّين؟
من، أيّها الرّب الحكيم، خالق «العقل الخيّر» ؟

٥

هذا ما أسألك عنه، أيّها الرّب، أجبني بالصواب،
من الصانع الذي صنع الضوء والظلام؟
من صانع النوم واليقظة؟
من جعل الصباح والظهر واللّيل،
ليذكّروا الرجل الحكيم بواجبه؟

٦

هذا ما أسألك عنه، أيّها الرّب، اجبني بالصواب،
هل الأشياء هي كما أعلنها ليعرفها الجميع،
هل «التقوى» بأفعالها ستعضد «الحق» ؟
هل بالعقل الخيّر قد أسّست ملكوت «سيادتك» ؟
ولمن من البشر قد شكلت «البقرة ـ الأم»
مصدر الحظّ الطيّب؟

٧

هذا ما أسألك عنه، أيّها الرّب، أجبني بالصواب
من خلق «التقوى» المقدّسة مع «السيادة» ؟
من جعل الابن في قرارة نفسه موقراً لأبيه؟
ها، أنا أجاهد لأتعرّف فيك، أيّها الرّب الحكيم،
كروح مقدّس، الخالق لكلّ الأشياء.

٨

هذا ما أسألك عنه، أيّها «الرّب»، اجبني بالصواب

كـي يمكنني أن أعرف حكمتك من إرشادك، أيّها «الحكيم»،

ومن الكلمات التي أتلقاها من «العقل الخيّر».

وكـي يمكنني معرفة ما الذي في الوجود مطابقاً «للحق»،

وعندما أحرز «الخيّر» كم ستبتهج روحي!

٩

هذا ما أسألك عنه، أيّها «الرّب»، أجبني بالصواب

هل الرّب «السيادة» الذي هو انت أيّها «الواحد الحكيم»

الساكن مع «الحق» و«العقل الخيّر» في المكان نفسه

يفي الوعد «بالملكوت» العلوي،

لكل ضمير إنسان نقي السريرة سأظهره؟

١٠

هذا ما أسألك عنه، أيّها الرّب، اجبني بالصواب،

«العقيدة». . التي هي أفضل ما في الوجود من أشياء

هل يكفي، أيّها الرّب الحكيم، لهؤلاء الذين يشتاقون

إلى وعودك المعلنة في تعاليمي،

أن يراعوها جيداً في أعمال وكلمات «التقوى» ؟

عسى أنها مع الحق تجعل كل ما يمت لي مزدهراً.

١١

هذا ما أسألك عنه، أيّها الرّب، اجبني بالصواب،
هل ستمتد «التقوى» إلى هؤلاء الذين سيعلنون
عقيدتك؟
منذ البدء قد اخترت لأجل هذا منك،
وسوف أنظر لجميع الآخرين بروح العداء.

١٢

هـذا ما أسألك عنه، أيّها الرّب، اجبني بالصواب،
من بين هؤلاء الذين أتحدّث إليهم هو المستقيم، ومن هو
الشرير؟
أمر من اثنين.. إما أنني أرتكب الشر بنفسي
أو أن الشـرير هو الذي يمكن أن يبعدني عن خلاصك؟
كيف يمكن ألا أفكر فيه كشرير؟

١٣

هذا ما أسألك عنه، أيّها الرّب، اجبني بالصواب،
كيف سنتخلّص من الشر؟
أنليقه وراءنا على هؤلاء العصاة،
الذين لا يلقون بالاً أتباع «الحق»
ولا يكلفون أنفسهم بالتشاور مع «العقل الخيّر»؟

١٤

هذا ما أسألك عنه، أيّها الرّب، اجبني بالصواب،
كيف سأسلم الشرير إلى أيدي «الحق»
عسى أن يسحقه طبقاً لقواعد تعاليمك،
عسى أن يسبب شقاقاً عظيماً بين الأشرار
ليصيبهم عمى الحروب والعداوات

١٥

هـذا ما أسألك عنه، أيّها الرّب اجبني بالصواب،
إن كنت تملك القوّة، كحق، لتجنّبني هذا،
عندما يتلاقي الجيشان المتصارعان فإلى أيّهما
سوف تمنح النصر طبقاً لأحكامك التي ستؤيدها؟

١٦

هذا ما أسألك عنه، أيّها الرّب، اجبني بالصواب،
من الذي سيكون ظافراً ويحمي الأحياء بتعاليمك؟
عسى أن تمنح لي الشـواهد الملموسة.
بمعرفة المخلّص الذي سيداوي الوجود،
وعسى أن تمنح طاعته بواسطة «العقل الخيّر»،
إلى جميع الذين يبحثون عنه، أيّها الرّب الحكيم.

١٧

هذا ما أسألك عنه، أيّها الرّب، اجبني بالصواب،

هل سأحقّق هدفي معك أيّها الحكيم؟
عسى أن أكون واحداً معك، وعسى أن تحوذ كلمتي القوّة،
كي يمكن للكمال والخلود طبقاً لمشيئتك،
أن يتوحّدا، ويتحدا مع تابع «الحق»

١٨

هذا ما أسألك عنه، أيّها الرّب، اجبني بالصواب،
هل سألتقى أجري بواسطة «الحق»
عشرة أفراس مع حصان وجمل،
التي وعدتّني بهم أيّها الحكيم،
مع هبة الكمال والخلود؟

١٩

هذا ما أسألك عنه، أيّها الرّب، اجبني بالصواب،
هذا الذي لا يعطى أجراً لمن يستحقه،
هذا الذي لا يعطيه طبقاً لكلمته،
ماذا سيكون عقابه الحالي،
إشارة لما سيلقاه في النهاية؟

٢٠

هل كانت الآلهة المزيفة أبداً سادة طيّبين؟
هذا ما أسأل، لأجل هؤلاء الذين ينظرون، في طائفتهم،
كيف يسلم المضحي والكاهن الثور للعدوان،
وكيف يجعله الأمير الدجال يئن في روحه،

وهذا الذي لا ينثر مياه الماشية في المراعي،
لكي يجعلها تزدهر بوساطة الحق.

ترنيمة (٤٥)

١

إني سأتحدث: استمعوا الآن واصغوا.
يا من أنتم في الجوار، أو من بعيد أتيتم للإرشاد
اجعلوا جميعاً فهمكم له، لأنه جلي
عسى ألا يدمر المعلم الزائف الوجود الثاني
هذا الذي يُعدّ لآثماً، لخياره الشرير وقد أثم بلسانه.

٢

أنا سأتحدّث عن الروحين
قال المقدس منهما للمهلك في بداية الوجود:
لا تتفق أفكارنا ولا مذاهبنا ولا قوى عقلنا؛
ولا خيارتنا ولا كلماتنا ولا أفعالنا؛
ولا ضمائرنا ولا نفوسنا.

٣

سوف أتحدث عن بداية هذا الوجود
عن الأشياء التي أخبرني بها الرّب الحكيم والعارف
ان الذين لن يحملوا الكلمة؛
كما سأفكر وأنطق بها؛
سوف تكون نهاية الوجود لهم «يا ويلتاه».

٤

سوف أتحدّث عن الأشياء الأفضل في هذا الوجود

هو خالقها وفقاً للحق

الواحد الحكيم؛ أبوالعقل الخيّر الفعّال

ابنته هي التقوى الخيرة؛

الرب كلى القداسة؛ لا سبيل للإضلال إليه.

٥

سوف أتحدث بالرسالة التي أخبرني بها

الرّب الحكيم الأقدس؛ كأُفضل ما يسمعه البشر:

«هؤلاء الذين سيولّون انتباههم لي وطاعتهم له

سوف يحصلون على الكمال والخلود بوساطة

أفعال العقل الخيّر».

٦

سوف أتحدّث عن أعظمها جميعاً

الابتهال له كحق، هو الرّحيم

نحوالأحياء.

دعوا الرّب الحكيم يسمع كروح قدس.

إليه قد ابتهلت عندما استشرت العقل الخيّر

عسى أن يعلمني بوساطة قوى عقله الخير الأسمى.

٧

هوالذى يمنح الخلاص أو الهلاك الأبـدي
إلى الأحياء أو من كانوا، أو من سيكـونون؛
روح الصالح تجازي بالخلود
العذاب الأبدي لروح الشرير.
(أنواع عذاب جعلها الرّب الحكيم الخالق من خلال سيادته)

٨

(المستمعون:)
لتسع لكسبه لنا بتراتيل التبجيل؛
لأننا قد شاهدنا الآن بنفسنا
معرفة الرّب الحكيم من صلاح نفسه الخيرة؛
ومن فعله الخير؛ ومن رسالته الخيرة ـ
عسى أن نقدم له ترانيم التسبيح في بيت الأغنية.

٩

لتبحث عن رضاه لنا بالعقل الخيّر
هو الـذي يمنحنا الحظّ السعيـد، والعاثر، وفقاً للمشيئة.
لعلّ الرّب الحكيم بوساطة سيادته على القـرية
ومن خلال اتحـاد العقـل الخير بالحق
ينجح قطعينا ورجالنا.

١٠

اسع إلى تمجيده بترانيم التقوى من أجلنا
هو المدرك في النفس كرب حكيم
لأنه قد وعد طبقاً للحق والعقل الخيّر الكائنين معه
أنّ الكمال والخلود من نصيبنا في ملكوته
والقوة والدوام في مقره.

١١

(زرادشت:)
من سيحمل منذ الآن بغض الآلهة المزيفة
وهؤلاء الذين يحملوا المعصية للمخلص
لهم سيقف الضمير المقدّس للمخلص الآتي
سيّد منزله
بدلاً من الصديق الحميم والأخ والوالد
أيّها الرّب الحكيم.

ترنيمة (٤٦)

١

إلى أي أرض يمكنني الهروب؟ إلى أين تتجه خطواتي؟
وأنا مبعد عن العائلة والقبيلة
لا أجد قبولاً من القرية التي إليهما أنتمي،
ولا من حكام البلد الأشرار
كيف إذن، أيّها الرّب، سأنال عطفك؟

٢

إنني أعلم، أيّها الرّب الحكيم، لماذا أنا بلا حول:

قطيعي قليل وليس لي غير بضعة رجال،

إليك أرفع أحزاني، التفت إليها أيّها الرّب

ولتضمن لي العون الذي يمنحه الصديق إلى صديق

امتلاك «العقل الخيّر» كتعليم «الحق».

٣

متى، أيّها «الحكيم»، ستظهر مشيئة المخلصين الآتين

وإشراقات الأيام عندما

سيؤيد العالم «الحق» خلال المحاكمة العظمى؟

لمن سيأتي العون بوساطة «العقل الخيّر» ؟

ولي أيّها الرّب، لأنني المختار للوحي من لدنك.

٤

الشرير ذو الأفعال المخزية البغيضة،

يمنع مؤيدي «الحق» من رعاية القطيع،

في المناطق والبلاد

إن من يسلبه السيطرة، أو الحياة أيّها «الحكيم»

أياً كان، هو الذي سيسير حثيثاً،

على دروب العقيدة.

٥

وأي امرئ في يده القوّة أو نبالة التكريس،

أو يعيش طبقاً للأحكام التي قدرتها العهود،

عليه أن يقبض على الغريب الآتي إليه،

إن كان بالفعل رجل حق، يمكنه التعرف على الشرير.

إذا ما أعلن ندمه أمام أسرته،

عسى أيّها «الرّب» أن تحفظه من سفك الدماء.

٦

لكنه إن لم يلب نداء (التوبة)،

فسوف يعود إلى مخلوقات «الشر». . هذا،

الذي ينظر إليه الرجل الشرير بعده الأفضل.

أنه لمن الحق أن يحب الحق،

منذ أن خلقت أيها «الرّب» أول الضمائر.

٧

من أيّها «الرّب الحكيم» سيبعث كحام لمن كان مثلي،

إذا ما أراد «الشرير» أن يلحق بي الضرر؟

من غير نارك وعقلك أيها «الرّب» ؟

الذي ستأتي أفعاله «بالحق» الكامل التام؟

لقد أعلنت هذا السر إلى مكنون ضميري.

٨

أيا كان الذي يسعى إلى إيذاء ممتلكاتي الحيّة،
عسى ألّا يلحق بي ضرراً من إجراء أفعاله،
عسى أن ترتد أعماله عليه بالكراهية أيّها «الحكيم».
لتأخذه من الحياة الطيّبة إلى الحياة الرديئة.

٩

(مستمـــع)

من هو، الرجل الغيور علمني أولاً،
أن أبجلك كأعظم القوى؟
كرّب عادلّ مقدس في أفعاله؟

(زرادشت)

ما قيل لك.. قيل كحق،
وما قيل إلى «الحق».. خالق الماشية.

١٠

آيا كان.. رجلاً أو امراة.. أيّها «الرّب الحكيم»،
سيمنحني ما تعرفه، هو أفضل ما في هذا العالم،
سيشهد مجازاة «الحق» و«السيادة»، و«العقل الخيّر»،
لجميع هؤلاء الذين سأقنعهم بعبادتك،
مع كل هؤلاء سأعبر «البرزخ».

١١

الذين يقدمون التضحيات، والأمراء المشعوذون،
قد أخضعوا البشر لنير سيادتهم،
ليدمروا الوجود بواسطة أعمال الشر،
سوف يلقون العذاب بأرواحهم وضمائرهم،
عندما يأتون إلى «البرزخ»،
وإلى الأبد سينزلون في مقر «الشر».

١٢

من بين من يستحقون المديح أحفاد وذرّية
«وريانا الطوراني»..
رجالاً ولدوا من خلال «الحق» الذي يؤدي إلى ازدهار
الأشياء الحية بحماس «التقوى»
سيضمهم «الرّب الحكيم» إلى «العقل الخير»،
ويعضدهم وقت الحساب.

١٣

أي امرئ من بين البشر ينال رضا «زرادشت بن أسبيمان»
(بمساندته)، إنه مستحق أن يسمع:
إليه سيعطي «الرّب الحكيم»، الجود،
وسيؤيّد «كعقل خير» ممتلكاته الحية،
ولأنه مع «الحق» سنعده صديقك المخلص
لك و«للحق»

١٤

(الرّب الحكيم)

أيا «زرادشت»:

من الرجل الحق الذي يكون صديقك الحميم،

لأجل السّر العظيم،

الذي يرغب في سماعه؟

إنه الأمير «وشتاسب».. في لحظة الاختيار الحاسم، هذا الذي ستجمعه معك

في مقر واحد،

أيّها «الرّب الحكيم»،

لسوف أناديه بكلمات «العقل الخيّر»،

١٥

لأجلك «سبتاما» سليل «هيكاتسبا»،

أعلن أنك ستميز طاهراً من بين المدنسين، بهذه الأفعال التي تتفق مع التعاليم

الأولى للرّب،

لقد آمنت نفسك «بالحق»

١٦

وأنت يا وراشو شترا آفوجوا وهؤلاء،

الأنصار الذين نود كلانا لهم ما يشتهون،

أمض قدماً إلى حيث «التقوى» متحدة «بالحق»،
حيث يسكن «الرّب الحكيم» وسط النعيم،

١٧

هناك سأعلن فقط فضائلك لا خطاياك،
يا «جامسبا أفوجوا»
إن صلواتك وطاعتك المتفانية،
إلى «الرّب الحكيم» الذي سيفرز
بواسطة الحق، مساعدة الحصين،
الطاهر من الدنس.

١٨

ومن كان صادقاً معي بوساطة «العقل الخيّر»
إليه أقدم الوعد،
الذي اشتاق إليه، أنا نفسي، كل الاشتياق،
لكن القهر سيكون نصيب الذي يسعى إلى اضطهادي،
أيّها الرّب الحكيمْ. . إني أناضل لألبي رغبتك من خلال الحق،
هذا هو قراري بإرادتي وعقلي.

١٩

وهذا الذي يكون معي. . الذي مع «زرادشت»،
طبقاً للحق سوف يعبّر،
إلى ما هو البعث الأعظم بمشيئة «الرب»
وعندما سيكتسب الحياة الآتية ستقدم له كمكافأة،

بقرتان وشاتان وثور وكل ما يشتهي عقله،
هذا ما كشفته لي أيها «الرب الحكيم» وأنت خير من يعلم.

نتيجـة:

في هذا القسم من الجاتها عن «اليسنا ٤٣ حتى ٤٦» يتحدث من أسرار الخلقة، والآشا والوهومن، ويشير الرب «أهورا مزدا» لا يمكن أن يكون مسؤولاً عن الشر، لأن الشر جوهر، مثله مثل الخير، وفي هذا النصوص أن الزرادشتيين موحدون يقولون بخلق أهورا مزدا للجواهر كلها، ولكن الشيطان المسمى «أهرمن» وظيفته أن يزيّن الشرور والمفاسد، ولذلك يكون صراعه مع أهورا مزدا، وفي سبيل المثال:

هذا ما أسألك عنه، أيّها الرّب، اجبني يالصواب، هل الأشياء هي كما أعلنها ليعرفها الجميع، هل التقوى بأفعالها ستعضد الحق؟ هل بالعقل الخير قد أسست ملكوت سيادتك؟ ولمن من البشر قد شكلت (البقرة ـ الأم) مصدر الحظ اليب؟ أيضاً يشير في النموذج: أني سأتحدث: استمعوا الآن واصغوا، يا من أنتم في الجوار، أو من بعيد أتيتم للإرشاد، اجعلوا جميعاً فهمكم له، لأنه جلي، عسى ألا يدمر المعلم الزائف الوجود الثاني، هذا الذي يعد آثماً، لخياره الشرير، وقد أثم بلسانه.



سپنتمـدگات (سبنتمد جات)

١

الرّب الحكيـم، كروح قدس، سوف يعطينا
مقابـل العقل الفاضـل والأفعال والكلمات المتفقة مع الحق،
ومن خلال السيادة والتقوي، الخلاص والخلود.

٢

الخير المطلق لهذه النفس الأعظم قدسيّـة،
نرجو أن يتممه، الرّب الحكيم، أبو الحق
وفقاً للكلمات التي ينطق بها لسـان العقل الخيّر،
وفقاً للأعمـال التي تأتيها أيادي التقوى.

٣

إنك أنت الأب المقدس لهذه الروح،
التي خلقت لنا، أيها الرّب الحكيم، قطعان الماشية،
مصدر الثروة الطيبة،
وكي تمنحنا السلام، خلقت التقوى،
لرعـاية الماشية،
عندما تأخذ بمشورة العقل الخير.

٤

عن هذه النفس القدسية يبتعد الشرير، أيّها الرّب الحكيم،
لكن لا يفعل هذا التقى،
سواء أكان إنساناً يمتلك القليل أو الكثير،
اجعله صديقاً للتقى؛ عدواً للشرير.

٥

كروح قدس، آيها الرّب الحكيم،
قد وعدت التقي بالخير المطلق
أيمكن أن يشاركه الشرير نصيبه ضد إرادتك،
هو الذي بأفعاله ينتمي إلى العقل الشرير؟

٦

أيّها الرّب الحكيم.. كما أن الروح القدس
بواسطة النار خلقها، مؤيدة بالتقوى،
والحق،
تميز في الخيرات بين الفريقين،
فإن هذا سوف يحسم الخيار لمن يرغب بالخير.

ترنيمة (٤٨)

١

في موعد الحساب،
عندما سينهزم الشر على يد الحق،

عندما يكون الخيار قـد تمّ،
هذا الذي لأجل الخلود قد سبق فقيل
للآلهة المزيفة والكائنات الفانية،
حينئذ سوف يكون في خلاص (الكائنات التي لا تحصى)
كثرة من يعبدونك أيها الـرّب.

٢

أخبرني بالأشياء التي تعرفها أيّها السيّد:
هل سيهزم الرجل العادل الشرير أيّها الحكيم،
حتى قبل المجيء إلى العقاب الذي أعددته؟
لأن في هذا الذي يعرف كإصـلاح طيب للوجود.

٣

هذا بالنسبة للمـريد جوهر العقيدة،
التي يعلمها الرّب الرحيم، كحـق واستقامة، الواحد المقدس
التي تكمن فيه
أنت أيضاً الذي يعرف أيها الرب الحكيم،
بواسطة قوة العقل الخير العقائد المقدسة.

٤

من يجعل فكره صـالحاً وشريراً. . أيّها الحكيم
. . . بضميره الطيب والفاسد. . ما يصنع من أعمال وأقوال،
من يتّبع ميوله ورغباته وما يهواه،
داخل قوّة عقلك في نهاية الـزمان،
سوف يكون منبوذاً.

٥

عسى أن يحكمنا الأتقياء لا الأشرار،
أيّتها «التقوى». . . حسب أعمال العقيدة الصالحة،
أعدى أعظم الخير للإنسان. . . إعادة الميلاد،
إنها بواسطة العناية والـرعاية تسمن لغذائنا الثيران.

٦

تعطي لنا. . المأوى الطيب والقوّة والدوام
هي تكريس العقل الخير،
لأجلها جعل الرّب كحكيم وحق. . النباتات تنمو
عند ميلاد الوجود الأول.

٧

دعوا «روح الشرّ» تخمد. . واقضوا علـى الفساد،
أنتم يا من تصونون أنفسكم بوساطة الاستقامة،
جائزة العقل الخيّر، الذي رفيقه الرجل المقدس،
من سيكون مسكنه في منزلك أيّها الرّب.

٨

كيف ستكون «السيادة» الخيرة ملك يميني أيّها الحكيم؟
كيف تكون جائزتك من نصيبي، أيّها الرّب؟
كيف ستبدو ظواهر عملك، كحق وعدل،
محل ترحيب المؤمن بك؟

٩

عندما سيكون يقيني أيّها الرّب الحكيم،
بأن لـديك القوّة والحق،
على جميع من ينذروني بالهلاك،
دع صلاة العقل الخيّر تقال بالحقيقة بواسطتي،
لعل المخلـص المقبل يدري ما ستحظى به الأقدار.

١٠

متى، أيّها الحكيم، سيفهم المحاربون الرسالة؟
عندما ستسحق فحش الشراب،
الذي يريقه المضحون بخبث،
وسادة البلاد الأشرار بمحض إرادتهم،
يرتكبون أفعال الأذى والخداع.

١١

متى، أيّها الرّب الحكيم، ستأتي «التقوى» مع «الحق» ؟
متى مع «السيادة» يطيب المسكن وتزدهر المراعي؟
من سيمنحنا الأمان من الأشرار المتعطشين للدماء؟
من الذين ستصل إليهم عقيدة «العقل الخيّر» ؟

١٢

هؤلاء هم المخلصون المفيدون للناس،
الذين يناضلون بأفعالهم بتعضيد «العقل الخير»،

لينفذوا الحكم الذي به قضيت،
أيّها الرّب الحكيم كحق،
لهؤلاء الذين خلقوا الشرور.

ترنيمة (٤٩)

١

دوماً كان «باندوا» عائقاً خطيراً لي،
لي أنا الذي، بوساطة الحق، سأشبع المحروم
أيّها الرّب الحكيم،
أقدم إلى كجزاء حسن، كن سندي. كعقل خير عجل في سقوطه.

٢

طويلاً ما عوقني النبي الشرير لهذا «الباندوا»،
الذي زاغ عن الحق،
لم يحرص على أن تكون «التقوى» المقدسة له،
ولا استشار العقل الخير... أيّها «الحكيم».

٣

إنّ الحق أيّها «الحكيم» قد وضع لاختيارنا،
ليكون نعمة لنا،
الشر للكافر، لأجل هلاكه،
لهذا أبغي الاتحاد مع العقل الخيّر،
وامنع التعامل مع الشرير.

٤

هـؤلاء الذين بخبث يزيدون الغضب والوحشية
بألسنتهـم،
ليسوا رعاة وهم بين الرعـاة،
هـؤلاء الذين لا توازن أفعالهم الخيرة أفعالهم الشريرة
لقد أسـلموا ضمائرهم صانعة الشر إلى الآلهة المزيفة!

٥

لكن هـؤلاء الذين يوحدون ضمائرهم
مع العقل الخيّر أيّها الرّب الحكيم
بغيره ويتدشّنون بماء القطيع ـ
الذين صـاروا ـ من خلال الحق ـ فرسان التقوى،
لكل هـؤلاء سوف يكون مكان في ملكوتك،
أيها الـرب.

٦

أتوسّـل إليك أيّها الحكيـم مع الحق
أن تعلن هدف مشيئتك
كي يمكننا أن نقرر الصواب
ونلقنها لضمائرنا المكرسة لك.. أيّها الرّب.

٧

دع هذا الكائن يسمع، كعقل خير

ويسمع كحق،
أتصغـي لي أيّها الرّب الحكيم!
من الضيف. من القريب الذي وفقاً للقوانين
سوف يعطي السمعة الطيبة للقرية.

٨

أتوسّل إليك، أيّها الرّب الحكيم
أن تمنح «وراسواسترا» تواصـلاً حلواً مع الحق
ولي أيضاً، في ملكوتك
دعنا نكن محبوبيك إلى الأبد.

٩

المعين الذي خلق ليجلب الرخاء،
دعه يسمع تلك الوصايا:
«صاحب الكلمات الحقة لا يحفل بالتعامل
مع الشرير.
عنـدما سيجعل المشتـركون بالحق ضميرهم
مشاركـاً في المكافأة الطيبة. . الآتية»
أيا «جامسبا»

١٠

وهذا ما ستحتفظ به في مسكنك
أيّهـا الرّب الحكيم:
العقل الخيّر وأرواح الأتقياء
تبجيلهم لك بالتكريس والحماس

١١

لكن الخبثاء ذوي القوّة الشريرة
وأعمال، وكلمات وضمير وفكر الشر
ستذهب أرواحهم للقائهم بزاد الشر
بالحقيقة سيكونون نزلاء مقر الشر.

١٢

ما العون الذي ستقدمه، كحق،
إلى «زرادشت» الذي يناديك،
ما العون الذي ستقدمه كعقل خير،
لي الذي يبحث عن رضاك بالترانيم
أيّها الرّب الحكيم،
طمعاً في أفضل ما لديك.

ترنيمة (٥٠)

١

ماذا تتوقع نفسي من عون إنسان؟
الذي أضع فيه ثقتي كحامي قطيعي،
الذي فيه أكون، إليه أتضرع،
ليس سوى الحق.. فيك
أيها الرب الحكيم والعقل العظيم.

٢

كيف يمكن للمرء أن يحصل على قطيع يدر الرخاء، أيها الحكيم
قطيع يرغب فيه مع مراعيه؟
هذا الذي من بين من ينظرون الشمس،
يعيش باستقامه طبقاً للحق.

٣

إنه أيضاً، أيها الحكيم، سوف يتلقى من «الحق»
الثور.
موعوداً بالسيادة والعقل الخير -
هذا الذي، بقدرة طالعه،
سيجعل أراضي الجوار تثمر لأجله،
تلك التي ما تزال.. في حوزة الشرير.

٤

سوف أعبدك وأرفع لك المديح.. أيها الرب الحكيم،
مع الحق والعقل الأسمى والسيادة،
ما يتوق له الغيور.

٥

علامات اليد التي ستجلبنا إلى النعمة،
نطمئن إليها بك... أيها الرب الحكيم،
كفعل قويم مع عون مرئي مشهود،
لأنك تنظر باستحسان إلى نبيك.

٦

لي أنا ـ زرادشت ـ النبي والصديق الحميم للحق،
رافعاً صوتي بابتهال أيها الحكيم،
عسى أن يكشف خالق قوة العقل، كعقل خير،
وصاياه،
علها تكون درب لساني.

٧

سوف أخضع لك أيها الحكيم مع الحق،
بمهماز مديحك أسرع الجياد،
سريعة وقوية بواسطة العقل الخير،
عليها سوف تصبح مني قريب
لعلك تمنحني يد العون.

٨

بيدين مرفوتين سوف اقترب منك، أيها الرب الحكيم،
بأشعار هي أناشيد الحماس،
أنت، كما الحق، مع تضرع الغيور،
أنت مع كل قوة العقل الخير.

٩

بهذه الترانيم سوف أقف أمامك، أيها الرب الحكيم.
مادحاً إياك كحق. . بأعمال العقل الخير،

وعندما أتعامل كما أفعل بنصيبي في النعمة،
ألا ينبغي أن أبعث الحياة في ترانيم الإنسان ذي البصيرة؟

١٠

كل ما سأفعل وكل ما فعلت قبل الآن،
والأشياء التي تبدو ثمينة للعين بواسطة «العقل الخير»
ضوء الشمس والفجر المتلألئ للأيام،
جميعها لأجل مديحك أيها الرب الحكيم كعادل وحق.

١١

سوف أدعو نفسي، وسوف أكون المسبح لك
أيها الرب الحكيم.. حيثما يمكنني،
عسى من خلال الحق،
أن يتمم خالق الوجود بوساطة العقل الخير،
الإصلاح والتجديد
وفقاً لمشيئة (الخالق).

نتيجة:

وفي هذا القسم من الجاتها عن «**اليسنا ٤٧ حتى ٥٠**» يتحدث في الخلقية، سبنتامينو وأهورا مزدا، وأيضاً يشير: كم هو مسوغ لنا وصف ديانة بأنها توحيد أخلاقي؟ في بداية هذا القسم على فرصة الاستشهاد بمقطعين هامين يصفان العداء الأبدي القائم بين الروحين سبنتامينو وآنغرامينيو، أي الروح القدس، والروح المخربة فمم نشأت الروح المخربة؟ تبدو الإجابة واضحة بشكل كاف، حيث يقال إن الروحين هما تامان ونعلم من هذا القسم عن **أليسنا** أن الرب الحكيم هو والد الروح

القدس، ولذلك يجب أن يكون والد الروح المخربة في تلك الحالة وهي فكرة وصفت مؤخراً بأنها سخيفة تماماً في الإطار العقلي للجاتها، وفي الحقيقة الفعلية، إن الاستنتاج المنطقي الذي نحن ملزمون باستنتاجه هو استنتاج سخيف فقط. وإن زرادشت كان يقول: إن النظام هذا العالم ليس على وفق النظام المعقول الذي يجب أن يكون، إذ نجد في هذا العالم حقائق الشريرة، والوجودات المقدسة كأهورا مزدا أو سبنتاميينو، أعظم وأجل من أن ينسب خلق هذه الشرور إليها؛ إذن فلا بدّ أن نفترض وجوداً آخر يكون شراً ذاتاً وتنسب هذه الشرور المخلوقة إليه.



وهوخشترگات (وهوخشترجات)

١

سيادة الخير يجب أن تكون اختيار الإنسان
أنها تجلب النصيب الثمين لمن يعمل بحماس
من خلال الحق سوف يحصل على الخير الأسمى
نظير أعماله، أيها الرب الحكيم
هذا ما سأتمه الآن لأجل أنفسنا.

٢

لهذا أيها الرب الحكيم، عين لي السيادة
التي كانت منذ البدء ملك
أنت والحق وأنت أيتها التقوى
إن خلاصك يعتق من تقبل صلاته
من خلال العقل الخير.

٣

أين سيوجد السرور بدلاً من الألم،
أين المغفرة؟

أين سيتم الحصول على الحق؟

أين التقوى المقدسة؟ أين العقل الخير؟

أين توجد سيادتك، أيها الحكيم؟

٤

عن كل هذا أسأل:

هل سيتلقى الثور من الحق

الراعي ذو الإرادة الطيبة والأعمال الصالحة

المطيع لرب الجائزتين

الذي وعد الطاهر بحامٍ أمين؟

٥

والذي كسيادة - صنو الرب الحكيم -

عين أفضل الأشياء للذي يلبي إرادته

وأسوأ السيئات لمن لا يطيعه،

عند العودة الأخيرة للوجود؟

٦

أيها الرب الحكيم، أنت كروح بالغ القداسة

قد صنعت الثورو المياه والنباتات،

امنحني الخلود والكمال،

والقوة، والدوام مع العقل الخير عند المحاكمة.

٧

حينئذ سأتحدث، أيها الحكيم، عما يجب
أن يتحدث به المرء المريد،
عن كل من الهلاك الذي يحيق بالشرير
والنعمة لمن يتمسك بالحق،
بالابتهاج يتحدث النبي بهذا إلى المريد.

٨

ما الجزاء الذي عينته لفريقين، أيها الرب الحكيم،
بوساطة نارك الوهاجة وبواسطة القضيب المنصهر
أعط علامة له لأرواح البشر
ما سيؤذي الشرير، وينفع التقي؟

٩

من يبحث عن هلاكي لأي سبب آخر غير هذا
هو، أيها الحكيم، ابن خلق الشر،
فاعل الشر للبشرية،
إني أدعو الحق ليجلب لي الجزاء الحسن.

١٠

من أيها الحكيم، صديق «زرادشت» الحميم؟
من الذي استشار الحق؟
من الذي وجد، من خلال التقوى المقدسة؟
من الذي امتلأ باستقامة العقل الخير؟

١١

تابع الأمير الساحر، عند قنطرة الشتاء،
آذى «زرادشت بن اسبيتمان» عندما رفض منحه المأوى
هو ودوابه عندما يرتعدون برداً.

١٢

لهذا سيفقد ضمير الشرير أمان الطريق المستقيم
روحه التي ستعرى ستقف خائفة
عند البرزخ،
وقد ضلت طريق الحق،
بسبب أعماله وكلمات لسانه.

١٣

المضحون الذين لا يخضعون لقاعدة ونظام تربية الماشية،
بسبب العذاب الذي يفعلونه للثور،
اكشف الحكم الذي سيحملهم في النهاية
إلى مقر الشر لأجل أعمالهم وأحكامهم.

١٤

منزل الأغنية الذي وعد به «زرادشت» المتقين،
كان الرب الحكيم أول من دخله،
لقد وعدكم بكل نعيمه،
لأجل عقلكم الخير واستقامتكم.

١٥

الأمير «وشتاسب» بسيادة السر المقدس
قد اكتسب على طرق العقل الخير
العقيدة المدركة في الرب الحكيم كحق،
عسى أن تتم حسب ما نود.

١٦

«وراشوشترا آوجفا» أراني نفسه
مكرسة للإيمان الصحيح،
عسى أن يجعله الرب الحكيم في عظمته عزيزاً عليه،
كي يمكنه أن يحصل على ملكية الحق.

١٧

«جامسيا أوجفا» فى بحثه للحصول،
على سيادة العقل الخير،
قد قبل هذه العقيدة، مع الحق،
كأغلى ما يمكن امتلاكه،
لتمنحه مساندتك أيها الرب الحكيم.

١٨

(المستمعون):
«هذا الرجل، مع «مادياماها سبتما»،
قد جعل نفسه، عندما أدركها في ضميره،

لأن من يشتهي الوجود،
بأحسن ما يمكن عمله في هذه الحياة،
طبقاً لناموس الرب الحكيم»

١٩

«زرادشت»:
امنحونا بركتكم، يا من يتماثل هدفكم
أيها الحق، مع العقل الخيِّر، والتقوى، والرب الحكيم
يا من تعطون المساندة الذي وعدتم بها
عند عبادتكم وتبجيلكم.

٢٠

مقدس هو رجل التقوى،
من خلال الأفكار، والكلمات، والأفعال،
ومن خلال ضميره فإنه يزيد الحق،
الرب الحكيم كعقل خير يعطي السيادة،
كجزاء طيب أصلي من أجله.

٢١

أنا أعرف أن أفضل شيء هو عبادة
الرب الحكيم، وهؤلاء الذين كانوا والكائنين،
بأسمائهم سأتعبد لهم،
وإليهم أتقدم بالمديح.

نتيجـة:

في هذا القسم من الجاتها عن اليسنا ٥١ يتحدث في خصوص العالم الجديد والثواب والعقاب في هذا العالم.

يوجد في الديانة الزرادشتية المتأخرة حساب فردي عند الموت، ومنه تعذيب شامله بالنار وبمعدن مصهور في نهاية الحياة، وتوجد كلتا الفكرتان في حالة جنبنية في الجاتها حيث يطلب من الروح الفردية أن تعبر جسر الجزاء (جينوت) حيث سيلاقي الذين قاموا بأعمال صالحة جزاءً عادلاً على صلاحهم (آشا) والملكوت بوساطة عقلهم السليم، وهنا لا يمكننا أن نكون واثقين، كما يحدث مراراً في ألجاتها، فيما إذا كانت الاستقامة والعقل السليم يشيران على الكائنات السماوية التي هي (hyportases) للرب الحكيم، أو إلى الاستقامة والأفكار الصالحة للناس الأفراد، هذا ويبدو أن الفكرة الأساسية التي كانت قد رافقته في الحياة الدنيا تتحد مع استقامة حقيقية وصدق حقيقي، ومع العقل السليم للرب، وحياة الآخرة باقيان في اللغة الفارسية حالياً: بهشت: أي النعيم والتي تعني ببساطة في الأصل بأنها «الأفضل». ودوزخ التي تعني حياة بائسة، كما إن الحياة الأفضل تعد بأنها في مستوى روحي وعقلي تبينها حقيقة أن النقيض للحياة الأكثر سواءً ليس الحياة الأفضل فحسب بل العقل الأفضل. وهنالك إيمان بالأخريات محدد بشكل جيد في الزرادشتية اللاحقة، حيث سيأتي (سوشيان) في آخر الحياة لتجديد الوجود كله ولسوف يبعث جثث الموتى ويوحدها بأرواحها «وسوف يحدث حريق هائل، ويترتب على جميع الناس أن يخوضوا عبر نهر من المعدن المصهور سيبدو كاللبن الدافئ بالنسبة للناس الصالحين، بينما سيكون بالفعل معدناً مصهوراً بالنسبة للأشرار، وتتم إزالة آثام المدانين في هذه المحنة الرهيبة، ويعود جميع الخلق في الجاتها، غير أنها ليست مصاغة بشكل نظامي، وعلاوة على ذلك، لا يوجب ترقب لوقت يتم فيه عتق المدانين من الجحيم.

وهيشتواشـت گـات (وهيشتواشت جات)

ترنيمـة (٥٣)

١

وقـد تحققت وعـلى أكمل الوجه،

كل متطلبات «أشو زرادشت» وقد متّعه «أهورا مزدا»

الخالق الحكيم من أفضل نعماته وهي حياة صالحة وممتّعة والزهد إلى الأبد.

إلى حدٍّ حتى أؤلئك الذين يكنون له عداوة،

تعلموا بأن يحترموه وفي كلامهم وأعمالهم يتبعّوا النظام البهية.

٢

أيها الناس، اعملوا بالفكر والكلام والعـمل،

لمرضـاة «مزدا»،

وعـلى الكل أن يختار العمل الصالح لعبادته،

لأن «كشتاسب» من أصحاب زرادشت،

و«ميديوماه» و«فرشوشتر» اختارو صراط المستقيم،

والدين الذي أوحى به «أهورا مزدا» إلـى «سوشيانت»،

القصد من سوشيانت هنا، هو زرادشت نفسه.

٣

يا أيها الرجال والنسوة، استمعوا إلى هذه الحقائق،

ابتعدوا عن الكذب الذي هو الحياة المادية ووساوسها،

واوقفوا تقدم الخداع والرياء واقطعوا ارتباطكم بالكذب،

واعلموا أن أي سعادة وسرور التي تُحصل عن طريق شقاوة وأفقار غير،

عاقبتها التعب والندم.

والمجرمين وعبدة الكذب الذين يسعون لإفساد الصالحين،

إنهم حقاً يخسرون حياتهم المعنوية وسكينة روحهم.

نتيجة

وفي هذا القسم من الجاتها عن اليسنا ٥٣ يتناول أعلى الأمال زرادشت. وقد تحققت وعلى أكمل الوجه كل متطلبات «أشو زرادشت» وقد متعه أهورا مزدا الخالق الحكيم من أفضل نعماته وهي حياة صالحة وممتعة والزهد إلى الأبد إلى حدً حتى أؤلئك الذين يكنون له عداوة تعلموا بأن يحترموه وفي كلامهم وأعمالهم يتبعوا.



الملحق الثاني

أليشوت

تعدّ أليسنا الناظم للطقوس الدينية للزرادشتيين، وتقف لهذا في مركز القلب من ديانتهم، فهي بالنسبة للزرادشتي الشيء الذي يعينه القداس بالنسبة للكاثوليكي، وتماماً كما يمجد القداس ليس القديسين فحسب، بل أيضاً بعض القديسين الغامضين جداً مثل مارسلينوس وفلسيتي وبيريتول، وكذلك تفعل أليسنا فهي لا تعيد ذكرى الكائنات الربانية الرئيسية فحسب مثل سراوشا وميترا، بل أيضاً حشداً من إحلال الكاهنين المقدسين: هاوما وسراوشا بواسطة يشوت خاصة أو ترانيم مديح، ولم يتلق أي رب آخر هذا الإجلال في قواعد النص المقدس.

هنالك مجموعة من أليشوت من هذا القبيل تشكل جزءاً هاماً من كتاب الأفستا، وتعدّ من وجهة النظر الأدبية الصرفة الجزء البارز الوحيد منه. ويبلغ عدد هذه أليشوت إحدى وعشرين ترنيمة، وهي متفاوته في الطول والأهمية من وجهة نظر تاريخ الأديان، ومن الواضح أن المجموعة مشتقة من مصادر ليست هي الديانة الزرادشتية البدائية، لأن أليشت المخصصة للرب الأسمى أهورا مزدا ليست أكثر من سرد موحش للأسماء الربانية، ويعود تاريخها إلى ما بعد أليشوت «العظيمة» وخالية من أية ميزة أساسية على الإطلاق.

ويحتفل بشكل فردي بآشا (الصدق) وبهورفتات (الكمال) من بين الفيوض السرمدية السبعة أو الستة على الأصح، حيث تم تشبيه الروح

القدس مع الرب الحكيم، في حين ترتب على البقية الاكتفاء بيشت جماعية من الفيوض السرمدية السبعة التي يحتفل فيها بهم مع حشد من الكائنات الربانية الأخرى، والتي يتم تمييزها عنها باللقب الدائم الآن «الفيوض السرمدية» والذي يمكن أن لا تشارك فيه الكائنات الربانية المستمدة من الديانة القديمة.

توجد ثمانية يشوات ذات أهمية كبيرة بين اليشوات المتبقية، وبالتأكيد فإن اليشت المكرسة لميترا هي أليشت الأكثر امتاعاً والجديرة بالاهتمام، وتأتي في المرحلة الثانية من الأهمية والشأن اليشت المكرسة إلى فرافيشز وهي اليشت الثالثة عشر، وأيشت التاسعة عشر المكرسة لخوارنو (الحظ أو الجد) وأليشت الخامسة المكرسة «لأردفي سورا أناهيتا»، ربة المياه، واليشت السابعة عشر المكرسة لإلهة الوفرة، ومن وجهة نظر التاريخ الديني، فإن اليشت الرابعة عشر الموجهة «لفيرثراغنا» (النصر)، واليشت الخامسة عشر الموجهة إلى إله الريح (فالوليستا» بدون أهمية بينما تعد الترتيلة الموجهة إلى النجم سيريوس (يشت ٨ ـ تيشتريا) هي الترنيمة الجديرة بالاهتمام أكثر من جميع الترانيم، وذلك من وجهة النظر الأدبية، لكنها سطحية من وجهة نظر تطور الديانة الزرادشتية من طورها الكوني الشامل.

وساهم كل من ميترا والفرافاشيز والخوارنه والأردفي سورا آناهيتا، وفالو، والفيريثراغنا في إحداث التحويل في الديانة الزرادشتية من التوحيد اللاهوتي للرسول مع معاينة الإضافية الأخلاقية الثنوية، إلى الشمول الواسع لكتاب الأفستا الأخير، ونجح جميعهم في البقاء على قيد الحياة، فقد ذاب الجميع، لكن ظلوا أحياء، وفي إعادة التأكيد المصمم لوحده وجود الربّ الحكيم التي ميزت بدايات العصر الساساني، وتخلّى ميترا بالفعل عن أبهة المنزلة إلى سراوشا في الطقوس الدينية، لكن حتى الآن يتم تقديم أضحية اليسنا في «الداري مهر»[1]، أي «الرواق المعمد لمهرا» حيث تشتعل نار

(١) Ibid., 10. 108.

الرسول المقدسة بشكل ثابت، وكان كل من الفرافشيز والخوارنه، وذلك المفهوم الغريب حتى الآن والمترجم بأنه المجد غلوغلانز.. الخ.. والذي تمت مماثلة مؤخراً بالحظ[1] بكل بساطة: كانوا وما برحوا غير منفصلين عن الديانة الزرادشتية منذ زمن نظم أليشت (وبالنسبة للفرافشيز منذ أيام الفصول السبعة) وكانوا حتى الوقت الحالي، لا يستطيع المرء أن يتجنب الشعور بأن «الأرد في سور آناهيتا» لم يتناسب أبداً مع إطار الزرادشتية حتى المحافظة منها، مع أن أليشت المكرسة لها تجعل من المؤكد سوى ربة جيحون أو سيحون ـ كان مجرى حياتها الأكثر إثارة في الغرب، فقد عبدها أردشير الثاني[2]، وكانت معروفة بالنسبة لهيرودوت الذي خلطها بشكل يتعذر تعليله مع ميترا[3]، وانتشرت عبادتها في سائر أنحاء أسيا الصغرى في أعقاب المجوس المهاجرين، وربما في أعقاب المنشقين، وتعرض «فايو» للمصير الأشد غرابة بين جميع أقدار جميع الأرباب، حيث كان في الأصل رب الجو والريح، وكان بالأصل من شبه المؤكد من فئة الديفاس وليس من فئة الأهوراس، وحيث بات من المستحيل أن يتواءم حتى في ديانة زرادشتية محافظة في شكل الأصلي، فقد انقسم إلى قسمين أولهما «فايو» صالح الآخر «فايو» شرير: الأول يعمل لصالح الروح القدس، والآخر يعمل لصالح الروح الشريرة، وجرى تحويله بعد الإصلاح الساساني إلى «فراغ» فصل في الأزلية قبل بدء الحياة، مملكة النور اللامنتهي، التي كان يحكمها الرب الحكيم عن مملكة الظلام السرمدي حيث كانت تقيم الروح المخربة في حقد ليست له بداية، وحافظ رب النصر «فيرثراغنا»، الرب الشجاع بشكل أساسي، على حياته خلال الإصلاح اللاهوتي.

---

(١) H. W. Bailey, Zoroastrian Problems of the Ninth Century Books, pp. 1 - 51.

(٢) See. p 161.

(٣) Herodotus, I, 131.

لأوائل العصور الساسانية، ومع أنه ربما كان يشغل دوراً صغيراً في التفكير اللاهوتي الرئيسي الذي يحتل مساحات واسعة كما يبدو عدّ العديد منهم الحرب بمنزلة النظام الطبيعي للأشياء، إلى حد أن أكثر من خمسة ملوك من مجموعهم قد تبنوا اسمه.

النظام البهي، وقال زرادشت: أيها الناس اعملوا بالفكر والكلام والعمل لمرضاة مزدا وعلى الكل أن يختار العمل الصالح لعبادته لأن كشتاسب من أصحاب زرادشت وكما قال زرادشت: إننا نعبد الرب الحكيم مع الصدق (أشاوان)، أي قاضي الصدق، نحن نعبد الـ الفيوض السرمدية، ذات الملكوت الفاضل، وهو الرحيم، نحن نعبد عالم الصلاح الروحي كله.



قائمة المصادر والمراجع

ألف: المصادر والمراجع الفارسية والمترجمة بالفارسية:

١ ـ آذرگشنسب، أردشير: آيين سدره پوشی، انتشارات فروهر، تهران ـ ١٣٦٢ هـ ش.

٢ ـ آذر گشسب، أردشير: آيين مهر «ميترائيسم»، انتشارات فروهر، تهران ـ ١٣٦٩ هـ ش.

٣ ـ آذر گشسب، أردشير: آيين زناشوئی، انتشارات فروهر، تهران ١٣٤٦ هـ ش.

٤ ـ آذر گشسب، أردشير: مراسم مذهبی زرتشتيان، جلد دوم، طهران ١٣٨٥هـ ش.

٥ ـ آذر گشسب، أردشير: آيين كفن ودفن زرتشتيان، انتشارات فروهر، طهران ١٣٥٢هـ ش.

٦ ـ آذر فرنبغ، فرخزاد: دينكرد، ترجمة، تفضلي وآموزكار، تهران ١٣٥٩هـ ش.

٧ ـ آر. سی. زهنر: زروان، ترجمة، تيمور قادری، تهران، انتشارات مرواريد ـ ١٣٨٤ هـ ش.

٨ ـ آشتياني، جلال الدين: زرتشت، مزديسنا وحگومت، طهران، انتشارات جامي ـ ١٣٦٦هـ ش.

٩ ـ آموزگار، ژاله، تفضلی، احمد: دينكرد، نشر پشوتن سنجانا، تهران ـ ١٣٧١هـ ش.

١٠ ـ آموزگار، ژاله، تفضلی، أحمد: اسطوره زندگی زرتشت، گتابسرای بابل، طهران ـ ١٣٧٠ هـ ش.

١١ ـ آموزگار، ژاله، تفضلی، أحمد: ارادی ویراف نامه، انتشارات معین، طهران ـ ١٣٧٢هـ ش.

١٢ ـ ارادی ویراف نامه: (بهشت ودوزخ در آیین مزديسني) ترجمة، رحيم عفيفي، مشهد ١٣٤٣هـ ش.

١٣ ـ انكلساريا، تهمورث، بهروجا، شهريار: داتستان دينيك، ترجمة، منوجهر گشن جمن ـ ١٩٢٩ م.

١٤ ـ انكلساريا، تهمورث: بندهش، (دستنويسهاي سه گانه TD1)، انتشارات بنياد فرهنگ ايران، طهران ـ ١٣٤٩ هـ ش.

١٥ ـ اورنگ، مراد: بررسی يسنا، ترجمة از متن اوستا با ياداشتها وواژه نامه ها، طهران ـ ١٣٤٢ هـ ش.

١٦ ـ ايران از نظر خاورشناسان: نوشته گروهی از دانشوران غربی، ترجمة، دگتر رضا شفق) زاده، انتشارات اقبال، طهران ـ ١٣٦٢هـ ش.

١٧ ـ بهزادی، رقيه: بندهش هندی (ترجمة)، موسسه مطالعات وتحقيقات فرهنگی، طهران ـ ١٣٦٧ هـ ش.

١٨ ـ بيروني، أبو ريحان محمد بن أحمد: الآثار الباقية، ترجمة، اكبر دانا سرشت، چاپ سوم، انتشارات امير گبير، طهران ـ ١٣٦٣ هـ ش.

١٩ ـ پور داود، إبراهيم: يشت ها، جلد ١، ٢، بمبئي ـ ١٣١٠ هـ ش.

٢٠ ـ پور داود، إبراهيم: ويسبرد، انتشارات فروهر، طهران ـ ١٣٤٣هـ ش.

٢١ ـ پور داود، إبراهيم: يسنا، جلد ١، ٢ (هات ١ تا ٧٠)، تهران ـ ١٣٢٧ هـ ش.

٢٢ ـ پور داود، إبراهيم: گاثاها (با متن اوستا)، بمبئی ـ ١٣٢٩ هـ ش.

٢٣ ـ پور داود، إبراهيم: سوشيانس (رساله ايي در باره موعود مزديسنا)، بمبئی ١٣٤٦ هـ ش.

٢٤ ـ تمدن ایراني: نوشته چند تن از خاورشناسان فرانسوی، ترجمة، دگتر عیسی بهنام، انتشارات بنگاه، طهران ـ ١٣٣٧ هـ ش.
٢٥ ـ جان بی ناس: تاریخ جامع ادیان، ترجمة، علی اصغر حگمت، انتشارات علمی وفرهنگی، طهران ـ ١٣٧٥ هـ ش.
٢٦ ـ جعفری، علی اگبر: ستوت یسن، انتشارات فروهر، طهران ـ ١٣٦٢ هـ ش.
٢٧ ـ جوان، موسی: وندیداد (ترجمه از اوستای دارمستر)، س ـ محمد علی حسینی.
٢٨ ـ جکسن، (آ. و. ویلیامز): سفرنامه جکسن (ایران در گذشته وحال)، ترجمة، منوچهر امیری، فریدون بدره ای، انتشارات خوارزمی، طهران ـ ١٣٥٢ هـ ش.
٢٩ ـ جی جاماسب جی، هوشنگ: : بندهش (دستنویس های سه گانه DH) هند ١٩١٤ م.
٣٠ ـ دارمستر: زند اوستا، ترجمة، موسی جوان، طهران ـ ١٣٤٢.
٣١ ـ دادگی، فرنبغ: بندهش، ترجمة، مهرداد بهار، طهران ـ ١٣٦٩ هـ ش.
٣٢ ـ دوستخواه، جلیل: اوستا، جلد ١، ٢، انتشارات مروارید، طهران ـ ١٣٧٠ هـ ش.
٣٣ ـ دورانت، ویل: تاریخ تمدن، عباس زریاب خویی، انتشارات امیر گبیر طهران ـ ١٣٤٨ هـ ش.
http: //www.ashena.com www.zaratoshnameh.com.
٣٤ ـ دوشن گیمن (ژ): زرتشت وجهان غرب، ترجمة مسعود رجب نیا، انتشارات انجمن فرهنگ إیران باستان، شماره ٣ ـ طهران ـ ١٣٥٠ هـ ش.
٣٥ ـ رابرت. ا. هیوم: ادیان زنده جهان، ترجمة، ذبیح الله صفا، ١٣٤٩ هـ ش.

٣٦ ـ راشد محصل، محمد تقی: نجات بخشی در ادیان، پژوهشگاه علوم انسانی، طهران ـ ١٣٨١ هـ ش.
٣٧ ـ رضی، هاشم: ادبیات سنتی زرتشتی، انتشارات فروهر، طهران ـ ١٣٦٩ هـ ش.
٣٨ ـ رضی، هاشم: اوستا (ترجمه کامل)، انتشارات بهجت، طهران ـ ١٣٨٣ هـ ش.
٣٩ ـ رضی، هاشم: جشن نوروز، انتشارات جامی، طهران ـ ١٣٤٩ هـ ش.
٤٠ ـ رضی، هاشم: زروان در قلمرو دین واساطیر، انتشارات فروهر، طهران ـ ١٣٥٩ هـ ش.
٤١ ـ رضی، هاشم: زرتشت وتعالیم او، انتشارات فروهر، طهران ـ ١٣٦٩ هـ ش.
٤٢ ـ رضی، هاشم: راهنمای دین زرتشتی، انتشارات فروهر، طهران ـ ١٣٥٤ هـ ش.
٤٣ ـ رضی، هاشم: زرتشت پیامبر إیران باستان، دفتر نشر وفرهنگ، طهران ـ ١٣٦٩ هـ ش.
٤٤ ـ رضی، هاشم: نیایش های اوستایی، انتشارات فروهر، طهران ـ ١٣٦٩ هـ ش.
٤٥ ـ رضی، هاشم: گنجینه اوستا (گفتار در باره آیین زرتشت)، طهران ـ ١٣٤٩ هـ ش.
٤٦ ـ زادسپرم پسر جوان جم: گزیده های زادسپرم، ترجمة محمد تقی راشد محصل، انتشارات مؤسسه مطالعات وتحقیقات فرهنگی، طهران ـ ١٣٦٦ هـ ش.
٤٧ ـ شهزادی، رستم: خرده اوستا، انتشارات فروهر، طهران ١٣٤٩ هـ ش.
٤٨ ـ ضیاء پور، جلیل: شاهنامه فردوسی، بخش گنج وادب، شماره ٥٠١، طهران.

٤٩ ـ عمر خیام: نوروز نامه، انتشارات امیر گبیر، طهران ـ ۱۳۵۲ هـ ش.

۵۰ ـ قارن آذر، فرخ مردان: مینو خرد، انتشارات فروهر، طهران ۱۳۵۲ هـ ش.

۵۱ ـ گریستین سن، آرتولر: مزدا پرستی در ایران، ترجمة، ذبیح الله صفا، انتشارات بهجت، طهران ـ ۱۳٤۹ هـ ش.

۵۲ ـ گریستین سن، آرتور: إیران در زمان ساسانیان، ترجمة، رشید یاسمی، انتشارات ابن سینا، طهران ـ ۱۳٤۵ هـ ش.

۵۳ ـ گاتها سرودهای زرتشت: ترجمة وتفسیر مؤبد فیروز آذر گشسب، جلد ۲، انتشارات فروهر، طهران ـ ۱۳۵۹ هـ ش.

۵٤ ـ گیرشمن (ر): إیران از آغاز تا اسلام، ترجمة، دگتر محمد معین، انتشارات گتاب، طهران ـ ۱۳۳٦ هـ ش.

۵۵ ـ مجله فرهنگی هنری بخارا: شماره ٤۰ ـ ۳۹، بخش شاهنامه وتاریخ.

۵٦ ـ معین، محمد: مزدیسنا وادب پارسی، جلد ۱، ۲، انتشارات دانشگاه تهران ـ ۱۳۳۸ هـ ش.

۵۷ ـ مرزبان، فریدون، بهرام رستم، فریدون: بندهش (دستنویسهای سه گانه TD2).

۵۸ ـ مهر، فرهنگ: دیدی نو از دینی گهن (فلسفه زرتشت)، انتشارات جامی، طهران ـ ۱۳٦۹ هـ ش.

۵۹ ـ میر فخرائی، مهشید: (مترجم ـ روایات پهلوی، تهران ـ ۱۳٦۷ هـ ش.

٦۰ ـ نولدگه (تئودور): حماسه ملی ایران، ترجمة بزرگ علوی، انتشارات دانشگاه تهران ـ ۱۳۲۷ هـ ش.

٦۱ ـ نوائی، ماهیار: مجموعه مقالات، ج ۱، مؤسسه مطالعات آسیایی، شیراز ـ ۱۳۵۵ هـ ش.

٦٢ ـ نيايش ها: ترجمة پنج نيايش اوستائى با سروش باژ، تهران ـ ١٣٤٨ هـ ش.

٦٣ ـ نيبرگ (ه. س.): دينهاى إيران باستان، ترجمة دگتر سيف الدين نجم آبادى، انتشارات مرگز ايرانى مطالعه فرهنگها، طهران ـ ١٣٥٩ ١و٢.

٦٤ ـ ونديداد: ترجمة سيد محمد علي حسني (داعي الاسلام)، حيدر آباد، دكن ـ ١٩٤٨ م.

٦٥ ـ هاتف اصفهانى، أحمد: ديوان هاتف، انتشارات نگاه، طهران ـ ١٣٧٦ هـ ش.

٦٦ ـ هجويري، ابوالحسن: كشف المحجوب، ويراستاري، اصغر عبداللهي، انتشارات، دنياي كتاب، طهران ـ ١٣٨٤ هـ ش www.noormags.com.

٦٧ ـ هدايت، صادق: شكند گمانيگ ويجار، نشر طهران ـ ١٣٢٢ هـ ش.

٦٨ ـ هرودوت: تاريخ هرودوت، ترجمة، دگتر محمد معين، هادى هدايتى، مجلد ٥ و٦، انتشارات دانشگاه تهران، ١٣٤٩ هـ ش.

باء: المراجع بالعربية والمترجمة إلى العربية:

١ ـ البيروني، أبور يحان محمد بن أحمد : الآثار الباقية عن القرون الخالية، طبع زاخو، لايبزيك ١٩٢٣.

٢ ـ الخشاب، يحيي: إيران في عهد الساسانيين، الطبعة الأولى القاهرة.

٣ ـ السحمراني، أسعد: من قاموس الأديان (الصابئة ـ الزرادشتية ـ اليزيدية)، بيروت، دارالنفائس.

٤ ـ السقاف، أبكار: الدين فى الهند والصين وإيران، الناشر، العصورالجديدة، بيروت ـ ٢٠٠٠ م.

٥ ـ الشاهنامه الفردوسي: ترجمة، البنذري صححها وعلق عليها الدكتور عبد الوهاب عزام، دار الكتب المصرية بالقاهرة ـ ١٩٣٢ م.
٦ ـ الشهرستاني، عبدالكريم: الملل والنحل، تخريج، محمد بدران، مكتبة الأنجلوا ـ ١٩٥٦ م.
٧ ـ الصدر، محمد: اليوم الموعود بين الفكر المادي والديني، دارالتعارف بيروت ـ ١٩٩٢ م.
٨ ـ الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير: : تاريخ الطبري، مجلد ٨، تاريخ الأمم والملوك، دارالتعارف، بيروت ـ ١٩٩٢ م.
٩ ـ الغزالي، أبو حامد محمد: المنقذ من الظلال، دارالنشر جبير، القاهرة ١٩٩٣ م.
١٠ ـ الغزالي، أبو حامد محمد: مشكواة الأنوار، طبع، القاهرة ـ ١٩٦٤ م.
١١ ـ المسعودي، أبو الحسن: مروج الذهب، مجلد ١، القاهرة ـ ١٩٦٣ م.
١٢ ـ المسعودي، أبو الحسن: التنبيه والإشراف، القاهرة ـ ١٩٦٣ م.
١٣ ـ المقدم، عبدالقادر: المهدي المنتظر (بالإضافة حول القدس والمسيح والمهدي والأديان السماوية) الدمشق ـ ٢٠٠١ م.
١٤ ـ بارندر، جفري: المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ترجمة، الدكتور عبدالفتاح إمام، الكويت ـ ١٩٩٣.
١٥ ـ بويس (م.): الزرادشت معتقداتهم الدينية وممارستهم، لندن ـ ١٩٧٩ م.
١٦ ـ تاباروف (ف ـ ن): موسوعة أساطير شعوب العالم، موسكو ـ ١٩٩٢ م.
١٧ ـ ديورانت، ول: قصة الحضارة، مجلد ٢، ترجمة، الدكتور ذكي نجيب محمود، الدكتور محيي الدين، دارالجيل، بيروت.

١٨ ـ سوراجي باناجي، بهمن: الديانة الزرادشتية أو اليزيدية، ترجمة، توفيق الحسيني، الدمشق ـ ١٩٩٦ م.

١٩ ـ صعب، أديب: الأديان الحية نشؤوها وتطورها، دارالنهار، بيروت ـ ١٩٩٣ م.

٢٠ ـ طوق، بولس: النار والنور في الفكر العالمي، دار نوبيليس، بيروت ـ ٢٠٠٠ م.

٢١ ـ عبد العال الحسيني، محمد جابر: في العقايد والأديان، الديانة الكبرى المعاصرة، الهيئة المصرية ـ ١٩٧١.

٢٢ ـ عبدالقادر، حامد: زرادشت الحكيم، دار مركز الإنماء الحضاري، حلب ـ ٢٠٠٥ م.

٢٣ ـ عطيه، فيليب: ترانيم زرادشت «من كتاب الأفستا المقدس»، الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ ١٩٩٣ م.

٢٤ ـ مظهر، سليمان: قصة الديانات، دار الوطن العربي للطباعة والنشر.

٢٥ ـ مرعي، فرست: صحيفة الحزب الكردي، المقالات، النوروز الزرادشتية بين الكرد والفرس.

٢٦ ـ نعمه، حسن: ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديم ـ دار الفكر اللبناني ـ ١٩٩٤ م.

٢٧ ـ نوري إسماعيل: الديانة الزرادشتية، مزديسنا، دار علاء الدين للنشر والتوزيع دمشق ـ ١٩٩٩ م.

تاء: المصادر الأجنبية:

1- **Bartholomea, P.;** Zarathushtras Leben und Lehre, Heidelberg, 1950.

2- **Benvenist, E.;** The Persian Religion According to the Chief Greek Texts, Paris, 1929.

3- **Boyce, M.;** History of Zoroastrianism, Leiden, 1982.

4- **Darmester, J. (translator); "The Zend Avesta" in The Sacred Books of the East, Clarendon Press, Oxford, 1924.**

5- **Dhalla, M. N.**; History of Zoroastrianism, Oxford University Press, 1938.

6- **Geiger, W; Civilization of the Eastern Iranians, London, 1885.**

7- **Geldner, K. F.**; Avesta: The Sacred Books of the Parsis, Stuttgart 1889-96.

8- **Herzfeld, E.**; Zoroaster and His World (2 vols.), Princeton, 1947.

9- **Hoffmann, K.**; "Altiranisch" in Handbuch der Orientalistik I, 4: Iranistik 1, Linguistik, Leiden and Cologne, 1958.

10- **Herzfeld, P.**; Monument and Inscription of the Early History of the Sassanian Empire (2 vols.), Berlin, 1924.

11- **Jackson Williams, A. V.**; Zoroaster, the Prophet of Ancient Iran, Columbia University Press, 1898.

12- **Kapadia, A. S.**; The Teachings of Zoroaster and the Philosophy of the Parsi Religion, London, 1905.

13- **Madan, D. M. (ed.); Dinkard, Bombay, 1911.**

14- **Molton, J. H.**; Early Zoroastrianism, London, 1913.

15- **Modi, J. J.**; The Religious Ceremonies and Customs of the Parsees, Bombay, 1922.

16- **Nicholson, R.**; Studies in Islamic Mysticism, Cambridge, 1921.

17- **Nicholson, R. (ed. & trans.); Selected Poems from the Divan-e Shams-e Tabrizi, Cambridge University Press, 1898.**

18- **Pognon, H.**; Inscriptions Mandaites des Coupes de Khouabir, Paris, 1898.

19- **Sanjana, P. & D. Sanjana (ed.); Dinkard, (vols. 1-19), Bombay, 1874-1919.**

20- Sprengling, M.; Third Century Iran, Sapor and Kartir, Chicago, 1953.

ABBRVIATIONS USED IN THE NOTES

A2H. Inscription of Artakeres ll at Hamadan.
Avn. Artay Viraf Namak.
BSOAS. Bulleten of the School of Oriental and African Studies.
Clemen, Fontes. Fontes historie religious Persicae.
DB. Inscription of Darius l at Bisitun.
Dd. Datastan l denik.
DkM. Denkart, ed. Madan.
DN. Inscription of Darius l at Naqsh - l Rustam.
GB. Greater Bundahisn.
Ibid. Indian Bundahisn.
Mkh. Menok l Khrat.
PhL. Pahlavi.
PR. Pahlavi Rivayat.
PT. Pahlavi Text.
RV. Rig - Veda.
ShGv. Shikand - Gumanik Vichar.
XP. Inscription of Xerxes at PersePolis.
Y. Yasna.
Yt. Yasht.
ZkhA. Zand I Khwartak Apastak.
Zs. Selection of Zatspram.
ZzD. [R.C. Zaehner] Zurvan, A Zoroastrian Dilemma.

الفهرس

الدكتور جمشيد يوسفي

الزرادشتية

الديانة والطقوس والتحولات اللاحقة

بناء على نصوص الأفستا



الوسام العربي
الجزائر

منشورات زين
بيروت - لبنان

ISBN 978 9953 578 20 0

دار الوسام العربي للنشر والتوزيع
07 شارع جيش التحرير الوطني عناية - الجزائر
تلفاكس: 38844734 (00213) / النقال: 553250712 (00213)
الموقع الإلكتروني: www.darelwissemelarabi.comoj.com
البريد الإلكتروني: darelwissemelarabi@yahoo.fr

مكتبة زين الحقوقية والأدبية ش.م.م.
الشياح - طريق صيدا القديمة - سنتر دالاس - ط أرضي
تلفاكس: 391 391 (1-00961) / النقال: 733 433 (3-00961)
الموقع الإلكتروني: www.zeinjuridique.com
البريد الإلكتروني: wassim@zeinjuridique.com